

8574

١٧٢

الجلال

في تفسير الفرائد

تم على عجائب المعاني وغيره للآية

تأليف

سلاستاد الحكيم شيخ ططاوي جوهري

ميرزا محمد طه المصري ومدرسة دار العلوم سابقا
مع الله المسلمين بها آمين

الحج السبأ عشر

ط. ز. مطبعة

بمطبعة السبأ لعلي وولاده بمصر

وحق الطبع مخور

والمطبعة محمد عمر

شوال سنة ١٣٤٨ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الاحزاب

(هي مدنية)

(وآياتها ثلاث وسبعون — نزلت بعد آل عمران)

(وهي ثلاثة أقسام)

القسم الأول في تفسير البسملة

(القسم الثاني) في مقدمة السورة ، وفي مناسبتها لما قبلها ، روى نزول الأحزاب من أول السورة الى قوله تعالى - وأرسلنا قطونا وكان الله على كل شيء قديرا -

(القسم الثالث) في أحكام أزواج النبي ﷺ وما أشبه ذلك من قوله تعالى - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى آخر السورة

في القسم الأول في تفسير البسملة ﴿

سأذكر هنا تفسيرها من ﴿ وجنّين ﴾ الوجه الأول ﴿ بيان كيف كانت الرحمة فيها ملخص سورة السجدة السابقة على هذه الموازن لرحمة فيما هناك بالرحمة في هذه السورة وأن ذكرها في أول كل منهما لمناسبة الرحمة التي جاءت في أثناء آيات سورة وما قدمناه في أول سورة السجدة في تفسير البسملة لم نذكر فيه بيان هذا المعنى بل ذكرناه هنا أولاً لنتفرق بين صفة العبد وصفة الرب وضرربنا مثلاً بالحقول والشمس وأبناء الرحمة في الحقول والطيور والأعداء ولا نشجر في أبر وأبحر ومعاني أسماء الله الحسنى في نفس الحقول ، وأن الإنسان يدهش من عجائب المخلوقة ، وأن التضرع والافتقار للرحمة ، وأن التضرع لم تكن إلا بالقصد الثاني لا الأول وأن العبد لا يملأ الخوف بغيره مناسدة ثم ذلك ليتفرق الناس على الأرض فيكون الحياة والسعادة . هنا هو الذي تقدم في تفسير البسملة في سورة السجدة . ولما تم الكلام على سورة السجدة يجب أن نبين كيف

كيف كانت الرحمة في البسملة مثيرة لما فيها من الرحمت والنعم تلك تقول
 تَقْتَمُّ في تفسير البسملة في أوَّل سورة الروم مائة هج به النفوس ، وتشرح له الصدور ، وتعلمن له الألباب
 من الحكمة الجببية والآيات البديعة يُلْذِّقُ لِسَانَهُ هَاكُ أَنْ آلامَ الكسر والضرب وآلام الجرح والجوع وآلام
 سائر الأمراض إن هي إلا مذكرات ومنهات لما يجب عمله من البقاء والغذاء . وأقول الآن ان ذلك البيان
 هناك مناسب لاعتباره قتال الأمم في تلك السورة جولاً وأمراضاً لها

وتقدم في سورة لقمان في تفسير البسملة هناك أن العقول آلاماً وأمراضاً كاللأجسام فكما أن الأجسام
 في ذوبان وسيلان مستمر هكذا العقول مضطربات اضطرابات الأجسام فالجسم والروح فرسارهان في التوابع
 والملاشاة والأغذية والأدوية للأجسام والعلوم الكونية أغذية الروح وعلوم الأخلاق وتهذيب النفوس أدويتها
 وهذا هو الذي جاء في سورة لقمان ، أمافي سورة السجدة المتقدمة فاقول ما يناسب ما جاء فيها من الرحمت .
 ابتداءً سببها بذكر أن الكتاب لا ريب فيه ، وبذكر خلق العوالم في أيام معدودات . ثم انه أخذ يدبر تدبير
 الملك المستوى على عرشه لرعيته . العظيم الجلال فلا يعوزه نصير وليس لشفع عنده مقام إلا بآذنه ، واسع العلم
 وقد استوى عنده الباطن والظاهر والغائب والحاضر بخلاف ملوك الأرض فهم لا يعلمون الغيب وهو غالب القاهر
 عزيز الجانب ، ذو رجة واسعة ، لم يدع في ملكه مخلوقاً إلا أحسن صورته وزوّقه وجنّده وسوّاه ، ومن أعجب
 العجب أن هذا الانسان البديع الصنع . الجليل الوجه ، الواسع العقل ، الحسن الاقطن ، لم يكن إلا من طين
 وذلك الطين عجن بماء وامتزج به الهواء والور وعناصر كثيرة ، وبالرسال أنوار الكواكب المشرفات وأهملها
 الشمس ودورها حالاً بعد حال . وقت خلقته وفطنت أعضائه ، فاسموات والأرض المذكورات في أوَّل
 السورة ودوران الكواكب بتدبير من استوى على عرشها ، ذلك كله مقتضات وأسباب جعلت لابتداء النظام
 وإظهار الحسن والجمال في صور الانسان ، ومن هذه الأجسام الانسانية اتخذت خلاصة مائة بها كان السبل
 أجيالاً وأجيالاً ، ومن أبدع ما في تلك الصورة الانسانية الحواس التي جعلت في هذه الأجسام في مقابلة الكواكب
 في السماء فالكواكب تشرق بنورها فتضيء السبل والحواس بها يمتزج النظام من النور والحلوى من المرّ والطيب
 من الخبيث ، فتدبر الملك المستوى على عرش هذه الأكوان قضى أن يكون في جسم الانسان نظير ما في الجسم
 العام . الجسم الكلي مسرق بالنور وبالأرواح العالية وهذا جسم الحيواني والانساني له مشرقات مئينات لما
 هو في حاجة اليه ومن أهمها الاسماع والاصفار

ولاعجب في ذلك فان الاصول تتبعها الفروع . فكما كان في الكواكب أنوارها هكذا في أرضنا أنوار إمامنا
 الأرض بالبرق والغاز ، وأما من النبات كالزيت ، ولما من الحيوان كالشمع والشحم ، ولما من الكهرواء
 وهكذا فهذه أنوار جزيئية تحاكي الأنوار الكلية المنترقة من الشمس . فهنا شبه الفرع وهي الأرض أصله
 وهي الشمس بعض المشابهة ، وهكذا ما في الأرض من صناعة غالباً إلا وهي في حاجة الى آلات بدورات كما
 تدور الأرض حول الشمس . الأرض تدور حول الشمس (كما تدور الشمس) وتدور حول نفسها لتقتبس
 الأنوار منها ليحيا ما عليها ، فهكذا يرى الانسان يدبر نوعه وسواقي ومجالات القطر الجارية في الطرق الحديدية
 ومجالات أخرى في آلات الحرث والطحن والهرس والمخاطبة ، وهكذا جميع أسوال الحياة ألتها كما دوائر
 دوران الأرض حول نفسها ، فالأرض تدور لأجل استمداد الحياة لما عليها والآلات تدور لأجل تلك الحياة
 بالصناعات المختلفة ، إذن لاعجب اذا قلنا ان في جسم الانسان وحيوان حواس مشاكسة لما في السماء ولكن
 المشاكسة هنا لحواس الملائكة . ومعنى هذا أن الأرض كما كان فيه أنوار كائنات الشمس تضيء بالليل كالكهرواء
 هكذا فيها نفوس مدبرات لها حواس مشاكسة لما في تلك العوالم الكوكبية من ملائكة مدبرات لها ، وكل
 هذه المعاني تؤخذ من قوله تعالى - يدبر الأمر من السماء الى الأرض - فهناك شمس مدورات دائرت تدبرها

أرواح عالية أضواؤها منتشرة لايجاد واسعاد مخلوقات على أمثال أرضنا هكذا هنا مصاييح كما قدم وقوس
بنى آدم مدبرات وآلات مغفورات دارات لاحداث صنائع ، فالندير الثاني يشبه التدوير الأول . فالندير إذن
من السماء الى الأرض

ومن عرف الأنوار السكية في السموات والأنوار الجوزية في الأرض في جسم الانسان فهو حوى أن يشكر
مبدعها بالعلم والحكمة أولا ثم بالعمل بحيث يكون هو نفسه مشرق نور للناس نافعا لهم والا لكانت روحه
أدنى مرتبة وأخس من حاسة من حواسه التي تين له ما هي منوطة به من الفرق بين الحر والبرد والموت والحياة
وما يدعش له اللب وتحارفيه العقول أن هذا النوع الانساني قليل الشكر لجهله بهذه النعم وغفلته التامة
عن هذا الابداع ، وقد علم هذا الجهول اننا خلقناه وخلقنا السموات والأرض عبثا بلا فائدة . كلا .
فالنعمات لها نتائجها فإذا أنكر الابط فذلك لفضله ، وسيقف هذا المسكين خائفا ذليلا خائشا أمام خالقه وهو
كثير الطرف حير و هناك يقول « ها أنذا أبصرت وسمعت فارجني لأهل صالحا ، ولكن ليمل الناس اني
وضعت كلا في مركزه وجعلت له سيلا يسلكها وطريقا يسير فيها ، فلمؤمن نفسه استعنت للإيمان
والكافر لا يخاف استعداده وأنا عدل أضع كل امرئ فيا استعد له ولو كان هذا ظلما لكانت الملعنة والأحشاء
في الحيوان مظلومة بالنسبة للحواس . كلا . فلكل رتبة وخاصة بها انتظم العالم وللمؤمنين علامات منها أنهم
يعبوتني وقلبك يودون أن تزاح الأستار بيني وبينهم فلذلك يقومون بالليل ليناجوني وهاك أتعطيم في حال
التجعد أنوارا وأسرارا وحيا لا يعرف سواهم وقد أخفيت لهم ما لا يعلم أحد بخلاف أصحاب النار وهذا قانون
علم في الأمم . ويقول « ألم ترالى بنى اسرائيل وقد كان منهم هداة صبروا فتناولوا إذ اخنوا »

فلما اطلع على هذا صاحي العالم قال حسن ما تلخص به أكثر هذه السور ولكن أين أهم ما يدور البحث عليه
فيها . قلت « ثلاث مسائل » تسوية خلق الانسان وموته وبثه ، ولا جرم أن هذه الثلاث متلاحقات متعلقات
أخذ بعضها برقاب بعض . فلا تحدثك عن التسوية أولا ثم عن أخواتها ، الله أكبر ، ها هو ذا جسمي رم ركب ؟
أهم ما ركب منه اللحم والا كسوجين والهيدروجين والنيتروجين وهو الاوزون ، هذه الأربع أعمدة تقام عليها
هياكل كل حيوان ونبات في الأرض وما هو اللحم (الكربون) ؟ إن هو إلا جسم اذا عرضناه للنار اتحد
مع الاكسوجين فأصبعا جسما غازيا يشبه الهواء في أنه غاز ولا يشبهه في طبعه فهو جسم سام محرق ، وأما
الاكسوجين فهو جسم غازي يشبه الهواء من حيث هيئته ولا يشبهه من حيث طبعه ، فادخل أي معمل من
معامل الطبيعة في الشرق والغرب وقل لم أروفي الاكسوجين خيئت يرونك زجاجات فيها غاز كالهواء تماما .
فهناك اذا أوقدت شمعة وأدخلتها في زجاجة من تلك الزجاجات ائقدت حالا وأضاءت ضوءا مشرقا وإذا أدخلت
هذه الشمعة الموقدة في قارورة لاثني فيها سوى الهواء فانها يقل ضوءها لا انه يزدهي كما هي الحال في زجاجة
الاكسوجين ، وأما الهيدروجين فهو شفاف كالاكسوجين ولكنه أخف منه بل أخف من جميع العناصر
المعروفة ومتي اتحد بالاكسوجين تتكون الماء ، وأما النيتروجين فهو مثلهما معا من حيث أنه غاز شفاف ولكن
خواصه تختلفهما معا ، وإذا اتحد بالاكسوجين تتكون من اتحادهما حوامض شديدة القل ومن أهمها
وأعظمها (الحامض النتريك) أي ماء الفضة أي الذي يذيب الفضة ويذيب أكثر المعادن ويميت الأنسجة
الحيوانية والنباتية ، هذا هو النيتروجين فهو بالتحاده مع الاكسوجين يكون متلفا مهلكا بخلاف الهيدروجين
فانه بالتحاده مع الاكسوجين يعطي الحياة وذلك هو الماء . الله أكبر . سبحانه اللهم خلقتنا وعلمتنا من أجل
التعليم ، فإذا سمعنا في آثار أن لك مسلكا نصف جسمه من ثلج ونصفه من نار فلا تلج بطي النار ولا النار
تذيب الثلج ، فهذه أجبنا من مشر أهل الأرض فيها عناصر منها ما يهلك ومنها ما يحيي وهي مجتمعات في
جسمي ، ولا جرم أن شرط الاحياء والامانة موجود وهو الاتحاد ، فهذه العناصر الأربع ممتدة في جسمي .

فالاكسوجين متحد بالهيدروجين وبهما معا كان الماء في جسمى والنتروجين متحد بالاكسوجين وبهما معا ماء الفضة ، وهذا هو الكنز الذي كشفه الألمان أيام الحرب العظمى فاهم استملاوه هذا المركب وهو (حامض النتريك) في المفرقات والمهلكات في الحرب ثم حوّلوا ذلك كله بعد الحرب الى سجاد

عجبا يارب ، جسمى فيه مابه الحياة وهو الماء من اكسوجين وأودروجين ، وجسمى فيه مابه الموت وهو الاكسوجين المتحد مع النتروجين فكان منهما ماء الفضة وهو (حامض النتريك) ذلك المهلك الميت محارب الحصون والقلاع ثم انه يحوّل الى سجاد فيكون مصلحا للزروع جالبا للرزق . وهالك ملخص تلك المركبات

(١) الاكسوجين مع الهيدروجين يكون منهما الماء

(٧) الاكسوجين مع النتروجين يكون منهما ماء الفضة

(٣) الاكسوجين مع الفحم يكون منهما غاز سام

(٤) الهيدروجين بالكربون يتكوّن منهما غاز قابل للاشتعال

فليس في هذه المتحدات مافيه حياة لإحالة واحدة وهي اتحاد الاكسوجين بالودروجين والبقية مهلكة سامة محرقة ، فلما اجتمعت الأربعة حدث منها أمر عجيب . حدثت حياة دائمة بالتناسل والنظام الدهش ، فياجبها تسوية وانتظام وإبداع وبهجة منظر وحسن اتساق نشأكله من مواد سامة مهلكة . إذن الحياة مشتقة مما به الموت . فيالجب غازات سامة تتحد وتتكاثف فتصير أشكالا منظمة فيها عقول منادمة لهذا العالم . هذه تسوية الانسان وهذا قوله تعالى - ثم سواه ونفخ فيه من روحه - وأنا أيها النكي بعد هذا البيان لم أعطك سرا ما من أسرار التكوين لأن ذلك السر لم أطلع عليه ولولاطلعت عليه لنت من افشائه لك لأنه فوق متناول العقول . فما علاقة الروح الحية المشرقة النور المنبئة من جانب ذي الجلال القدسي بهذه المواد السامة وأى شيء هو غاز الاكسوجين والودروجين والاوزوت والفحم حتى تظلمن النفس فيها وتسكن . سبحان من علما وأطعنا على عجائب أجسامنا ، أنا أكتب هذه الساعة وأنا أعجب من جسمى المجموع من أجسام هوائية غازية لا تستقر على حال مهلكة ، فيأيتها الروح الساكنة في جسمى هاأنذا أغطبك وأنا القاتل وأنا السامع لأن لى لسانا ولى أذنين ، فأنا القاتل باللسان وأنا السامع بالأذن . فأقول لك أنت لست من هذا العالم ، انه عام مضطرب قد استقرت في هذا الجسم المضطربة الملاية أجزاءه ، وهل هو إلا تلك العناصر المفرقة المهلكة جنسيتها ونظمها يد قاهرة غالبة الى حين ثم ترجع هذه العناصر الى حالها مع جنسها ، ثم انك أنت ترجعين الى عالمك تستقرين هناك فسمعت وبصرك الذاذن جعلاك ماحبا لإبصيص نور من نورك قدأضاء لك في الأرض وتعلم نورك يكون بعد الموت ، ألم تسمى قوله تعالى - وجعل لكم السمع وأذْ بصار - الخ وقوله حكاية عن الأرواح في تلك الحال إذ تقول - ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لفعل صالحا إنا موقنون - إذن سمعت وبصرك الآن إيسا كسمعت وبصرك هناك . فالسمع والبصر هناك يورثان اليقين لأن السمع أمّ والبصر أم لا تفرعهما من هذه العناصر المتشاكسة المتحاربة المهلكة

هذه ياروسى أسرار ماتحيين فيك من لذة وألم . الألم واللذة احساسان نارايان . تألمين بالجوع وباعطش وبإيذاء الأعداء والأمراض وتستلذين بالفضاء والماء والنصر الملين ، وما اللذة ولألم إلا لغتان من اللغات انبى أنزلت في هذه الأجسام ولها نطق واضح وأصيح وأبين من افصح الحسان ، اجتمعت هذه العناصر في جسمى وأسكت فيها فأخذت هذه العناصر تنطق لك بنطق فصيح بعد أن كانت بكاء خرساء وهي لمقاة في الأرض فتأت لك تارة احفرى البرد وتارة احفرى الحر فاحساسك بالبرد نطق أفصح من نطق الحسان واحساسك بالحر كذلك وهكذا ذوقك الطعام والشراب واستلذاذك بهما افصح وتبيان لك فهذا انسان أن كل ذلك رحمت لأفها بيان وكلام قائلته كلام والألم كلام وجميع النعم والسلم والموت

والحياة كلها كلمات مفصحات مميزات مذكرات . وأتى رحمة أجل من الذكرى والبيان إذ حياتنا كلها رحمة استوى فيها الألم واللذة وموتنا رحمة لانحراجنا من هذه المواد المضطربة ، هذا هو بعض سرّ السمية في أول هذه السورة ، فهذه العوالم في جسمك وفي خارجه ناطقت اليوم مضطربة مميزات ، ألم قرأتى - قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ - هذا نوع من النطق ، نطق جاء من الكائنات بلا خوف ولا صوت ونحن نسمعه لامن طريق الأذن بل نسمعه من سائر أجسامنا

اللهم انك علمتنا وأرقتنا فلي الخلوقات ، وأفهمتنا زرا يسيرا من كتابك وفهمنا ذلك الكلام الفصيح الذى أودعته في أجسامنا وفي الطبيعة وأدركنا بعض سرمانطق به الجلود والأيدى والأرجل إذ يقال للجلاود - لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ - فهاهي هذه الأشياء تنطق للبار والفاجومنا وكل يسمع ذلك النطق ولكن لا يعقله إلا الأقلون . وهذا سرّ قولك - قليلا ماتشكرون -

لا يحيط بما تنطق به هذه العناصر إلا أرواح أرقى من أرواحنا القاصرة لأنها أرواح جزئية فلذلك أحببنا لمن يذكرونا من الأنبياء ولمن يعلموننا من الحكماء ولمن يداوون أجسامنا من الأطباء وهكذا فنخص كل طائفة بعمل عسى أن يقرؤوا من الكمال وماهم بيافيه في هذه الأرض فكان لابد عندنا من كل علم ولابد من طوائف تخصص لها كما انه لابد بعد الموت من نفوس أعلى منا تقرأ نفوسنا وأخلاقنا وتعاملنا على مقتضى ذلك في تلك الدار بأمر خالقها وعلمها بسبب ضعفنا عن الاستيعاب لأننا محبوسون في أقداس ثلثة سمية منعنا عن تمام الحرية والاستقلال ، ومنا في هذه الأرض من اختصوا بدرس الجلود والأيدى فحرفوا مساهمها وخطوطها فشبهت على المجرمين في هذه الحياة الدنيا كما تقدم في هذا التفسير . وهذا أمر شائع في جميع حكومات العالم ومنها حكومتنا المصرية . شملت جلودنا في حياتنا الدنيا وشهدت خطوط أيدينا وذلك من التسوية الجببية . أليس أمر هذا القرآن عجيبا . يذكر التسوية في خلق الإنسان هنا ويذكرها في (سورة القيامة) في قوله تعالى - بلى قادرين على أن نسوي بنانه - ويقرأ هذه الآية أحد علماء الألمان في هذه السنين فيسأل لم أسألت أيها العالم ؟ فيجيب قائلا قرأت في القرآن المنزل على ذلك النبي العربي الأسمى - بلى قادرين - أن نسوي بنانه - وقد أصبحت جميع الحكومات لا يستقر قرار الأمن فيها إلا بدراسة نظام البنان ومسامحه ، ولم يجد الناس رجلين في لكرة الأرضية تشابه أناملهما في مسامحة ونظامها ، فلم يختص البنان بالذكر ؟ وعم البنان يمكن ليعرف الناس إذ ذاك ولم يدركه الحكومات السابقة بل لو عرفوا ذلك لم يعرفه أهل الحجاز ومنهم هذا النبي الأسمى ، فهذا أقول انه جاء من مصدر أعلى من عقولنا التي في الأرض فلذلك آمنت به وصدقت - انتهى كلامه

وهذا الانصاح والبيان من العناصر في أجسامنا يدخل فيه جميع خواص العقاقير في الأدوية ونواميس الوجود ، فاذ خرجنا من هذه الدرة أشرق عقولنا وظهرت لها الحقائق على ما هي عليه كل على قدر طاقته نفاجروا صاخب وهذا قوله - رب أبصر وسمعا فأرجعنا فعمل صالحا إنا موقنون - أى أما في الحياة فإنا كما محجورين وم يدرك سراوجود ونمك يقل هناك أيضا - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - ويقال - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عيك حسبا -

هذه شفرة من قصة هذا الإنسان ومبدأ حقيقته وحواله ومومعه وبعته والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الأربعاء (٦) من شهر رجب سنة ١٩٢٩ هـ . انتهى الكلام . على التيسلة من تلخيص سورة السجدة فلنظري الكلام الآن على تفسير التيسلة في أول « الأحزاب » لموازنة بين السورتين من حيث الرحمة التي تضمنتها التيسلة وتجلت كيات السورة

لقد تكررت البسملة في أول كل سورة ودرج المسلمون قديما وحديثا على التسمية في طعامهم وشرابهم
ثلاثة وألف سنة فترى جهلهم وعلمهم ، كبارهم وصغارهم يصيرون عملا لإياها سنة متجددة وشرعة
إسلامية طلبا لثواب الله وتقربا إليه وزلفى إليه ، فذلك سنة من خير السنين ، وخصلة من أجل الأعمال
لقد تنتم الكلام على البسملة في الفاتحة وفي غيرها من السور مثل (الروم ولقمان والسجدة) ولكن بقي
لها بقية لابد من تداركها . وحكمة يجب اظهارها ، ونعمة حق على إيدائها هذه الأمة المسكينة المضطهدة لفشو
الجهالة وظهور الخطأ في آراء عاتتها ، والفتنة في نظام دراستها ، والنوم على التقليد الأعمى ، وتفتؤ ظل الكسل
والجهل اللين الذي هومون يحومون لاهارد ولا كريم ، أبت النبوة المحمدية الشريفة أن نفرنا تنحيط في ديجور
الظلام فعلت أن الأعمال لاتصح إلا بالنيات وأن لكل امرئ ما نوى ، وما هي النية ؟ هي رغبة العلم وولادة
النهم فمن تعلم فهم ومن فهم أحب ومن أحب الكمال ومحاسن الفضائل شاقته ومن اشتاق هم بالعمل ونواه
وهناك تكون الأعمال على مقتضى تلك النيات والمعارف السابقة ، فليس في مجرد التسمية (بلا علم بمواطن
الرحات ومحاسن الجلال في المخالقات وبهجة العوالم الربانية والآيات الحكيمة والابداع وحسن التصوير
والتنسيق) منتهى مقاصد النبوة ولامبلغ ما يريده من العلماء العاملين . لأن اكتفينا من العاني في صلاته
وصيامه وماأكله ومشربه بالتسمية والجليلة الفظيئين لتقول لعلماء الأمة وعقلائها ونابغها ليكن الفرس وأعمال
الفكر ومعرفة الجدل في هذه العوالم حتى نوقنوا بالرحات ابقانا عليا تفصيليا كالذي في هذا التفسير
علم الله أن المسلمين سينامون نحو آلاف سنة عن التفكير في مخلوقاته وينسون جزئ صنعه فأزل البسملة
في أول كل سورة وكررها مائة وأربع عشرة مرة في القرآن ويكررها المسلمون في صلاتهم فقرأناها تعبدا وقلنا
كفى ، لا تقوم الأمم بمجرد الكلمات وإنما قيامها بما تضمنته من المعاني وماحونه من حكمة ومعنى جيل .
لما وقف أكثر المتقنين من العاتية وصغار العلماء على القشور وجدوا على الألفاظ وجودا معينا نسي أكثر
الناس في العصور المتأخرة روح معنى التسمية واكتفى الخطباء على المأبر والوعاظ في المساجد بذكر نصيب الجنة
وعذاب جهنم حتى استقر لدى كثير منهم أن ربنا نجب العبادة له خوفا من ناره وخشية من سطوته فحب
لاحبا فيه ولا ابتهاجا برحائه الواسعة فأصبح مسلم إذا ما ينحسركم يسطو عليه لآخافته مش ملخص بمصر
أيام الممالك البرية والبحرية وغيرهم من أبنائهم الذين فتكوا بأبناء البلاد أيام حكم الترك إلى أن أبادهم
الغفورة لمحمد على باشا ، وما بين خطيب لا يجد سبيلا للوعظ غير جهنم في الآخرة بحيث لا يرى ما أمامه من الرحات
ولما حوله من النعم التي أسبغها الله على الإنسان والحيوان ، وما بين المصير والمؤدب الذي يضر به بالصا أيام
التعليم ، ياسبحان الله ان الأمة أيام تفهقها يكون أسلوبها في الدين وفي الحكومة وفي نظام التعليم على وتيرة
واحدة فلقد صور الحكومات عن تمام الظلم لا تعبد لم مناسا من الاضطراد . ولجهل العلم لا يعرف غير الصا
ولسوء المملكة وثقة العلم يقتصر الوعاظ في أكثر أقوالهم على التحذير من عذاب جهنم وبش القوار
علم الله ذلك لأنه قنره قبل أن يخلق العالم فأزل البسملة في أول كل سورة وعصمها بالسنة الشريفة المحمدية
ليقول لنا اليوم

« أيتها المسلمون . لأن كنت أنا إذا رحة وغضب في الآخرة بالخسنة والنار لقد أسبغت النعم عليكم في الدنيا
ظاهرا وباطنا وأسطعكم فيها بالمعزات والخاف والآخر في نعيمها وحبيها شجعة حياتكم هذه فز غفل عن
رحتي الواسعة في الدنيا وجهل ما أحطت به من بجل والنعم فاني حدل حكيم أدله في الدنيا جزاء وهقا ، وليس
هذا الاذلال للارتداد . كلا . وإنما هو نتائج ، ألم تقرأوا - ويعطى كل ذي فضل فله - فكيف أحب رحتي
لمن لم يكن أهلا له ، بل كيف أسبغت نعمتي على من لم يطلبها ؟ ولا طلف إلا البنية . رلاية لإباليه ، فانه بالمخالقات
حولكم يجعلكم لها عاشقين والعشيق تنعم نية التحص . التنة يتبعها عهد »

هذا سر من أسرار تكرار البسملة في أول كل سورة ، والله ليخيل إلى الآن أن عقلا كبيرا من العقول العظيمة في البرزخ اطالع على هذه الأمانة الإسلامية فقال عجباً ليس في هؤلاء رجل رشيد ، كرر الله البسملة وكررها عليهم وخاتمهم ، ألم يتفكر منهم رجل في حكمة هذا التكرار ، ليس التكرار لعظم المقدار والحاجة إلى هذا التكرار ، تكرار القرآن ليس كتكرار كلام البشر . فأين الباحثون عن حكمة ؟ هنا كررت آية - ويل يومئذ للكذابين - في ﴿ سورة الرسالت ﴾ . ذلك لأن يوم التكذيب عظيم . وكررت آية - فبأي آلاء ربكما تكذبان - في ﴿ سورة الرحمن ﴾ لأن أمر الله عظيم وهو تكرار البسملة في أول السور . تهويل العقاب على التكذيب ناسبه تكرار الآية المتقدمة جلال الله والرحات عظمت العناية بها في ﴿ سورة الرحمن ﴾ وغيرها تكررت آية الآلاء وجعلت البسملة في أول كل سورة من القرآن

رب العالمين الشافي رضى الله عنه أعضاء الوضوء كبريت في الآية وهذه دقة في الملاحظة واستمساك بالدين فهل في خطة الانصاف وهدى العدل ونور العقل أن يحرم أوائلنا هذا الحرم على أي التزليل حتى أنهم يوجبون فرائض الأمر معنوى وهو التقديم والتأخير . ثم اتنا نحن المتأخرين نرى آلاء الله قد همت الكثرة الأرضية ونسب البسملة وآية الآلاء تكرر تكراراً كثيراً ثم لا تفكر في الحكمة ولا تقول لماذا هذا التكرار ربه يقف مسلم عالم من أهل الإسلام يوماً ويقول تقدم وتأخير في آية الوضوء أنتج وجوباً شرعياً ، وتقديم وتأخير في آية ذكر الله فيها للمهاجرين والأنصار احتج بها أبو بكر الصديق يوم سقيفة بني ساعدة وقال « أسألنا قبلكم وقد تمنا في القرآن عليكم فنحن للمهاجرين » ، أنتم الأنصار ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء الخ » ، وبني آل البيت وبقية قريش . كل ذلك لتقديم وتأخير . يحصل هذا كله أيام آبائنا الأولين . ثم اتنا اليوم نسمع البسملة يذكر فيها الرحمة مكررة مرتين وفيها كلمة الرحمن التي لا تطلق إلا على الله . ونسمع آية سورة الرحمن المنكورة . ومن عجب أن آية الآلاء المكررة عشر مرات للرات لم تكن إلا من السورة المعنوية باسم (الرحمن) والرحمن مذكورة في البسملة . إذن هذه التلم المذكورة في (سورة الرحمن) إصلاح لعنى البسملة كأن الله يقول « البسملة المكررة في غفوك ورواحك تفسرها يكون نعيم » ، وابتدأها بأعظم نعمة وهي

(١) تعليم القرآن ، وأعظم نعمة إذن هو العلم

(٢) ثم خلق الإنسان والشمس والنجوم والشجر والسماء والأرض والفاكهة والنخل والحب والثمار والمطار والبحار والوقود والمرجان والفلق في البحر

يا أيها المسلمون . أليست هذه نعم في ﴿ سورة الرحمن ﴾ والرحمن اسم من أسماء ثلاثة في البسملة فوا أسفاه على أمة ضاعت ودول هلكت ونعم ذهبت . الرحمة التي في البسملة فصلت في ﴿ سورة الرحمن ﴾ ولقد ابتدأ الله بتم الدنيا ثم أتبع ذلك بنم الآخرة ونخلل ذلك التحريف بالعناب في آيات قليلة ليدلنا أولاً أن نتدبر بتعليم الناس هذه التلم الدينية مثل ما في هذا التفسير . أقول أنا بأعلى صوتي أيها المسلمون يجب وحبوا لآلهة فيه أن أول تعليم المسلم من الآن يكون في كتب يذكر فيها جلال هذه العلوم بحيث يلذ الطاب منظرها وجاء من شجر وسحر وكوكب ونهر . هذا واجب في الكتب وفي الحقول وعلى شطوط الأنهار كما نزل الله في ﴿ سورة الرحمن ﴾ ففي سورة الرحمن ذكر الله نعم السموات والأرض والبحار وليس معنى هذا أن نستكتي بمعاني هذه الآيات . كلا . واتم تصدأن ندرس علوم السموات والأرض بهيئة جبلية لاسيا لأطفالنا الصغار لئلا نقول لهم أيها لأطفال المسكين احفظوا سورة الرحمن ونحوها خصب بل تزيهم صور ما نرى الله من الجبال والبهاء الأرهار والأنهر ونظمهم ذلك بلورة وشيقة جبلية ثم تتبع ذلك بذكر الآية واذن تكون أدنيا مرجع علينا . الله أكبر . فليس تكرار البسملة في أول السور وتكرار آية الآلاء في (سورة الرحمن)

وسرد ثم الدنيا أولاً ثم ثم الآخرة في نفس السورة التي ابتدئت بالرحن . ثانياً أقول أليس ذلك كله يوجب علينا أن نعمل ما نعلم في تطهير الناشئين ويكون ذلك الوجوب ألزم وأزعم بحسب الدليل وبحسب النتيجة من وجوب ترتيب أعضاء الوضوء ومن وجوب كون الأمراء من قرىش الذين استنتجنا من مجرد التقديم والتأخير وإذا وجب ذلك اليوم بهذا الدليل فليس لنا فضل في استنتاجه لأنه آيات واضحات لا يوزعها إهمال فكر . في آيات ﴿سورة الرحمن﴾ مستندات إلى ذلك الاسم الذي في البسملة يكرره المسلم صباحاً ومساءً في عهده ورواهه . فأما أبو بكر رضي الله عنه والشافعي فقد أتيا بما يصدق عن الأفهام لعظم منحة الله لهما والله ذو الفضل العظيم

اللهم إنك أنت الذي صرفت عقول الأم الإسلامية للآخرة للتفرقة في الأرض بعد القرون الثلاثة التي هي خير القرون من الخطة المثلى في التعليم التي يقتضها القرآن لأنك عدل فانك أبحت الفئام لم يصرفوها في منافع أهل الأرض ، وحاد الخلف عن طريق السلف الصالح فلم يفعلوا ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى من التجاني عن المال والزهد فيه وصرفه في مصارفه الحققة وهي إسماع أهل الأرض وعملهم لأنهم خلفاؤه فيها . وعكف الذين سمو أنفسهم خلفاء بعد تلك القرون وكذلك الأمراء التابعون لهم على البحر والفسوق وأشاعوا ذلك وأذاعوه في أواخر دولهم في الشرق وفي بلاد الأندلس في الغرب . فلذلك صرفت عقول العلماء عن هذه المباحث العالية غالباً لأن الأمم التي قرأ العلوم الأرضية والسموية فتفتح لها أبواب الرخاء على مقدار ما يتعلمون ويصلون فأهبطتهم فيها علمية وعملية على مقدار أخلاقهم ولم تفتح الباب لهم على مصراعيه لئلا يستنبطوا بعبادك فانطبق على كثير من متأخريهم آية - نزلت من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - ، وتمادوا في ذلك حتى أسرق (علي بن ناشف) من المرابطين كتب الامام وأدى التصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الرابع من خلفاء الموحدين ببلاد المغرب ابن رشد . ذلك الذي نادى بأعلى صوته بين المسلمين يقول « أيها المسلمون . علم التوحيد على هذا الخط ضاربكم أجمعين لماذا حدم عن طريق القرآن الذي وصف هذه الأفلاك والأشجار ، وما هذه الطرق العقيمة في التوحيد ، وهل من جادة السواب أن يكون التعريف أغنى من المعرفة والله يدركه العاقل بغيره . وهذا التوحيد المزوج بالفلسفة الصعبة يكسك المسلم في دينه » ثم أخذ ينشر آيات من القرآن من ﴿سورة النبأ﴾ ليظهر على طريق التوحيد الحق . وقد قلت ذلك بالتطويل في كتابي ﴿نظام العالم والأمم﴾ فأقرأه هناك

فهذا العالم المختص للامة الإسلامية هو وأمثاله اضطلعهم المسلمون ، فلما مات بعد أن أخرج من عهده ستة طلق المسلمون علوم الحكمة وصاروا غالباً صوفية ذوي وجدان منذ سبعة قرون . ذلك ان تلاميذ ذلك العالم جاؤا علمه إلى أوروبا بما أوضعت في غيرهم لنا المقام من هذا التفسير حتى اتنا نحن الآن قد حوينا من أكثر كتبه فانه وان عثرنا على خمسة كتب مطبوعة بالبرية مثل (التهاوت) و (فضل المقال) و (الكشف عن مناهج الأدلة) والقسم الرابع من كتاب (ما وراء الطبيعة) و (بداية المجتهد) فانهم من كتب التي باللاتينية أو العبرية وهي (٢٨) كتبها كلها في الحكمة ذكرها الاستاذ (الطبي جيم) الطامي في كتابه « تاريخ فلسفة الاسلام في المشرق والمغرب » لا تظلم بكفرها . انتشرت كتبه في أوروبا لإذ ذلك وأخذ يقوم يدرسونها ثم انتقلوا من هذه الكتب إلى أصولها وهي باللغة اليونانية ثم ارتقوا بعد ذلك فأخذوا يذكرون بمقوله ويستنتجون من نفس الطبيعة . الله أكبر . هذا مقصود القرآن وهذا معنى بسم الله الرحمن الرحيم ترك متأخرو المسلمين النظر في جلال الله وكم هو واضح حكماتهم فخرت بالحكمة إلى أوروبا بافعلوها وفهموها وانتقلوا إلى أصولها في اليونان ثم إلى الأصل الحقيقي وهو هذا العالم الذي خلقه الله فرتبوا عالمهم على مقتضاه ودرسوا لصبيانهم في مدارسهم على مناهج هي : بينها التي ذكرها الله في سورة الرحمن وهي الآلاء أي آلاء الله

في الأرض والسماء من شجر ونبت ونهر وحجر ونجم . فهذا هو الذي يدرسه الأمريكي والإنجليزي والألماني والمجري واليوناني والصيني الآن . لماذا هناك ؟ لأنهم فكروا في الدنيا ، ولماذا لأنهم اطلعوا على أصول فلسفة اليونان التي نفي عليها فلسفته (ابن رشد) التي استعرت من مكانها بسبب ظهور خاتم الأنبياء الذي أرسل رحمة للعالمين . يا صبيحا . نبينا ﷺ رحمة للعالمين - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فهو رحمة لأنه علنا وتعليمه آثار فلسفة أهل الأرض وامتنعت الحركة العلمية الى وقتنا الحاضر قرا ما كتب أوروبا فوجدنا تعليمهم على مقتضى سورة الرحمن . فاقرا أيها الذي كتبتم بحمد كسرة الرحمن التي هي في الحقيقة كيان لاسم الله الرحمن التي يتبرك بها المسلم كل صباح وكل مساء ، فهو ﷺ رحمة من الله الرحمن الذي علم القرآن وشرح في نفس هذه السورة عجائب السموات والأرض

أي أأ وأنا أكتب هذا القول في غاية العجب ، فوالله لم تكن هذه المواقف وعجائب الحكمة القرآنية لتخطر لي عند ما أمسكت بالقلم ولكن الله عز وجل هو الملمم المتفضل ، بأمثل هذا عرفت أن في القرآن من السر ما لم يحلم به إلا أن - إن ربي لطيف لما يشاء -

ومن أنفق مافي القرآن والعبادات أن القاعة مبتدأة بالتناء على الله وذكر رحته وهو كابتداء (سورة الرحمن) والرحلات المفصلة فيها ، وتجد المسلم في التشهد يصل على نبينا ﷺ وعلى إبراهيم ليكون ذلك أولا منزوعة الثواب الراجع للعبد من طريق العبادة الخاصة والعموم وتذكره عند العلماء باتجاه إبراهيم الذي فطر السموات والأرض بعد نظره في الكواكب ، فهو على منهج (سورة الفاتحة) نظر أولا وعبادة آخرا وبهذا كسر الأصنام وهذه الملة إبراهيم وإلهك درج على طريقته نبينا ﷺ فكسر الأصنام ، فهذا تذكرة بأمرين الابتداء بمحاسن الطبيعة كالخليل ونبت العادات الجامدة والارتقاء بالعقل كالخليل ومحمد ﷺ

(تلخيص ما ختم)

لما وصلت الى هذا المقام حضر صاحب العالم الذي اعتاد مناقشتي في التفسير فقال لقد أجعلت فيا شرحت هنا فأنك قد أبفت أن النظام عند متأخري المسلمين كان استبداديا غالبا ، فظلم من حكمهم وجعل من خطبائهم وشبابة من صغار المعلمين ، يضربون صفارهم بالعصى وأن هؤلاء لم يفتح لكثير منهم باب الرحة على مصراعيه لأنهم حادوا عن طريق آباؤهم لأنهم جعلوا أن حكم الأم لشهوات أنفسهم ، وانهم تمانوا في الجهل حتى أذلوا حكماءهم . وأن ابن رشد أفاد كيف يتعلم الأطفال في مدارسهم وأن تعليمه على نطق القرآن وأن دله انتقل الى أوروبا ولما قرؤوه فهموا وقرؤا أصله باليونانية ثم فكروا بأنفسهم ، وهامى ذه تعاليمهم الآن أصبحت هي نفس ما طلبه (ابن رشد) من المسلمين قراءة هذه العوالم المحيطة بأهل الأرض وهي نفس ما جاء في سور كثيرة ومنها سورة الرحمن ، والله تعالى جلل النبي ﷺ رحمة للعالمين ، وهذه هي الرحمة العاتية إذ تعلم أوروبا بالآن وأمريكا واليابان بالطريقة الحديثة بسبب ابن رشد وغيره من المسلمين الذين لولاهم لم يرجع هؤلاء القوم الى كتب اليونان والالى العقل الانساني والاجتهاد الفردي وهذه من أجل المعجزات في زماننا . وكل هذا تقتضيه البسمة ولماذا تكررت في سور القرآن وما فعلوه موافق لما فهمت أنت الآن من وجوب ابتداء التعليم شرعا في الاسلام في كتب جبلية فيها صور العوالم السابوية والأرضية نبيا لخى سورة الرحمن وسورة التبا وغيرهما وهذه الكتب تكون فيها مواضع مختلفة جبلية يفرح بها الشبان ثم يخرجهم الأساتذة فينظرون نفس هذه المناظر بأنفسهم في الخلاجات وشطوط الأنهار والحقول . هذا يؤخذ من كلامك ، ولقد جعلت لك في ذلك امامين أبا بكر الصديق رضي الله عنه والشافعي بما استنتجا من تقديم وتأخير (مسألتين) سياسية وعلمية وافلت أن ذلك أنت لا يوزع طول تفكير لوضوحه . أماد ليلاهما فقههما دقة لا يعرفها إلا من على شاكلتهما أقول ، والله ان هذا كله حسن ونعمة عظيمة لأن المسلمين اليوم هم الأمة الوحيدة في العالم التي تباعدت

عن طريق كتاب الله تعالى في أساليب التعاليم ، وأنا أقول والله مامن عالم أو أمير أو عاقل في أمة الاسلام يقرأ هذا إلا وهو يسارع حالا الى هذا النظام لأن هذا القول حجة قائمة ونتائجه واضحة ولكنني أسألك (سؤالين * الأول) انك قلت ان الفرنجة لما قرؤوا فلسفة (ابن رشد) رجعوا الى أصلها اليونانية ، والرجوع اليونانية جعلهم ينظرون بعقولهم . فهل الرجوع لمثل هذه الأحوال لابد منه (الثاني) انك قلت ان كتب الفرنجة في تعليم أطفالهم جيلة ترجع الى سور القرآن بوجه عام والى (سورة الرحمن) بوجه خاص وهي مبتدأة بالرجعة المذكورة في البسملة التي كلامك الآن فيها ، وأن من قرؤوا على هذا الخط يفتح الله لهم أبواب رحته في الدنيا على مقتضى ماوصلوا اليه ، فأريد أن تذكرنونا من كتبهم ، نعم ان المقام طال ولكن المقام يحتاج ايضا الى إجابة على هذين السؤالين . فقلت أما رجوع الفرنجة الى الفلسفة اليونانية فهو واجب على كل من قرؤوا الفلسفة العربية . فقال ولماذا ؟ قلت لأن كتبهم كثيرة وعلماءهم أكثر والترجمة يدخلها التعريف بل التعريف ، فلذلك يجب الرجوع الى أصل اليونانية على من درس الفلسفة بالعربية (مضى أمكن ذلك) في ذلك الزمان . فقال هل تذكر مثالا واحدا مما جاء في العربية ضارا بالقول مع انه باليونانية كان نافعا . فقلت أظن ان هذا يخرجنا عن الموضوع . فقال ولكن هو حسن ومفيد الآن . فقلت أنت تعلم أن الفلسفة التي نقلت الى العربية من اليونانية قد جاء فيها ان العالم قديم . فقال هذه محور فلسفتهم . فقلت هذا من غزليات النصر . فقال وكيف ذلك . قلت ألم قرأ ما ذكره سابقا عن طباطب الحكيم مع سقراطاه برهن على أن العالم حادث مع ان الرجل قبل الميلاد بخمسمائة سنة . ولو أن هذا القول قل الى اللغة العربية لم يكن هذا الخط في علم التوحيد والجهد ، ولم نسمع أبدا العلماء يقول وهو لا يعلم برهان طباطب ما معناه

قالوا إله بلا مكان * ولا زمان ألا تقولوا

هذا كلامه خبيء * معناه ليست لنا عقول

فقال أي والله هذان اليتان أسمعهما من جميع الشبان في الأندلس وعمال شرب القهوه والتمور والمطاعم الفرنجية في مصر والشام منهم مجيب بملابسه وما كنهه الفرنجية وفسوقه وخبره فهو فرح طرب لأه عثر على كثر ثمين وهو أن البيانات كلها خاطئة بسبب هذين اليتين . فقلت ولكن هذا القول اتفق عليه علماء التوحيد هو نفسه الذي قاله طباطب فيما تقدم وقد رأيتنا نحن في كلام الفرنجة الذين اطلعوا على الفلسفة اليونانية . ألم قرأ طباطب فيها تهم كيف يقول « ان العالم حادث » . والقلم يسكن في زمان ولا في مكان لأن الزمان ماهو إلا بحركات الأفلاك فان الليل والنهار نفعهما بالشمس والشمس لا قبل خلق الأفلاك وهكذا لا مكان لأن المكان ماهو إلا سموات وأرضون ولا سموات هناك ولا أرضين . وهذه المسألة أصبحت اليوم معروفة لأن علماء العصر الحاضر كلهم أجروا على أن هذه العوالم كلها كانت غزا متفترا ثم صارت سموات وأرضين . فرأى طباطب هو رأى علماء العصر الحاضر . إذن كون الله لا يحكم عليه زمان وليس في مكان قضية واضحة ظاهرة لأنه لم يكن زمان قبل هذه الأفلاك ولا مكان . إذن هذان اليتان اللذان جعلنا للتكم والسخرية خاطئان خياليان والعقل هو الذي يحكم على أرباب الخيال . فلو اطلع القوم على آراء اليونان باللغة اليونانية لم نعرف ماذا قالوه وبه أدركنا الحقيقة ودفعنا تلك الآراء الهكسية التي يتسل بها صفراء العقول من الشبان والشابات في بلاد الاسلام . هذا جواب سؤالك الأول

وأما نموذج كتب المطالعة لأطفالهم تطبيقا على ماتقدم وموافقة للقرآن وسورة الرحمن والبسملة لكون نبينا ﷺ رحمة للعالمين . فان ماتقدم في هذا التصريفه غنية لأولى الألباب . وسعري في (سورة يس) عند أدبه - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها عما تثبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون - رسم ورقة شجرة وكيف كان فيها آلاف وآلاف آلاف من الفتحاح ونحتها ما يشه الجرات . وأن الحيطان للشفافة

والسقوف المرصوفة بما يشبه اللبنة في أبيتنا المعتادة . وفي وسط تلك الحجرات مادة سائلة يعم فيها مادة خضراء تلوّن تلك السقوف . فهناك ستشاهد تلك الحجرات البهجة التي تعدّ بمئات الألوف في الورقة الواحدة وترى أن الورقة هي رقة النبات وإصلها في غاية الاتقان والجلال والغرابة فكيف تكون عشرات الملايين منها في ورقة واحدة ؟ ثم كيف تكون هي معنة لتنفيذ الشجرة بالمواد الكربونية على شريط . أن يساعدنا ضوء الشمس

فلما سمع صاحب ذلك قال هذا أمر عجيب جدا ولكني الآن أسألك في أمر غير هذا . أسألك في نفس كتب الأطفال وأما هذه فأنما هي تعاليم الكبار تناسب أمثال هذا التفسير فلترجمها إلى أن تطلع عليها في (سورة يس) فقلت هاك غوذا هو كتب صغير يسمى (القراءة الملوكية) كان يدرسه التلاميذ في بلادنا المصرية في عهد الاحتلال على أساليب تعاليمهم في بلادهم . ولست أذكره إلا لعل سبيل المثال فإني أريد أن توضع كتب الدراسة في بلاد الاسلام بعد المرس والنمحيص من ذوي العقول الكبيرة الذين اصطفاهم الله من قراء أمثال هذا التفسير . فهناك مواضع ذلك الكتاب بحسب ترتيبها

(١) المنكبات (٢) الصبي والصغور (٣) الأرب (٤) العزبان (٥) التكبير في الاستيقاظ من النوم (٦) النحل (٧) نظم في النحل (٨) الأوز (٩) قل الصدق (١٠) أنتم صباها أيها الطائر (١١) القتب (١٢) صدى الصوت (١٣) أنتم صباها أنتم مساء (١٤) القطوطائر الكناري (١٥) الزنبار والنحلة (١٦) الحصان (١٧) السكب والمصباح (١٨) معاولات عامة نافعة في الحيوان (١٩) الجبل (٢٠) تاريخ كلب (٢١) القانون انتهى (٢٢) الحمار (٢٣) قصة النجاة والجبل ولها (٢٤) الحب الأسمر (٢٥) الأسد والفأر (٢٦) الحروف (٢٧) الغراب والابرق (٢٨) الجندي والحصان (٢٩) السبب الأبيض (٣٠) الثعلب والسنز (٣١) معارف نافعة (٣٢) الحب في المدرسة (٣٣) القبطس وهو حوت عظيم جدا (٣٤) الأرب والسلحفاة (٣٥) السريع والبطيخ (٣٦) الصبي والخنوخ « البرقوق » (٣٧) الصغور الصوري (٣٨) الأسد (٣٩) الفز (٤٠) القهد (٤١) حمار الحبشة (٤٢) اللعادن (٤٣) الأطفال (٤٤) الملك والملكة (٤٥) طائر بحري (٤٦) نبات الشاي والقهوة

هذه المواضع هي مواضع الكتاب الانجليزي المذكور ولم أترك منه إلا عدة الأمابع لعدم أهميته . فهذا أيها الأخ هو النهج الذي نهجه القوم في مدارسهم لأطفالهم بحيث يشرحون الحيوان أو النبات ثم يستخرجون بعض حكمه كأن يذكرهم بنشاط النحلة أو تكال الأرب على سرعة جويها واجتهاد السلحفاة وكأن يذكرها عند ذكرهم صفات الطير أن الله هو الذي علمهم بلا سائنة وهكذا فلا يتقون كتابا صغيرا مثل هذا حتى يكونوا قد علموا مبادئ العلوم بحكايات ومناظر مشوقة وأحبوا الحيوان والبحث فيه وعطفوا عليه وتعلموا أخلاقا بها يذكرهم به المدرسون

فلما سمع ذلك صاحب قال قد أحسنت أيما احسان وشرحت صدي ولكني أسألك آخر سؤال وهو لم اخترت هذا الموضوع في هذه السورة في تفسير بسمتها . فقلت ان في هذه السورة آية - ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين - وفيها آية - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - وفي سورة التوبة انه ﷺ - بالمؤمنين رؤوف رحيم - فهو ﷺ رحيم بالمؤمنين ومرآة للناس منير وأول السورة بسم الله الرحمن الرحيم . فآية رحن رحيم وهو ﷺ رؤوف رحيم بالمؤمنين بل هو خاتم الأنبياء مرسل للناس قاطبة وباب رسالته مفتوح لجميع الأمم فيكون لهم رجة . فتفسير الرجة في هذه السورة بإظهار العالم الخزونة في خزان الأمم الأوروبية منذ أيام اليونان ونشرها بين المسلمين وتعليم المسلمين للاوروبيين ثم تنقيح هؤلاء لها بالبحث

ثم رجوعها ثانيا لنا الآن لنستيقظ بعد نومنا العميق . كل ذلك رحمة بنا نحن المؤمنين بل رحمة بالعالم قاطبة فهو في آية أخرى يقول - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

فقال صاحب . هذه رحمة للناس ﷺ فأريد الساعة أن تذكر لي رحمة بالحيوان حتى يعلم المسلمون أن درس المسلمين على منهج يقرب من النهج المتقدم خير وأعظم فقلت جاء في كتاب « تيسر الوصول إلى جامع الأصول » ما نصه

﴿ كتاب الرحمة وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول في الحديث عليها ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « الراجون يرحمهم الله تعالى . لرجوا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم شجرة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعها الله تعالى » أخرجه أبو داود إلى قوله من في السماء والترمذي بتمامه (الشجرة) بكسر الشين المجهمة وفتحها بعدها جيم القربة المشبهة كشباك العروق

وعن جرير رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » أخرجه الشيخان والترمذي . وفي أخرى لأبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ﷺ « لا تزع الرحمة إلا من شئ »

ومن أبي هريرة رضى الله عنه قال « قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضى الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال من لا يرحم لا يرحم » أخرجه الترمذي . وزاد رزين « أو أملك إن كان الله تزع منك الرحمة »

﴿ الفصل الثاني في ذكر رحمة الله تعالى ﴾

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق ، وعند مسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش . إن رحمتي قطب غصني » أخرجه الشيخان والترمذي . وعند البخاري رحمة الله في أخرى « إن رحمتي غلبت غضبي » وعند الشيخين في أخرى « سبقت غضبي » وعنه رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تترامح الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولعها خشية أن تصيبه » أخرجه الشيخان والترمذي

وعن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن لله مائة رحمة ، فنها رحمة يتراحم بها الخلائق بينهم تسعة وتسعون ليوم القيامة » أخرجه مسلم . وله في أخرى « إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة واحدة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكلها الله تعالى بهذه الرحمة » وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « قدم علي رسول الله ﷺ بسبي فاذا امرأة من السبي تسمى قد تحلب ثديها إذ وجدت سبياً في السبي فأخذته فأزرقته يبطنها فأرضعته . فقال ﷺ آروا هذه المرأة طارحة ولها في النار ؟ قلنا لا والله وهي تهدر على أن لا تطرحه ؟ قال فانه تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه الشيخان

﴿ الفصل الثالث فيما جاء من رحمة الحيوان ﴾

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بينا رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش

فوجد بشرًا قتل فيها فشرّب ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطن . فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطن مثل الذى كان بلغ منى قتل البحر فلاخفه ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله تعالى له ففرّله . قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال في كل كبد رطبة أجر . أخرجه الثلاثة وأبو داود . وفى أخرى « أن امرأة بني أوت كايا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلج لساة من العطن فزعت له موقها ففرطها به ، لث الكلب وبقيرها إذا أخرج لساة من شدة العطن والحرق وكذا أدلج لساة والثرى التراب التدى والمراد هنا التراب مطلقا ، والكبد الرطبة كل ذات روح ولا تكون رطبة إلا إذا كان صاحبها حيا ، والبقى المرأة الزانية ، وللمرق الخلف

وعن ابن عمر رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تقدمها تأكل من خشاش الأرض » أخرجه الشيخان . (خشاش الأرض) هوامها وحشراتهما وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما . قال « كان أحب ما استقر به رسول الله ﷺ لحاجة هدف أو حائش نخل ، فدخل حائشا لرجل من الأنصار فإذا فيه جل فلما رأى النبي ﷺ حنّ ونفرت عيناه فأثاه رسول الله ﷺ فمسح ذفره فسكت ، فقال من رب هذا الجبل ؟ فقال نبي من الأنصار هو لى يا رسول الله . فقال أفلا تلقى الله في هذه البهيمة التى ملكك الله إياها فانه شكى الى أنك تبعه وتدبّه ، أخرجه أبو داود . الهدف ما ارتفع من الأرض من بناء وبقير ، وحائش النخل تخللات جتمعت ، والحائش البستان وذفرى العير اللوح الذى يرقى من قفاه خلف أذنيه ويجعل فيه القطران وهما ذفران ، وتدبّه تعبه بكثرة استعماله

وعن أنى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « لا تتخفوا ظهور دوابكم منابر انما سخرها الله لكم لتبذلنكم الى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشئ الأنفس ، وجعل لكم الأرض فاعلموا فاقضوا حاجتكم » أخرجه أبو داود . (شق الأنفس) جهدها وشدة ما نالقيه عند مقاساة الامور الصعبة وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حوة معها فرخان لها فأخذناهما فجاءت الحوة نعش ، فلما جاء رسول الله ﷺ قال من جمع هذه بولها ردّها ولها اليها ، ورأى قرية نخل قد آسقها فقال من آسق هذه ؟ قلنا نحن ، قال انه لا يبنى أن يعذب بالنار إلا رب النار . أخرجه أبو داود

(الحوة) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم نوع من الطير في شكل الصغور ، وقوله (نعش) بالعين المهملة والشين المهملة أى تفرق وترعى جناحيها وتدنون من الأرض لتقع عليها ولا تقع ، وروى نعش بالفاء من فرش الجناح وبسطه

وعن محمد بن اسحق ، عن رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور عن عمه عن عامر الرام أخى الخضر قال انا لبلادنا إذ رفعت لنا رايات وألوية فقلت ما هذا ؟ قالوا لواء رسول الله ﷺ فأقبلت وهو جالس تحت شجرة وقد اجتمع اليه أصحابه جلست اليهم فذكر النبي ﷺ الأسقام والأمراض . فقال ان المؤمن اذا أصابه السقم ثم أعفاه الله عز وجل منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل . وان المنافق اذا مرض ثم أعفى كان كلب يعرقه الله ثم أرسلوه فلم يدرك عقابه ولم أرسلوه . فقال رجل عن حوّه يا رسول الله وما الأسقام والله ما مرضت قط ؟ فقال له قم فقلت منا . أخرجه أبو داود . والألوية جمع لواء وهى الراية الكبيرة دون الأعلام . وأعفاه وعافاه بمعنى واحد

وعن أنى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « فرصت ناقة نبي من الأنبياء فأمر بقرية النمل فخرقت فأوسى الله تعالى اليه ان فرصت ناقة أسوق أمة من الأمم تسبح » أخرجه الحسة إلا الترمذى

(وفرية النمل) مسكتها . انتهى ماجاء في الكتاب المذكور

ثم قال صاحبى . لقد استوفيت هنا المقام وشرحت صدرى . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب فى ليلة الخميس (٥) سبتمبر سنة ١٩٢٩ م وبهذا تم الكلام على القسم الأول فى تفسير البسملة

(الفِئِمَةُ الثَّانِيَةُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ يَكْفُرُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۚ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدُمُكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۚ أَذْهَبُكُمْ لِبَنَاتِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا بَنَاتِهِمْ فِيمَا خَوَّاتِكُمْ فِي الَّذِينَ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَتَّعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۚ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لَا نَقْرَبُ إِلَىٰ أُولِيائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۚ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ۚ لِيَسْتَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۚ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۚ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظَاهَرُونَ بِأَنَّهُ الظُّنُونَا ۚ هَٰذَا الَّذِي أُنْشِئَ لِلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۚ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۚ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۚ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْطَارِهِمْ سَبَّلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا ۚ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ

قُلْ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا • وَقَدْ يَنْقَضُكُمْ الْغِيَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنَ
الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُحْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا • قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَنْفَعُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ
بَكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا • قَدْ يَعْلَمُ
اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا • أَشِيعَةٌ
عَلَيْكُمْ • فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَعُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُشْئِي عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالنِّسَةِ حِدَادٍ أَشِيعَةٌ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ كَمْ يُوْمِنُوا
فَأَحْبَبَ اللَّهُ أَهْلَهُمْ • وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا • يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ كَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ
الْأَحْزَابَ يُوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَهُمْ عَنْ أَتْيَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا
إِلَّا قَلِيلًا • لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا • وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا • مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَةً وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا • لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا • وَرَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيْتِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا • وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا •
وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيَتِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا
تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا • وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَنْطَلُوهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا •

﴿ التفسير المفصل ﴾

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ)

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) أَي يَا أَيُّهَا الْمُخْبِرُنَا لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَسْرَارِنَا أَثَبْتَ عَلَى قُوَى اللَّهِ وَدَمَ عَلَيْهِ (وَلَا تَطْعَمُ) الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَلَا تَسَاعِدْهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَاحْتَرَسَ مِنْهُمْ * رَوَى أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ وَعُكْرَمَةَ بَنَى ابْنِ أَبِي جَهْلٍ وَأَيُّهَا الْأَعْوَالُ السَّلْبَى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ بَعْدَ قَتْلِ أَحَدِ قُرَظَرَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي وَأَعْطَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يَكْمُوهُ قَالُوا أَرْضُ ذِكْرِ آلِهِتَنَا وَقُلْنَا إِنَّمَا تَتَفَعُّ وَتَشْفَعُ وَتَسَاعِدُهُمُ الْمُنَافِقُونَ عَلَى ذَلِكَ فَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ بِقَتْلِهِمْ فَزَلَّتْ أَيِ اتَّقِ اللَّهَ فِي هَؤُلَاءِ الْعَهْدِ وَالطَّاعَةِ الْكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَمَا طَلَبُوا وَتَلَّكَ مَا قَالَ عُمَرُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ فِي قَتْلِهِمْ قَالَ لِي أُعْطِيَتْهُمُ الْأَمَانُ قَالَ عُمَرُ أَخْرَجُوا فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ (إِنْ) اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا بِالْمَصَالِحِ وَالْمَقَاسِدِ (حَكِيمًا) لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِمَا تَنْتَظِيهِ الْحُكْمَةَ (وَابْتِغِ مَا يَوْجِي إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)

في الثبات على التقوى (إن الله كان بما تعملون خبيراً) أى لم يزل علماً بأعمالهم وأعمالكم (وتوكل على الله) وكل أمركم إلى تديره (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً موثقاً إليه الأمور كلها أى اكتب بالله وكيلاً . وإذا كان الله لك وصيلاً فلا تخف من أحد فهو ناصرك فلست في حاجة إلى المناقنين والكافرين إذ لا يجمع بين التضادين طاعة غير الله وطاعة الله إذ ليس للإنسان قلبان حتى يطيع بأحدهما ويصمى بالآخر . وإذا كان للإنسان قلب ففى أحبه لأحد الشقين صدعن الآخر ، فطاعة الله تصدعن طاعة سواء وهو يقوم بأمر من توكل عليه ، هكذا ليس يجمع الزوجية والامومة في امرأة والبنوة الحقيقية والثبني في إنسان واحد فإذا ظاهر الرجل زوجته أى قال لها أنت على كظهر أى فلذلك حكم سيأتى في ﴿سورة المجادلة﴾ فلما أن تحرم عليه إلى أداء الكفارة ولما أن تطلق ، فهذا القول ليس يحق إذ لا يجمع كونه زوجها وكونها أمًا ، فلما أن تكون زوجة ولما أن تكون أمًا . هكذا للثبني لا يكون ابناً حقيقة . وذلك أن زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً فاشتراه حكيم بن حزام لعنته خديجة فلما تزوجها رسول الله ﷺ وجهته له فطلبه أبوه وهم غير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه . وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج ﷺ زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فقال الله ليس يجمع التيقضان بنوة ولا بنوة فريد ليس ابن بل هو دعى بجمه أحمياء وهو فضيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولما وهذا الجع شاذ لأن بابه ما كان بمعنى فاعل كسقى وتقى وأتقى وأتقى وهذا قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن) في تظاهرون قراآت وفيها معنى التجبض فعندى بمن (أمهاتكم وما جعل أحمياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم) لا حقيقة له في الأعيان كما يقول الهذلي (رافة يقول الحق وهو يهذى السيل) والله يقول ماله حقيقة مطابقة له وهو يهذى السبيل إلى الحق . وسيأتى بعد تمام السورة في الرسالة السهية ﴿السر الحبيب﴾ حكمة زواج النبي ﷺ زينب وحل زواجها وما يقرب على ذلك من نظام التشريع مع الحكمة في تعدد الزوجات في الإسلام وزوجات النبي ﷺ (ادعوهم لآبائهم) أى انسبهم إليهم (هو أقسط عند الله) وهذا تحليل له (فان لم تعلموا آباءهم فخوانكم) أى فهم اخوانكم (في الدين ومواليكم) أى فسموهم بأسماء اخوانكم في الدين وأوليائكم فيه وقولوا هذا أخى ومولاي بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك عظيماً قبل انتهى أو بعده نسياناً أو سبق لسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أى ولكن فيما تعمدت قلوبكم الخناخ (وكان الله غفوراً رحيماً) لعنوه عن الخطيئة . ولما كان للمؤمن أخال المؤمنين في الدين كما مر . وكان ﷺ ليس أباً لزيد بن حارثة أعقب ذلك ببيان منزلة النبي ﷺ من الأمة كلها . يقول الله ليس محمد أباً مختصاً بواحد منكم بل أبوتة عامة وأتم اخوة في الدين وأزواجه أمهاتكم بل هو أولى بكم من أنفسكم لأن أهل الأرض خلقوا فيها وهم غافلون عن العالم العلوى الذى هو الحياة الحقيقية فأزول للملائكة بالوصى على الأنبياء فهم في الحقيقة آباء لكم ومحمد ﷺ منهم وأبوة الأنبياء أشرف من أبوة الآباء إذ بها الحياة الحقيقية والأخرى بها الحياة الفانية ، لذلك كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهى منزلة لم ينلها الآباء الجبائرون ، فإذا حضهم على الجهاد فذلك لارتقايتهم الروحية وهذا قوله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) لما قلتم بياه فإذن كيف يستأذن الناس آبائهم وأمهاتهم لما أمرهم ﷺ بغزوة تبوك وهو أشفق من الآباء بل هو أولى بالمؤمنين الخ (وأزواجه أمهاتهم) منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق العظيم * روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم - النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم - فأما مؤمن ترك مالا فليترعه عصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليفتح الضاد أى عيالا فليأثني فأنما مولاه » ومعنى عصبه الميت من يرثه سوى من له فرض مقتر . وقد تقدم في ﴿سورة النساء﴾ وهذا قوله تعالى

(وأولوا الأرحام) وذوو القربات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث (في كتاب الله) أي فيما فرضه الله (من المؤمنين والمهاجرين) أي وأولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة وذلك نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالمهجرة والموالات في الدين فهذه الآيات فيها رجعت الأمور إلى نصابها فليس للإنسان وجهتان معا مع أن له قلبا واحدا ، وليس لمرأة أن تكون أما وزوجة ، وليس للدمي أبنا ، وليس للمهاجر والمؤمن أولى بالميراث من ذوي الأرحام (لأن اتصالا إلى أولياكم معروفة) لما نسخ الله الميراث بالخلف والموالات والهجرة وأصبحت الوراث بالقرابة أباح الوصية هؤلاء كأبائهم لغيرهم بالتك قال ولكن أن توصوا لمن تتولونهم من المهاجرين أي ولكن توصيتكم هؤلاء مشروعة أوجازة (كلن ذلك في الكتاب مسطورا) أي كلن ما ذكر في الآيتين ثابتا في الوح المحفوظ . ولما كلن ما تقدم مفيدا أن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه يرخصهم إلى عالم الأرواح أعقبه بذكر الأنبياء السابقين الذين هم آباء الأمم السابقين فقال (و) اذكر (إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما جئنا (ومثك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) هؤلاء أشهر أرباب الشرائع وآباء الأمم وقدم عليهم بإذنان بأن أمته ستكون أرقى الأمم أدا وأخلاقا لأن رقي الأمة تبع لنبيها (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) مؤكدا ، وإنما فعلنا ذلك (لئلا يصدقوا عن صدقهم) فيسأل الأمم كما يسأل الأنبياء ، فالأنبياء صادقون في التبليغ والأمم التابعة لهم صادقة في تصديق الأنبياء . فكل هؤلاء مسؤول . فالأنبياء عما قالوه لقومهم والمصدقون لهم عن تصديقهم وهل قاموا بما وجب عليهم ؟ فأجاب المؤمنين (وأعد للكافرين عذابا عاليا) واعلم أن سؤال الأمم عن صدقها يدعو إلى السؤال عن أعمالها لأن الإيمان وحده لا يكفي كما قال تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - وعليه لابد من الأعمال والجدة ومن أهمها الجهاد والجهاد أمر عام يشمل فروع الحياة كلها . فالعلم جهاد والأعمال كلها جهاد وقتال العدو جهاد . فكل أعقبه بذكر غزوة الخندق وهي الأنزاب . والكلام عليها مختصر في ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في ملخص الكلام عليها ﴾ الفصل الثاني ﴿ في تفسير الألفاظ ﴾ الفصل الثالث ﴿ في ربط هذه الغزوة بما قبلها من الآيات وانها أشبه بما كان في الأمم السابقة من امتحان الأمم وتذكيرها وفقا لما جاء في قصص الأنبياء في القرآن

﴿ الفصل الأول ﴾

ان قرا من اليهود قدموا على قريش في شوال سنة أربع من الهجرة بمكة فدعوه إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا لهم ان دينكم خير من دينه ثم جاؤا غطفان وقبسا وعيلان وحالفوا جميع هؤلاء أن يكونوا معهم عليه فخرجت قريش وقادتها أبو سفيان وغطفان وقادتها عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وأحرث ابن عوف ومسعر بن ربيعة بن نورة بن طريف وغيرهم . فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك خط الخندق حول المدينة بإشارة سلمان الفارسي وهو يومئذ حر إذ قال يا رسول الله إياكنا بفارس إذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون وأحكموه وقد أقطع لكل عشرة أر بعين ذراعا فخرجت لهم صخرة بيضاء من بطن الخندق فكسرت حديدهم وشقت عليهم . فلما علم بها ﷺ أخذ للمول من سلمان وضرب بها ب ضربة صدعها وبرق منها برق أضاه ما بين لابتها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون وهكذا مرة ثانية وثالثة فكانت ثغرى وكان التكبير . ثم قال رسول الله ﷺ ضربت ضربتي الأولى فبرق البرق القتي رأيت فأنضاه له منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب . وأخبرني جبريل أن أمتي ظلعرة عليها . ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق القتي رأيت أضاه لى منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن

أتى ظاهرة عليها . ثم ضربت الثالثة فبرق البرق الذى رأيتم أضاء لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرنى جبريل أن أتى ظاهرة عليها فأبشروا . فاستبشر المسلمون . وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده . فقال المنافقون الأنبياءون يمينكم ويصدقكم الباطل . ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحجر ومدائن كسرى وأنها فتتح لكم وأتم انما تخفرون الخندق من الفرق لاستطيعون أن تبرزوا قتل ما سبأى . ولذا يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض . الخ . وذل . قل اللهم مالك الملك . الآية

ولما اجتمع هؤلاء الأحزاب الذين خرجهم اليهود وآتوا الى المدينة رأوا الخندق حائلا بينهم وبينها فقالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدنا . وهناك كانت مصادمات بين القوم كرا وفرا . فمن المشركين من كان يقتحم الخندق فبرى بالحجارة ويقتل . ومنهم من كان يقتحمه بفرسه فيصيبه الموت وهكذا . ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر من غطفان أتى رسول الله ﷺ فأعلمه انه أسلم وأن قومه لم يعلموا بذلك فقال ﷺ انما أنت فينا رجل واحد تغفل هنا ان استطعت فان الحرب خدعة فأتى قرية وقال لهم لا تخاروا مع قريش وغطفان إلا اذا أخذتم منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم تقي لكم على أن يقتالوا معكم محمدا لأنهم رجعوا وسئما حربه فانكم لا تدرين عليه . وذهب الى قريش والى غطفان فقال لهم ان اليهود يريدون أن يأخذوا منكم رهنا يدفعوه لمحمد فيضرب أعناقهم وهم يتحطون معه على قتالكم لأنهم ندموا على ما فعلوا معه من قرض العهد وتأبوا وهذا هو الفرج الذى اتفقوا عليه . فهناك تخالط اليهود والعرب وحصل الفشل بسبب ذلك . وفى ذلك الوقت بعث الله ريحا فى ليل شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قصورهم وتطرح آبنهم وقد قام ﷺ يصلى هونا من الليل ثم يلتفت ويقول هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم فعمل ذلك ثلاث مرات ولم يتم رجل واحد من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فدعا حذيفة بن اليمان فذهب الى القوم فسمع أناسين يقول يا مشركي انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخلف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنكم الذى نكره ولقينا من هذه الرح مائرون فارتحلوا فأتى مرتحل . فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت أنبابه فى سواد الليل . انتهى الفصل الأول

{ الفصل الثانى }

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود) أى الأحزاب المتقدم ذكرها وهم نحو اثني عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) هى ريح الصبا (وجنودا لم تروها) لللائكة وقد خرج النبي ﷺ اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينهم ومضى على الفريقين شهر لا حروب بينهم إلا القرائى بالنبل والحجارة حتى أرسل الله عليهم الريح كما تقدم فأخسرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأطفا نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض فقال طليحة الاسدى أما عهد قد بدأكم بالبحر فالتجاء التجاء كما تقدم (وكان الله بما تعملون) من خسر الخندق (بصيرا) راتيا . وقوله (إذ جاءكم) بدل من - إذ جاءكم - (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق وهم بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش (وإذ زافت الأبصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشغوا (وبلغت القلوب الحناجر) هذا إما تمثيل أو أن الرقة تنفتح من شدة الروع فتكاد ترتفع الى رأس الحنجرة ويرتفع القلب بارتفاعها اليها . والحنجرة متبى الحلقوم وهو مدخل النفس الذى وراءه المريء وهو مدخل الطعام والشراب (وتقلنون بالله الظنون) الأنواع من الظن . فلو لم يعلم أنه امتحان فيخاف الزلل والمنافق وضعف القلب يقولان ما حكي الله عنهما . وألف الظنون أثبتا بعضهم تشبها للفراسم بالقوافى ولم يردعها بعضهم وهو القياس (هنالك ابتلى المؤمنون) فظهر الخلف من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع (وإذ يقول المنافقون) عطف على الأول (والذين فى قلوبهم مرض) هم قوم لا بصيرة لهم فى الدين كان

المنافقون يستميلونهم بإدخال النسيب عليهم (ما وعدنا الله ورسوله لإغروا) كما تقدم (وإذ قالت طائفة منهم) وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يأهل يقرّب لأمقام لكم) أى يأهل المدينة لأقراركم هنا (فارجعوا) من عسكر الرسول ﷺ إلى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) وهم بنو حنظلة (يقولون ان يوتنا عورة) أى ذات عورة أى خالية من الرجال تخاف عليها سرق السراق (وما هي حسيمة (إن يريدون لإغرا) أى ما يريدون بذلك إلا القرار من القتال (ولو دخلت عليهم) المدينة أو يوتهم (من أطفالها) من جوانبها سواء أكان الداخل هم الأحزاب أم غيرهم (ثم سألوا الفتنة) أى الردة ومقاتلة المسلمين (لأنهم) لأصلوها (وماتلبوها) أى ومالبثوا بالمدينة بعد إعطاء الفتنة (لإيسرا) لإقلاقا حتى يهلكوا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لإبرون الأذبار) وهم بنو حنظلة عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد حين فشاوا ثم نابوا لإيعودوا لله أبدا (وكان وعد الله مسؤلا) عن الوفاء به مجازى عليه (قل لن ينفعكم القرار إن فررتم من الموت أو القتل) قلن لكل امرئ موة سبق بها القضاء فلابد من ففاده على حسب ماسبق به القضاء من قتل أو غيره (واذن لانتعنون لإقلاقا) أى وبعد القرار لانتعنون لإمدّة آجالكم وهو قليل (قل من ذا الذى يمسك من الله إن أراد بكم سوءا) أى يصيبكم بسوء (أو أراد بكم رحمة ولا يعجزون لهم من دون الله وليا) ينضمهم (ولا نصيرا) يدفع الضرر عنهم (قد علم الله المتقين منكم) الشيطيين عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون (والقاتلين لأخوانهم) من ساكني المدينة (هم البنا) أى لرجعوا البنا ودعوا محمدا ﷺ فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الملاك والقاتلون هذا القول هم اليهود أرسلوا إلى المنافقين فقاتلوا لهم ما الذى يحملك على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يبقوا منكم أحدا وانا نخاف عليكم وأنتم اخواتنا وجبرائنا فلهوا البنا فأقبل عبدالله بن أبي ابن ساول وأصحابه يشطون الناس فلم يزد المؤمنون إلا نياتا واحسانا . وقوله (ولا يأتون الناس لإقلاقا) أى لا يأتى الحرب المنافقون إلا اتيانا قليلا حال كونهم (أشعة عليكم) بخلاف عليكم بالمعونة النفسية والمالية (فاذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون اليك تدور أعينهم) فى رؤسهم من الخوف والجبن (كالذى يغشى عليه من الموت) أى كلعوران عين الذى قرب من الموت وغشيت أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يظرف (فاذا ذهب الخوف) أى زال (سلقوكم) آذوكم ورموكم فى حال الأمن (بالسنة حداد) ذربة تفعل فعل الحديد إذ يطلبون القنينة ويقولون اناشدنا معك القتال فسلمت أحق بالقيمة منا . وقوله (أشعة على الحبر) حال أى خاطبوكم حال كونهم أشعة على المال كما هم أشعة يأتسهم والمالم فلا قتال بينهم ولا اتفاق وهم شديدوا الحرص على القنينة (أولئك لم يؤمنوا) حقيقة بل هم مسلمون بالظواهر (فأحبط الله أعمالهم) أى أبطلها باظهارهم الكفر (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الأحزاب) لجبنهم وجزعهم (لم ينجحوا) أى لم يهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا (وان يأت الأحزاب) كرة ثانية (يودّوا لأنهم يبدون فى الأعراب) أى ينجى المنافقون لجبنهم أنهم يخرجون من المدينة إلى البادية عائشون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويبتزوا ما فيه الخوف من القتال (يسألون) الزكيان والقاصدين اليهم من المدينة (هن أنباكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فكيك) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال (ماقاتلا لإقلاقا) رياء وسمعة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) الاسوة القدوة وهو المقتدى به والمؤتى فاعتقدوا به اقتداء حسنا فانه كسرت رباعيته وجرع فى وجهه وقتل همه وأودى بضروب الأذى فبصر . وقوله (لن كان يرجوا الله واليوم الآخر) متعلق بقوله - حسنة - أى حسنة لن يرجوا الله ونعيم الآخرة (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر وهى تؤدى إلى ملازمة الطاعة (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) إذ قال تعالى - أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم - الخ وأيضا - أحسب الناس أن يتركوا - الخ وقال ﷺ

« سيشد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم » وقوله أيضا « انهم سائر ان اليكم بعد تسع
أعوشر » (وصلى الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله (وما زادهم) الخطب والبلاء (إلا إيماناً وتسلياً)
أى إيماناً بمواعيد الله وتسلياً لمقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبوت مع الرسول
والقناعة لتكون كلمة الله العليا (فمنهم من قضى نحبه) أى فرغ من نذره ووفى بهده وصبر على الجهاد حتى
استشهد والعجب الذى هو بمعنى النثر استعبر لولت لأنه كئذ لازم فى رقبة كل حيوان ، وذلك مثل حزة
ومصعب بن عمير وأنس بن النضر (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثان وطلحة (وما بتلوا) العهد (تبدلاً)
شياً من التبديل كما بقل المناقون * روى أن طلحة ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده
فقال ﷺ أوجب طلحة ، فخلص ما حتم أن قوما صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقوم بتلوا بنقض العهد
(ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويغذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) فيهدمهم إلى الإيمان (إن الله
كان غفوراً رحيماً * ورد الله الذين كفروا بغيظهم) ولم يشف صلورهم فهم فى حق (لم ينالوا خيراً) غفراً
(وكفى الله المؤمنين القتال) بالرجع والملائكة (وكان الله قوياً) فى ملكه (عزيزاً) فى انتقامه (وأزله الذين
ظاهروهم من أهل الكتاب) أى عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان وهم بنو قريظة (من يسلصيم) من
حصونهم جمع صيمية وهى ما يخص به ، ويقال أيضاً لقرن الثور والظي وشوكة الديك لأن ذلك كله الحصن
من العدو (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف (فريقا يقتلون وتأسرون فريقاً) * روى أن جبريل أتى
رسول الله ﷺ صبيحة اليلة التى انهزم فيها الأحزاب قتالاً بالمحاذرة لامتك والملائكة لم يسمعوا السلاح
لأن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عاهد اليهم فأذن فى الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة فحاصرهم
إحدى وعشرين يوماً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار قتالاً لم تنزلون على حكمى فأبوا قتالاً على حكم
سعد بن معاذ فرفضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسأهم ، فكبرنا إلى ﷺ فقال حكمت
بحكم الله من فوق سبعة أرقعة قتل منهم ستمائة أو أكثر وأسروهم سبعمائة . واعلم أن هذه الرواية ذكرها
المفسرون ولم ترد فى الصحاح كلها . ثم قال تعالى (وأورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم
(وأموالهم) قنودهم ومواشيهم وأثاثهم (وأرضاً لم تملوها) بعد تخيير مكة وفارس والروم والقسطنطينية
وقبرها من كل أرض فتفتح للسلمين (وكان الله على كل شئ قديراً) فيقدر على ذلك
روى البخارى عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب « الآن
نفرهم ولا يفزوتنا ، نحن نسير اليهم »

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول (لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، أعز جندة ، وأسر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شئ بعده) انتهى النص الثانى فى تفسير الألفاظ
﴿ الفصل الثالث فى اتصال هذه القصة بما تقدمها فى أول السورة وفى سور القرآن كله ﴾
لقد ذكر الله فى القرآن قصص الأنبياء وأمرهم أن يذكروا قومهم بأيام الله ومنهم موسى عليه السلام
وقصة ذكوت غير حمرة فى القرآن وآخرها ذكرها مائة فى آخر ﴿سورة السجدة﴾ قبل هذه إذ قال تعالى
- ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مربة من لقائه - الخ ثم جاء فى أول هذه السورة ذكر موسى
إذ قال - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح - الخ ثم سوى بين الأنبياء وتابعهم فى سؤالهم
عن عهدهم الذى عاهدوا ، فالأنبياء مسؤولون لتوبيخ المكذبين والمؤمنون مسؤولون عما عاهدوا الله عليه
هل صدقوا وبنوا فى إيمانهم فجاهدوا وصبروا أم هم منافقون مذنبون ؟ ولقد جاء فى ﴿سورة إبراهيم﴾
- ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكركم بأيام الله - فذكرهم بالشدائد
التي لاقوها من فرعون وبالنم التي أتم بها عليهم تكروجه من ذل العبودية وانهم ورنوا الأرض التي وعدوا

بها ، هكذا أمر النبي ﷺ أن يذكر للمسلمين بغزوة الأحزاب والانعام عليهم بنجاتهم منهم كما أنهم على بني إسرائيل بنجاتهم من فرعون ، فانظر كيف يقول موسى - وذكرهم بألم الله - ويقول الله للمسلمين في القرآن - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - ويقول موسى - يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون - وهنا يقول الله سبحانه - اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها -

إن السورة قد ابتدئت بذكر النوام على طاعة الله وعدم الميل مع المنافقين والكافرين أي اتحاد الوجهة النفسية والعملية في الاعتقاد وفي الدين وفي الزوجة فإن اعتبار الزوجة أما واعتبار الدين ابنا جمع بين المنافقين كاجتماع طاعة الله وطاعة غيره . إن الله تعالى أرسل الرسل وهم صادقون وأنبياهم مسؤولون عن عهودهم فهل يوفون بعهودهم ، أم يكونون كالمنافين الذين يجمعون بين المنافقين ؟ قول مصدق وعمل مكذب كما يحصل للدين ابنا والزوجة أمنا . إن هذه القاعدة علة في الرسل وأنبياهم وهكذا هذه الأمة . إن الله لا يترك الناس أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون . إن الله ابتلى المسلمين بالفتنات ومنها غزوة الأحزاب فبهم من صدقوا ما علموا الله عليه ومنهم من بقوا ، فهذا الامتحان والابتلاء في الاسلام تطبيق على القاعدة العلية في قوله - وأخذنا منهم ميثاقا غليظا * ليسأل الصادقين عن صدقهم -

يقول الله . إن هذه القاعدة علة في الأرض فلا بد أن تتألف حظكم منها فتتظار أنصدقون ، وإذا كنا آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا . هكذا يأخذ ستكون أنت وأنبياك من صبروا منهم يكونون أئمة . وقوله - فلا تكن في مريه من لقائه - فيه إشارة الى هذا المعنى من طرف غنى . كأنه قال آتيناك الكتاب كما آتيناك وسيكون لك نصر وأتباع هداة كما نصرناه وأيدناه ﴿ أئمة الاسلام اليوم ﴾

فلى المسلمين أن يتدبروا هذه الغزوة ويفكروا فيها فانها لم تذكر في القرآن مجرد التبرك . إن الله خلق الناس على هذه الأرض ليعتد بهم الى الرقى الى عالم أرقى من هذا العالم ولارقى الى (بأمرين) تهذيب جسي ونأديب عقل فلا بد من فهم وخبر وشرف وعز وجل وصحة ومرض والمرد بين ذلك يرى ولا علم له بالترية ويؤذّب ولا علم له بالتأديب . إن كل عمل فعله في الحياة يعدنا من المادة ويقربنا من عالم الأرواح فكل صناعة تقنها وعمل يفكره وعمل يتقنه يرقى نفوسنا فيجعلها صانعة ذات حكمة تام . ولقد جاء الاسلام وأمرنا الله بالجهاد وأمر نبينا نفسه أن يجاهد فكانت حياته كلها جهادا . فطينا أن نقسدى به . طينا أن نكون حياتنا كلها جهادا بحرم طينا التواني والكسل . الجهاد يستلزم جميع العلوم والصناعات . يستلزم علم الرياضيات والطبيعات والإلهيات . يستلزم علم السياسات وعلم الاقتصاد وعلم الحرب كلها واستخراج المعادن من الأرض وعلم الزراعة وعلوم العالم فاعلمة . إن العلوم كلها والصناعات أشبه بحلقة مفرغة لا يدرى أين طرفها . فإذا اطلمت على ما كتبت في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - لا يكلف الله فسا إلا وسعها - وأن العلوم كلها والصناعات لا ينفك بعضها عن بعض عرفت أن الجهاد يكون بها كلها وأن الام عليا أن نحص كل امرئ في الصناعة أو العلم الذي هو أليق به . فالجهاد في الاسلام يشمل جميع دوائر الحياة . الأخرى الى رسول الله ﷺ كيف قال لنجم بن مسعود لما جاءه وقد أسلم سرا ﴿ إنما أنت فينا واحد تغفل عنا ﴾ فخصه بما هو أقوى عليه وهو التخذيّل وقد نفذ الأمر فذهب الى بني قريظة وإلى قريش وغطفان وأوقع بينهم الفشل . أليس هذا عينه هو علم السياسة . أليس علم السياسة اليوم هو هذا بينه . أليست الأمم تفتح للدارس تربية الشبان لامثال هذا . أليس هذا من الجهاد . لا بل هو سر الجهاد . أليس صانع المدفع وسائق القطر وصغير البصلة وكاتب الجيش وأمثالهم مجاهدين . إن الجهاد يشمل سائر فروع الحياة ومتى بطل فرع منها بطلت كلها . فإذا لم يكن قطرات تسير بالجنود لم يكن جهاد ولا قطرات إلا بالحديد ولا حديد إلا بالتجارة

ولا تجارة إلا بالزراعة ولا زراعة إلا بالامن ولا امن إلا بحكومة منظمة ولا حكومة منظمة إلا بسلامتها مع الأمم
 ولا علاقة لها مع الأمم إلا بحفظ كيانتها والقدب عن حيانتها
 اللهم إن هذا هودينك . وإنى قد أوضحت الأمر في هذا التفسير . وإنى قد أدت ماضى . فأعلم اللهم قراء
 هذا التفسير وأمثاله أن يجاهدوا فيك حتى جهادك ويرجعوا مجد هذه الأمة ويكونوا راحة للعالمين ويمتدوا
 الأمة لمستقبلها الزاهر وسعداء الباهر ومجدها الفاسخ وليعلموا الأمة انها خلقت لافطرة البصائر وتطهير السرائر
 وإقامة الشعائر وإسعاد الأمم وحفظ الأدم وانهم خلقوا ليكونوا راحة للعالمين وهذا نتيجة ظهوره على الدين
 كله لأن الله لا يظهر ديناً على الديانات إلا إذا كان راحة عامة وهذا هودينا في مستقبل الزمان . انتهى القسم
 الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِذْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَمَا كُنَّ أُمَّتُكُمْ
 وَأَمْرُكُمْ سَرَّاحًا حَيْلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِذْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
 لِلْمُفْسِدِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ بَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُعَاقَبْ
 لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ فِيهِ وَرَسُولُهُ وَفَعَلَ
 صَالِحًا تُوْبَهَا أَجْرُهَا تَرْبَعِينَ وَأَقْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ
 إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَنْ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ عَرِضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقرْنِي
 فِي يُؤْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِرْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَاطْمِئِنَّ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَإِذْ كُنَّ
 مَا بَيْنَ فِي يُؤْتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا * إِنَّ الْمُسْلِمِينَ
 وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
 وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ
 وَالْخَافِضِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْخَافِضَاتِ وَالَّذِينَ كَرِهُوا اللَّهَ كَرِهَاتٍ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
 وَأَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا كَانَ لِلْيَوْمِينَ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ
 الْخِيارُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا * وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
 وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَمَا لَمْ يَكُنْ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْمُولًا •
 مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
 قَدَرًا مَقْدُورًا • الَّذِينَ يَتْلُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى
 بِاللَّهِ حَسِيبًا • مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ
 اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا • وَسَبِّحُوا بِحَمْدِهِ
 وَأَمِيلًا • هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَىكُمْ وَيُمَلِّكُكُمْ وَيُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
 بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا • تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا • يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا • وَذَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا • وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
 بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا • وَلَا تَطْلِعِ الْكَافِرِينَ وَالنَّافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ حِدَّةٍ تُمْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسَّرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا •
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَعْلَمْنَا أَنَّكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ بِمَا آفَاهُ اللَّهُ
 عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَاتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَمْلَكَتَكَ
 وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَنِكَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ
 حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا • تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُلْوِي إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ وَمَنْ أَبْتَنَيْتَ
 بَيْنَ عَرْلَتِ فَلَاحُ جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَرَءَ أَهْلِيَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْنَهُنَّ
 كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا • لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا
 أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَهْبَكِ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 رَحِيمًا • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ
 نَافِلٍ بَيْنَ إِمَاءٍ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَلِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ
 ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِي مِنَ الْخَلْقِ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ

مَتَاعًا فَسْتَلَوْهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَيْنِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا •
إِنْ تَبْذُلُوا عِبَتَا أَوْ تُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُ شَيْءًا عَلِيمًا • لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي إِيَابِهِنَّ وَلَا
أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَهُنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا • إِنْ اللَّهُ وَتَلَايَكُنَّ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّوْا تَسْلِيمًا • إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فِي آيَاتِهِ وَالْآخِرَةُ وَآوَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا • وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ
مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَلَوْا بِهِنَّ نَا وَاِنَّمَا بُحِينًا • يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ
الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِضْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا • لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا • مَلْعُونِينَ أَيْمًا تُخْفَوْنَ أَخَذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا • سُنَّةَ
اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا • يَسْتَلْكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ
إِنَّمَا عَلِمْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُذَرِّبُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا • إِنْ اللَّهُ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا • خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا • يَوْمَ تُحْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ • وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا
السَّبِيلَ • رَبَّنَا وَاتَّخِذْهُمْ خِزْفَةً مِنَ الْعَذَابِ لَعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ بَادُوا مَوْتَى قَبْرَاهُ اللَّهُ يَمَاقِلُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا • إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا • لِيُثَبِّتَ
اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا •

إن القسم السابق قد مضى في جهاد الرجال وحفظ الثغور . فلما أتم الكلام عليه أخذ سبحانه يشرح جهاد النساء كأن يتركن الفاحشة ، وأن يقتلن الله ورسوله ، وأن يفيض أزواج النبي ﷺ على الأمة العلم الذي عرفته من النبوة ، وكان يأمرهن جميع النساء بالجلب الشرعي والآداب العاتية وما أشبه ذلك من كل حكم يخص بالنبي ﷺ أو بأزواجه أو بما يحوم حول ذلك من احترامه وحفظ حرمة واجتناب آذاه وفي هذا فتح باب للجهاد الأكبر بعد إتمام الكلام على الجهاد الأصغر كما قال ﷺ ﴿ رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ فان التدبير للزنى ونظم العائلات وإقامة الشعائر كل ذلك جهاد عظيم أكبر من جهاد العدو . ألا ترى إلى قول (أرسطاطليس) لـ (الاسكندر) ﴿ إن الناس يحملون الشدة ولكنهم لا يحملون الرضا ﴾ يريد أن الناس يقفرون على مكافة الحروب ولكنهم إذا أبطرتهم النساء لا يصمدون بها بل تفترقوا وهم قضيع نخوتهم ويذهب عجبهم وإليك أكد عليه أن يرعاهم في أحوالهم ويشغلهم فان لم يشغلهم أيام الامن هل كانوا ضاعت دولهم ، فهكذا ههنا لما أتم الله الكلام على الجهاد أخذ يشرح الآداب المنزلية والأحوال الاجتماعية ، فإذا لم تنظم ذلالية للأمة

ولقد مضى مثل هذا في ﴿سورة البقرة﴾ فانه بعد أن ذكر أحكام الطلاق والعدة والرضاع والتمرد والميسر واليتامى وما أشبه ذلك من كل عمل للناس في أنفسهم أعقبه بذكر القتال فقال - ألم تراءى الذين خرجوا من ديارهم وهم آوف - الخ فهناك ذكر القتال بعد النظام الداخلي وهنا عكس الأمر إشارة إلى أن كمالهم في نفسه مطلوب في وقت لا فضل للأخوة عليه فان لم يكن نظام داخلي فلا نظام للحرب ، ومن أمهات الدواعي من مدتهم اختلت أحوالهم وضاعت مدنهم وفي هذا القسم فصول

﴿ الفصل الأول في خطاب النبي ﷺ لأزواجه بالزهد في الدنيا ، والاخلاص لله وأن وزرن وأجرهن ضعف غيرهن ، ووجوب ملازمتهم البيوت ، وعدم التبرج وإقامتهن الصلاة ، وإيتائهن الزكاة ﴾

قوله تعالى (ردن الحياة الدنيا) أي السعة والتمتع فيها (وزيتها) زخارفها (أمتكن) أعطى كمن المتعة . ومعلوم أن المتعة تستحب لكل مطلق إلا المخوفة قبل الوطء (وأسرحكن سراجا جلا) طلاقا من غير ضرار وبدعة (أجوا عطايا) أي تستحق دونه الدنيا وزيتها (فاحشة) كبيرة (مينة) ظاهر قبيلتها (ضعفين) ضعف عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فزيادة قبح الذنب تبع زيادة فضل المذهب والنقمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد العبد وجعل ذنب العالم أشد من ذنب الجاهل وهو بن الأنبياء على ما لا يعتاب عليه غيرهم (وكن ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن الضعيف كونهن نساء النبي (ومن يقتل منكن) ومن يدم على الطاعة (نؤنها أجوا مرتين) مرة على الطاعة ومرة على طيئ رضا أبي ﷺ بالنساعة وحسن المعاشرة (وأعتدا لها رزقا كريما) في الجنة (لسن) كأحد من النساء) أصل أحد وحده بمعنى الواحد وهو النبي عالم للذكر والمؤن والواحد والكثير رأى لسن كجماعة واحدة من جماعات النساء (إن اتقين) مخالفة حكم الله ورضاء رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تخضعن بقول لكن خاضعا لينا مثل المريات (فقطع الذي في قلبه مرض) لجور (قولا معروفا) حسنا بعيدا عن الرية (وقرن في بيوتكن) من وقر يقر وقارا أومن قر يقر مع تصرف بخلف الأولى من راءى اقرون وهن كسرتها إلى القاف فتحذف همزة الوصل ، ويصح أن يكون من قر يقر إذا اجتمع (ولا تبرجن) ولا تتبخرن في مشيكن وتتكرسن أولا تظهرن زينتك وتبرزن محاسنكن (تبرج الجاهلية الأولى) تبرجا مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وهي جاهلية الكفر قبل الاسلام ، أما الجاهلية الأخرى فهي جاهلية الفسوق في الاسلام (وأظعن الله ورسوله) في سائر ما أمركن به ونها كن عنه (الرجس) الذنب اللدنس لعرضكن (أهل البيت) نسب

على النداء أولسح (ويظهركم) من المعاصي ، وإعلم أن تخصيص أهل البيت بعل "وظلمة والحسن والحسين" رضي الله عنهم أجمعين لم يعم عليه دليل ، وإذا ثبت الأحاديث الواردة في ذلك فهي لاختصاصهم وقوله (من آيات الله والحكمة) أي من القرآن والسنة (إن الله كان لطيفا) علما بفواض الأشياء (خبيرا) علما بمخافتها أي هو عالم بأفعالكم وأقوالكم . انتهى تفسير ما يحتاج إليه من الألفاظ في هذا الفصل من قوله تعالى - يا أيها النبي قل لأزواجك - إلى قوله - إن الله كان لطيفا خبيرا .

(لطيفة)

ورد أن سبب نزول آية التخيير أن النبي ﷺ لم يأذن يوما لأحد بدخول منزله إلا بأب بكر وهو فدخل فوجداه جالسا وحوله نساء وهو واجم ساكت فأخذ مهر يضعه ويقول يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقلت أيتها فوجأت عنقها فضحك النبي ﷺ فقال هن - حولى كبرى يسألني النفقة فقام كل من أبى بكر وهو إلى عائشة وحفصة يوبخانهما ويضربانهما ويقولان تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ثم اعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا أو ٢٩ يوما حتى نزلت هذه الآية - يا أيها النبي قل لأزواجك - إلى قوله - للحصنات منكم أجرا عظيما - قال فبدا بمائتة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجل في فيه حتى تستبيري أبويك ، قالت وما هو يا رسول الله ؟ فقال عليها الآية ، فقالت أفيك يا رسول الله استشير أبوي - بل أختر الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختارها فنكر لها الله فنزل - لا يعمل لك النساء من بعد -

(حكم الآية)

إذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها

- (١) لا يقع شيء عند عمر وابن مسعود وابن عباس وأكثر الأئمة
- (٢) ويقع طلاق واحدة عند زيد بن ثابت ، وفي رواية عن ط
- (٣) وإن اختارت نفسها وقع طلاق واحدة رجعية عند عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسنجان والشافعي رضي الله عنه

(٤) وطلقة بائنة عند أصحاب الرأي ، وفي رواية عن علي

(٥) وثلاث طلاقات عند زيد بن ثابت والحسن ومالك

(الفصل الثاني في الصفات التي يجب على الرجال والنساء أن يكونوا عليها من المسلمين ، وفي خمسة)

زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ من قوله - إن المسلمين والمسلمات - إلى قوله - وكفى بالله حسيبا -

ههنا ذكر الله (عشر صفات) للرجال والنساء وهي (الاسلام) وهو الاقيد لحكم الله (الإيمان) أي التصديق بما يجب أن يصدق به (القتول) أي المداومة على الطاعة (الصدق) في القول والعمل (الصبر) على الطاعات وعن المعاصي (الخشوع) أي التواضع لله بالقلوب والجوارح (التصدق) بما يجب على الإنسان من ماله وبما هو مستحب (العيلم) المفروض أو هو وغيره (حفظ الفرج) مما لا يعمل (كثرة الذكر لله) بالقلب واللسان ، فهؤلاء الذين اقصوا بهذه الصفات العشر - أعاد الله لهم مفرة - لما اقترفوا من الصغائر لأنهم مكفرات لها - وأجرا عظيما - على طاعتهم

(ذكر أكرم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وزواجها زيد بن حارثة ثم طلاقها منه)

وزواجها لتي ﷺ

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبى أخوها

عبد الله ، ولقد كانت رضىت في أول الأمر إذ ظنت أنه عليه السلام خطبها لنفسه فلما علمت بالحقيقة أبت وهذا قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أى ومالصح لرجل مؤمن وامرأة مؤمنة (إذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله (أمرها) من الأمور (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أى أن يختاروا من أمرهم ما شاؤوا بل عليهم أن يعاملوا رأيهم فيما لرايه والخيرة ما يتخير (ومن يمس الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا) بين الانحراف عن الصواب ، واعلم أن الله عز وجل يعلم مستقبل الأمم الاسلامية وأن النسب دخلها عظيما ، وأن الأمم يعترفها الانتماع والخراب بسبب تفرق أهوائها ، وتفرق أهوائها إنما يكون بالفراخ الملتصبة واه الامعية أنكى ولا فخر أوسع ولا صدع أعظم من تصدع المسلمين وتفرق شملهم وتفرق كلهم باتباع ذوى الأنساب للمصلين بذوى الشرف والعلم لاسيا للمصلين بصاحب الشرع عليه السلام . علم الله ذلك فقطع الأمر قبل حصوله وبته قبل وجوده وأظهره بمظهر لمدخل للشك فيه إذ أوصى الى نبيه الى عز وجل زين ابنة جحش بعد أن يطلقها زيد ، ألا وإن الله يعلم أن ابنا سيكون لأسامة اسمه زيد وانه سيكون له القدر المعلى في الفزوات أيلم أبى بكر ، فلأن الأمر بقى بلا مباح عمل وتشرع فعلى لجاز لأسامة أن يدعى بالخلافة وسيأتى تفصيل هذا وأمثله في (رسالة تعدد الزوجات) التى ستذكر في آخر هذه السورة

أقول . لما أوصى الله الى النبي عليه السلام أن زينب ستكون زوجته أتى الكراهة في قلب زيد لها كما أنها كرهته له ، فلما جاء زيد وقال الى أريد أن أطلقها قال له - أسك عليك زوجك واتق الله - فغابته الله تعالى وقال له لم قلت - أسك عليك زوجك - وقد أهملتك انها ستكون من أزواجك وهذا قوله تعالى (و) اذكر (إذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام (وأنعمت عليه) بالاعتناق والتبني وهو زيد بن حارثة حين قال لك الى أريد أن أفارق صاحبتي وقلت له أراك منها شيء فقال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تعظم على بشرتها وتؤذي بلسانها (أسك عليك زوجك) زينب وهو مقول لقوله تقول (واتق الله) في أمرها فلا تطلقها ضرارا وملا بتكبرها (وتخفى في قسك ما لله مبديه) وهو أنك ستفكحها وأن زيدا قبل ذلك سيطلقها (وتخشى الناس) تخشعهم إياك به (والله أحق أن تخشاه) ان كان فيما يخشى فخرى من هذا أن الله غابته على اخفاء ما أهله الله وهوانها ستكون زوجته ، وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن التى تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وذلك مقدمة لذكر أن النبي عليه السلام ليس بأحد من الرجال * روى مسلم عن أنس قال (لما انقضت عنة زينب قال رسول الله عليه السلام زيد اذهب فاذكرها على ، فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عينيها فأبلغها ، فقالت ما أنا بصافئة شيأ حتى أوامر رى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله عليه السلام فدخل عليها بغير إذن ، قال أنس فلقد رأيتنا أن رسول الله عليه السلام أطلعنا الخبز والاعم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي أناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله عليه السلام ودخل حجر نسائه واتبته وهو يسلم عليهن فانطلق يدخل البيت وذهبت لأدخل معه فألقى الستين بين يديه ونزل الحجاب) انتهى المقصود من الحديث ملخصا

ولقد كانت زينب تقول للنبي عليه السلام الى لأدل عليك ثلاث ، ما من امرأة من نساءك تدل بهن . جدى وبتك واحد ، وإلى أنك تحبنيك الله في السماء ، وأن السفير جبريل عليه السلام وهذا قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها واقتضت عدتها (زوجنا كما) أى جملناها زوجة لك بلا واسطة عقد (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) لأن حكم النبي عليه السلام وحكم أمته واحد إلا في خصه الليل (وكان أمر الله مفعولا) قضاءه ماضيا وحكمه نافذا (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدر كما تقول فرض له في البيوان كذا ومنه فروض المسكر لأزواجهم ، سن الله ذلك (سنة الله في الذين خلوا من قبيل) من الأنبياء وهونى الحرج عنهم فيما

أباح لهم (وكان أمر الله قسرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكام مبتوتا ، ثم وصف الذين خلاوا بقوله (الذين يلقون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) فريض بعد التصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا بالخلاف وأوحاسبا فينبغي أن لا يخشى إلا منه

(لطيفة)

هذه الآية تفرض على الناس الشجعة الأدبية ، وقول الحق ، وإعلان الأمة بالحقائق ، ولذا أمر النبي ﷺ بأن لا يكتفوا أمرا لا بد من ظهوره ولا ضرر في كتابه ، فكيف يكتفوا الناس بالعلم ولا يظهرونها للأمة وهاتين أولاه الآن في زمان أحوج إلى إظهار الحقائق من كل زمان
يا أمة الاسلام . زلت هذه الآية وهوب النبي ﷺ في أمر لا ضرر في كتابه . انظروا انظروا . كم مصيبة زلت بالاسلام والعلماء يخافون أن يجهروا بالحقائق . إن الله جعلنا تأميين للنبي ﷺ فآلة هو الذي يؤمننا من الخواف . قولوا للمسلمين كفى خولا وجهالة . كفى نوما . فكروا في هذه الدنيا ونظامها . اقرؤا العلم التي عرفتها الأمم . إن القرآن طافح بها . قولوا للرؤساء كفى تطلما . كونوا أيها الرؤساء خادمين للأمة . كفى تخاذلا وتهاونا . لاتتماروا بالأنساب لتجعلوا الناس عبيدكم حتى أصبحتم عبيد التريجة . قولوا لأبناء النبي ﷺ الذين لم يملك أن لا يناموا عن رقي الأمة فإن هذا الملك لن يدوم وستأخذ التريجة لجهل النسب . حرام أن يجعل الناس جهلاء لأجل أفراد من الأمة . النسب كله يجب أن يتعلم . يجب التصريح بذلك وإذاعة الحقائق والافعال العلماء ساهبون أشد عقاب ولاسيا من قرأ مثل هذا التفسير فانه سيؤلف عن إذاخته بين الناس

(الفصل الثالث في فضل النبي ﷺ وعموم رسالته)

(من قوله تعالى - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم - إلى قوله - وكفى بالله وكلا -)

قال تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة فإنه لا تثبت حومة المصاهرة كما في زيد بن حارثة ، وهو وإن كان أبا الطاهر والطيب وإبراهيم والقاسم فهم لم يبنوا العلم (ولكن رسول الله) فهو إذن أبؤامته من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم (وخاتم النبيين) فهو آخرهم انتهى ختمهم أو ختموا به . قال ابن عباس يريد لولم أتم به النبيين لجملة له أبنا فيكون بعده نبيا ، وهذا قال ان الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يسطه ولما ذكرنا بصير رجلا (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي أن يكون شأه . يقول مؤلف هذا التفسير ان تكرار القول في عدم نبوة زيد وخلق السبب العمل للموجب لذلك فوشأن عظيم في قضية النبوة لولا هذا التأكيد والتكرار والتقوية لاذهى قوم أن زيدا نبي بعد موت رسول الله ﷺ . ان الله احتاط لذلك أشد الحيطه . ومن الهب أن أمة الاسلام مفرمة بالأنساب وبالأشخاص في بعض الجهات وهذا من أضل الجهالات التي ابتلى بها المسلمون . فكيف دخل في آل بيت النبوة من دعى . وكذا اذهى قوم انهم من السلالة الهاشمية وبنوا على ذلك الرياسة على الناس وأضالوا كثيرا اذا لم يكونوا أهلا للرياسة بالعلم والعمل المؤهلين لها . إن فضل المؤمن بعمله واتباعه وصدقه وبعده والنسب أمر ثانوي . إن الله لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وقد أمرنا أن نحمده على ذلك لأن الولد يشغل عن غيره فلاول ولاشريك ولاناصر له بل هو رب العالمين ، فهو عدل حكيم ، ولما أراد تكميل رسوله ﷺ قال - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله - وإنما هو أب للجميع منه يستضيء كل مستعد للإضاءة ، فأما الابوة البشرية فليس فيها هذا النظام إذ قد يلد الفاضل فاسقا ولتلك أعقب بقوله (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) . قال ابن عباس « لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عتد أهلها في حال العذر غير التذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه

ولم يضر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله ، وأمرهم به في الأحوال كلها قتال تعالى - فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقال تعالى - واذكروا الله كثيرا - يعني بالليل والنهار ، في البر والبحر وفي الصحة والسقم ، وفي السر والعلانية ، وقيل الذكر الكثير الأينسه أبدا (وسبحوه بكرة وأصيلا) أول النهار وآخره خصوصا ، وللقصود من التسبيح أن يكون الذكر على وجه الانظم والتزني عن كل ما سواه ، والمقصود من ذكر طرفي النهار للدعوة لأن ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا ، ويدخل في ذلك صلاة الصبح والعصر ، ومن أدخل في الأصل صلاة الظهر وما بعدها إلى العشاء فقد توسع في المعنى ، ويدخل أيضا « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » ويكون من التذكير هنا أن الطاهر والجنب والمخاض والمحدث يقرأها (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار المؤمنين ، ومن رحمة تعالى إشاعة الذكر الجليل للبعد في عباده والثناء عليه (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) يعني أنه برحمته وهديته ودعاء الملائكة أنخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان (وكان بالؤمنين رجاء) حتى اعتصم بصلاح أمرهم واستعمل في ذلك ملائكة الملقين (تحييتهم) أي تحية الله تعالى للمؤمنين (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت وعند الخروج من القبر وعند دخول الجنة (سلام) أي يسلم الرب عليهم ويسلمهم من جميع الآفات ، وروى عن ابن مسعود قال « إذا جاء ملك للموت لقبض روح لنؤمن قال ربك يقرئك السلام » واعلم أن السلامة من الآفات في هذه الدنيا مستحبة وقلبك جملا مبدأها عند الموت اللهم إلانقوا أدمكوا سر هذا الوجود ودرسوه وعرفوا أن الرحمة تغمر ظاهره وباطنه وظاهر الآخرة وباطنها وفهموا ذلك وتحققوه حتى صار محتريا بنفوسهم ، فخل هؤلاء يرون الوجود كله سعادة ، وكل ما يحل بهم أو يضرهم أو يسمعه من أنواع الآلام فانهم يهجموه كله على وجه يشرح صدورهم ويرون أنه حكمة تامة ونظام جليل ويوقنون أنه ليس في الامكان أبدع من ذلك ، وهؤلاء قد سمعوا السلام من الله في الحياة قبل الموت في هذه الدنيا وأنسوا برهم ولكن هذا الوجدان عزيز الوجود لأنه يمز على الناس أن يقولوا شياطين وجنا وأباسة ونيرانا جهنمية ويقولوا إن هذه رحمة ، فأما أولئك الأفذاذ فلهم دراسة أتم ومعركة أعم وعلم أكل وعرفان أعم ويصبح الوجود عندهم كأنه إنسان واحد وسويان واحد ، وهذه من لوازمه أو حمل من أعماله حيث لا بد منه - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - وقوله (وأعد لهم أجرا كريما) هو الجنة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) على من بعث إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهذه حال مقبرة (ومبشرا) لمن آمن بالجنة (ونذيرا) لمن كذب بالآثار (وداعيا إلى الله) أي إلى توحيدهِ وطاعته (بإذنه) بأمره (وسراجا منيرا) يستضاء به في ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر فراقب أحوال أمتك (و بشر للمؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الأمم فانهم سيفيرون نظام النوع الانساني من الظلم إلى العدل كما في نهضة الاسلام الأولى ، وسيملحون شأن الأمم التهمكة في الضلالة في مستقبل الزمان بعد زماننا كما قال تعالى - ليظهره على الدين كله - وبهذا يكون نوابهم في الآخرة عظيما (ولا تلح الكافرين والنافقين) ودم على مخالفتهم (ودع أذاهم) لإنذاهم إياك ولا تحنفل به (وتوكل على الله) فانه يكفيكم (وكفى بالله وكيلا) حافظا وموكلوا إليه الأمر في الأحوال كلها

(لطيفة)

اعلم أن الله عز وجل لما قرّر أمر النبوة وأن محمدا ﷺ ليس أبأ لأحد من الرجال ، وأن النبوة أبوة عتية ، وأكد ذلك بالقول والفعل قطع أطماع الرجال في الاعتزاز بذلك أعقبه بذكر ما به يتفاضل الناس وعظم أقدارهم ويشرفون في الدنيا والآخرة فأمر بذكر الله كثيرا وتسيحه وأنه سبحانه يرحم المؤمنين رحمة خاصة بالهداية وأنه يحيمهم بالسلامة والأمان ويدخلهم نعيم مقبلا ، وأنبع ذلك بخطاب النبي ﷺ أنه سراج

والسراج يقتبس منه السراج ، فالأنبياء يستضاء بهم وتعرف بأنوارهم المشكلات في دليبي ظلمات الجهالات كما يستضاء بالسراج في الطرقات ويقتبس من أنوارهم كما يقتبس من السراج سرج أخرى ، ولذلك نجد العلماء في كل أمة تابعين لأنبيائهم مقتبسين من أنوارهم مرشدين لأعدهم وليس الأب الجسمي كذلك ، إن الأب الجسمي يلد ابنا وولادة مادية ، والأنبياء يلدون ولادة نورية ، وهذا هو الذي يرشد له ذكر السراج في هذا المقام ، فالأنبياء يلدون بهذا المعنى وخلفاؤهم هم المقتبسون منهم وعليه فليس أحد أولى بالأنبياء عن اقتبسوا من أنوارهم والأقان نوحا قد كفر به ابنه وقال الله له - إنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح - فوجبت ولادة الأنبياء الى الاقتباس منهم وإلى الاهتداء بهديهم ، فمن اكتفى بالنسب الجسمي للأنبياء فهو ضال مضل كاذب على الله ، فإذا ادعى أحد اخواننا وأبناء أعمامنا الشرفاء أن النسب وحده يرفعهم عند الله فإن هذه الآية تكذبه والا فلماذا هذا التأكيد والتذكير ، فلاشرف لأمري إلا بالاقتباس من الأنوار العلمية ، ذلك هو الشرف الحقيقي في الدين - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

إن العرب في الجاهلية وأكثر الناس في هذه الحياة الدنيا شرقا وغربا لا يصدقون بعالم غير عالم الأجسام ولا يعترفون أن هناك أرواحا لطيفة تدبر أهل الأرض وتهديهم ، فانظروا كيف ذكر الله هنا انه هو يرحم المؤمنين ويرحمه عاقبة لهم ولغيرهم من حيث الحياة الجسمية ، فأما راحة الهداية فهي خاصة بهم ، فهكذا أرشدنا الى انه سبحانه لم يدع هذا العالم للأرواح شريفة تقوم بالتدبير والتعليم كما يرى أفلسنا على هذه الأرض تقوم بالأعمال الجسمية والعقلية ، إن جميع الأرواح لها عمل فلا شيء في الوجود مطلق ، وإذا كانت أرواحنا اليوم قائمة بتدبير هذه الأجساد فإن لها بعد الموت أعمالا تناسب مرتبتها في هذه الدنيا ، فالضالون هنا يضلون غيرهم إما بلها وإما قصدا قصد الشر والإيذاء ، وهكذا النفوس الطيبة هنا ترجع الى عالم الأرواح وهي في مركزها الذي خلقت فيه في الدنيا من حيث الإصلاح والتعليم بالألهام والتي قبلها بالوسوسة

وأهلك قول ومائنا ولهذا للبحث ، ان الآية فيها ذكر الملائكة وانهم يصلون على المؤمنين أي يستغفرون لهم ، فأى مناسبة لذلك ؟ أقول لك على رسلك . اعلم أن هذا القرآن نزل للناس بأمور غائبة عن العقول لا يصدقها الناس تصديقا حقا ولكنهم يؤمنون به إيمانا والایمان شيء واليقين شيء آخر ، ولقد ظهر اليوم في العالم الغربي هذا العلم . وقد ختم في هذا التفسيراني قلت لك ما ذكره العلامة (أوليفر لودج) القديس هو أشهر عالم طبيعي في أوروبا إذ قال : « انه أصبح موقنا بسبب تحضير الأرواح اتنا نعيش في عوالم من الأرواح نسبتا اليهم كنسبة النمل الينا من حيث الادراك والعقل ، وهم يهتمون بأمرنا ويسعون في مصالحنا ، وعلم الأرواح اليوم شاع وذاع بأوروبا ، وقد اتضح فيه أن أرواحنا بعد الموت صائرة الى نحو ذلك فهي إما ملهمة للخير أو ساعية للشر فكانتها ملحقة بعالم الملائكة وعالم الشياطين ، ونجد نظير هذا في تفسير الامام الرازي في سورة ابراهيم وسورة النازعات إذ قال في الثانية { إن الروح الانسانية هي التي تصير من المديرات أمرا } أي انها قد تلمعن بعالم الملائكة ، ولقد قسم المعلم الفيلسوف (الان كلارك) الأرواح الى طبقات ثلاث وهي الأرواح السفلية والعلوية والنبية ، وقال ان العلوية هي التي في مؤخر السرجات وللمادة متسلطة عليها ، فهي في الحياة محبة للشر والفساد ، وفي الموت ملقية للشر والعداوات بالوسوسة ، وقال في العلوية انها متسلطة على المادة ومحبة للخير ومنها الصالحة وهي تحب الإصلاح العالم وعمل البر والهام البشر أفسكرا صالحة ومطررها محدودة وأدبها أكثر من علمها ، ومنها الأرواح الحكيمة وهي ذات أخلاق حسنة ولكن علومها أوسع ومنها الأرواح الرفيعة وهي التي جمعت بين الكمال العلمي والأدبي ، وهذه لا تعلو تعليمها إلا لمن يطلب الحق بخلوص نية وقال في السفلية انها هي التي بلغت ذروة الكمال وتجردت من كل قص ولم يعد للمادة أدنى تأثير فيها فأصبحت ناطقة متنبهة به ، ولن ينجبها الانسان إلا اذا كان ذا فضيلة سامية وقلب مجرّد من كل أمر ذميم وهوس

أرضى ماذى ، واستتج العلماء من ذلك أنه ليس كل إلهام تأخذ به لأن معارف الأرواح المهمة ليست في درجة واحدة فكيف من إلهام ناقص يضّر العمل به اهـ

هذا ما يدور في محافل العالم الاوروي في اليوم ، فانظركيف يخبرانه أن الملائكة يصلون علينا أي لانخراجنا من الظلمات الى النور ، وانظركيف ترى أن علماء رجهم الله قالوا ﴿ ان هناك وسوسة والهاما من الملائكة ﴾ وكيف يقول الامام الرازي والغزالي ورجال اخوان الصفاء ﴿ إن ارواحا ملحقه بعد الموت بعالم الشياطين والملائكة إلهاما وسوسة ﴾ وكيف يقر ذلك نفسه العلامة (الان كردك) في أوروبا والمسلمون لا يعلمون انظركيف يظهر سر القرآن في أوروبا والمسلمون في الشرق يأمنون ، كيف يقول (كردك) المذكور « إن الأرواح البقية التي لم يبق لها مأرب في المادة تعاقب الله وهي بمقبطة ، يقولها هذا الافرنجى من علم الأرواح وهو لم يسمح قول الله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة * الى ربها ناظرة - فسير الله سبحانه عن قنطرة الروح من كل رجس بضارة الوجوه ، ومتى نصرت الوجوه نظرت الله فكأن ارواحا ترتقي من عالم الى عالم درجات وراء درجات وتتخطى في الجنان درجة بعد درجة حتى تصل الى أعلى الدرجات وتكون الى ربها ناظرة ، وفي أثناء مرورها على النيران تكون موسوسة شريرة ، وفي أثناء مرورها على الجنان تكون ملهمة للخير مملعة وقصدة الى أن ترى ربها ، ولا معنى لرؤية الله والنظر اليه إلا بزيادة الكشف المعبر عنه في الحديث بأننا نراه كما نرى القمر ليلة البدر ، فالعامة يظنونه نظرا بصريا والخاصة يرونه أرقى وأوسع من نظار البصر بل نظار البصر ضعيف مثيل ماذى ، أغلب المسلمون أولى بهذه العلوم و بحركة الأرواح حتى يدركوا سر هذه الآية

أما أنا فاقول : الحمد لله الذى جعل في قمعائنا من بحشوا ودققوا وذكرنا مثل هذا القول ، ولولا أنهم ذكروه كما قلته لك لم يتجاسر أحد أن ينقل عن أوروبا مثل هذا لئلا يمتد ذلك خروجا عن الدين ، والأمة اليوم في مبدأ نهضة جديدة ، فلن تقبل حديثا إلا اذا وصل بقدميها ثم تأتى أجيال يستقلون بالرائى ويكونون أوسع حرية إذ يرون الحق فيسيحوا والعلم منتشر . فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم

﴿ الفصل الرابع فى المطلق قبل المدخول وفيما يحسن لذى وَيَسْمَعُ من النساء . وفى بعض الأحكام المناسبة لذلك من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات - الى قوله - واتقن الله إن الله كان على كل شئ شهيدا - ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم لنؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) فجامعهوهن (فما لكم علق من عدة تفتنونها) تستوفون عددها . وليس تخصيص المؤمنات مخضا للمعكم بل هو عام وذكرهن لفائدة تخير النطق بالخصيص الحكم (فتمسوهن) أى اعطوهن ما يستمتعن به وقد تقدم ايضاحه فى ﴿سورة البقرة﴾ وذلك التمتع إما فرضا اذا لم يكن سعى لها مهر ولما طلب اذا كان سعى لها المهر فيكون التخصيص وجوبا والتمتع سنة (وسرتموهن) أخرجهن من منازلكم لأنهن ليس عليهن عدة (سراحا جبالا) من غير ضرر ولا منع حتى

﴿ لطيفة ﴾

اذا طلق الرجل امرأة قبل النكاح لا يقع الطلاق لظاهر الآية لأنه سبحانه قال - اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن - ولم يقل طلقتم ثم نكحتم ، فلو تلق الطلاق قبل النكاح عليه سواء أكن لامرأة معينة أم لكل امرأة فان الطلاق لا يقع ، وهذا رأى الأكثرين كابن عباس وطى وجابر ومعاذ وعائشة والسافى ، وقال ابن مسعود وأصحاب الرأى والنخعي يقع الطلاق ، وقيل مالك وربيعة الأزواجى « إن عين امرأة

ثم قال تعالى (يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن لأن المهر أجور على البضع وليس التقييد بابتاء المهر مجعلا إلا لإيثار الأفضل والأفضل ليس متوقفا على ذلك التجهيل كما لا يتقيد إحلال المأوكاة بكونها مسيبة في قوله (وما ملكك يمينك بما آفاه الله عليك) من السبي مثل صفية وجويرية وإنما كان التقييد بذلك لأن للشرقة لا يعرف بدء أمرها وما جرى عليها وقوله (وبنات عمك وبناات عماتك) وبناات خالك وبناات خالاتك اللاتي هاجرن معك) للمعية هنا ليست للقران بل لوجودها لحسب كقوله تعالى حكاية عن بلقيس - وأسألت مع سليمان لله رب العالمين - فيحل له ويعطى بنات العم والعمة من بني عبد المطلب وبنات الخال والخالة من بني عبد مناف بن زهرة بشرط أن يكن هاجرن من مكة إلى المدينة والتقييد بالمجربة إما للحل وإما للأفضل ويؤيد الأول قول أم هانئ بنت أبي طالب رحمها الله دخلني رسول الله ﷺ فاعتلرت إليه ففترني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهجر معه ثم عطف على ما سبق قوله (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) يقول الله أمهناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرًا كأم شريك بنت جابر العاصرية أو ميمونة بنت الحارث أوزيب بنت خزيمه الأنصارية أو خولة بنت حكيم وذلك مشروط بأن يريد النبي نكاحها فان لم يقبله فلا تحل - وقوله - خالصة لك - أي بلامهر وهي حال من الضمير في وهبت. وقوله - لك من دون المؤمنين - أي انه يجب المهر على غيرك وان لم يسره أوقاه

(حكم من تهب نفسها)

إذا وهبت امرأة نفسها للنبي ﷺ فالأمر بظهوره أنه يتعقد نكاحا بلا ولي ولا شهود ولا مهر لقوله تعالى - خالصة لك - وإيضاه الزيادة على الأربع ويجب عليه تخيير النساء وحده. وقال بعض العلماء بل لا يتعقد له إلا بلفظ النكاح أو التزويج كما في حق سائر الأمة لأنه عبر بلفظ الاستنكاح فالاختصاص إنما هو في ترك المهر فأما من وهبت نفسها لغيره ﷺ فإنه لا يتعقد نكاحها بل لابد من لفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد ابن المسبب والزهري وربيعة ومالك والشافعي. وقال النخعي وأهل الكوفة يتعقد بلفظ التحليل واجبة وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي من شرائط العقد وجوب القسم والمهر بالويلد إذا لم يسم (وما ملكك إيمانهم) أي ما أوجبنا من الأحكام في ملكهم. وهذه الجملة معترضة بين قوله تعالى - خالصة لك من دون المؤمنين - وقوله (لكي لا يكون عليك حرج) أي أحلنا لك أزواجك وما ملكك يمينك والموهوبة واختصاصك بذلك لكيلا يكون عليك ضيق والجملة الاعتراضية قيد أن ذلك ليس للتوسيع عليه وحده والتضييق على المسلمين بل هناك معان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى وسترى إيضاحه في (رسالة تعدد الزوجات) للملحة بهذه السورة. وقوله (وكان الله غفورا) أي لما يسر التحرز منه (رحما) بالتوسعة في مطلق الحرج (ترجي من تشاء منهم) أي تؤخرها وتتركها مضاجعتها (وتؤوي اليك من تشاء) وقسم اليك وقضاجها (ومن ابتغيت) طلبت (من عزلت فلا جناح عليك) أي ومن دعت إلى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالأرجاء فلا ضيق عليك في ذلك (ذلك) التفويض إلى مشيئتك (أدنى أن تقرأ أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن كاهنن) أي أقرب إلى قرعة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنهن إذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمانت فوسعن وذهب التغاير وحصل الرضا وقررت العيون (وأنه يعلم ما في قلوبكم) وهذا وعيد لمن لم يرض منهم بما دبر الله في ذلك (وكان الله عليا) بما في القلوب (حليا) لا يعاجل بالقوبة فعلى الناس أن يحذروه روى عن أبي زرقي قال رحمهم الله لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن قتلن يابن الله أجعل لنا من مالك

وقصك ماثلت ودعنا على حالنا فأرجأ منهم خسا وأزى إليه أربعا انتهى باختصار وسنوضحه في رسالة
 (تعدد الزوجات) الآية . وكذا ما بعده مفصل هناك وهو قوله تعالى (لا يجعل لك النساء من بعد) من بعد
 التسع (ولأن تبدلهن من أزواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى (ولو أعجبك حسنهن) حسن
 الأزواج المستبدلة وهي أسماء بنت عيسى امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد ﷺ أن يخطبها
 فنهى عن ذلك (إلا ما ملكت يمينك) وقد ملك بعد هؤلاء امرأة القبطية (وكان الله على كل شيء رقيباً)
 أي حافظاً وهذا يدل على جواز النظر إلى من يريد الإنسان نكاحها به قال رسول الله ﷺ « إذا خطب
 أحدكم للمرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليغل » أخرجه أبو داود . وعن المنيرة بن
 شعبة قال « خطبت امرأة فقال لي النبي ﷺ هل نظرت إليها ؟ قلت لا . قال انظريها فإنه أسرى أن
 يؤرم يمينك »

هذا وقد تقدم حديث أنس بن مالك . وقوله في الحديث ما ملخصه « ان القوم طعموا في وليمة زينب
 بنت جحش وخرج قوم وبنى آخرون . فخرج النبي ﷺ وخرج معه أنس حتى جاء حجرة عائشة ورجع
 فإذا هم جلوس فرجع حتى بلغ حجرة عائشة وظن أنهم خرجوا فرجع معه أنس فإذا هم قد خرجوا
 فغضب النبي ﷺ بينه وبين أنس بالستر وأزلى العجب وسمع أنس النبي ﷺ يقول (يا أيها الذين آمنوا
 لا تصالحوا يوت النبي ﷺ إلا أن يؤذن لكم) أي لا وقت أن يؤذن لكم (إلى طعام) متعلق بيؤذن حال كونكم
 (غير تائرين إياه) أي غير منتظرين نضجه وقت ادراكه (ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فاقشروا)
 ترقهوا ولا تمكثوا والآية لأولئك الذين يغيثون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين
 لادراكه فنهى لهم ولا تمكثوا ولولا ذلك منع من يدخل بيته بالاذن لغير الطعام ومن يمكث بعد الطعام لمهم ولا
 قائل به فافهم (ولا تمكثوا) (مستأنسين لحديث) لحديث بضعكم بعضاً وألحديث أهل البيت بالتسرع له
 (إن ذلكم) البت (كان يؤذي النبي) لتضييق اللز على (فيستحي منكم) من إخراجكم (والله لا يسخي
 من الحق) يعني أن إخراجكم حتى فيضي لو لم يترك حياة كما لم يتركه الله ترك الحي فأمركم بالخروج (وإذا
 سألوهن متاعاً) شيئاً ينتفع به (فاسألوهن) للتعاضد (من وراء حجاب) ستر * روى أن عمر رضى الله عنه
 قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فزلت هذه الآية (ذلكم أظهر
 لقلوبكم وقلوبهم) من الحواطر الشيطانية (وما كان لكم) وما صح لكم (أن تؤذوا رسول الله) أي تفعلوا
 معه ما يكرهه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) من بعده وافته أو فراقه وخص التي لم يدخل بها لما
 روى أن أشت بن قيس تزوج المستينة في أيام عمر رضى الله عنه فهم يرجعها فأخبر بأنه ﷺ فرفضها قبل
 أن يمسا فتركه من غير نكاح (إن ذلكم) أي لإيذاءه ونكاح أزواجه (كان عند الله عظيماً) ذنباً عظيماً
 بالغ في الوعيد لحرمته ﷺ فقال (إن تبخلوا شيئاً) كنكحهن على أنفسكم (وأخفوه) في صدوركم
 (فإن الله كان بكل شيء عليماً) فيعلم ذلك فيجازيكم به (لأجنح عليهم في آياتهم ولا أبنتهم ولا أخواتهن
 ولا أبناء أخواتهن ولا أبناء أخواتهن ولا نساكنهن) يعني النساء المؤمنات (ولما ملكت أيمانهم) من العبيد
 والاماء أو من الاماء خاصة . انظره في (سورة النور) (واتقن الله) فيما أمرت به (إن الله كان على كل شيء
 شهيداً) لا يخفى عليه خافية * روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أؤنكلمهن
 من وراء حجاب فزلت ولم يذكر الم والمحال لأنهما بمنزلة الوالدين . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس في وجوب تعظيمه ﷺ ومن تعظيمه أن يصلي عليه ، وأن لا يؤذى في أمه ، وضرب مثل بالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وذكر التكليف التي لم يكف بها أحد إلا الإنسان لشهوته وغضبه ونوازهه الكثيرة وهي الأمانة ، وهو من قوله تعالى - إن الله وملائكته يصلون على النبي - إلى آخر السورة ﴾

اعلم أن العالم للمشاهدة منتظم ، فالأعلى يسبح النعمة على الأدنى ، والأدنى مطيع للأعلى . ومثال ذلك الملوك والوزراء والأمرء ومن دونهم . فكل من هؤلاء يستمد الأمر من هو فوقه ثم يصل الأمر إلى الزارع والتاجر والعامل . فهؤلاء جميعا يصلون ملائكة عليهم ويعيشون في أمن بتدبيرهم . فالأمرء يقتلون أجورهم من الرعية والرعية محفوفة بتدبيرهم . فالأمة كالجسم . فالعين تستحسن أظهار الرية فيساعدان قسم والساق على النقلة إلى هناك في الحقول والبساتين . فالعين والرجل تشاركنا في العمل . هكذا الأمة عليها وساطتها مشاركون وإن كانوا لا يصلون بل الأم كلها فوق الأرض مشركة ولكن أكثر الناس لا يصلون إذا عرفت هذا في العالم للمشاهدة فانظر إلى ما نحن فيه وتأمل . ألم تقرأ في سورة إن الله يصل علينا وملائكته . أليس معنى ذلك أنه سبحانه يرسلنا وملائكته يستفرون لنا . وروح الله العاتية تشمل البهائم والكافر . وإنما القصد رحة الهداية . فله يهدينا ورسوله فأما الملائكة فهم للمؤمنين بلا واسطة كالإلهامات التي يحس بها كل منا . وهذه الإلهامات لا بد لها من قانون ولا قانون إلا الدين والدين بوحى الوحي من الملائكة إلى الأنبياء . فإذا قال الله أنه يرسلنا وملائكته وساطة في إيصال رحة الهداية لنا فذلك يدخل فيه الأنبياء ، ألا ترى إلى قوله تعالى - ليخرجكم من الظلمات إلى النور - ثم يذكر النبي ﷺ كقوله لو ضوح المقام والأفق المخرج لنا من الظلمات إلى النور للمصريح بها غيرة في القرآن سوى الأنبياء فإذن الله وملائكته ورسوله يصلون علينا . قانون من الله والملائكة وسطاء والأنبياء مبلغون وهكذا العلماء بعدهم إلى أن يصل إلى جميع المسلمين كما قال تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط - . إذا علمت هذا فانظر في قوله تعالى هنا (إن الله وملائكته يصلون على النبي) كما صلوا عليك وصلى هو عليك أيضا وعلى من أتم عليه نعمة أن يشكرها وشكر النعمة أن ندعوه . فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وخير الناس النعمين الأنبياء ولعلك قال (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) لأنه صلى عليك أي أهلك بوحى الملائكة والعلو يوجب مغفرة الذنوب إذا عمل به وخرج الناس من ظلمة المادة إلى نور عالم الأرواح فتكون الصلاة على النبي ﷺ أي الصالحه شكر على نعمة العلم التي جاءت على يده . فإذا أضيف إلى ذلك اعتقاد المسلم وتسليمه لمجاها على لسانه من الشرائع كان قائما بالشكر خير قيام ولعلك قال (وسلموا تسليما) أي اتقوا لأوامره اعتقادا كما قال تعالى - قل لأسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى - أي التقرب لله . ولا جرم أن امتثال أمر الله في شريعته وصلاة المسلم على نبيه قيام بالشكر لأن ذلك هو المطلوب . إن مقصود الأنبياء رقي أهمهم باقتيادهم للأوامر والنواهي ، وبحوز الصلاة على غيره تبعاله وتكره استقلاله لأن الصلاة في العادة شعار الرسل كما لا يقال « محمد عز وجل » ثم وجوب الصلاة إما في العمرمرة أو في كل صلاة في التشهد الأخير أو كما ذكره الأول قول الأكثر والثاني قول الشافعي وأحدى الروايتين عن أحمد والثالث قول الطحاوي من الحنفية والحلي من الشافعية وهو ضعيف . والجمهور إن هذا المستحب . والواجب « اللهم صل على محمد » وما زاد سنة . والمعنى الآخر في السلام التحية أي حيوة بتحية الاسلام . يقول الله ادعوا له بالرحمة وحيوة تحية الاسلام أي قولوا ﴿ السلام عليك أيها النبي ﴾

إن الصلاة على النبي ﷺ والاعتقاد لأوامر الله والقسلم عليه ﷺ مما يرفع العبد درجات ، كيف لا وهو في حال الصلاة عليه قد ترك الغيبة ولا مستحب . وذكر قس طاهرة في عالم الكمال ، إن الصلاة

على النبي ﷺ عمل من الأعمال الجيدة له حسنات مذكورات مشهورات في الأحاديث ، إن السماء التي
 ﷻ بلجة التي هي معنى الصلاة يزيده رضة وهو ومن تبعه متواصلون في عالم الأرواح ، وكلما زاد رضة
 ازداد أتباعه علاقة الرابطة ، إن بين الأرواح عالها وسافلها لصلة متناسبة كالصلة بين الكواكب والشموس
 وبين جيع ماحولها ، ان تذكر الأنبياء والسلام على الصالحين وعلى آل الأنبياء كل ذلك تذكرة لعلاقة النفوس
 الطاهرة بعد الموت في العالم الروحي ليؤهل نفوسنا الى المقام معها هناك حتى لا نستوحش النفس عند مفارقة
 الدنيا ، إن كل هذا يطلب به الاستيعاش من هذه المادة والافتقار بعالم الأرواح ، يقول المسلم (السلام
 عليك أيها النبي) ثم يسلم على نفسه وعلى الصالحين من جميع الأمم ويسلم على نبينا ويدكر ابراهيم وأمثال ذلك ،
 كل هذا ليأنس بتلك الأرواح ، إن عالم الأرواح عالم الحياة كما أن عالم المادة عالم للموت وتلك بنعم المسلم الصلاة
 فيستعيد من عذاب القبر وعذاب النار وقتة الحياة وقتة للمات وقتة السجائين والكاذبين ، وهذه كلها من
 علائق الدنيا والمادة ، فأما عالم الأرواح فهو عالم الجلال والبهاء والكمال ، ولما كان اعظام النبي ﷺ يقضى
 بالأولى الا يؤذى أعقبه بقوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله) بأن يرتكبوا ما يكرهه من الكفر والمعاصي
 ومنهم من كسر رباعيته ، ومنهم من قال هو شاعر ومجنون (لنعم الله) أبصمهم من رحمة (في الدنيا والآخرة
 وأعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الايالم (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جنابة
 استحقوا بها (فقد احتسبوا مهنا وأنما مهينا) ظاهرا وذلك كما حصل في مسأله عائشة وكابذاه على رضى
 الله عنه ، وكما كان الزناة يمشون في طرق المدينة يبعوث النساء اذا برزن بالليل لتضاه حاجتهن ولم يكونوا
 ليعرفوا الحرة من الأمة . وذلك زل قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
 عليهن من جلابيبهن) جمع جلابب وهي اللادة التي تشتمل بها المرأة فوق الفرج والتجمل أو هي كل ما يستتر به
 من كسائه وغيره ، قال ابن عباس « أمر نساء المؤمنين أن يطينن رؤسهن وجوههن بالجلابيب إلا عينا
 واحدة ليعلم الناس أنهم حواجر » وذلك قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى لا يتعرض لمن
 أحد (وكان الله غفورا) لما سبق (رحما) بعباده إذ يراعى مصالحهم في الجزئيات كما في الكليات (لئن لم
 يفته المنافقون) هن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) ضعف إيمان (والمرجعون في المدينة) يرجعون
 أخبار السوء مثلا اذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يرجعون في الناس انهم قتلا أو هزما أو يقولون قد
 أناكم العدو ونحو ذلك (لنفرينك بهم) لنحرسنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا)
 أى إلا زمانا قليلا حال كونهم (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) سن الله ذلك (سنة الله في الذين
 خافوا من قبل) من الأمم الماضية وهوان يقتل الذين ناقضوا الأنبياء وأرجفوا أينما ثقفوا (ولن نجد لسنة الله
 تبديلا) يسألك الناس عن الساعة) فتنتا (قل إنما علمها عند الله) لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا (وما يدريك
 لصل الساعة تكون قريبا) شيئا قريبا (إن الله لمن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد
 (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم في النار)
 تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى على النار (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) في الدنيا (وقالوا
 ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) وهم رؤس الكفر الذين زينوه لهم (فأضلونا السبيلا) أى عن سبيل الهدى
 (ربنا آتهم) أى السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) أى ضعف عذاب غيرهم (والنعم لنا كبيرا) لنا
 متابعنا (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فطهره الله مما قالوه فيه (وكان
 عند الله وجيها) كرماء ذاباه وقدر . أوحظيا عنده لا يسأل شيئا إلا أعطاه فهو مستجاب الدعوة . فقد اتهمه
 قوم بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فأتى هناك فخلته للملائكة ومروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول
 أرواحه الله فقال لهم ذلك . وأيضا قد مر في (سورة الشعراء) أن قارون حفر بغيرا على نفسه بنفسه فقصه الله

من كذبها . أوقفوه بيب في بئح كبرص أو أدرة وكان كثيرا المسترحاء فأطلعهم الله عليه فبرأه الله بما قالوا
وقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في ارتكاب ما يكره فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا)
صوابا عدلا صدقا (صلح لكم أعمالكم) يتقبل حسناتكم (وغير ذلك ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد
فاز فوزا عظيما) أي غفر بالغفر العظيم * جامع رواية البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال « لما كان يوم
حين أقر رسول الله ﷺ ناسا في القسمة كالأقرع بن حابس مائة من الإبل ومثله عينة بن حنن وأعطى
ناسا من أشراف العرب وأكرمهم في القسمة فقال رجل والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله
فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ تغير وجهه كأنه الصرف بكسر الصاد وهو صيغ أحر يصيغ به الادم ، ثم قال
فمن يمدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ثم قال يرحم الله أبا موسى قداؤذي بأكثر من هذا فصر ، انتهى ملخصا
ثم قال تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) خفن منها
(وجعلنا الإنسان إماما) كان ظلما جهولا (اعلم أن المفسرين (أربعين مشهورين) في هذه الآية (أولها)
إن الله خلق في هذه الأجرام فهما وقال أحملن هذه الأمانة بما فيها وذلك انكسر ان أسكن جوزيت
وان عصيان عوقب قلن يلرب نحن مسخرات لأمرك لا نريد نوبا ولا عقابا ، وتلك الأمانة هي الوفاء بالعهود
والودائع وجميع ما حمله المكلف من التكليف القوية والفعلية وهذا القول يناسب قوما (الرأي الثاني) ان
هذا القول من الجواز المركب ، يقول الله ان هذه السموات والأرض والأنهار والجبال والبواب والنبات كلها
وكنلك الملائكة ، كل هؤلاء مسخرون لأعمال على مقدار الاستعداد ، فالشمس والقمر والجبال والأنهار
والأرض كلها قائمات بما خلقت له لا تحيد عنه شرة - ان كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن
عبدا - والبهائم ليس عندها من العقل ما به يصح التكليف ، فهذه الخلقات كلها تأتي بطبيعتها أن تكلف
بعمل ما وأما جعلها يكون على حسب جبلتها ، والجبال والفرار غير عاصية فان التحل والنحل والعسل والعنكبوت
والطيور كل جماعة من هذه قائمات بأعمالها لا تخل في النظم كآثر في مستنات النحل وفي نسيج العنكبوت
وفي رية الطيور لأفراخها ، وفي أن كل طائر إذا خرج من البيضة اتبع أمه وسار معها كأنه تعلم ذلك قبل خلقه
وهكذا تسير الكواكب كلها وكذلك الأرض لا اختلاف لسيورها ولا اختلاف لنظامها فليس شيء من ذلك كالإنسان
بل - الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره - ويخرج من بطن أمه ضعيفا ثم يتعلم شيئا فشيئا حتى يبلغ
أشدّه وله اختيار في الأعمال يتصرف بعقله في الأمور ولذلك تختلف أفراده اختلافا كثيرا لتوقع تعاليمهم
وقدرهم وتهذيبهم وأخلاقهم واجتهادهم وأما كلفناه لأنه ابتلى بقوى الغضب والشهوة اللذين هما صفتا البهائم
وهو به - قله يرقى عنها إلى ذروة الكمال ، فالشهوة والغضب يصرفانه في أمور كبيرة ، ويرفعانه في الفجور
والكبرياء وغيرهما وتنزعه الأهواء ، فاذن كلفناه بالنسائل لأنه كان ظلما بأشياء الشبهات وفنون الغضب
التي تقذف به في المهوى ، جهولا بما يجب عليه ، فهذه الأمانة وهي التكليف والأمانات والودائع كالطوائف
الحس والأعضاء والمواهب كلها جعلها الإنسان لحاجت إليها في ردع ظلمه وجهله ، وتكون نتيجة ذلك أمرين
تعذيب المايقين والكافرين والمنافقات والكافرات لأنهم لم يقوموا بحمل الأمانة حتى القيام وثابتة الله المؤمنين
والمؤمنات وأن يتوب عليهم وهذا قوله تعالى (وبتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما)
حيث عفا عن فرطاتهم وأثاب على طاعتهم . وهما (سبع لطائف)

(اللطيفة الأولى) في سر تعدد الأزواج وتعدد أزواج النبي ﷺ وهي رسالة ألها المؤلف وطبعته

١٣٣٣ هجرية الرد على قوم اعترضوا على الاسلام

(اللطيفة الثانية) في قوله - وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء علما -

(اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله اذ كثرنا ونبهوه بكرة وأصيلا -

(الطيفة الرابعة) في قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا -

(الطيفة الخامسة) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم -

(الطيفة السادسة) في ملخص السورة كلها وفيما قبلها وما بعدها

(الطيفة السابعة) في معنى - وحلها الإنسان -

(الطيفة الأولى في سر تعدد الأزواج في الإسلام ، وتعدد أزواج النبي ﷺ) وهي رسالة ألفها المؤلف الرد على قوم اعترضوا على الإسلام في هذا المقام ، وهذا نصها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الجلس الأول)

(محاورة دارت بيني وبين صديقي عمود أفندي طلعت أبو مسلم القاضي بالحاكم الأهلية)

(المدره) أيها الأستاذ . كثر القيل والقال في أمر تعدد أزواج النبي ﷺ ونحن معاشر المسلمين ولا سيما علماء القانون لا يزال بضنا في شك مرعب مما ذكر ويدكر في كل آن في المسألة ، ولقد تر بسنا قولك فلم نحس لك من خبر ، ولم نسمع لك من ركر ، فأقبل بضنا على بعض مسائلين متخافين بيننا قائلين : لولا أن الأمر صير عليه ليس له فيه مقنع ، وعقبة كأداء ليس فيه لها مطلع ، ما أغض الجفن على القضي ، ولا بقي في غطاء عن الأمر مع كثرة الطلب والالاح المتوالي عليه من الفرق المختلفة عزيز (الأستاذ) لم أذكر القول فيما مضى إلا لأعمال متراكمة ودروس مترادفة . يتخطاها سائمة . تبعها كلاله .

ولم أشأ أن أتق موقف الراد على فريق معين . أو قائل متهور . أو مدع يتبين جهله . فالتزم لقرينه منسوب والشئ يذكر بضده والمرء يتعنت مع فده . انما يستهذه المدة حتى تبين الحقيقة واضحة واضحة وتكون رسالي قائمة بنفسها . ولأقصى على أكثر ما يقول في الخواطر حتى يكون المواعظ مقدار الله . والجواب على مقدار السؤال (المدره) كيف تزوج النبي ﷺ تسعا وقد حرمت التزوية ما زاد على الأربع . وأنت خير بأن من صرن على القانون يحتج به الشك والريب اذا رأى أن المشرع قد اختص بما لم يصح لغيره ؟ وكيف يتزوج تسعا ويمنع غيره مما زاد على الأربع وسان الأنبياء تأتي ذلك . ألم ترأى ما حكى الله تعالى عن شعيب . وما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت - وههنا المخالفة واضحة ؟

اما معشر المتعلمين يستصمى علينا أن نفهم جوار مخالفة القانون ولو بحجة الخصوصية التي كثيرا ما سمعناها من شيوخنا وقرأناها في الكتب فبيننا ﷺ يفبه نحو خمس النوع الانساني وسيره قدرة للأمة (الأستاذ) لعل النبي ﷺ تزوج هؤلاء السيدات قبل تحريم ما راد على الأربع وهن عائشة وميمونة وصفية وحفصة وهند وزينب وجويرة ورملة وسودة

(المدره) ما منه أن يفضل معهن مثل ما أمر الحارث بن قيس قال سألت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اختر منهم أربعة . أخرجه أبو داود . وهلا فعل هو كما أمر فيلان بن سلمة التقي ؟ أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهم أربعة . أخرجه الترمذي * دروي أن نوفل بن معاوية أسلم وتخت خمس نسوة فقال عليه الصلاة والسلام أسلمك أربعة وطارق واحدة ، والنبي ﷺ كان عنده تسع فهو وسط بين ابن قيس وبين ابن سلمة . أفأ كان الأجدر أن يطارق خسا ويبيق أربعة ؟ (الأستاذ) قد أعددت ثلاث اجابات لك في كتبتين (١) شاهد مقع

(١) كلمة بضم الكاف وتشديد اللام لثوث في بعض النسخات

(المدره) مات أولها

(الاستاذ) لقد حرم الله عليه أن يتزوج غيرها وأن يستقبل بهن من أزواج ، فكان للسلم بكل من الأربعة غيرها بحيث يتزوج غيرها وطلقتها والرسول حرم عليه ذلك ، قال الله تعالى - لا يصل لك النساء من بعد ولأن تبدل بهن من أزواج ولو أحببك حسنهن إلا ماملكت يمينك - * قال البيضاوي لا يصل لك النساء بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يصل له نكاح أخرى ولا أن تبدل بهن من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى * وقال ابن عيسى * إن النبي ﷺ لما خبرهن فاخترن الله ورسوله شكرهن الله ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن ، فبين من أنه أن القانون قد اشتدت وطأته عليه فجعل لمن أن يأمن الطلاق والاستبدال وسواهن لا يأمن طلاقا ولا استبدالاً ، فكثرة العدد له تقابل الحصر والمنع ، وقلة العدد عند المسلمين مقرونة بالتوسعة استبدالاً وطلاقاً ، فلئن ضيق على المسلمين في الحكم فقد ضيق عليه في الكيف ، ولئن وسع عليه في الحكم فقد وسع عليهم في الكيف . فالسواة متعادلة ضيقاً وسعة

(المدره) لقد قال هذا القول قبلك أحد الكتاب ولم يكن لدينا واقعا موقع للماء من ذى الفضة الصادي فالقانون لم يزل كالقائم وهو عند الله والناس المحترم ، فليكن منهج المساواة أقرب من هذا وأدعى للمساواة فإنا قد أصبحنا في زمن لا نعرف فيه للمساواة معنى ولا نعد مثل هذا إلا لتسا لجواب من أي باب . نعم هذا فيه مساواة في الحقيقة ولكن يصبح القانون نوعين لا قانوناً واحد

(الاستاذ) لوطلي نساءه ﷺ لكان ذلك خلا في السياسة . وسوأ في التدبير ، وفريقا للكلمة ، وبخلاف الجاه على مستحقه ، والأيتام أحق الناس بالكياسة والفضل والسباحة . من ذا ترى أحق بالطلاق من نساءه ، أأعانة بنت أبي بكر . أم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، أم زينب ابنة جحش الأسعية ، أم أم سلمة بنت أبي أمية المخزومي ، أم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، أم صفية بنت حيي بن أخطب ، أم ميمونة بنت الحارث الحلالية ، أم سودة بنت زمعة بن الأسود ، أم جويرية بنت الحارث المصطلقية ؟ فوالله لأن طلق عائشة بنت أبي بكر رزئت القلوب ولكان ذلك أمراً إذا تكاد الأفئدة تنفطر منه وتشتق المرائر ، أتى يكون ذلك وأبو بكر رفيقه في الفار ، وداعى أهل الضلال والكفر للإسلام . وصاحبه الأول ، ومؤاميه بنفسه وماله ، لأن فعل ذلك لكان أسوء ميتة لنا ، ولكان الضرر بالأهمل ، من خلال أولى الألباب ، ولأن طلق حفصة بنت عمر بن الخطاب لكان ذلك تقلة سوداء في جبين الشرف . وسبة شقاء في وجه الأدب . وكفرانا للنسبين . وطغيانا على الصحابة الصادقين . فيلما من فضيحة يجعل لها وجه الزمان . ويسود لها الحدائق . وينسى لها جبين الفضيلة . ويتصر بها جنود الرذيلة . ويشمت لها جماعة الأعداء . ويترقب بها من المصلح شمل الأخلاء . أم ترى ماورد في السيرة الحلبية وشبهه في البخاري زيادة وحذف في مختلف الروايات . عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء إليه ليلا فدفق عليه بابه وتلاده قال عمر فخرجت إليه فقتل حدث أمر عظيم قتل ماذا ؟ أبايت غسان . لأننا كنا حدثنا أن غسان تمل الخليل لغزونا . فقال لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول . طلق رسول الله ﷺ نساءه . قتل خات حفصة وخسرت . كنت أعز هذا كائنا حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ودخلت على حفصة وهي تبكي . قتل أهلكك رسول الله ﷺ ؟ قالت لا أدري هو هذا معتزلاً في هذه المشربة . وفيه أنه استأذن على النبي ﷺ ثلاث مرث وفي كل منهن يجيبه السلام بقوله ذكرتك له فصمت . قال فلما كانت المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبراً . فإذا السلام يدعوني . فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فاذا هو مكتئب على رمل حبيب قد أثر في جنبه ﷺ . قتل أطلعت يارسل الله نساءك . قال

فرفع رأسه إلى وقال لا . فقلت الله أكبر (الحديث مطولا) وفيه قال عمر قتل أستاذي يارسل الله . قال نعم جلست . وقلت يارسل الله قد أتر في جنك رمل هذا الحيد وقرس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبون الله فاستوى عليه السلام جالسا وقال : أفي شك أنت يا ابن الخطاب . أولئك قد جعلت لهم طياتهم في الحياة الدنيا فقلت : استغفر الله يارسل الله (ولقد اقتطفنا من الحديث ما يليق بالقام) فانظر كيف كان عمر وصاحبه يظنان أن طلاق نساءه أشد من غزوة الأعداء وحاول البلاء . ثم يفرق ويدهش ويستأذن . ثم يرد وهو يرجس في نفسه خيفة وكأنه ظن أن غضب الله ولعنته ، وجهنم وخزنتها ، والزابية وسلطانها ، تحيط به وبابنته لوطلقها النبي . وروى أنه كانت جفوة بين حفصة والنبي صلى الله عليه وسلم فبلغ أباهما عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقها خشا القرب على رأسه وقال ما يبغ الله بامرأته بعد ما . فقل لجبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من القدر وقال : ان الله يأمرك أن تراجع حفصة رجعة لعمر . أي تصلحها . وقال عمر بن ياسر رضي الله عنه أراد النبي أن يطلقها فقال لجبريل عليه السلام إنما صوامع قوامه وإنها زوجتك في الجنة . فهل ترى بعد هذا طلاق عائشة أم حفصة فقال أما هاتان فطلاقهما فتنه وعنة ومفسدة أي مفسدة

(الأستاذ) فهل ترى طلاق أم سلمة للسماة هذا زوج أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي برة بنت عبد المطلب وكان زوجها أخاه من الرضاع مات أبو سلمة ومعهما أربع بنات برة وسلمة وعمرة ودرة فأما النبي صلى الله عليه وسلم إليه وتزوجها بعد أن اعتذرت إليه وقالت أتى امرأة مسنة ، وأتى أم أيتام ، وأتى شديدة الغيرة ، فأجابها على لسان رسوله بقوله : الأيتام أضربهم إلى وأدعوها أن يذهب عن قلبك الغيرة ولم يعبأ بالسن بل كانت تلك المزهلات والعقبات من أقوى الدواعي للإسراع في طلبها عطفًا عليها ، ورجة يئنانها ، وصلة لرحمها ، ومعرفة بحق أخيه من الرضاع ، وأبواء لصفاره من بعده . أقره يطلق بعد ذلك ، ولو أنه فعل لكان أمرنا نكرا واستغناقا للأيتام ، واستخفافا بسنة الأرحام ، واحتقارا لشأن اللاجئات إليه اللائي يستصغرن معوته أم يطلق زينب ابنة جحش امرأة زيد الذي تبناه صلى الله عليه وسلم وتزوجها بعد طلاق زيد رمزا إلى ما يقع في بلاد المسلمين كل آن من بعده أذ يعطى الدين بمال النسب ، ويقضى القريب ، فيكون الخلل في السياسة والخلل في الرأية ، والاسلام وإن سوى بين الناس وجعلهم أخوة في أفعالهم الدينية والدنيوية فقد نظر من وجه آخر إلى الكياسة في السياسة . فلقد صدق للمولى ولقد يكذب نعم صدق زيد وصدق ابن زيد أسامة . نعم هؤلاء واضراهم كانوا من أجل الانتصار بل قواد الجيوش المدافعين عن حوزة الاسلام وبيضة بالقنا والسيف ، كل ذلك مسلم ولكن نظر النبي نظرا أدق وعلمه الله بالوحي ما جهله الملوك العباسيون كالعصم والترك فجعلوا الموالي أولى بالنسب ، وأحق بالكراسي ، وأجدر بحفظ السياسة ، والاستبداد بالرأية ، - خفي القول على أكثرهم فهم يعمهون . - فنظر ذلك كله النبي فأمره أن يتزوج زينب وأتت في يومها بغض زيد فلما شكازيد اقتنائه ، وجفوتها له ، وشتمها بأنفها خيلاء وكبرا إذ كانت من صميم قریش وهو مولاهم قال له أمسك عليك زوجك واتق الله ولامه الله على ما كنتم في نفسه من أنه أمر قبل ذلك وأخبر بأنه سيتزوجها فقال له - ونحني في نفسك ما الله مبدية ونحني الناس والله أحق أن نخشاه -

ذلك لأن يمدح بالأمر ولا يخلف في القلومة لأم فكيف ينجعل من تغيير ما ظهرت عواقبه الخيمة بعد ذلك واستبان ضرره ، فلقد كان للترك في دولة بني العباس من الفتك بالملوك ، وتسميل العيون ، وقطع الرقاب ما تشمر منه الجلود ولكم شددوا الرموس واستنزلوا قرابة النبي بعد عز من مراتبهم بشهوة عرضت ، ونجمة بدت ، وضغينة كاذبة يبتدعونها ، وأغراض ذميمة يقعونها ، ولآلئهم يقرفونها . وكذلك أولئك الجنود والمختلون والفرق لشناكون المسمون الانكشارية علموا أنهم من وشيجة غير الترك ومن عنصر لا يتصل معهم ولا يلتئم مانحدوا لتفقه ثم أتوا صفاء هلكوا الحرق والنسل في أنحاء الدولة وقد استلم الترك تلك المقارب والحيات كما

استقام العرب قبلهم لفلان المعتصم الذين تناسلوا وتكاثروا وأوفروا البوالة في حبس يصح فترقت شذر مذر ، ومنعت كل مرقى ، وأصبحوا أحاديث للام الحاضرة والفاخرة ، ذلك ما كان يرمز اليه زيف ابنة جهش ذلك هو السر المصون ، والجوهر المكنون ذلك أصل سياسة الله في الاسلام جهلها الناس ، ولأن علموا فاعتقد غشى على أعينهم الطمع ، وذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وهملنا قال للمرء لا تذاق أن أوان لا تصرف ، فلنعد غدا صابحا ، وإن موعدنا الصبح ، - ليس الصبح قريب -

﴿ المجلس الثاني ﴾

جاء الأستاذ والمدره وقال الأستاذ هاتمن أولاد فرغنا من الكلام على زيف ابنة جهش أم المؤمنين رضى الله عنها فنقول اليوم أرى أن يطلق أم حبيبة وهى رمة بنت أبي سفيان بن حوب ! وهى التى نبئت دين أمها هند وأبيها أبي سفيان خلل قرين زعيم القوم وكبير الشبهة أبي معاوية . هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جهش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وبها كانت تكفى فتصر زوجها هناك وثبتت هى على الاسلام فانظر كيف رزئت بهجر أبويها ثم بفراق أهلها وقومها وعاشت قوماسود الاوان يخالفونها في العقيدة وهم الحبشان ثم تنصر زوجها فهل بعد ذلك من محن نصب ولاحن وعذاب واصب . فإذا فعل النبي ﷺ ليكافئها أرسل عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي رجه الله ، فزوجه ﷺ إليها وأصدقها النجاشي من النبي ﷺ أربعمائة دينار وأقضى تولى عقد النكاح عثمان بن عفان وجهزها النجاشي من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فهل يكافئها بمثل هذا ويرفع عنها الضيم الذى توالى عليها بسبب الاسلام ويشرفها ويرفع رأسها بين قومها ثم بعد ذلك يفارقها . إن هذا لعار وأى عار ، بل اثم كبير ، وزلة لا يغفرها الله ، لا يرضاه المملوك النور ، فما بالك بمن هو القدوة الأعظم ، والسيد الاكرم . أم يطلق جوهرية بنت الحرث بن ضرار سيد بني المصطلق واسمها برة التى تزوجها ﷺ بعد أن أعتقها . ولما رأى المسلمون أمه ﷺ تزوج جوهرية قالوا في حق بني المصطلق أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم منهم قال في الامتناع ولما تزوجها ﷺ خرج الخبر الى الناس وقد اقساموا رجال بني المصطلق وملكوهم ، ووطئوا نساءهم ، فقالوا أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي فهل يطلقها بعد أن شرفت قومها بزواجه فرفضوا رؤوسهم بين القبائل . أفيجوز في شرعة الفضيلة أن ينكسوا رؤوسهم بين اللام صاغرين ، ويعيروا بالخلية والتعاسة خاسئين .

للمدره - هذه العذير التى ذكرتها اقناعية لا ترى من غفلة ولا تشفى من غفلة ولكنها تقوم حجة وقتية ، ويحتمل بها أواسط الناس ، فأما الاذكياء فأنهم يقولون وعندهم بعض قريب وقلق واضطراب .

(الأستاذ) - ولماذا .

للمدره - إن ملجاز أن يكون شأنه مع نسائه يجوز أن يكون مع سرات العرب واشرافهم فلقد ينتج كل بما يرضأ نساءه من المصائب ، وما يقتنه من الواجب ، وما يفتري احبابه والجباب : من تنكيس الرؤس ، وحاول البؤس . وذل النفوس . وشبهة الاعداء . وحزن الاخلاء .

(الأستاذ) - ليس شأن سرات العرب وصالحيتهم كشأن النبي ﷺ ، ولا وقائعهم كوقائمه . فالطامة ها كبرى وهى متوجهة للامة ونظامها كما أوتعت لك فيها مضى وكيف تنسى عمر ومأثنا من التراب على رأسه وهو ركن مهم في الاسلام . وكيف قال هو وصاحبه ان طلاق نسائه أشد من احتدام وطمس الحرب ، وضرب الحام ، وإهمال السيوف ، والقنا بقرع القنا ، وأمواج المنايا تتلاطم .

ثم قال الأستاذ فإذا كنت تفعل لو كنت مكان النبي ﷺ .

(المدره) - أنتج خطة الحلية بحيث أسقط القانون على الناس ثم لا أسس شرف هؤلاء السيدات بسوء .

(الاستاذ) وكيف ذلك .

(المدره) أملكهن زمام افهمن . وأخيرهن . فأكون قمعهن لنفسي العلى . وقطعت لسان العذل فلو قطعت احداهن نفسا لم يسود وجهها بما يقول الناس ان النبي أبغضها فبغضها وليس مقام النبوة بمسه سوء من فراق سيده لم يختره .

(الاستاذ) قد فعل النبي ذلك اذ قال الله له (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحنك سراما جيلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعدها لحسنات منكن أجرا عظيما) . فبدأ بعائنه فقال يا عائشة اني أعرض عليك أمرا أحب الاني في فيه حتى تستشيري أبويك قلت وما هو يا رسول الله ! فتلا عليها الآية قالت أفليك يا رسول الله أستشير أبوي . بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة . وأسألكم ألا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت . قال لآسألتني امرأة منهن ألا أخبرتها ان الله لم يعش معنا ولا متعنا . ولكن بعثى مسلما ومبشرا .

(المدره) هذا كلام حسن فإذا كان بعد ذلك .

(الاستاذ) اختاره نساءه كلهن . وحرم عليه استبدالهن وطلاقهن . كاتهم وسعين أمهات المؤمنين .

وأعطين هذه الميزة السامية في التاريج والامم جيلا بعد جيل الى يومنا هذا

(المدره) هل كان نساء النبي يقدرن هذا المجدفده . وهل يرين أن الجود والشرف والاسم والصيت فضلا عن المال الآخرة أرق وأرفع وأعز من المال والشهوات الحيوانية . وهل من حوادث تؤيد ذلك حتى تقول انهن كن يردن الله والعزة والشرف والآخرة وحتى تضرب الذكر صفحا عما فعله من انهن كن يطلبن منه النفقة وان ذلك كان من أسباب هجره لمن شهرا كاملا لغاضبهن لفسكان ذلك من أسباب نزول آية التخيير

(الاستاذ) نعم كن يقدرنه حتى قدره المزمع الأخذ حجة التي ماتت من الفرج لما علمت أن النبي ﷺ

تزوج بها ولما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن ياني الله اجعل لامن مالك وقسك ماشئت ودعنا

على حالنا . ألا ان النساء تقوسا كما الرجال : يعين الشرف كما يعينون ويسعين للحياة والذكر والأجر وهو

الهمة كايهمون . لقد برهنت النسا في كل زمان على ان فبهن من فضل الموت على العلى بل انهن أرق شعورا

، وأطقت أفئدة . وأشد قولا لموعظة . وأكثر تقديرا للفضيلة . وأوفى ضمائرا اذا صدقن العشير . فانظر كيف

قضت أخت حجة الكلبي نحبها لما فاجأها من خبر زواجها بالنبي فقل لي وعالك الله . أكان ذلك لمال والنبي

ﷺ كان ينام على حبير . ويأكل الشجير . ولا يالى بلطعام . ونساءه يطلبن منه النفقات . ويقلن له كل

يوم هات . أم لشهوة وعنده كثير من العقيلات الفريديات وهو قائد حبيب ومعلم تلميذ وقائم ليل . وصائم

نهار . وقاض بين خصوم . ومفرج هموم . فإذا يكون حظ النساء منه . كلا وانما ذلك الشرف والميزة الرفيعة

في الدين والدنيا فلا عجب اذا قالت سودة بنت زمعة ذهني حتى أموت تحت كنفك وقالت حي والباقيات لا تقبنا

بالفراق والطلاق رضيانا بالثبوت ورضينا بما تصنع معنا من ترك قسمة على اتنا أمهات المؤمنين واتنا لا تنسح

بعدك حتى نزل قوله تعالى (ترجي من نساء منهن وتؤوي اليك من نساء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح

عليك ذلك أدنى أن تراعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليا حليما)

قال البيضاوي ترجي من نساء منهن تؤخرها وتترك مضاجعها وتؤوي اليك من نساء وتضم اليك وتضاجعها

وهناك أقوال أخرى غير هذا لاجابة لما في موضوعنا وقال مخاطبا للمؤمنين (وما كان لكم أن تؤذوا رسول

الله ولا أن تنسكوا أزواجهن بعده أبدا) فكان له بعد ذلك على ما ارضين واشترطن معه أن يترك القسمة

لمن يشاء ويرضين منه بما يرضاه فكانت الآية على وفق ما اشترطن وعلى ما ارضين عليه لما نلن من شرف .

وما أحرزته من غفر . الى أبد العر .

المدره - لم حرم أزواجه على المسلمين من بعده . وهلا ألبح الله زواجهن أسوة بالناس .
 (الاستاذ) ان من الحكمة التي أودعت ذلك أن في التحريم سدا لباب الفتنة وحفظا للسياسة وتوحيداً
 للحكمة . فلأن إحداهن تزوجت برجل لتطاول للتدخل في السياسة وتفضل بأذى سبب ولأى وسيلة ماضته
 عائنة فقد أذاها اجتهداها الى محاربة على مطالبة بدم عثمان يوم الجبل ولاناقة لها في الخلافة ولاجل ولكنها
 رضى الله عنها أذاها اجتهداها الى التمسك من المنكر في نظرها واجتهادها . فلأن إحداهن تزوجت برجل
 لتطاول للرئاسة بحجة زوجية أم المؤمنين . ولكن له قدم صدق في الخلاف في مواطن السياسة . هذا فضلا
 عن اكرام النبي ﷺ وتعليمه فكان التحريم لحكمة بالغة وحجة نيرة وآية باهرة وبنية للباطل دافعة
 والحق جامعة . فهل بقي في صدرك أيها المدره سرج ؟ ألم يضر الله والتي وقد فضل مالا مطمع بعده في اعدار
 ولاجبت سبيل لعالم فطاسى وخربت لودهى فيختار . بل قطعت الأسباب . ولا ملجأ لعاقل بعد ذلك أن
 يبلغ من أى باب ؟

(المدره) لم يبق لى إلا باب واحد ألج . ومحجة واحدة أسلكها . فهلا اتخذ ذلك فرصة ونهى منهن جماعة
 لعبادة خاصة ولدراسة العلم والحكمة . واصطفى منهن أر بما ليكون جمعا للخصيتين مؤبدا للفرضين محبيا
 للسنتين . فلتروكات لدين والصدقات وذكر القرآن ومدارسته وفهم الأحاديث وحفظها على أن يقمن بهداية
 الخلق . وارشاد الناس الى الحق . والمصطفيات يكن على عدد الزوجات لسائر الناس ليكون ذلك قاطعا للآفة
 للمحدثين . وارشادا للضالين . وحجة في هذا الزمان

(الاستاذ) قد كان كل ذلك واختص النبي بأربع ولم يزد عليهن . وأبقى الباقيات يتذاكرن القرآن
 والحكمة . ففي النسق والخازن والسيرة الحلبية ما يفيد ذلك . قال في السيرة الحلبية مانصه ﴿ وقد كان أربعا
 النبي ﷺ من نساته خسا سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة . وأوى اليه أربعا عائشة وزينب
 وأم سلمة وحفصة . ألا تنجب لم اختار أربعا ولم يزد عليهن ؟ فأما في ذكرهن الحكمة واحترامهن وعبادتهن
 فاقرا مقال الله - وقرن في بيوتكن ولا تخرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن
 الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ واذكرن ما ينل في بيوتكن
 من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾ إن للمسلمين والسلمات والمؤمنين وللمؤمنات والقائتين
 والقائتات والصادقات والمصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات
 والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والفاكرين الله كثيرا والفاكرات أعد الله لهم مغفرة
 وأجرا عظيما . - أمرهن بالصلاة والزكاة وأن يعلمن الحكمة ويذكرنها عسى أن يعلمن الناس ويكون قدوة
 كما كانت أم سلمة وعائشة يعرفن كثيرا من الأحاديث وتروى عنهن . وكما كانت زينب بنت جحش صنم اليد
 ماهرة في الخرز وضع الخفاف فكانت بعده ﷺ تخرز وتدبج الجلود وتبيع وتتصدق بالتمن على الفقراء
 والمساكين فكانت قدوة . وبأيت بنات المسلمين يعلمن ذلك . ليتن يعلمن أن بعض الصناعات كانت مما قام
 به زوجات النبي ﷺ كما تفعل الأم للمدينة الآن في أوروبا والشرق واليابان

(المدره) محب . إذن كانت تلك مدرسة

(الاستاذ) نعم هما مدرستان فأول مؤسس لمدارس المسلمين والمعلمات في الاسلام النبي ﷺ . وهنا
 انقضى الاجتماع وانصرفا على أن يعودا من القد

﴿ المجلس الثالث ﴾

(الاستاذ) ذكرنا أمس أن أول مؤسس في الاسلام لمدرسة المسلمين والمعلمات النبي ﷺ وهذه مدرسة
 السيدات . أما مدرسة الرجال فهو المسجد والرجال هم الطلاب وهم أهل الصفة منهم أبو هريرة وصهيب وسلمان

وحمار وأستلهم ويقال لهم يلقون أربعمائة يأخذون الصدقات ويحفظون القرآن ويعلمون الدين عسى أن يكونوا معلمين كما كانت أمهات المؤمنين معلمات فيما بعد . فهل بقي بعد ما قُتِم قول لقائل : أليس في إبعاد تلك السيدات عنه بحجة أو مبررة بعد ما ذكر قسوة وشدة لأهل لها ؟ ألم يبين للشعب أن لا طمع له في الاختصاص ولو كان جائزا له فسواهم في الأربع وأرضى الباقيات أن يرجأن اختيارا منهن وقصرهن على العبادة والتعليم فالطلاق إذن طريق وعمر وسلك خبيث بل معرفة يأف منها العاقل والجاهل فضلا عن الصالح والعالم والنبي ﷺ لو أنه فاجأهن بالطلاق قسرا لكان ذلك أشبه بما صنع عمر من بعده إذ فاجأ جيلة بن الأيهم آخر ملوك الضانين بالنم وقال له نقتص منك لهذا الاعرابي الصلوك فلنكسر منك كما كسرت منه . ولم يتد عمر في ذلك ولم يقرب حتى يجد له مخرجا من عفو أو قبول أرض ولم يطاوله فقر (جيلة) ومعه ستون ألفا من رجاله إلى بلاد الروم فقتلهم . ذلك لصرامة عمر في القانون ولم يترص حتى تتيح له الفرص مخرجا . فما فعل النبي ﷺ لامفرته منه ولا يخص . فليس في الامكان أبعد مما كان (المدره) وأما لك . ثم وأما واما . لقد أتيت بالهجب . وتلست منك ما لم يكن ليخطر على بال . وإن في بيانك لسعرا . فما الجواب الثاني ؟

(الاستاذ) أما الجواب الثاني فقول : إن أولئك الفروهم غيلان ونوفل بن معاوية والحارث بن قيس أسلموا بعد نزول آية التحريم فيكونون قد اعتنقوا الدين بجميع نواحيه وأوامره . فتعديد الصدد واجب عليهم . فاما أولئك الذين أسلموا قبل التحريم وهم جوع وافرة وألوف مؤلفة ورييون كثير . فما قرأنا ولا روينا أن أحدا منهم قارب مازاد على الأربع . ولو كان ذلك لنقل اليها واتصل بنا . وأمر تعد الزوجات ليس يسير وإنما هو أمر اجتماعي يؤثر في أحوال الأمة ونظام الأسرات . بل لنظام الاجتماع ليس يصح إلا بعد نظام الأسرات . فلو أنه أمر بفراق مازاد على الأربع جيع من أسلموا قبل التحريم ما نحن عليه ولتعد القل وكثرت الشواهد والملائل وعليه يكون ﷺ واحدا من جم غفير من المسلمين أسلموا وعندهم جمع الكثرة من النساء ولم يطلوهن فليس يحل أن تكون تلك الألوف المؤلفة والجموع المختلفة والفرق المتفرقة المنتشرة في جزيرة العرب يمتنعون مما زاد على الأربعة قبل التحريم من القصاصين والزرايين ويختص بذلك أربع النهي وأولئك الثلاثة ويكون كل أولئك الذين أسلموا قبل زولها غير متجاوزين الأربع وفيهم السراة المقرون والشجعان الجاهليين والقروم القماقيم والسادة الصالحين وذوالبأس والشدة الذين هم أقدر الناس على التهورات وإسراز القليلات القاتنات فهذا كاف وحده لنح هذه الشبهة

ثم قال الاستاذ : أما الجواب الثالث فنضرب الذكر مضعا عما تقدم وكان الجوابين السابقين لم يكونا لاسيا أن الاجماع قائم على أن ذلك خاصية له ﷺ والاجماع حجة فيسقط الجواب الثاني بذلك وقول : انه مأمون دين لا لوقد أحاطت بالقائم به شكوك في لفظه أو فاضله أو نتائج . فانظر في سير الأنبياء السابقين واللاحقين تر أن لكل واحد منهم ولكل قائم بعمل من سائر الناس في أحواله وأعماله (وجهين) وجه يتلأ نورا وتسعين فيه الحقائق واضحة جلية وآخرة تنسك في الحقائق على طائفة من الناس ونسود وجوههم فيلج الشك في قلوبهم ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم . وهذا في المشاهدات معلوم . يرى الناس الأعرج على شواطئ البحار ذات ظل في الماء منعكس أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ولا حقيقة لهذا وإنما ظله مرسم على سطح الماء فيخيل للناس انه متدل إلى أسفل ويرون البار المتقدة من بعيد كبيرة وهي صغيرة ويرون الشبح فوق الجبل صغيرا وهو كبير . ويرون الزجاج المصدع أبيض ولا يباين وإنما هو ضوء الشمس أو غيره وتبين الحقائق عند التدقيق ومثل هذا في المسوع عن الأنبياء . ألا ترى إلى قصة الخضر عليه السلام إذ اقتلع لوحا من السفينة فلامه موسى عليه السلام . فلما أن تبينت الحقيقة أدرك أن - فوق كل ذي علم عليم - وأن الوجه الفني

ترى له أسود . وأن المقصد اغاة التاني بعيب السفينة لتلايا أخذها الملك غضبا
وما كان ذلك إلا لأخذ بطواهر الأمور ، وانعكس الحقائق في المرويات كما عكست في المراثيات . وفي
قصة داود وسليمان معتبر فقد كان لاولهما (٩٩) امرأة ولآخرهما المئات من الحور الحسنات - كأنهن الياقوت
والمرجان - مما ماج به قصره ، وزادته بين حجره ، وحكم سليمان ، ومزامير داود ، تحت أرجاء المعمورة ،
وأنت تعلم أن اليهود والنصارى والسلميين يصرون الأرض وهم نحو نصف النوع البشري نحو (سبعائة مليون)
يؤمنون بـداود وزبوره ومزاميره وترى اليهود والنصارى يتلون آيات الليل وأطراف النهار ، يتاجون ورجم
بكرة وحشيا ، متضرعين بما في المزامير من الآيات ، ولا يجدون في صدورهم ما يمجّد الناس اليوم بما توج به
بحر الأتقى ، وقواميس القول . وتقل به مراحل التعصب اليوم ليضع من النساء كن عند آخر لآنياء ^{ويعتقدون}
علمت الأتقى بفطرتها أن الهيايات واللبل لا تنصنع بمثل هذه التشبهات التي قديموزها الليل والبحث فلا
يعاؤون بمثل تلك الشكوك . إذ هو بما يبدو لبعض النفوس وجها أسود بلدى الرأي . ولو حقق الامر الاديب .
ودقق الارب . لوجدنا العالم كله ليس بخلا من الوجهين في ظواهر الأمر وعند التحقيق يتجلى لاهوج فيه
ولاشبه - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ولأضرب لك مثلا بالنس ترسل أشعتها النعنية فيكون
منها حياة الحيوان . وقوام النبات . واستفاد الطرق والمسالك . وجرى الأنهار بحرارتها . ومع ذلك لاتعلم
زاريا عليها . عاتيا لها . لوجها المسود في نظره لحكمة لم يفقهها . وآية لم يدركها . لهاجرة لمغته . أوج
سموم آذنه . أوضربة شمسية في رأسه أسمت . أوزيادة حرارة في عينه أعمته . لاستعداد في نفسه . وضعف
في جسمه . وخلة في المزاج

ومن يك ذا فم مرمرى * يجد مرابه الماء الزلالا
فلا عيب على الشمس الخفية . انما العيب على القوابل الرديئة . فيعنى إذا ذاك عن فضائلها . ويحكم
بالجورى للوهوم على الكلى والعموم . وقد دق ذلك الجزئى فلم يخط به علما فكان النظر جزئيا لا كليا .
بل وعما لاعقليا . فالآنياء والمصلحون كالشموس . وعالمهم كالأضواء والأنوار . والمالحدون أسابهم حروها
لضعف عقولهم وإدراكهم

ومن يتطلب جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له البحر صاحب
فلا ضرورة إذن لخاص من الجوابين السابقين لإردا لما يقال على ألسنة أولئك القترلين والافاقلة قلى كتاب
الله بين أيدينا ومآثنا ولهذا الاضاليل والسخافات . مضت الرسل وكانوا يتزوجون العدد الجيم من النساء
ولا اعتراض عليهم حسب شرائعهم وأزمانهم وأهمهم لا تعترض ولا تستخط . قتل الانسان بأجله . قتل الانسان
ما أظلمه . قتل الانسان ما أقل علمه . وما أنفس نفسه . يتكون ما بينهم . ويأتون بحيلهم ورجلهم
وصوفهم . ليحاربوا ديننا مستغرضة لاجهورية . وثانوية لأولية . اللهم ان عبادك في الأرض يسألون .
وأكثرهم فاسقون : يقيمون الشبهات في طهجة الدين . فوائده لا يريدون وجها . انما هو وجه الشيطان .
وخبث النفوس . وجه العامة . اللهم ان أكثر الناس ظالم كفار . اللهم انتا خلقنا في أم يسر سوادهم مع
الامواء . يساقون كإتاق الأنعام . ما يحجمهم الا المغالطات . كل يسى لى بطنه . وسد نهسته . وشهوة
فرجه . وسلخ جلود الام الضعيفة . وذبحها على اناب الأم القوية . فسلخ العلم أذ كى سلاح وأعضاء .
وهو طليعة جيش المدافع والسهم

(المدرج) قد جعلت الحقيقة . وتلا لأ نورها . ووضع الحق . واستبان السبيل واتى أريد الكلام على
تعهد الزوجات وجعلها أربما .

(الاستاذ) لها وقت آخر وانصرفا وهما فحانان مستبشران

(المجلس الرابع)

(المدره) قد اتفقتنا في الاجتماع الثالث أن نأخذ بطراف الاحاديث يفتنا في أمر تعداد الزواج المسلمين ولكن اليوم تبدلت لي شبهة فلا تقسمها بين يدي ذلك السؤال

(الاستاذ) أنا لأفهم أنت مؤمن أم كافر . فان كنت كافرا فلا شأن لي بمحك ، وان كنت مؤمنا فلندمع للقال . الا وان نبوته ثابتة عقلا لا ترى الى ما قاله كلريل المؤرخ الانجليزى في كتاب الشجاعة والشجيمان وكيف برهن كما برهن شرح العقائد النسفية بالنتائج والفحوات . قال كلريل : (رجل نبى بيتا حسن البنين . متين التركيب . قائم الجدران منتظم الاركان . ثم بقى البيت ألقا وماضى سنة لم يهضم منه ركن . ولم تسقط من أعلاه شرفة . وهو لا يزال يزاد جنة مهما تقدم عهده . وبعده أمده . فويل ينيدهمى في البناء - الباني محمد ﷺ والبيت الاسلام فذا ثبت له بكنبونه فاضرب بالشكوك عرض الحائط وهناك أدلة التجربة لجرب قوله في الحديث وفيما أنزل عليه من القرآن وانظر هل تكون النتيجة كما أخبر الدين أو ماذا تكون . فان صدقت النتائج فاقول حق - فذا قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله مع المحسنين) فاعمل بها وانظر النتائج - هذه أمور قد فرغ العلماء والكتاب منها ، وجربوها وصدقوها ، فكن على أكارهم . واقتد بهم . فزكفوزهم .

(المدره) أنا مؤمن ولكن أسألك ليطمان قلبى . ولأحاج الجاحدين

(الاستاذ) الجاحدون اذا لم يؤمنوا فلتترك الجدال معهم .

(المدره) حقا ولكن بعض الشبان يحار فيها لعموم المضلين . أذنب الاوربيين في بلادنا . اذ قد أتوا صفا . وقالوا لقد أطلع اليوم من استعمل

(الاستاذ) وغلامه - ماذا يقول أذنب الاوربيين .

(المدره) يقولون ان النبي ﷺ كان مغرما بشهوة النساء وقد استدلوا بحديث في طبقات ابن سعد انه جرى له بقدر فأكل منها فأعطى قوة أر بعين رجلا في الجماع وهذا الكتاب يسمى كتاب الطبقات الكبير تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي رحمه الله وطبع في مدينه تيلين بطبعة بريلى وهو خمسة عشر جزءا وصححه علماء ألمان يون بأمر من الجمعية الكبرى الأكاديمية الملكية البروسانية سنة ١٨٧٧ فيه ان المؤلف روى عن محمد بن عمر عن رجل يسمى موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال ان النبي ﷺ قال كنت من أقل الناس في الجماع حتى أنزل الله على (الكفت) تصغير الكفت فما أر يده من ساعة الا وجدته وهو قد روى فيها لحم . وفي رواية لقيني جبريل بقدر فأكلت منها فأعطيت الكفت قوة أر بعين في الجماع .

(الاستاذ) تبسم ضاحكا وقال : أهذا حديث النبى .

(المدره) فم . ضحك الاستاذ . ثم استهزأ بالقول وسخر . وقال أما أن تصدق ما في القرآن من آيات : ولما أن تصدق هذا الكلام : يقول الله (وانك لعل خلق عظيم) ويقول (وأرسلناك رجلا عالين) ثم يأتي أذنب أوروبا . وصغار العقول وذبان العلماء . يقولون انما جاء يعلم الناس قوة الجماع بأكل لحم في قدر وفي مثل العاصى اذا كان المتكلم سلاب العقل . فليسمع فؤاد يعقل . ونهى وارب . يميز الحق من الباطل . نبي يقول الله على لسانه (أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون) ثم يقال كان يعلم الناس علم الشهوات . هذا صلال معين .

(المدره) ماقلت مقول فذا تصنع في الحديث .

(الاستاذ) الحديث مزور مكذوب وقد أخطأ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير

(المدره) ان هذا الكتاب اجمع وأحسن كتاب في سيرة النبي وأصحابه والتابعين واذا لم تثق به فم تقى .

(الاستاذ) الحديث مكذوب موضوع

(المدره) غضب غضبا شديدا كيف تقول مكذوب ومبارهاك

(الاستاذ) تبسم ضاحكا هذا الحديث مروى عن حمى نصار بائع القول للمسلم امام باب الصايد بالازهر

(المدره) أخرج من الجد الى المزول

(الاستاذ) ما قتلتك حتى

(المدره) الحديث في طبقات ابن سعد وهو في القرن الثالث وهذا الرجل في أوائل هذا القرن الرابع عشر

فليس ما قول مقبولا

(الاستاذ) اسمع أيها الصديقي : اذا أثبت لك أنه مروى عن رجل يشابه في صنعه أراد أن يشتر

بيع الحرية (القمح المدقوق المطبوخ في القصور) كللمس فاذا قول ؟

(المدره) أقول : إن أذئاب الأروبيين جميعا قوم لاخلق لهم وانهم صعاك الأم يريدون بنا شرا

ولسنا نذم إلا الكذابين الضالين منهم . فأما حكاؤهم وعظماؤهم وأجلاؤهم فلم عندنا مقام عظيم

(الاستاذ) أظنني عهدا ؟

(المدره) قال نعم

(الاستاذ) - قال القليل : حدثنا معاذ بن المتى . حدثنا سعيد بن المولى . حدثنا محمد بن الحجاج عن

عبد الملك بن حمير عن ربي بن خراش عن معاذ بن جبل قال قلت لرسول الله : هل أوتيت من الجنة طعام

قال نعم : أوتيت به رية فأكلت فزادت في قوتي قوة أربعين وفي نكاحي نكاح أربعين . قال وكان معاذ

لا يصل طعاما إلا بدأ بالرية . قال القليل : هذا حديث وضعه محمد بن الحجاج اللخمي وكان صاحب رية

وغالب طرقه تحريه وسرقه منه كذا أبو ن . أليس يا صديقي هذا نصا على أن هذا الرجل هو المخترع وأخذه

كثير عنه بأسانيد اخرضوها وألقاها غيرها . أولم أكن صادقا في قولي لك أنه مثل حمى نصار بائع للموس

فهذا اشتهر للموس وذلك اشتهر في رية فكسب مالا عظيما بهذا الكذب . وذبان أروبا يتبعون ذلك

الفضش والحقارة والدناءة ليضحكوا على عقول الجهلاء . وقال ابن عدى : هذا الحديث روى عن سلام بن

سلطان عن نيشل ونيشل كذاب وسام متروك مرمى وأن أحدهما سرقه من محمد بن الحجاج وركبه اسنادا

وقال الأزدي : هذا الحديث روى من طريق إبراهيم بن محمد وإبراهيم هذا ساقط . فخرى أنه سرقه وركبه لاسنادا

(المدره) الآن قد اكتفيت فلك الشكر والثناء على ما أوفيت . إذ قد حصص الحق . واقتضت

غياب الشك - وقيل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا - واتى لأعجب كيف يكذبون على

رسول الله ﷺ

(الاستاذ) الموعد غدا في المجلس الخامس ان شاء الله تعالى

(المجلس الخامس)

(انتظم المجلس الخامس وتناجى الاستاذ والمدره)

(المدره) وعدت أيها الاستاذ أن تقيض في الكلام على الأحاديث الموضوعة وكيف تنسى لاسمى أن

يكذب على رسول الله ﷺ

(الاستاذ) لانعجب من قولي . فكف من عجب في هذا الانسان فلقد طنى وبنى وكذب قديما وحديثا

ولم يفر من شيء إلا أحاطه بشروعه وألبسه من أبواب زوره . ونسج بناكب جهاته على حقايقه . ولكم أثبت

في طيب أرض الحقائق من شوك قتاده وحسك عناده وعضاه اخلاقه فاذا رأيت الأمم الحاضرة والجرائد

السائة تختلق إفسا وتقرى إنما فهكذا كانت فرق من السابقين وعززون من الأولين يتقنون على النبي ﷺ لأغراض قصصونها وأكلم ببحر حوتها ومقاصد يؤمونها ومناصب يرتعونها وممالك يحكمونها وظلمات يقرنونها . ألم تر إلى ما روى عن عبد الله بن يزيد المقرئ قال :

(١) رجع رجل من أهل البع عن بدعته فجعل يقول : انظروا هذا الحديث عن تأخذه فاما كنا اذا تراءينا رأيا جعلناه حديثا

(٢) وعن ابن أبي ليثة قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول : ان هذه الأحاديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم . فانا كنا اذا هوينا أمرا صبرناه حديثا

(٣) وعن جابر بن سفيان قال : حدثني شيخ من الزاهقة قال : كنا اذا استحسننا شيئا جعلناه حديثا

(٤) وعن أبي أنس الحرثي قال : قال المختار رجيل من أصحاب الحديث . ضع لي حديثا عن النبي ﷺ انه كان يمد خليفته مطالبا بقره وله وهذه عشرة آلاف درهم وخمسة مئزرين ومركوب وخادم ، فقال له الرجل : أما عن النبي ﷺ فلا ، ولكن اختر من شئت من الصعابة وسطا من الثمن ماشئت (المدره) إن شئت أن توضح هذا الأخير فاني لفي حاجة اليه

(الاستاذ) ان المختار كان أميرا على الكوفة مطالبا بأهل الحسين رضي الله عنه ظاهرا طالبا للامانة باطنا * وفي المثل « أسر حسوا في ارتقاء » وفيه أيضا « بعلة الورشان يأكل وطب الشان » وفي المثل أيضا « فلان عز نبق لينباع » أي يترك ليثب . ولقد كان من خدعته انه يخلق إفسا ويتظاهر بخوارق العادات * وكان من حديثه انه يوما لما كان محاربا فقال لقومه ستفرون من العدو بذنوبكم ، فاذا كانت الهزيمة فستأني الملائكة في صورة الجرائم البيض دون السحاب فيها تنصرون ، ثم أعطى بعض خواصه تلك الجرائم البيض التي رباها ، فلما كان الغد وقعت الواقعة وانشقت جوعهم وكانت واحدة لكثرة العدو فاطلق أصحاب الجرائم البيض فاجتمعوا وأتوا صفا وغلبوا العدو ومن قوه شرعزق ، وكان من جهة احتياله ونصبشرا كه ورصد نفاقه ومبرم حبال اشراكه أن جعل تلك الصلابة في الحديث مالا وافرا وهاديا ثمينة توافق مراده وتوالت أن يقول انه خليفة بعد النبي ﷺ مطالبا بأهل الحسين (يعني سيدنا الحسين رضي الله عنه وأرضاه) فأبى الشيخ عليه ذلك حفظا للدين ورضاء لله عز وجل

(هـ) ومن الوضعاين قوم وضعوا الأحاديث في الترهيب والترهيب ليحشوا الناس بزعمهم على الخير ويترجمهم عن الشر ، ومضمون هذا أن الشريعة ناقصة وتحتاج الى تممة بزعمهم ، فمن عبد الله التهاوندي قال : قلت لفلان خليل هذه الأحاديث التي تحتج بها من الرقائق ، من أين أتيت بها ؟ فقال وضعناها لثرفي بها قلوب العامة * قال ابن الجوزي : فلام خليل كان يتزهد ويهجر الشهوات ويتقوت الباقلاء صرفا وغلقت أسواق بغداد يوم موته حسن له الشيطان هذا القتل القبيح * وسئل عبد الحبار بن داود النخعي فقال كان أطول الناس قياما ببليل وأكثرهم صياما بنهار وكان يضع الحديث وضعا . وكان أبو بشر أجد بن محمد الفقيه المروزي من أسلب أهل زمانه في السنة وأذهب عنها وأغفهم لمن خلفها وكان مع هذا يضع الحديث ويقبله وعن أبي عمار المروزي قال : قيل لأبي عصمة بن أبي مريم المروزي من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ، قال اني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بقره أبي حنيفة ومغازي ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة . وكان وهب بن حفص من الصالحين . مكث عشرين سنة لا يكلم أحدا . قال أبو عروبة كان يكتب كذا فاحشا . وعن يحيى بن سعيد القطان : مرأيت الكلب في أحد أكثر منه فيمن ينسب الى الخير . فاذا كان هذا حال الزاهدين والأتقياء فما بالك بالفجرة الأشرار

ومن الوضاعين قوم كانوا يتقربون للولاء والأمراء فكيف بن ابراهيم فانه حين دخل على المهدي وكان المهدي يحب الحمام فقيل له حدثت أمير المؤمنين فقال حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال : لا سبق إلا خف أوحافر أوجنح ، فأمره للمهدي يدره . فلما قام قال المهدي انه كذاب وأنا جئت على ذلك . ثم أمر بدمج الحمام ورفض ما كان فيه

ومن الوضاعين من كان يضع الحديث فيختم من يريد ان يذمه كما حكى عن سعد بن طريف أنه رأى ابنه يسى فقال مالك فقال ضربني للصل فقال أما والله لاحدثهم حديثي عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : معلوم صيانكم شر لكم . وقيل للمأمون بن احمد ألا ترى الى الشافعي وإلى من تبعه جفراسان فقال حدثنا احمد بن عبدالله بن معدان عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : يكون في أمي رجل يقال له محمد بن ادريس أضرم على أمي من ابليس . وقيل لمحمد بن عكاشة الكرماني : ان قوما يرفضون أيديهم في الركوع وبعد رفع الرأس من الركوع فقال أنبأ السيب بن واضح حدثنا عبدالله بن المبارك عن يونس عن يزيد عن الزهري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له .

(اقسام الوضاعين)

ان الوضاعين ثمانية اقسام:

- (١) الزنادقة قصدوا افساد الشريعة وإيقاع الشك في قلوب العباد والتلاعب بالدين كعبدالكريم بن أبي العوجاء قال ابن عدى لما أخذ ابن أبي العوجاء الى محمد بن سليمان بن عامر فأمر بضرب عنقه قال : والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث احل فيها الحرام واحرم فيها الحلال وعن جعفر بن سليمان قال سمعت المهدي يقول : عندي رجل من الزنادقة وضع أربعة مائة حديث فهي عجول في أيدي الناس
- (٢) قوم كانوا يقصدون بوضع الحديث نصرة مذهبهم كاتقدم عن عبدالله بن يزيد المقرئ .
- (٣) قوم وضعوا الترغيب والترهيب كاذباً لاجل ما يأتهم والمثال في ذلك ما روي عن ابن عدى حدثنا احمد بن حفص السعدي حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا خاقان السعدي حدثنا أبو مقاتل السمرقندي عن عبدالله بن مافع عن ابن عمر مرفوعاً من زار قبر أبيه أو أمه أو جده أو خاله أو أحد من أقربائه كانت له كعبة مبرورة ومن كان زائراً لم يزل يتردد عليه . قال ابن حبان ليس لهذا الحديث أصل وأبو مقاتل حفص بن سليم يأتي بالاشياء المنكرة . وقال ابن عدى حدثنا عبدالرحمن بن عبدالمؤمن حدثنا احمد بن صالح المديني حدثنا علي بن عباس الجعفي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : حسنوا أكناف موتاكم فانهم يتزاورون في قبورهم قال بعض العلماء هو موضوع وصححه آخرون من طريق قبره وقال عبد الوهاب بن المبارك الحافظ أنبأ شهر بن حوشب بن عبد العزيز الجبلي أنبأ أبو حمزة محمد بن همام حدثنا محمد بن سليم حدثنا ابراهيم بن هذبة عن أنس أن رسول الله ﷺ شيع جنازة فلما صلى عليها دعا بثوب فبسط على القبر وهو يقول : لا تطلعوا في القبر فانها أمانة فلعن وعسى تحمل العقد فيجلب له وجه أسود ولعله يحمل العقد فيرى فيه حية سوداء مطوية في عنقه فانها أمانة وعسى أن يقبله فيعود اليه دخان من تحتها فانها أمانة . هذا موضوع وأكثر رواه مجهولون وابراهيم بن هذبة كذاب وقال الخطيب أخبرني أبو الفرج الطاجيري أنبأ عبدالله بن عثمان الصفار أنبأ ابو محمد بن الحسن بن أبي الحسين بدر بن عبدالله مولى المعتز بالله حدثنا أبو القاسم انس بن محمد بن علي الطحان حدثنا محمد بن بشر الارطباتي حدثنا محمد بن معمر حدثنا جند بن حاد عن مسعر بن كدام عن عبدالله بن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : دفن البات من المكرمات . قال لا يصح وجيد يحدث عن الثقات بل لنا كبار وروى من طريق آخر وهو منكر قال الشيخ السيوطي سمعت شيخنا عبد الوهاب بن الانماطي الحافظ يخلف بالله عز وجل انه مقال رسول الله ﷺ

شيئا من هذا قط .

(٤) قوم استجازوا وضع الاسانيد لكل كلام حسن كما حكى عن محمد بن سعيد أنه قال : لا بأس اذا كان كلام حسن ان تضع له اسنادا

(٥) قوم كان يعرض لهم غرض فيضعون له الحديث كالتقرب للوك كما تقدم عن غياث والمهدي .

(٦) قوم وضعوا أحاديث قسدا للاغراب ليطالبوا ويسمع منهم قال أبو عبد الله الحاكم منهم إبراهيم بن اليسع وهو ابن أبي ضبة كان يبحث عن جعفر الصادق وهشام بن عروة فيركب حديث هذا على حديث ذاك تستغرب تلك الاحاديث بذلك الاسانيد .

(٧) قوم شق عليهم الحفظ أو رأوا أن الحفظ معروف فأتوا بما لا يعرف مما يحصل مقصودهم وهؤلاء منهم القصاصون الذين لا ربح لهم الا بالاحاديث للوضوعة .

(٨) الشحاذون وأغلبهم يحفظون الموضوع وروى القاسمي عن أبي حافظ البستي دخلت تاجردان مدينة بين رقة وحران ، فحضرت الجامع فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب فقال حدثنا أبو خليفة حدثنا الوليد حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : من قضى لسلم حاجة فعل الله به كذا وكذا فلما فرغ من دعائه قلت له رأيت أبا خليفة ؟ قال لا قلت له كيف تروى عنه ولم تره فقال ان المناقشة معنا من قلة المروءة انا أحفظ هذا الاسناد الواحد وكلما حفظت حديثا ضممت الى هذا الاسناد .

﴿ فصل ﴾

قال ابن الجوزي والوضاعون خلق كثير من كبارهم وهب بن وهب القاضي ومحمد بن السائب الكوفي ومحمد بن سعيد الشامى المصالب وأبو داود النخعي وإسحق بن نجيح الملقب وعباس بن إبراهيم النخعي والمغيرة بن شعبة الكوفي وأحمد بن عبد الله الجوبيري ومأمون بن أحمد المروزي ومحمد بن عكاشة الكرماني ومحمد بن القاسم الطائفي ومحمد بن زياد البشكري

وقال النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة ابن أبي يحيى بالمدية . والواقدي ببغداد . ومقاتل بن سليمان بخراسان . ومحمد بن سعيد المصالب بالشام . وقال الحافظ سهل بن البراء ثم وضع أحمد بن الجوبيري ومحمد بن عكاشة الكرماني ومحمد بن تميم الهاربي على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث

﴿ اعتراف الكذابين ﴾

قد أقدم جماعة من الكذابين على كذبهم وتصلوا من ذلك . عن ابن أبي شيبة قال كنت أطوف بالبيت ورجل ورائي يقول ﴿ اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ﴾ قلت يا هذا قنوطك أكثر من ذنبك فقال دعني فقلت له أخبرني فقال اني كذبت على رسول الله ﷺ خمسين حديثا فظننت في الناس وما أقدر أن أرد منها شيئا وقال ابن أبي عمير دخلت على شيخ وهو يبكي فقلت وما يبكيك قال وضعت أرملة حديث أدخلتها في الناس فلا أدري كيف أصنع فعند ذلك قال

(المدره) : كفى قد شربنا من هذا التهر حتى ارتوينا غسبنا ما علمنا .

﴿ الكلام على تعدد الزوجات بين المسلمين ﴾

واني أرجو أن يفيض الكلام على تعدد الزوجات عند المسلمين فليس على الاسلام والمسلمين أشد انتقادا ولا أمر مذموم ولا أعظم وقعا من هذه فهي التي أنشأت القادحين وأطمعتهم في هذا الدين فأوضح القول فيه بإضاحا والنفس في القول نهجا وسطا لازما ولا شططا بين ذلك متخذيا المساواة سبيلا وإن شئت فليكن الإيجاز أحسن تأويلا

(الاستاذ) لقد غصت المجالس بهذه الكلمة واستفاض بها الحديث من الشرقيين والغربيين ولن تجالس

إسراء من بنى التأمير أو السبع أو العلوة أو من اللان أو الطليان وكان من المغريرين بالسيئات المفاجئ بهذا الحديث ولقد والله عجبت لهذا الإنسان كيف يتعالى حتى يصل مستوى الفضيلة والشرف وينحط حتى يستزل عن دركات البهائم والدواب والحشرات . هذا الإنسان أبها العزير مخلوق غربت ترى الأوروبي علما بكثير من الشؤون طائرا في الجو جريا على الأرض بالصناعات عالما في البحر صاحب فيه عمله حتى إذا دخل في مجادلات الدين هالك أمره فأيقنت أن هذا الإنسان للسعي بالتمدين مقلد يستلنى كاستلنى الجنينة

عاب الإسلام بحساسة عمرانية من آلاف المسائل الصحيحة وبألت شرعى لو أنها كانت نعمة في الدين لم تقن فتياقي الاعتدال ولم تهم حجة على ضعفه ولم يكن تمثيل للاعتقاد وهنه فكيف وهى كاستوضع من مستزلمات الاجتماع ومقومات هذا النوع الانساني . التمدد للمعدل على ماسترى من اعمدة الدين القلبية ومن عقاير الامراض الاجتماعية المزمعة تعدل مزاج هذا النوع أيما تعديل ، وتقومه أحسن تقويم ، فزاج الانسان اليوم منحرف من الضرر واصابة الحى من قسطن الاخلاط وتراكم افراعه وتتابع الآله ومسألة اجتباؤه للترلى من هو صلات المسائل وكبرياتها فلا نقض في القول وتسمع وتبع ولأقدم للقيمة قبل ذلك فأقول:

(١) اعلم أن المقرر في الطبيعة ككله المعلوم في سائر الميول والممالك أن عدد الذكور في الميلاد يساوى عدد الاناث تقريبا كما أوضحنا في كتابنا (ابن الانسان) وعليها بنينا نظام الأم للقبلة ان صحت عزيمة الانسان وأراد التخلص من حطه والتخلص من شططه وخطيئته فلو أنك استصيت مواليدك أمة أمه والبلدان بلمة بلدت أيت هذه الجمعية الغريبة وهى المساوى بين الجنسين محكمة مطردة صادقة فلتقرأ مواليد بلدك أو أوى بلدة تجاورك أو أوى مملكة احسنت ذكورها واناثها بحمد التساوى تماما الا قليلا لخلل عرض ، وضرب مرض ، وأحوال استثنائية ، وأمور لجائية هذا هو القانون العلم وهذه اس بنينا عليها هذا الانسان من نظام طبيعى في اخلاق وسياسته وصناعاته وحكومته وكيفية لغت الحكومات وضلت السياسات واضمحلت الجماعات وكفهرت الاجواء واختلقت الانواء وتراثت الشبكات ونقضت المهورد والامانات كل ذلك لجهل الانسان بفطرته وزيفه عن جادته فأقرأ في كتاب «ابن الانسان» تر العجب العجيب عملا عمل قد كره هنا وانما نريد من ذلك ان هذا الانسان تساوت ذكر انه باناه فلم تتطلب أمة من أخرى نساءها اضطرارا ولم يكن من زلفطبيعة واحدة من هذا السبيل بل كل ذلك بمقدار فلم نسمع أن أمة من الأمم القديمة أو الحديثة مهاطل عليها القوم كانت مواليدها يوما ما جميعا انانا أو ذكورا بل العدل مستمردائم فهذه أول مقدمة .

(٢) المقدمة الثانية انى قرأت في احسن صحائف (اللورد كرومر) الذى كان عاملا لادنكليرى في مصر في صحيفته السنوية ان تعداد الزوجات بين المسلمين لا يزيد عن خمس في المائة ثم تقل عن آخر من السائحين من بعده فقال انهم لا يزيدون عن ثلاثة في المائة هذان هما الاصلان اللذان ابني عليهما النتائج الآتية . فاذا قرر هذان الاصلان قول . منذ ستين معدودة عنت أمة الانكليرى نساءهم فزاد مقدارهن خمس عشرة امرأة في كل القبرجل وامرأة فتكون من ههنا زادات آلاف ومن الآلاف مئات الآلاف وصاحوا وولولوا وندبوا حظه من الطبيعة وقسطهم من العدل وقالوا ان هذا الابواب أين نضعهن ومن يمولن وماذا نضع فيهن وزلزلت ارض نادى العموم زلزالها وأخرجت ارض الموموم أقالها وقال سادات الانجليز مالها فيومئذ حدثت الجرائد أخبارها أن عدد النساء ازداد وماقتى المدافع والجنود هذا ما كان من أمة الانكليرى في تعداد العالم ولعمرك ما من أمة الأصاها موت الاطفال في ساحات الوغى وفقد الرجال مما يقل تعداد رجالها عن نسلها وهذه الحرب المستعرة الآن شاهد عدل فكلم من نساء ايمت قد قطنن التصير واعزهن العشير قتلن الرجال وكثرت النساء وقد بلغنا عن التياشى خليفة المهدي السودانى انه ذبح الرجال واستعيا النساء فكنت ترى في القرية الواحدة بضعة شيوخ وأطفال وآلاف من النساء وقد صبح في الحديث عن سيد المرسل ﷺ اذ قال في اشرط الساعة :

﴿ وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يصحكون للخمسين امرأة القيم الواحد ﴾ عجب أمر النبوة بذكر أيام المسيح السجال وإن أول أيامها يساوى سنة وثانيها يساوى شهرا وثالثها يساوى اسبوعا الخ مشاكسة لحال السكر الأرضية حلو القنعة بالقنعة كما في رسالتنا على هلال رمضان فانظرها وهاتها تذكر أشرار الساعة ويذكر كراهة يكون للخمسين امرأة القيم الواحد مطابقا لحالنا الحاضرة في هذه الأيام السود إذ يقضي الرجال ويبقى النساء ولا عائل لمن ولقد علا صراخ الانكاذ وعويلهم من خمس عشرة امرأة زادت في كل ألف رجل وامرأة لعملة عارضة في النسل وطارئ من الضر على أرحام النساء وأصلاب الرجال ومنهجهن القرية وطرق الاغنية وماشا كل ذلك فما بالك بهذه الحروب الطاحنة والاضغان الظاهرة وقد جندل الأبطال وهم النكال واصطلم أعظم الأمم قوقأ شدحم بأسافي المراك والقتال فطامت تلك القباقيب الجمجج وبادت تلك الصناديد القواتك والصهايم السوائل فأصبوا لآثرى الاسماكنهم وحومهم القوان الحراثر البواثر العوانس

(المدرو) لقد أطلت في هذا المقام وخرج القول الى الإجهام فلان حاصل الأمر يرجع الى أن الرجال وإن سادوا النساء عددا فقد ينقصون عنهن بالطبع كالحصل نادرا بانجلترا وقد يكون بالمصاف في الحروب والاحوال العارضة العامة لسائر الناس وأنا لا أرى هنا عجزا لتعدد الزوجات فان اقانون العام لا يكون مثل هذه الاحوال العارضة والامور الطارئة على انه لو ان ذلك يكفي في التشريع لعارضة تشقت الاسرات وتفرق الجماعات بتعدد الامهات في الاسرة الواحدة وهل ألك حديث الأزواج ويؤسهم والزوجات وتكد عيشهن وابناء الضرائ وضتهن وسوء العيش والشجار والعراك والتخاص في المعامك وسوء العشرة كل ذلك الشر لا يقوم الخبير التاجم من زواج نلسم الأبي الاثني مات أزواجهن وإذا اجتمعت عتلان يتبع الانف وهذه الشرور الكثيرة في الاسرات أنسك من ضرر عدد من النساء قتلن العائل وعشن على غير طائل وهن أرامل

(الاستاذ) لقد نهجت ولم تمهل حتى أتم القول فاصح لما أقول موجزا : ان أكثر الرجال سائلون على هذا النهج الطبقي يزوجون بامرأة واحدا وتقلل اقساموا قسمين فقري أصبح شديد الشهوة قوى البنية كثير المال مغرما بالنساء بالطبع وفريق ترك النساء اما هذا دينيا كارهين وأما ضعافا عارضا ولما فقر امدهما واما غما وهما وهذا صنف دائم ثابت في نوع الانسان فضلا عن الحرب والنكال في الأمم فهذا يدحض ما أشرت اليه من أنه نادر أو عارض يزول فلا مناص من جواز التعدد لأن النساء الاثني لا عائل لمن يقابل الفريق الأول من القسمين السابقين وهم الشهوانيون فلو اننا حرمنا التعدد لاصبحنا وجهال لوجه أمام الخطر الباهم الذي طغى سيله وطم وهم فساد من أوروبا فأغرق الشرق سيله الجارف ألا وهو الزنا الرسمي كما هو في مصر الآن وسيله سائر الممالك المتعدية لأن ذلك التي يطلب أكثر من امرأة وتلك النسوة البائسات الجيلات يتطلبن الرجال للقوت والشهوات فلو هجرنا عليهم وعليهم وجب ان تخصص أما كن للفجور كما هو حاصل الآن فطاحت العفة وضاع الشرف وذعبت المروءة أما الاسلام فلتعجب ولتنظر ألج تعدد زوجات فوال الخطر الخلق وكانت العفة والشرف والنسل الشريف . انظر اليس التعدد كان خمسة في المائة أو ثلاثة في المائة أي ثلاثين في كل ألف ومن عجب أن هذا العدد الاصصافي يوافق ما قد منتهه فان هذا المقدار في الألف يقابل المتعاصدين في كل أمة عن الزواج وهو القدر الذي يجتمع فيه انحصار الثلاثة الشباب والفراغ والجدلة وهي مفسدة لمرء أي مفسدة

فانظر وتعجب كيف جعل الاسلام هذه المفسدة مصلحة واستبدل الزوجات بالبغايا وابناء الرجال الاشراف للمعلمين الملائين بابناء الزنا المتدينين والمفترقين والصفة بالغنا والامالة بالخيالة والعيادة بالأهانة ألج الاسلام تعدد الزوجات ! فانا جرى تقدم أولئك الاقرباء أولئك الاغنياء للمسرفون ففدوا أيديهم الى من عندنا من النساء الاثني لاقيم لمن تزوجوهن واقفلا بيوت الخنا وعمل المهر والنمش . شهد (الورد كرومر) في تقريره ان هذا العدد لم يزد . جل الله لكل رجل امرأة فضض بعض الرجال أومات ققام غيره فانخذ نظيره من النساء

وعلمن وهل جبل للمسلمين يمدون أو كلهم وهل المعدون استوهوا النساء حتى فقد عدهم كلام كلاً .
 لسببين الأول أنهم خلق الله إلا امرأة واحدة نظير كل رجل فالتروكات نظير المالكين والضعفاء الثاني : أننا
 لم نسمع أن رجلاً مآرأه أن يتزوج فوق واحدة من النساء فلم يجدها لم نسمع هذا في تاريخ أمة من الأمم حتى
 اتى أباحت العدد المطلق الى ما لا يحصى فعلنا ان الحكمة الالهية حفظت نظام العالم
 أما ما يقال من سوء العشرة وفساد المنازل بين الاخوة فهذا كلام ناشئ من جهل القائلين به وعلم تبصرهم
 فليس كل اخوين من أمين متشاكسين ولا كل اخوين من أم واحدة متحابين . ان واحداً من ذوي قرابي
 رأيت يحب أخاه لأبيه وما مات ذلك الأخ بكى عليه قريباً كثيراً من أخايمت الشقيق فحببت لكذب القوم
 الصراح وجهلهم الفاضح على ان الحسد في الاخوة أمر طبي وأما جهنم العلم والقرية والادب والدين ولو كانت
 المشاجرة والعداوة بين الأسرة هل تنع التعدد قلنا فليزل نوع الانسان من فوق سطح الكرة الارضية فالأم
 كلها ضنائن والافراد متشاكسون ولو سلمنا جدلاً ان العداوة كاتمة فالبناء خير والشر العارض لا يمنع المنبر
 العظيم وهو لزيادة عدد الأمة وظهور الرجال فيهم على ان أكثر من زلهم في الأمة هم أبناء أولئك الاقارب
 المترفين الأغنياء الذين يعيشون ليلداً كما ان أكثر يعيشون ليعلموا ويؤلفوا . قوم يلدون أجساداً وآخرون
 يلدون عقولاً كم من رجل في البلاد المصرية خلف ثلاثين ذكراً أو أربعين ومنهم من بلغ أبنائه وأبنائهم
 عدداً وافراً فاختلطت عليه الاسماء . ما أسوأ الأم القبيحة الجاهلة التي تقول لاقويائنا لا تزوجوا علينا وتزوجوا
 سرا لتموت أبنائكم في المراحض ما أجمل تلك الأم ما أقل علمهم ما أكثر جهلهم ما أوضح العلم وما أجمل
 أولئك في علم الاجتماع وخلق وخلق أقول ان العالم الانساني اليوم يموزه الفلاسفة والحكماء يعرف كيف
 يعيش فان نظريته ضئيلة ضعيفة يحيا ويموت على عادات موروثه ومناهج مرحومة يقلدها تقليد العميان
 ويتبعها اتباع الصبيان ويذم ما ليس من عادته وفي التذليل - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله
 كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين - يقولون تعدد الزوجات أفسد المجتمع الاسلامي
 وباللهب لو أن التعدد افسد لم يكن التلاون في الالف شيئاً مذكوراً حتى يفسد الالف ومن ذا الذي ضل عقله
 وزاغ بصره حكم بفساد الالف اذا تعد منهم ثلاثون هذا قول من في قلبه مرض وعلى عينه فساد فكيف
 وقد استحال الفساد صلاحاً وأضحى التلاون في الالف أو الخمسون منها اصلاً لباقيها يلدون لهم البنين والبنات
 ويعرجون القواد والعلماء والقاتل والفتيات وهم أقدم في القالب على التربية والتعليم لما احزوا من نوبة وما
 أوول من مال فيألت شرى كيف تفسد للأثم أن يقولوا المرأة افضل لنا اذا اختره سيلاً وكوفي زانية اذا راق
 لديك وصفا وقتك وبالله الرجل ابحنا لك الزنا واختارنا لك لنا وأنتناك منا قوة القانون على أن تقارل
 من تشاء من الفتيات فأى فتاة فضحتها وأفرعتها وأى امرأة أزلت صوتها ومدحت يديك الى سترها غزفته والى
 بيت شرفها ففهمته وكان ذلك على اختيار منها ورضا فما لكم ميعنون وان أتمر ذلك وأد البنين والبنات
 وقلة النسل العام في الأمة وان فاق أعداؤها عدداً فاعتلوا عليها عند الغلبة بكثرة عددهم وصغوف جوشهم ثم
 تقول تلك الأم أفسها أيتها المرأة وبالله الرجل أيا كان تجتمعا اجتماعاً شرعياً فلا يكن عندك أيها الرجل
 منهن ثلاث أو أربع احذر ذلك فانها عادة للتوحشين ولوصيفت الأعراض وأقفلت بيوتنا وقت أيها الرجل
 على امرأة فاقها وكسوتها ورحلتها نحن محرم عليك ذلك وعليك أيتها المرأة محرم تحريراً بنا ولكننا في الوقت
 نفسه نبيحه على سبيل الفجور وانما نطعم يارجل من شئت من النساء ولو أننا مادام ذلك سفلاً وإيا كما أن
 تجتمعا اجتماعاً شرعياً ولو أدى ذلك الى حياة البنين والبنات وكثرة القواد والمؤلفين والعلماء وتكاثر النسل حتى
 يظلب العدو الفاسق الباطلهم رضينا بالرضا ورضينا بالرضا وكثرة العقم رضينا أن يكون نسبنا الى
 عدداً العام كنسبة عدد الفرسيب الى الالمانيين لم يلى الاولين من احوال أمر الزواج وفي الآخرين من الحرص

عليه واتماعلينا اذا حكمنا أمة من الأمم ورأيناها تنكأ ولادة قوانين بلادها علينا أن نحسدنا وتطير منها ونشفي ونسومهم سوء العذاب ونوجس شراً من كثرة نسلها ونرسل رسلنا وطلائع استعمارنا ونفعل بالحكم من صفار النفوس للتواضعين ونوحى اليهم ان قبحوا لهم هذه الشريعة البيضاء سودرها في وجوههم اغموا اقتدنتهم بالسوء والجذل والمناقشة وهوشوا عليهم لعلمهم يرجعون عن التعدد بل لعلمهم يزنون ولله يقل نسلهم فتمكن من حكمهم كما قال هنري الفرنسي في كتابه عن الجزائر اذ قال ﴿ قعدا هؤلاء المسلمين كل مرمد وسدنا عليهم السبل وأحطناهم بسراني من نار لعلمهم يقلون فلم قدروا حتى انحر سلطناها عليهم وهي السلاح الفذ لحربة الشرقيين ففهم الاسلام ان يشرب حبه في قلوبهم أو يفت أكلهم فهم يتسللون والفرنسيون لا يتسللون ﴾ حارت واقعة تلك الأمم - حارت في محاربة النسل في الأمم المستعمرة حسنها على القضية وعلى النسل وعلى السلطة ولقد أخبرني صديق أن إحدى الأمم لما رأت الزوجين الأفريقيين والوثنيين يتزوج الرجل نساء كثرات وليس عليه إلا أن يجلس في خيمته طول نهاره فيمتع بما تنكسب النساء له من كدهن وجملة وهو قوي البنية ولا يصرفها إلا في ابحالهن واولادهن وإعجاب القرية فكثرت النسل ولم يقدر الأوروبي أن يحاربه - ضربت الحكومة على المتزوجين من هذا القبيل الخراج عسى أن يقل نسلهم فما أشأم هذا الإنسان قتل الإنسان ما كره - ان الإنسان لطام كفار - ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلمهم يرجعون -

(المرة) واقعة قد شئت صغرى وأزلت الغمة وكشفت النقاب عن وجه الحقيقة الجليل - تمت الرسالة في صباح يوم الأحد ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٤ في ميدان القلعة بالقاهرة - ولما أضيفت هذه الرسالة إلى السورة تمت في يوم السبت ٢٢ مارس سنة ١٩٣٠ م و٢١ شوال سنة ١٣٤٨ هـ بقسم السيد زينب

(الاسلام وتعدد الزوجات)

جاء في (مجة المرشد) مانصه

إن قوانين الاتحاد على زوجة واحدة أكثر فرائس العزوبة في الغرب وزيادة عددا لا تلت على ذلك كور أوقعت العقلاء في مشكلة يناهون منها بالويل والثبور ويطلبون الخلاص - ولات حين مناص -
جاء في المجلد السابع من المرفان مانصه « إن عدد النساء في إيطاليا يزيد على عدد الرجال بليون نسمة ، وفي ملزمة (٣٤) من «الحلال» في ضمن مقال بقلم (أميل زيدان) عن جريدة الماتان الأفريقية عن الأستاذ (ينار) الطبيب الكبير الذي هو اليوم عضو مجلس النواب في فرنسا انه يقول « إن في فرنسا الآن ١٥٠٠٠٠٠ ١٥٠٠٠٠ فتاة لن يجدن لمن أزواجهن على اقتراض أن كل شاب فرنسي يتزوج فتاة واحدة ، وفي أقول بصراحة ما أنا واثق من محنت أن المرأة لا تمتع بصحة جيدة ما لم تصبح أمًا ، وفي اعتقادي أن القانون الذي يحكم على تلك الفقرة الكبيرة بأن تعيش على قيفض ناموس الطبيعة إنما هو قانون وحشي بل مناف لكل عدالة ، وفي م (٣٧) منه أيضا « يزيد عدد الاناث على الذكور في إنجلترا بليون ونصف مليون ، أما زيادة الاناث على الذكور في ألمانيا فتبلغ مليونين ، ولكن هذا الفرق أقل من النسبة الحاضرة في عدد المتزوجين ، ففي إنجلترا نحو ثلاثة أواخر مائة مليون فتاة غير متزوجة مع انها في سن الزواج » وقال (شوبنهور) الفيلسوف الألماني الشهير في رسالته ﴿ كل من النساء ﴾ تعريب حسن رياض مانصه « إن قوانين الزواج في أوروبا فلسفة المني بمساواتها للمرأة بالرجل فقد جعلتنا تقتصر على زوجة واحدة فأخذتنا نصف حقوقنا وضلعت علينا واجباتنا ، على انها مادامت أباحت للمرأة حقوقا مثل الرجل كلن من اللازم أن تمنحها أيضا عقلا مثل

عقله ، الى أن قال : ولا تصدم امرأة من الأم التي تميز تعدد الزوجات زوجا يتكفل بشؤونها ، والمترجلات عندنا قرفليل وغيرهن لا يحصين عنا تراهن بغير كفيل بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهي هائلة متحصرة ومخلوقات ضعيفة من الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب ويتصلن مشاق الأهمال وربما ابتذلن فيصتن تيسات متلبسات بالخزى والعار ، ففي (مدينة لونه) وحدها ثمانون ألف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحه الزواج ضعيفة الاقتصار على زوجة واحدة ، وقبيحة تعنت السيدة الأوروبية وما تدعيه لنفسها من الأبطال ، أما أن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حقيقة لنوع النساء بأسره ، الى أن قال : « على أنه من العيب الجذال في أمر تعدد الزوجات مادام منتشرنا بينما لا يتقصه غير قانون ونظام ، أمعن النظر في هذه الفقرة ، الى أن اعترف بقوله : « بل اننا لا نكراننا في بعض أيماننا أو معظمها كلنا أوجبنا تعدد كثيرا من النساء ، ومادام الرجل محتاجا لزوجات كثيرة يجب أن يكفل شؤون هذه النساء »

وعن مؤلف كتاب « العشيقة الشرعية » الذي حاز سبق في مضار الزواج في فرنسا وغيرها وطبع منه أكثر من (٥٠.٠٠٠) نسخة ، انه ذهب الى أن يكون لكل رجل الى جانب زوجته خلية تكون لها صفة قانونية فلا يحتقر ولا يهتن في نظر الشريعة أوفى نظر الرأي العام . قال : هذا هو الأمر الواقع اليوم في آدابنا الاجتماعية ، ولم يبق علينا إلا أن نعترف بهذه الحالة وندخلها رسميا في عرفنا ، * قلت من هذا ؟ لم أن القوم لا يأتون من تعدد الزوجات ومعترفون بأباحته الشرعية ولكنهم يطالبون بقانون يبيحهم بعد أن ذاقوا صرامة الاقتصار على زوجة واحدة ورأوا للمفاسد الناشئة منه كالتعدّد غير المشروع وأمثله . هذا ولا يخفى أن التعدد الذي يبيحه الجاهلون اليوم قد أباحه بالأمس المصلح الكبير في النصارية (لور) فسمح لأمبرالمان (هس) بأن يتزوج ثانية لأن امرأته كانت شوهاء ، و(دولارد السابع) وهو من علمت أسدس في أواخر أيامه منشورا يبيح فيه تعدد الزوجات ، وكانت أمه من قبل مطاردة لهذا الرأي أشد للمعارضة ، وسيأتي يوم يدرك فيه الناس فوائد التعدد (١) فيميلون اليه ميلا واحدة ويعترفون بفضل القرآن الكريم . انتهى ماجاء في الجلة المذكورة

في يوم الثلاثاء (١٤) يناير ١٩٣٠ م سألى أحد المدرسين بمدرسة عابدين الخيرية . فقال : قد حصل بيني وبين ناظر المدرسة جدال في أمر تعدد الزوجات ، وأن الاسلام في هذا ضد المدنية . قال وأما أجبت بأن الصلح اذا لم يتم فانه يمنع التعدد بمقتضى الآية وهكذا . فقلت له أريد أن تسمع مني ما أقوله لك بمقتضى وتدخل عن كل مالبيك من الآراء المحفوظة وتدخل بيني وبين عقلك وحده . ثم لتكن حوا في أن تعرض بما نشاء والعقل هو الحكم . فقال أحب ذلك . فقلت أولا ان هذا المقام مستوفى فيما تقدم قريبا . فلندع هذا الآن ولأقل لك اعلم أن بنى آدم على وجه هذه الأرض قد وضع لهم نظام لا اختلال فيه وهو أن يكون الذكور والاثاث متساوين وهكذا كل حيوان لأن اختلاف العدد خلل في النظام . ولذلك تعبد الناس في كل بقعة من بقاع الأرض يكادون يتساوون في عدد الرجال والنساء والذي يمنع هذه المساواة عوارض تعرض للحياة فتختل هذه الموازنة اختلالا يسيرا . قال نعم . قلت ان المسلمين أطلق لهم العنان فيما مضى فتزوجوا ما يشاؤون . أشدري ماذا حصل ؟ قال لا . قلت لم يمتوا من الرجال في الاسلام إلا (٣) في المائة أو (٥) في المائة . وهذا القدر صغير جدا . قال نعم والله . قلت وهنا نسأل : اذا أراد رجل أن يتزوج امرأة في أي قطر

(١) من فوائد التعدد تكثير النسل وتقليل الزنا والتكفل بمن ليس لها كفيل والمحافظة على الأعراس عند ازدياد النساء وقلة الرجال وحفظ الزوجة الأولى لئلا يعقها أو مرضها مثلا . وأما قول ان التعدد ينقص العائلة فهو غير مقبول لأن قلب الرجل يسع التعدد سيما مع استعمال العدل المطلوب

من أقطار الاسلام فهل يجد امرأة يتزوجها مع هذا التمتع . قال نعم والله يجد . قلت فهل جاء في تاريخ الأمم أن الناس بحثوا عن النساء فلم يجدوا لأن الآخرين قد استحوذوا عليهن . قال كلا ورب الكعبة . قلت إذن المسألة واضحة تساوى الرجال والنساء عددا ولكن قد بعثت بعض الرجال في الحرب أو بالمرض أو لا يتزوج الآخر للفقر فليهم الله بعض الأغنياء الأقوياء أن يتزوجوا بعض الباقيات . فقال هذا والله عجب . قلت إذن النوع الانساني اليوم مقلد كالطفل . قالوا اتباع الانسان للتقاليد الجاهلة لم تتبع النساء البالسات بلا أزواج في أمة من الأمم . فللمسألة كلها مسألة التيسيسن الذين ملأوا الأمم مياحا والأُم لا تفكر بل تتبع آراءهم ولا يفكر إلا العقول الكبيرة عندهم (كما تقدم قريبا) فالنوع الانساني اليوم لا يزال في حال المراقبة وسيأتي يوم يعرف الحقائق . فقال هذا والله حق وليس لي عليه رد . قلت الحمد لله رب العالمين . تم الكلام على الطيفة الأولى

(الطيفة الثانية في معنى قوله تعالى - وناتم النبيين -)

(الجواب السكافي)

وهو ما أجاب به (عبد الله كويليام) الانكليزي المهتدى للإسلام عن سؤال أحد علماء أوروبا في الشريعة المحمدية الفراء . وقد أتى في الجواب بالأدلة الفنية والبراهين العقلية على أن الشريعة الاسلامية أكمل الأديان وأرجع الشرائع وناسخة لجيع ماسبقها وانه لن ينسخها شيء بعدها أبداً ما دامت الأكوان وبقى الانسان ،

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(السؤال) ما هو البرهان العقلي والليلل الفني على أن الشريعة المحمدية أفضل الشرائع وأكملها وانها ناسخة لكل ماسلفها ولا ينسخها شيء بعدها أبداً

(الجواب) لو أنصنا النظرات ليله (وكان الهواء صافيا والجو من النسيم خاليا) في الفضاء الذي لا ينهائى رأينا لأول وهلة شموسا قدور حوله سيارات كثيرة كمنظومتنا الشمسية . تظهر لأبصارنا من أبعد المواقع في هذا الفضاء شمس منقادة كل الاقياد للقانون للسنون لها لا تحيد عنه مادامت . فاذا انقضت تلك اليلة ترى الشمس تطلع من المشرق . وما أسرع ما تنشر أشعتها على هذا العالم فيتمثل بين تلك الأشعة صور متتالية بديعة الجمال ، ولو لفتنا النظرة الى الكرة الأرضية التي نحن عليها ، التي اذا نسبت الى سائر الأجرام العلوية لانتكون إلا ككرة صغيرة ، تراها كتلة تألفت من البحار والأنهار ، من الأودية والبراكين والجبال ، من الصحارى والغلات ، من الأتربة والمعادن والرمال ، من الأشجار والأزهار والأعمار ، من النباتات والحيوانات وذوى الحياة من الانسان والوحوش والحشرات

وان عقل البشر على ما بلغ من الارتقاء وملوصل من المراتب العالية لماجز عن اكتناه هذه الأجاس التي تألفت منها الكتلة الأرضية وما يعتورها من الأشكال والحيئات وقاصر عن ادراك حقيقتها لما بين أشخاصها من الاختلاف وبين خواصها ونفصها وضررها من التغاير والانحراف

كثيرا ما يكون جو السماء صافيا ، والهواء راكدا ساكنا ، فيفاجئنا هبوب ريح شديدة تثير السحاب ثم نحيطنا بالأمطار حتى نظن اننا في وسط البحار ، واذا بحثنا في هذه الحادثة الجوية ونفسنا النظر على حصولها بمقتضى القواعد الفنية نرى أن حرارة الشمس قد مست وتدخلت برطوبة الأرض فتجعل تلك الرطوبات بخارا ثم تتصاعد تلك الأبخرة الى الجو كما هو شأنها وتختمع وتتكاثر حتى تصير سحابة ثم تحتل قصب سربام وتتساقط مطرا ، وأيضا لما كان في بعض ذلك السحاب بالضرورة كهربائية سالبة وفي البعض الآخر كهربائية موجبة كما هو الحال في سائر الأجسام يحصل في الهواء من احتكاك تلك السحب بعضها ببعض صوت يقال له

الزهد ، ولاريب أن الحكمة في هذه التحولات والتراكبات الخفية هي حصول للمطر لقندان الأرض وتنشط الحيوانات وتزوي النباتات وبالأجل لتحي الأرض بعد موتها . ولوأردنا أن نبين مافى هذا القضاء الذى لانهاية له من العجائب والغرائب يانا بشئ الصدور وتصلها حتى التفصيل لوجب علينا أن نخلأ الأسفلر . ونخرجنا عن بيان المقصد فيكفينا ماقتض ذكره ، ولنرجع الى ما نحن بسدده ، ماذا يخطر لنا عند مشاهدة هذه المصنوعات بما فيها من عجائب الترتيب وبداخل النظم ، لاريب أن أول ما يتجده في نفوسنا هو الليل الى البحث عن مظهرها من الصدم الى الوجود ، فمن جعلها متفاد وخاضعة للقوانين والساكن الفطرة التى لا يغيرها تغير ولا يشوبها خلل ولا تنويش ، فمن جعل كل فرد من أفراد هذه الكائنات عتسا وعتارا بخاصة من الخواص وسر من الأسرار الطبيعية ، فمن يحفظ على هذه الكائنات تأثيراتها وتأثيراتها في كل آن وزمان فذاسرنا وراء تلك الخواطر العقلية وتأمناها كل التأمل ، فلا يحصى لنا من أن صدقنا بالقلب والوجدان ونقر وتطيق باللسان بأن ما نشاهده من العوالم وما لا نشاهده (وما لا نشاهده أكثر) ليست إلا آثارا للذات المقدسة الأدهى ذات واجب الوجود جلت قدرته وعظم سلطانه وأن هذا التصديق باندنا نداء بليضا ظاهرا وبطنا بقوله « ان ظهورى بين هذه الكائنات بين ما لا نهاية له من الآيات البينات لتحليل واضح على أتا من آثار قدرة ذلك الفاعل العظيم ، وبراهين جلية على وجود الخلاق الذى يضل ما يريد

وبعد أن نذكر وجود ذات الواجب على هذه الصفة نجد بأنفسنا ساقا وجدانيا يسوقنا لمحنة كيفية تكون الكرة الأرضية التى نحن عليها ، وهنا نحس أنه يجب أن نرجع الى الفن فقط إذ الفن انما هو قوانين وقواعد مستنبطة بالعقل للوهوب للانسان من القوانين التى اندجحت في هذه الكائنات . فاذرنا رجعا اليه رأينا أن ما يوجد فيه من النظريات الفنية في تكون العالم ترشدا الى أن الخلاق الأزلى والموجد الحقيقى أوجد هذه الأرض من البخار فجعلها عالما بار واستمرت أزمانا كثيرة على حالها فلما تنشر حرارتها وكانت حرارتها تنقص زمانا بعد زمان وكلما تناقصت الحرارة تبردت الأرض وكلما تبردت تكاثفت حتى حصل عليها قشرة وصارت صلبة على كرا الأزمان ثم بدأ الخلق فيها فأول ما خلق النباتات ثم سائر المخلوقات وكان يعرض التبدل والتغير على النباتات والحيوانات على عمر الصور وتغاقب الأزمان فكما أن ازدياد قصب الأرض يوما فيوما سبب لتناقص الحرارة فكذلك تناقص الحرارة سبب لتغير القوة الانبائية . ولهذا التبدل والتغير تخفف أصول الخلقة والقوانين الطبيعية دائما . فم إن هذه المعوى صحيحة فانه كما ان حبة المخلوقات التى وجدت في بداية تكون الأرض الأرض مستعيلة بعد مرور عصور وأزمان على تلك البداية فكذلك حياة ما وجد من المخلوقات في الأهمصر البداية خارجة من حيز الامكان أيضا بعد ذلك فان ما يعيش في الماء من المخلوقات لا يعيش في القرب وما يعيش في القرب لا يعيش في الماء إذ ليس لها إلا ذلك الاستعداد تلك القابلية التى وهبت لها وخلامة القول أن أشكال طبائع المخلوقات ومهاياها كانت ولا تزال تتغير بتغير الأزمان والأحوال والامكنة . وما لامية فيه أن المخلوقات بسميها التامى والجامد خاضعة للموس طيسى في تكونها ونشؤها ونموها وتكاملها وبقائها وفنائها فلا يضطررنا بالبال أن ما يشاهد في الخلقة من التكميل آتى . كلا (١) ان ما يحصل جيعه ليس إلا تدريجيا وتابعا لناموس التكميل للسنة في هذا العالم ومع هذا فلا ريب في فناءه اذا بلغ الغاية في كماله لوجب زوال كل شئ عند انتهائه . وفى هذا يقول الشاعر

اذا تم أمر يدا قصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فالشرع يقول لهذا الزوال « القابلية » والحكماء يعبرون عنه بالاقراض . ثم ان كل شئ اذا فنى وزال لابد أن يتكون ثانيا إذ ليس هناك ما تنعدم أجزاؤه كليا فانظنه قد فنى وزال من المخلوقات انما استحاله شكله الأول وماهية الأولى فيظهر فى شكل آخر وماهية أخرى . وأيضا فانه كما ان الأحوال الطبيعية التسريعية

(١) هذا هو منهج الشوء وقد أبطله علماء القرن العشرين (انظره في أول سورة المؤمنون)

كانتكون والمرض والموت تمرض للحيوان والثبات فكذلك تمرض تلك الأحوال للأجرام السماوية وهذا الذي يقول له أرباب الفقه ناموس التكامل وبالأفرسية «نه ولسيون» والانكليزية «نه وليفش» والى هنا أكتفى بما ذكرته من اللقنات لما لاسائل الفاضل من التبحر وطول الباع فيها وما ذكرتها إلا لتوفيق الجواب عليها فأرجع الى المقصد وأقول :

إن ظهور الانسان في هذا العالم متأخر عن تكون سائر المخلوقات كما هو مشاهد لنا ومع هذا ينبغي أن لا يرتب في أنه أشرافها وأفضلها خلقاً وطبعاً مادة ومعنى إذ أن قانون التكامل يقضى بأنه أتمها من حيث توجه الأشياء نحو الرقي الى الكمال . فالانسان في الظاهر جرم صغير وفي الحقيقة عالم كبير . الانسان مهبط السجاي القدسية وقطب المحصل البهيمية ومركز الخير والشر وقرارة الانس والوحشة فهو مجتمع الأضداد وممكن الترائب فهما كان الانسان مدنيا بجمعه لابد أن تقضى عليه حيوانيته بأنواعه القانون الطبيعي ضرورة فلا يقضى له أن أن يرجع بنفسه من حضن القلة والوحشة ودرك السفالة والجهاشة الى منصات العلم وذرى السعادة . على أن الانسان في بداية الخلق كان كسائر المخلوقات والبهائم متوحشا يضرب في الأرض عارى الجسم مكتسباً ثياب الغلة . الجمل رقيقه والعلى قائده . يتجول صباح مساء في الصحارى والقفار . لا يفقه من الحقائق شيئاً . ولا يفرق بين التبيح والتبجح وبين الفث والسمين . تتجاذبه شهواته حيث توجهت فهو مغلوب لها خاضع لقيادتها . لا يعرف الليل إلا بغروب الشمس ولا النهار إلا بطولها ولا يدرك ما هو الأكل والشرب والنوم والقيام والقعود . كان يتجول في مواقع كثيرة وأمكنة متمتدة من الأرض وهو لا يدرك أين يتجول وأين يوجد وما هي ذاته . ثم انه كان يشاهد ما لا يتناهى ولا يحد بالبصر من الصحارى والقفار والبحار وسائر الحيوانات والطيور لكنه لا يفرق بين الحيوان والنبات وبين النبات والجناد وبين الجناد والانسان . ترى هل كان الانسان إذ ذاك يتخيل شيئاً عند ما يرى ما تمثله الأجرام السماوية كدلالة من المناظر العجيبة والأشكال البديعة أو كان يلتفت نظره ما يراه من صور القمر حينما يظهر هلالاً ثم يكون بدراً ثم يتناقص حتى يمحى ثم رجوعه الى منواله السابق أو كان يحسن نظره فيفكر في كسوف الشمس وخسوف القمر ؟ كلا . انه لم يكن يدور في خياله أو يتخطر بباله شئ من ذلك . إذن ماذا كان يتصور الانسان ، وحول أى شئ كان يحول فكره ؟ انه كان لا يفكر في شئ سوى أن يفتن كل ما يصادفه من الحيوانات الضعيفة ليذبح بها بلبه جوعه وأن يهرب مما هو أقوى منه من الحيوانات لتلا يكون غذاء لها فينتجى الى الكهوف والمغارات ومقعرات الأشجار ليحوى نفسه منها ، ومع هذا لم يكن همه وفكره منحصر في ذلك بل كان لا ينسى أيضاً التعارف بمن يلاقيه ليسكن شهوته اذا ثارت عليه . وخلاصة القول انه كان لا يتوانى في التوصل بما يقضى الى قضاء حاجاته الحيوانية والشهوانية فكان لا يحجم عن قتل أخيه الشقيق في هذا السبيل . فيتحتم إذن احتياج الانسان لقانون آخر غير القانون الطبيعي ليهتدى به الى الصراط المستقيم في معاشه ويصون من الخلل نظام حياته . ويسلك أعدل السبل في واجباته وكل شؤونته ويعلم عاقبته على سائر الحيوانات ومكانة فضله فان الانسان من حيث هو حيوان ميل بالضرورة لاتباع الهوى وترتيب المكائد والحيل والكذب والظلم والعدوان وغير ذلك من الأخلاق المضمومة ، فلذلك الانسان وشأه لبق حليف التوحش أليف الجمل أهدأ الأبدان ودهر الماهرين لكنه اذا وجد من يرشده الى النافع والصواب في أمره ، لا ريب انه يصعد الى ذرى درجات المدنية لطلبه السجاي القدسية فيه على الطابع البهيمية . إن كل ذى عقل سليم وفكر مستقيم يترك ما سبق حتى أن ما نشاهده في عصرنا من الترفيات العظيمة وما نراه يوماً من الاكتشافات الجديدة ، وما نحار فيه العقول من الاختراعات العجيبة ، وما نتمتبه الانسان على غيره من ادراك آثار الصانع المختار البديعة هو قانون وراء القانون الطبيعي وبساتق غيره وهو الذى يقول له الحكماء « القانون المدني » ويسميه أهل الشرع (الدين)

وقد اختار الحق تعالى أناسا (متصفين بوفرة العقل وبجودة الفكر يفوقون معاصريهم بسلامة الفكر والتصور والمواظف الوجدانية واتباع الحق والقيام بالحقيقة) ليؤسسا هذا القانون للمدى وينشروه بين البشر لحفظ سلامته ولتامة سعاده . هؤلاء الرجال هم الذين أرشدوا البشر الى ما يوجب الزمان والمكان وتخصيه المصلحة والحاجة ، هم الذين بنوا بالبشر تدريجا الى ما شاهدناه من الأحوال المستحسنة والأخلاق الفاضلة ، هم الذين أخرجه من الوحشة الى القلدين بقدر ما اختصوا به من الحسن الصادق للتناسب باستعدادهم وما امتازوا به من القدرة (وبعبارة أخرى) بقدر ما أوتوه من الوحي الإلهي والنور القدسي

فهؤلاء الرجال هم الذين يقال لكل واحد منهم « مؤسس للمدينة » عند الحكماء ، ونبي لدى الشرائع والأديان ، ومن هذا يتضح أن الفرق والشرع متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فالشرعة مجموع فنون كثيرة لا يخالف الفن بل الفن شعبة منها

إن أول نبي أو مؤسس لمدينة أتى ليسوق البشر الى نهج الهداية قد جعل فائدة أعماله وإكورة إرشاداته الأمر بستر الجسم وانتهى عما كان عليه الانسان من كشف البشرة وأكل كل ما يصادفه كائنات الحيوانات ، وقد جدد في سبيله حتى تمكن أن يسق عدة القسرين البشر ولو بأوراق الأشجار ويحصر الغذاء عليها فان المجتمع البشري كان محروما إذذاك من كل حاجات المدينة ولوازم الانسانية فالعامل مفقود والصناعة والتجارة مجهولة ، فلم تكن الأتشة والأصواف ولائح من المنسوجات ، ثم اتسمت الأفكار بمرور الزمان فوجد في الانسان قابلية التعلم والتعليم واستعداد لمرقة الامور الحسنة ومنافعتها ، فيأتي النبي الثاني والعالم في حاجة شديدة الى ظهوره فيوسع مآوضه سلفه المحقق من القانون ويعلم البشر ما يحجز عن ادراكه بعبارة أوسع من سابقتها فتوسع ساحة الادراك حتى يصير أمة النبي الثاني تهزأ من الأمة السالفة كما تذكرت وحشيتها وضيق ادراكها ، وهذا من أحكام التسكيمات الأرضية والترقيات الزمانية فانها توفد في الأفكار ابتعاها يمين النبي الثاني على تبليغ كثير من الأحكام وتلقين كثير من الحقائق التي لم يسبق تبليغها السابق لعدم الاستعداد ، فاذا زاد توسع الأفكار على مرور الأزمان ينتظر ظهور نبي آخر ، فاذا أتى ذلك النبي سهل عليه تبليغ الأحكام التي لم يبلغها النبي السابق أيضا لضيق ادراكه البشري حيث دمع هذا لم يكن مفقودا منه قابلية الأخذ واستعداد القبول لما أتى به النبي إلا ان هذا الفرق بين كل لا يوجب دعوة النبي لعناده وتجرده حبا في البقاء على التوحش والطبيعة وهؤلاء هم الذين أطلقت عليهم الكتب المقدسة اسم الكفار ، ثم فيض العالم نورا بظهور النبي الرابع فيقسم الحيوانات لما يركب وما يؤكل وما يضر منها وبترك غيرها على حالها ، وعلى هذا المتوال قد جاءت أنبياء كثيرة ساروا بالبشر تدريجا الى ما نراه من الترقيات الطيبة وقطع المراحل في سبيل المدينة الفاضلة ، ولما جاء موسى عليه السلام اتسع نطاق المدينة بالنسبة للأزمان الفائرة وتكاثرت أفراد الجمعية المتدنة ووجعت الصناعة والتجارة . وفي زمن عيسى عليه السلام قد تمت الجمعية قدما يفوق ما قبله بالضرورة ، ويمكن أن يقال ان زمن هذين النبيين العظيمين كان متوقفا على أزمان سابقهم ، وهذا التوق لياحط من قرا الانبياء السابقين ولان شرفهم لأن الانبياء صاوات الله عليهم لم يكونوا يلقون في زمن رسالتهم إلا ما كان ملائما لقول المرسل اليهم فاذا أهمل أحدهم الأمر بشئ أو انتهى عنه ثم جاء نبي آخر وقرئ فيه حكما فليس من الصواب أن يقال ان النبي الأول سقم ذلك الشئ أو حله فان قال قائل لماذا إذن تركه ذلك النبي ولم يشرع فيه حكما وعلا ما يحمل ذلك ؟ أجيبناه بأن عدم تكلم النبي الأول في أمثال ذلك الشئ لا يستغله إذ ذلك بالأهم منه والأعظم فعا (مثاله) ان عدم تحريم الخمر في زمان نبي وعدم النهي عن نكاح الأخت في زمان آخر لا يدلان على أن الخمر حسنة مباحة ، وأن نكاح الأخت جائز عندهما ، وإنما لم يرد النهي في ذلك لعدم استعداد القوى العقلية لادراك مضرات تلك الأشياء فالوحي شيء منها قبل وقته لنجم عنه فتن عظيمة ومنازعات طويلة ومقاتلات

شديدة ولذلك لم تحرم ولم تمنع حينئذ ، فلا يفهم من هذا الكلام اننا نعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متسلون قضية وعرفانا ، فان من الحقائق التي لا تنكر أن بعضهم مفضل على بعض حيث كان تجدد الزمان من العوامل في نمو وتزايد القوى المدركة ، فالتى المتأخر أعظم تكاملا من السابق وهذا قطي لا سبيل للارتباب فيه ، وقد يقول بعض من استولى عليهم الوهم واستسلموا له « إن الحق والسذاجة التي عند البعض في عصرنا لمى أعظم وأشد منها في بعض من كان في الصور الأولى » ، فيقال لهم « إن هذا صحيح ولكنه لا ينقض مدعانا فان الحكم دائما يكون على الأغلب » ، فاستيلاء التوحش على مدينة لا يقتضى عدم الفهم في اقليم آخر ولارتفاعه المدنية وعدم خلق اقليم منها في يومنا هذا هوارتقاؤها من حيث العموم والافليس المراد أن المدنية تمت كل مكان ولم يبق للتوحش أثر في كل الجهات ، فانه لا يستبعد وجود من هو أغش توحشا ممن سبق في الأعصر الحالية

ولما تشرف العالم بظهور سيد البشر (الذى هو الوسيلة العظمى ، والواسطة الكبرى ، لارتقاء الانسان الى أعلى درجات المدنية) محمد ﷺ أكل للانسان حاجاته الضرورية على نهج مشروع وما أسرع ما وصل به الى أرفع مراتب السعادة ، إذ كحل من يتم نظره ويحكم وجدانه فيما كان عليه الانسان قبل بعثته ﷺ من الضلالة والغرابة والسفلة والجهالة ، ثم يتأمل في حال الانسان وتزقيته منذ البعث لاشك انه يرى ما بين الحاليين من البون العظيم والفرق الذي لا يتأتى معه القيلس والتقريب

نعم ان محمد ﷺ قد صرف الناس بخلقتهم وزجرهم عن عبادة الأوثان والشمس والنجوم والنار وما أشبه ذلك وهداهم الى سبيل النجاة والفلاح ، وكانت دعوته بالعرف واللين تارة والعنف والشدّة أخرى حسب ما يقتضيه الحال حيث كان بعض الناس المعاندين يستعمل أنواع التهديد مرّة ويحاربه أخرى ليثني عزمه ويرجعه عن دعوته ، ولذلك كان النبي ﷺ يعمل بعضهم بالترغيب وبعضهم بالارهاب والتخويف كما توجبه المصلحة ويقتضيه الحال . فما لبثت أنوار المدنية الاسلامية أن سطعت في جميع أنحاء العالم وأزاحت ظلمات التوحش عن كل ماوصلت اليه ، ولعمري ان انتشار تلك الأنوار بسرعة برقية وتكاثر أتباعها في أزمان قصيرة لما أحدثت أولى الألباب ، وإذا بحثنا عن سر ذلك التقدم السريع والتجاذب العاجل لا نرى له سببا إلا كون أوامر الاسلامية ونواحيها موافقة للعقل ومطابقة للحكمة ، فها هو القرآن المبين الذي كل كلمة منه عين الحكمة ، من يتم نظره في آهواره وأسلوبه وبدائمه وأحكامه يرى نفسه مضطرا للحكم بأنه قد أنزل في يومنا هذا رغبنا من نزوله قبل ثلاثة عشر عصرا فانه يبلغ معجز مع سهولته ومفيد لجلب ما يربى اليه من المقاصد مع إيجازه ، وموافق لأساليب كل زمان ، ومهما ارتقت الكتابة وارتفع شأنها لا يزال في أعلى مراتبها ، يعلم ذلك كل من له دراية بالآزاي القرآنية ، وانه كما أعجز البغلاء وتركهم يتبعون في مهله الخيرة فكذلك قد جمع أسباب سعادة الدارين ، سعادة الدنيا والآخرة ، ولوجب بحثنا في الأحكام التي جاء بها وأدركنا ما فيها من المنافع والحكم لوجدناه جامعا لكل ما يحتاج اليه البشر في بقاء حياته وتهذيب أخلاقه وبلوغه الكمال ، فهو يأمر بالأخلاق الحسنة والحصول العالية وبكل ما يكفل للبشر سعادة في الدنيا والآخرة ، ولبيان أذكر نبذة من أوامره

يأمر بالعدل والتواضع وحسن المعاشرة والتعاون وحسن الخلق وترك المرء ما لا ينيه وقدر النعمة حق قدرها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ذات البين والاحسان بالوالدين والترغيب في طلب العلم والسعي وراء المعيشة وعبادة الرضى وقبول الصيحة والاعتراف بالجهل واحترام أهل العلم واتباع الحق والتأني في الامور وملاطفة الأيتام ومجاملتهم واعانة المحتاجين وحب الخير والشجاعة والعفو والاحسان والاعتناء بالطهارة والنظافة والاطاعة لأولى الأمر وعدم المبالاة بالحياة الشخصية لأجل الحياة العمومية والطمح والصبر وعدم الفسح وعدم الفخر والسخاء ومعرفة الحقوق والتباعد عند مشكلات الامور والقناعة وحفظ الأمانة والتعلم والتعليم

والاستقامة والعفة والصدق والمروءة وصفاء النية وعلو الهمة والاعتراف بالتقصير والأذعان للحق والانصاف والراقة وصيانة العرض والتعرف والدلالة على الخير وفصل الشرعي ومجانبة الهزل والسعي تهذيب النفس وصلة الرحم وحفظ المحبة والوفاء بالوعد وإيفاء الدين والشورى والالتزام بالحقيقة وتوقير الكبير والراقة بالصغير وغير ذلك من الأمور المستحسنة التي كل واحد منها ركن عظيم من أركان سعادة البشر

وأما ما نهى عنه فهي الأفعال القبيحة والأخلاق السيئة التي قد نبذت بالتجارب العديدة أنها مضرة بالإنسان ومفسدة لمعاشه ومعاده ، ومن تلك المنهيات الزنا والقواطع وشرب الخمر وأكل الربا والنظم والضرر والكبر والحسد والبغض والحقد والحرص والكذب والغيبة والفحشاء والرشوة وسوء النية وقتل النفس والعناد وعقوق الوالدين واكثر الكلام فيما لا فائدة فيه واليسيل للقبائح والرياء والجبن وإعانة الظالم والحيلة والفرور والعصب وكتم شهادة الحق وشهادة الزور والتجسس وسوء الظن واليسر (لعب القمار) والتفاخر وتقليف الكيل والميزان واحتكار الطعام وعدم إعانة المحتاجين وقطع المودة والتعادي والتسلف في عرض الناس وقصص العهد وخلف الوعد

وفي القرآن أحكام أخرى جليلة لا يمكن أنكار فوائدها ، منها ما يتعلق بسياسة الملك والدولة وعمران البلاد ورقيها ، ومنها ما يحفظ أمن الرعايا واستراحتهم ، ومنها ما يتعلق بتقسيم الموارث وإيتاء كل ذي حق حقه ، وفيه أحكام غير هذه لم تكن في غيره من الكتب السماوية ، وأن كل ذي عقل وادخا أن أحكام الشريعة الحميدة واسعة قدر سعة العقل واستمداد الفكر متكفلة بصيانة كل حقوق متبعتها أحياء وأموات . وكفى في القرآن من أحكام غامضة ومعان دقيقة ولما يكشف الفن قلبها ونحما عما بطنه من الرق ، ولم تستلفت تلك الأحكام أظنارنا فضلا عن إدراكنا ، وسبب ذلك أن عقول البشر لم تزل غير كافية لفهمها حتى إذا لوقت الأفكار وبلغت كمالها واتسعت العلوم والفنون ووصلت غايتها لأربابها انتهت تنجلي أيضا (مثال ذلك) حركة الكرة الأرضية لم يتسنى لنا إدراكها وثبوتها إلا لزمان قريب من زماننا . والقرآن المبين قد رفع حجاب هذه المسألة قبل ألف وثلاثمائة سنة ولكننا معشر الإنسان لم نكن لنترك تلك الحقيقة حتى كشفت بعد ما مضت عليها العصور وتعاقت القرون

وفي القرآن من أحكام حفظ الصحة ورعاية أسبابه ، ومن أحوال الأمم الماضية وأخبارها ما يحول لنا الحكم عليه بأنه قانون طبي وكتاب تاريخي أيضا . فلذا قرأنا ما فيه من القصص والحكايات نشاهد أنه ذكرها بأدب أسلوب وأصلاه بلاغة وإيجازا وأنه يؤثر على نفوس البشر تأثيرا لا يجده في الكتب الأخلاقية والتاريخية والروايات الأدبية سواء كتبت بالعربية أو التركية أو الأفرنسية أو غيرها . وأنه يصور الحقائق بكلام موجز كأن تلك الحقيقة مشاهدة وملحوسة وغير ذلك مما يطن أن هذا الكلام للمجيز منزل من لدن حكيم عليم ثم إن جل المباحث القرآنية لم توجد في غيره من الكتب المقدسة وهذا أمر ضروري فإن الإنسان في تلك الأزمنة السابغة كان محتاجا لما هو أهم من هذه الأحكام بدهة ولم يكن من هم المرشد حينئذ يشتغل بتبليغ غير ذلك الأهم حتى انه لو بلغ الأحكام المتأخرة لم يكن ليفهم أحد قبليها إذن عيث وإن كثيرا من المطالب الرفيعة والفنون العالية ذكرت في القرآن ولما تتركها العقول واستتركها مع ماحوتها من الأسرار على مرور العصور والأزمان . وقد ذكرت آفا قاعدة تنيد أن قانون التكامل تدريجي ليس آنيا فيعلم بالضرورة أن القانون المذكور مقتضى كتاب سماوي كالقرآن الحكيم إذ شريعة النبي الأول أكلت بشريعة الثاني وشريعة الثاني بشريعة الثالث وهكذا حتى جاءت شريعة موسى فأكلت بشريعة عيسى عليهم الصلاة والسلام ثم أكلت الشرائع السابقة كلها بشريعة خاتم الأنبياء محمد ﷺ . وقد ظهر أن شريعة موسى عليه السلام أكل وأرجع عما سبقها وشريعة عيسى أكل من شريعة موسى عليهما السلام فلم يبق مجال للشك

في أن الشريعة المحمدية أكمل الشرائع السابقة وأنها ناسخة لها . فقد أتى الانجيل بأحكام جمة لم تكن في التوراة حيث كان يسلمها ولهذا كان الانجيل أرفع من التوراة . والسبب عنه كان القرآن أرفع من الانجيل فلو عكسنا القضية وزعمنا أن التوراة أرفع من الانجيل والانجيل أرفع من القرآن لقلنا أنفسنا كفة القول بأن عقل البشر قد أصيب برجمة قهقريه . وبهذا القول القوي لا يتفق مع المنطق ترتكب خطيئة لا تقهر ونظم النوع البشري رغمهما يدهش أباصارنا وعقولنا من الترفيق الجديدة والاختراعات الحديثة . وهذه الأسباب كلها كان المتأخر ناسخا للقديم . وبموجب هذه القاعدة كانت الشريعة المحمدية ناسخة لكل ما قبلها من الشرائع ولن تنسخ بشريعة أخرى فهي باقية الى الأبد . فلن نسخ الشريعة بأخرى لم يكن إلا لأن أحكام الشريعة الأولى غير كافية لسد هوز البشر واحتياجاته التي يولدها الزمان وتزداد يوما فيوما . ومهما تكثرت حاجات الانسان وزادت لولزمه فلا يحتاج الى شريعة أوسع من الشريعة المحمدية فقد ذكرت لك قبا من الأحكام القرآنية . ولو أنعمت فيها لنفرك قليلا لرأيت أن حاجات الانسان ولولزمه المدنية مهما كثرت لا يخرج من دائرة الأحكام القرآنية . فالقرآن كافل لكل احتياجات البشرية كل عصر . وأن العقل البشري مهما ارتقى وتكامل لا يمكنه أن يخرج عن حدود الأحكام التي اشتمل عليها القرآن فأصبح من الضرورات اللازمة التي لا يحصى للعقل عنها أن يتبع البشر الشريعة المحمدية الفراء في كل زمان ومكان

وظهر بما قورتاه آقا ظهورا لا فبالعليه أن القرآن المين قانون إلهي ونظام مساوي وعكم أزل لن ينسخ أبدا ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن اتباعه في كل زمان والصمل به في كل مكان هو السعادة والنجاة والفوز والفلاح ومخالفته هي الفلة والمسكنة والفسران العظم وأن أتى به هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين - ولله هدى من يشاء الى صراط مستقيم - . انتهى بالحرف الواحد من رسالة الجواب الكافي لعبد الله كويل التي ترجعها الى العرية الاستاذ (زهدي الخماش) أستاذ علوم الدين بالمدرسة السلطانية في (بيروت)

ويحسن بنا أن نلم بما كتبه المترجم الفاضل ترجمة حياة المؤلف . قال

(نبذة من ترجمة المؤلف)

هو عبد الله وليم كويلم الانكليزي الملمي بالمحكمة العليا (مدينة لفيربول) يبلغ من العمر نحو من الخمس والخمسين (حيثئذ) نحيف الجسم رجمة وله ولهم اسم أحدهما بلال والآخر أحد نشأ الرجل بين المتذهبين بمذهب (الوسيليان) وكان من رؤسائه وواعظا لشيعته ، كان يعتنى بالعلوم الرياضية ، وله الباع الطويل فيها ، وفي سنة ١٨٨٣ ميلادية الموافقة لسنة ١٣٠٠ هجرية أصيب بمرض عضال جعله طريح الفراش نحوسة ، فأوصاه الأطباء بالسفر الى (اسبانيا الجنوبية) لتبديل الهواء فتوجه الى (جبل طارق) ثم الى (طنجة) وأقام حيناً من الزمان يشاهد محاسن الدين الاسلامي وصفاء المسلمين واخلاصهم ويتعلم العقائد الاسلامية فكان يزداد بالاسلامية حبا وشغفا كلما ازداد علما ، ولما رجع الى بلاده أخذ نسخة من القرآن مترجمة للانكليزية فكان يقرأها بتدبر وامعان ويقرأ كل ما يصل اليه من الكتب الاسلامية ، فلم علم اليقين أن الاسلاميه هي الشريعة الحقنة التي لا شك فيها ولا ريب ، ولم يجهل في اعتناقها بل أخذ يبعث في الشرائع الأخرى وذلك مما زاده إيمانا وقينا ، فضم على اعتناق الاسلاميه إلا أنه كان يحول بينه وبين ذلك كثرة العيال وما أعمه من الأشغال ، ولما تمكنت تلك العقيدة من نفسه وخالطت حلوة الإيمان بجامع قلبه فآثم أحد أصدقائه بما عزم عليه ، فأجابه ذلك الصديق : « إن كنت تأثم أن

تعتقد بالتلاوت وأزمت على تركه فادخل في مذهب الموحدين من النصارى ، فقال له . كلا ! انه يتغير على الوقوف بمنصف طريق التوحيد . ولابد لى من ترك النصرانية بتاتا ، فاعتنق الاسلاميه وأقر بالشهادتين ، وأفشا اسلامه بين أقرباه وذويه فسخروا منه وزعموا انه مجنون ، ثم جعل ينظم أحوال معيشتة على القواعد الاسلاميه ، ولم يأل جهدا في دعوة بني جلدته الى طريق الهداية والسعادة الى القوز الأبدى والصلاح السرمدى فهدى الله بدعوته من الهمة الاجابة . ولم يزل يشتغل بالدعوة والأمى بالمعروف والنهي عن المنكر ولما اجتمعت كفته مع من تبعه اتخذوا لهم مسجدا لاقامة الصلوات الخمس والجمعة والعيدين وهو الآن شيخهم ومرشدهم . ولما اتصل نبؤه بالخليفة الأعظم دعاه اليه وأباه من التفاته ماقرت به عينه وطلع صدره وقد اجتمع بمشاهير العلماء والأفاضل بدار السعادة . فكل هنأه بما ناله من السعادة والمجد باهتمامه لهذا الدين المين . ثم رجع الى بلده (ليربول) ولم يزل عاكفا على الواجبات الدينية والشعائر الاسلاميه . وقد ترجم محمود أسعد أفندى زيد فضله كتب (دين الاسلام) لمولى اليه . فقال بعد ما ذكرنا من ترجمة حاله « وقد شاد للسجون هناك مدرستين اسلاميتين إحداهما للذكور والأخرى للإناث يقبل فيهما كل من يأتي من أطفال المسلمين من الخارج ولم يجتمع منتظم فيه رئيس وأعضاء ولهم أئمة وخطباء ومؤذنون ويجمعون في كل سنة اجتباا عموميا ينتخبون فيه من يستخدمونه في مصالحهم . وقسم الله أجيال لما فيه الخير والصلاح اه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير »

من آثار كونه عليه السلام رجة للعالمين (١) أن دين الاسلام لا يبيع أن يفضل أحد أحدا إلا بالتقوى . أما الأنساب فلا (٢) وأن أهل الفياليت شربوا من منهل الاسلام فارتقوا ، وسرى مثل ذلك في (سيرة موسى بن ميمون) و (اعتقافات جاسوس) أو (تلاوتون علما في الاسلام) الانسانية الآن جاهلة متعصبة لكل شئ حتى اللون . ألم ترالى ما جاء في جريدة الاحرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه

(معاملة الزوج في لندن)

عاد المستر (ابوت) صاحب الجريدة اليومية في (شيكاغو) وهو زنجي واسع الثروة الى الشكوى من معاملة الانكليز لغير البيض فأبرق الى المستر (مرلى) الضو البرلماني يشتكى انه منع هو وزوجه من حضور حفلة على ظهر إحدى البواخر البريطانية في دعوتها الى أمريكا . وقال للمستر (مرلى) إن عددا معاوما من غير البيض كلفوا أخيرا أن يخرجوا من حفلة واقصة في لندن فرفضوا شكواهم الى (اللورد باسفيلد) وقد صمم المستر (مرلى) أن يشرهذه المسألة في مجلس الصوم . وقال انه ورد عليه كتاب من (المستركندولت) عن مسألة تحريم التفادق على المستر (ابوت) الصحفي الزنجي قال فيه مانسه « إن هذا من الامور الزنجية جدا ولا تتفق مع العادات المرعية في الفادق البريطانية ، ولكنى لأرى أية مصلحة من مصالح الحكومة مسؤلة عن هذا الأمر . ولست قادرا أن أجد أية طريقة تحوّل الحكومة حق التدخل » اه

فأين النوع الانساني للجلل من قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقد أذن بلال في الكعبة بمحضر قرش عند فتوح مكة بل أن هذا النوع الانساني الكافر بالنعمة من النجعات والكليات والثيران والحبر فاتها تعيش معا ولا تبالى باختلاف الألوان ، فانتا ترى المرأة والكلبة والنجمة والحجارة والبقرة ذوات اللون الأبيض تصاحب القط والكلب والحمار والمعروف والثور ذا اللون الأسود أو الأجر فلا ملازمة بين الألوان والأخلاق ، إذن هذا

الانسان جهول كفار ، نسي الفطرة فذكره الله بالاسلام وأصبح المسلم في مصر لا يفرق بين لوث ولون في صلاته وبجاسه ، إذن النبي ﷺ رحمة للعالمين والانسان جهول كفار ، وأما كون أهل الميمايات شربوا من منهل الاسلام وارتقوا فهاك منه مثلا وهو ملجاء في جريدة المقطم تحت العنوان التالي وهاهوذا

(موسى بن ميمون)

(رسالة الختام الاكبر)

اتى مغتبط بان أوفى الآن الى تحقيق الرغبة التي أبدلها أحد الاطفال في المقطم في الاطلاع على نبذة من حياة موسى بن ميمون وسيرته وها أنا أبر بوعدي السابق موجزا مقالي على قدر الاستقامة ذلك لان الشروع في بحث أصله ونسبه يؤدي حتما الى بحث حياته الشخصية وعلو أخلاقه ومكنونات صدره وحدة ذهنه وعلوهم وآدابه ثم تأنيبه وتأثير كل ذلك في احيته الاجتماعية وهذه كلها من الامور التي يتعذر شرحها في مقال واحد . مهماروعى الابهاز والاختصار ، فقد كتب عنه أكثر من مائة وخمسين عالما من اسرئيليين وغير اسرئيليين ولو جعت كل الكتب التي أتى ذكره فيها لتألفت منها مكتبة كبيرة . وهناك أترك جانباً كل ما يخص بالوجهة الاسرائيلية من تصانيفه ومؤلفاته ، وهذا ليس بالشيء القليل بالنسبة لما في علومه الدينية والفقهية من الاهمية وأقتصر على الكلام عن المكاتبة العليا التي بلغ ذروتها في تاريخ الفلسفة ولاسيما تأثير الآداب الاسلامية فيه بأصالة بطلاده الاسلام المعاصرين له مكتفيا بذكر الدور العظيم الذي مثله هذا العالم الجليل في القاهرة مدة (٣٧) سنة بصفته حجة دينية ورئيسا روحيا للاسرائيليين وطيبيا في البلاط الايوبي والمجتمع البشري

(أصله ونسبه)

ولد أبو هجران موسى بن ميمون بن عبد الله يوم (٣٠) مارس (١١٣٥) م . في مدينة قرطبة عاصمة الامويين بإسبانيا وتوفاه الله يوم (٢٠) ديسمبر ١٢٠٤ في مدينة القاهرة . وبعد أيام من وفاته نقل جثته الى مدينة طبريا بفلسطين حيث دفن . وقد حفظت التقاليد الاسرائيلية أسماء أجداده حتى السابع منهم وأساء ذريته حتى النسل السابع فيهم . وبين محفوظات الاسرائيليين الأثرية في القاهرة عطلوط على جانب عظيم من الأهمية كتب بالعبرية والعربية وفيه ذكر لأحد أفراد ذريته من الجيل السابع يدعى داود ميموني كان بكهنة صاحب الترجمة رئيسا روحيا للطائفة الاسرائيلية في القاهرة سنة (١٤٠٤) م ويطلب على الظن انه هو الذي قصد في أواخر حياته الى دمشق الشام ليستوطنها مع عائلته

وبعد ذلك تشتت تلك القرية في أنحاء مختلفة . فقد ورد في التاريخ ذكر اسمين أحدهما علم يدعى ميمون القاسي نسبة الى ماس وذلك في سنة (١٤٣٨) والآخر في سنة (١٥٦٨) كان عائشا في بلدة مودانو بإيطاليا ويكنى بالبابز وفي أيامنا هذه نرى عائلات اسرائيلية كثيرة من أصل أيباني تحمل هذا الاسم الا أن كلمة الميموني لم تكن في الأصل اسما لعائلة بل لشخص . فوالد صاحب الترجمة كان يدعى ميمون بن عباديا أي عبد الله وكثيرون من اسرائيل المغرب والجزائر يدعون بهذا الاسم كيمون النهان وميمون البريل . والثابت عن اسلاف الميموني انهم كانوا قد رحلوا من مراکش الى قرطبة مع غيرهم من الاسرائيليين ، وكان ذلك في عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث

(صباه ودروسه الابتدائية وأسفاره)

تولى والده تربيته وتثقيفه وكان منذ حداثة يث في نفسه محبة العلم . ثم سلم زمامه الى أشهر الاساتذة في قرطبة . فكان يدرس أصول الدين الاسرائيلي على أساتذة اسرائيليين والعلوم على أساتذة مسلمين . وكانت العربية والعبرية لسانه القوي . وعدا فصله من العلوم العبرية يدرس العلوم اليونانية والعربية والارياضيات

والطبيعات والطب والفلسفة . على أنه لأسباب سياسية اضطر والده للهجرة مع أسرته فغادروا قرطبة أيام كان صاحب الترجمة في الثالثة عشرة من سنه . وبعد أن تجولوا مدة اثني عشر عاماً في مدن الأندلس عقدوا النية على الوطن في مدينة قرطبة سنة (١١٦٠) فقصدها إليها وأقام فيها وراحتهم شتوا رحالهم إلى فلسطين ومنها إلى الاسكندرية حيث أقاموا شهوراً ثم جاءوا إلى القاهرة واستقروا فيها . وكان صاحبنا قد بلغ الثلاثين من سنه . على أن كل هذه الأسفار وما كان يشغلها من مشاق وأخطار فضلاً عن العذاب المادي والادني الذي كانوا عرضة له في كل آن . كل ذلك لم يوقف صاحب الترجمة عن متابعة عمله نحو الغاية العلمية التي كان يسعى لها . خيانه من هذه الوجهة يجنر تشبيها بحياتنا نحن سينا كما لها من حيث الجهود والتأليف والشهرة أشبه شيء بحياة الغزالي . وبالفعل أنه لم يبلغ العشرين من سنه الا وكان قد ألف كتاباً في التوفيق الفلسفي وكتاباً آخر دعاه : مقالة في صناعة المنطق

أما مؤلفاته العلمية فيمكن حصرها في ستة أقسام وهي :

- (١) علم التفسير
- (٢) علم الفقه
- (٣) علم الكلام
- (٤) الفلسفة وعلم ما فوق الطبيعة
- (٥) علم التصوف أو الاخلاق
- (٦) الفتاوى والرسائل

(علم التفسير وعلم الفقه)

لأعرض لبحث مذهب في علم التفسير العبري لأن ذلك من الموضوعات التي تهتم رجال التفسير الاسرائيليين دون سواهم . الا أنه لا مندوحة من القول أنه انتم في كل تأليفه خطة الوضوح والدقة في التعبير وهي الخطة التي ينبغي أن تتوافر شروطها في علم العقليات . أما فيما يختص بعلم الفقه فبوسعنا أن نقول أنه كان أول مهندس شرعي ففكر في ترتيب وتبويب جميع أقسام التشريع الاسرائيلي وقد كانت حينذاك مبهمه ومختلطة بموضوعات أخرى لا علاقة لها بالتشريع وولادة في التلمود وهو سفر مؤلف من ستين جزءاً أعدا التفسيرات الكثيرة . فقد كان كل مهندس يبدأ بوضع رسم البناء ثم يقسمه إلى طبقات ومساكن وغرف بحيث يفسر لزاماً الفصول والمخرجات من غير صعوبة . وكانت هذه خطته في تأليف كتابه الشهير المعروف باسم «اليد القوية» وهو مؤلف من ١٤ جزءاً ويقسم إلى فصول وبنود وأبواب ولغزارة مادته وقضله في جميع العلوم واكتسابه شهرة عظيمة لقب بالنور الغربي والنسر الاكبر كآل قب الغزالي بحجة الاسلام . والان نشرح للقارئ المسلم الكريم مكانة هذا العالم الكبير فيما يختص بعلمه الدينية والفلسفية والاخلاقية

(علومه الدينية وفلسفته)

ان هذه العلوم مع شدة اتصالها بعلم التفسير مرتبطة به كل الارتباط لانها ترجع في أحكامها وأدلتها إلى النصوص المقدسة . فانك تجد في كتاب «أنوار التنزيل في أسرار التأويل» للبيضاوي المبادئ الدينية كما تجد مبادئ الزمخشري في كتاب الكشف فيما يختص بالعلوم الدينية والفلسفية والعقليات . وتعلم أيضاً من أبحاثه في كتابه «دلائل الحارثين» أنه وقف على أسرار فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس وعلى علوم الصوفية واخوان الصفا وأصحاب العدل والتوحيد وأنه لم ينفذ عليه شيء من مبادئ هذه الفرق . واد تراه يذكر الزمخشري فلا بد من الاعتراف بأنه كان مطلعاً على الاطلاع على كتاب الملل والنحل . كذلك في كتبه التي بحث فيها عن المعتزلة ومؤسسها واصل بن عطاء . ومن الأمور التي تستوقف الأنظار وجود شبه كلي بين مؤلفاته ومؤلفات الغزالي

من حيث الاسماء والموضوعات ففي كتابه « مقالة في التوحيد » نجد شبهات بينه وبين كتاب « العقيدة » وكتابه « دلالة الحائرين » كثير الشبه بكتاب « المتقمن الضلال » وكذا مقالته في الاخلاق . انتهى الكلام

على موسى بن ميمون
أماما جاء في « مجلة المرشد » فهذا نصه

(اعترافت جاسوس)

أو

(ثلاثون عاما في الاسلام)

ندبت الحكومة الفرنسية في القرن للماضى المسيو (ليون روش) ليكون جاسوسا على الأمير عبد القادر الجزائرى وأوعزت اليه أن يظهر عنده بالاسلام وأن يتوصل الى أن يكون موضع ثقة ومحل أماته . ففعل ذلك وبجح وأقام في ديار المسلمين ثلاثين عاما تعلم في أثناءها اللغة العربية وفنونها والاسلام وعلمه ، واختبر الأوطان الاسلامية للمهمة (الجزائر ونونس ومصر والجزائر والقسطنطينية) ثم ألف كتابا اسمه (ثلاثون عاما في الاسلام) قال فيه مانصه

« اهتمت دين الاسلام زمتا طويلا لأدخل عند الأمير عبد القادر ديسية من قبل فرنسا وقد نجحت في الحيلة فوثق في الأمير وثوقا تاما وانخدع سكرتيرا له ، فوجدت هذا الدين (الذى يعبه الكثيرون منا) أفضل دين عرفته ، فهو دين انساني طبيعي اقتصادى أدبى ، ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعا فيه ، بل اننى عدت الى الشريعة التى يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت من الشريعة الاسلامية أخذنا ، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجالا وكرما بل وجدت هذه النفوس على مثال ما علم به الفلاسفة من نفوس الخير والرجة والمروءة في عالم لا يعرف الشر والقو والكذب ، فلم يسل بسبب لا يظن بأحد سوا ، ثم هولاء يستعمل محرمات في طلب الرزق ، ولذلك كان أقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين ، ولقد وجدت في الاسلام حل للمسائلين الاجتماعيةين اللتين تشغلان العالم طرا ، الأولى في قول القرآن - إنما المؤمنون اخوة - فهذا أجل مبادئ الاشتراكية ، والثانية في فرض الزكاة على كل ذى مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبا إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية . إن الاسلام دين المحامد والفضائل ، ولولاه وجد رجالا يملكونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين ، ولكن وجد بينهم شيوخ يحرفون كلامه ويمسحون بجاهه ويدخلون عليه ما ليس منه ، وانى تمكنت من استنواه بعض هؤلاء الشيوخ في القبروان والاسكندرية ومكة فكتبوا الى المسلمين في الجزائر يفتنونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين وبأن لا ينزمو الى الثورة وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس . وكل ذلك لم يكفى غير الآتية القهية » اهـ

(جوهره في قوله تعالى - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - مع قوله فيما سياتى - يأيها

النبي - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا -)

أقول : ومن شأن السراج المنير وهو السمس أن قم - أشعثها ، ويضم الى ذلك آية - يأيها النبي - إنا أحطنا لك أزواجك - الخ وانما جعلنا هذه الجوهره مشتركة في هذين الموضوعين عموم شريعته وجواز تمتد زواجه فوق الآر به لأن ذلك كله جاء في المقال الذى عنوانه بهذه الجوهره من كتاب العلامة (الكونت هفريدى كاسترى) المسى « الاسلام - خواطر وسوانح » قال تحت عنوان الفصل السادس مانصه

(انتشار الاسلام ايلم الفتوحات العربية)

تخطيط عمالة الاسلام . انتشاره في افريقيا الوسطى . تجار المسلمين . مستكشفو الاورب بلوين
الاسلام في مبدئه وبعد ذلك . اسباب الانتشار . الرسائل للمسلمون . الفولبوسيون والخواصه

اسباب انتشار الاسلام الإلهية

قد كشفنا الغطاء عن العلل التي انتجوها سببا في انتشار الاسلام انتشارا عظيما وينا فسادها ووعدها
بيان الاسباب الحقيقية عند البحث عن نفسه في هذه الازمان لاننا نعتقد ان استطلاع حال هذا الدين في العصر
الحاضر لا يلقى آرا لما زعموه من أنه اما انتشر بعد الحسم كافتدائه من قبل ولو كان دين محمد ﷺ
انتشر بالعرف والاجبار لزم أن يقف سيره باقتضاء فتوحات المسلمين مع أننا لانزال نرى القرآن يبسط جناحيه
في جميع أرجاء المسكونة وهذه الحركة المستمرة في هذه الأيام تحمل على الاعتقاد بان الاسلام هو الدين الذي
جاء موافقا لطبيعة البشر . وظن آخرون بان الاسلام كان تابعا لتمدن العرب وحضرة الخلفاء التي كانت تأخذ
بالنفوس في دمشق وقرطبة وبيداد وأما نقض باقتضاء ذلك قال (بارتلي سانت هيلير) ما عاد أحد من
الناس يمتنع الاسلام . والواقع أنهم أخطأوا في معرفة حقيقة الامر بان انتشار الاسلام وتمدد العرب فأما التمدن
فهو أمر يعتبر لنوا في الاسلام أو هو قبيض له وعلى كل حال فهو عارض فيه وساعدت الظروف على نموه بجانب
القرآن ولو أنه استمر لافقا نور دين النبي العربي بسقوط الامراء في مهو اقعنم التصديق وثقة الايمان وانحياز
الأمة الى عالم التخيل والاداهم . وبينما كان هذا حال مدن الخلفاء الآلهة بالعمران فلا تحصى شعراؤها ولا تعد
الأدياء وفيها الفلاسفة يتناغرون والعلماء في المعارف يتناقشون كانت صحارى العرب وليبيا وافريقيا محفظة على
الدين الاسلامي في كمال الأمل ولم تمسه فيها يد اجني عن تعاليمه أو خارج عن شرائعه هناك كان منبع رسل
ذلك الدين الذين انتشروا في الاصقاع كتمل عليه قبورهم البيضاء التي نشاهدنا الآن في افريقيا الشمالية

وسنحصر كلامنا في انتشار القرآن على قارة افريقيا وانما نذكر على سبيل العرض أن له في الصين
عشرين مليوناً (١) من النفوس وأن المسلمين ويقال لهم عندهم (هوى هوى) منزلة عليا في المملكة لوسطى
قال موسيو (وأزليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي ان مسيره القيام مقام مذهب
(ساكياموني) (٢) وان لمسلمي المملكة السلوية اعتقادا جازما بان الاسلام لابد أن يسود حتى يزول به
تلك البينة القديمة البودية وهي مسئلة من أهم المسائل اذ الصين آهلة بثلث العالم أو تزيد فلو صاروا كلهم
مسلمين لاوجب ذلك تغييرا عظيما في حالة تلك البلاد بأجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الاكبر
المهادي ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم أن أمة الصين علمة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم
تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذوالباس القوي تخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطتها
(٣) وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام غافر لاعملة على غيره من الأديان التي
تتنازع البلاد الصينية (٤) والاسلام قليل في أوروبا ومع ذلك زاده في شمال تركيا الى ليطونية وهو أيضا

(١) كلا . بل هم ٧٠ مليوناً الآن (طنطلوى جوهري)

(٢) هو أحد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع
فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم أو المتطور ووضع للمذهب القوي اتخذته الصين والهندينا وكان ظهوره
في القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل في القرن السابع وهو الأرجح

(٣) راجع كتاب موسيو دابرى للمسمى البينة المحمدية في الصين وتركستان الشرقية الطبوع في

باريس سنة ١٨٧٨

(٤) راجع مجلة تاريخ البينات في شهرى مايو ويونيو سنة ١٨٨٣

في أمريكا حيث أدخله الزنج وغيرهم إلا أن أفريقيا لازال بلده المصطفاة فهو فيها كالمهابة المسيحية في أوروبا قال موسيو (بولنيك) يسكن المسلمون جميع الشواطئ من (سيارالبون) إلى موزمبيق البرتغالية مارا براكش وولايات البربر (المغارة) وقال السويس وأما في الوسط فيمتد الاسلام من البحر الاخر إلى المحيط الاطلسي ومنه إلى البحر الأبيض المتوسط إلى الممرجة السادسة من العرض الشمالي وتقدم أنه في الساحل يمتد إلى موزمبيق البرتغالية أعني أنه يقرب من الممرجة العاشرة من العرض الجنوبي وفي (مدغسكر) كثير من المسلمين حتى إن بعض المستشرقين ذهبوا إلى أن اسم الجزيرة (مدغسكر) أصله مأخوذ عن العرب قال موسيو (مونليط) وأكثر انتشار الاسلام في أفريقيا فهو يتقدم فيها تقدما سريعا وينجح نجاحا كبيرا لأن أرض المسلمين فيها مشهود بمالهم من المسكنة في الجهة الشمالية وهم آمنون على سلطانهم الدينية في تلك البقاع التي تليق في الصحراء حتى تبلغ بلاد السودان الواسعة فلا يناعز الدين الاسلامي دين غيره لذلك يكثر عددهم ويغزو الدين على الملوك

وقد تخطى سيرة السودان وشرأب نحو أرجاء خط الاستواء وكان له مقر يغرب عن أملاك فرنسا في بلاد النيجر لذلك عرفه ضباط الطلائع وإن كانت معرفة سطحية ولكننا لم نقف على سيرة تمام الامعاء استولينا على الكونغو وشاهدنا القوافل الاسلامية تهرب أمامنا كن يريد أن يخفى سرا عن أجني والمسلمون اليوم محصورون بين أملاكنا في شمال أفريقيا ومها كزاني الكونغو وسنغال حتى كأنهم في قرصة نشدها أو قسح فيها حسب ما تقتضيه سياستنا

ولا انتشار الاسلام في وسط أفريقيا منجان الأولى الغرب وهو قديم امتد أثره إلى الشاطئ الاطلسي حيث دخل القرآن واعتقه سكان تلك الجهات ولكنه انتهى أمام تقدم الفرنسيين من ناحية سنغال إلى بلاد النيجر ولم يزل ينشئ آثاقا حتى خرج من (تنيكتو) وهي منجبه الأصل إلى (سقطو) ومنها إلى (كانو) ثم إلى (كوكا) والظاهر أنه استقر فيها وأما المنبع الثاني في الشرق وهو حديث العهد و يصل أثره بين (وداي) ودارفور بمحركين هما المهدي ورييس الطائفة السنوسية ويصل بينهما بين النجيين أنهار (شاد) و(أشاري) و(لونغوني) الجنوبية وأهل الشرق أهل حروب متعصبون أملم قوم الغرب فيمليون إلى التجارة والسلة وكان الفريقان يتقدمان بالاسلام بين الوثنيين المجاورين لهم على امتداد اثني عشر ألف كيلومتر حتى تلاقوا بالفرنسيين قبيل الكونغو نواحي نهر شاد فلم يقر أعينهم لهذه القيا لأنهم كانوا هجروا البلاد التي هاجها الكفار وظنوا أنهم يأمنون لقائهم في الجنود فلا يجمعون غير الوثنيين ممن لم يعرفوا للدور بين خبا ويقال إن الأوربويين الذين التقوا معهم أتوا من أقطار بعيدة في الجنوب حيث تمت لهم فيها السيادة ولم فيهاها كبر ومدرعات تروح وتقفو في أنهار واسعة تجري من الشرق إلى الغرب

ومن الأمور ذات الاهمية الكبرى بالنظر إلى انتشار الاسلام توسط الأوربويين في أفريقيا وحلولهم في نهر الكونغو لاهم بذلك قسموا القارة الافريقية من طرف إلى طرف وربما يخفى على حركة الاسلام الذي كان يمتد رويدا رويدا مطمئا من الشمال إلى الجنوب كما يخفى على التجارة التي كانت تروح وتقفو مع القوافل الاسلامية فيعكس جرها فاقبل إلى الغرب نحو نهر الكونغو لذلك اشتغل رؤساء المسلمين بهذا الامر اشتغالا لا مزيد عليه حذرا من انقلاب الحال في تلك البلاد وقد يفيد للتأمل أن يعرف كيف كانت تتابع مقابلة الأوربويين القادمين من جهة الكونغو مع المسلمين النازلين من السودان لولا أن هذا البحث يبعدنا عن مقصدنا فلنقتصر على البحث عن العلة في حياة الدين الاسلامي تلك الحياة القوية وما السبب في انتشاره هذا الانتشار العجيب وهنا يجب البحث فيها إذا كان الاسلام ديننا عموميا بطبيعته أو هو دين خاص بأمة من الأمم وهو بحث طرق بابه من قبل (موسيو كيغان) والجواب عليه صريح لا شك فيه من الجهة العلمية فالاسلام دين عام بغير شبهة

لأننا نشاهد للمسلمين في كل أمة على اختلاف الأجناس والبلدان فئهم الشرقى والشرقى والغربى والمندى والزنجى بقى علينا أن نعرف مع (موسيو كينان) ان كانت هذه الحالة العمومية ناشتة من طبيعة الدين أم متولدة من أسباب أخرى وهو يرى أن الأمة العربية ليست مهددة الطبعى وإنما هو ينتهى إليها وليس في طبيعة هذا الدين انه دين عمومى وهو قيد ثابت من نظر في الموضوع من احدى جهاته فقط لان الدين الاسلامى الذى منشؤه القرآن والسنة هو الذى تولد عنه ذلك الاسلام الذى يمتد في الوقت للشار اليه بالمدى عام لاجل حاله وانتقاله من حاله الاولى الى الثانية حصل تدريجيا بطريقة يتغير ضبطها وذلك بتأثير الزمان والأمة المختلفة التى اعتنقت به حيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو في أصله وتأثيره بعد أن صار كآراء في هذه الأيام فلا يضمن (موسيو كينان) اذا حذف تقسيمه الاسلام الى أولى ولاحق وقلت فيه كله كما قال في كتابه انه دين عمومى على ان الانتقال من حالة أولية الى غيرها ليس مرضا خاصا بالدين الحمدي بل تشترك فيه جميع الاديان فما يميز الى حالة الاسلام الحالية انتشار مذهب الزهد والاعتقاد بالاولياء وبعض الأموات وكثير من التعبيدات الأخرى ، وسبب ان المرء طماع في الدين يصل الخلقه ولكل أمل خاص ومن هنا تولدت تلك المذاهب والافكار لرضاء لشهوات تشتهد ظهورا كما تقدم العهد عليها ولم ينسج الاسلام من لوازم هذه الضرورة بل خضع اليها وأدامها حقها وهذا من أكبر أسباب قلعته ولكنه أيضا سبب من أسباب تناقضه لان تلك المذاهب لمختلف مبداء ولقد تعبد النفوس التى رقت أعنتها الى السماء ومالت الى التجرد عن المحاسن ورغبت في مشاهدة الحضرة الربانية طريقا مساوفا في مذهب التصوف يسهل عليها النسيك والتعبد وقضاياهم بعض المتشددين من العلماء وان كان الزهد بهذه الصفة أى الاعتقاد بالوصلة بين العبد والله مما يخالف مذهب التوحيد . ومن الناس من يرى نفسه بعيدا عن ربه فلا يستطيع أن يرفع دعاءه اليه وهو في بعض الأحيان غريب (كقوله لى ارزقني من الأبناء ذكورا ولا تجعل ما شئت تلد الاناثا) ولئلا تلك الافهام وجد في الاسلام مذهب الواسلين والذين صار بينهم توزيع كثير من المبرات في اعتقاد العامة واليهام صار يرحل اجمع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل فيجتمع اليهم قطاع الطريق والشحاذون والنسوة العاقرات وشبان يريدون الثروة والجاه وشيوخ نصب حود قواهم مع اننا لو رجعنا الى القرآن رأينا التصديق بالاولياء غير شرعى ولو جردنا أن النبي ﷺ حرم الاعتقاد بهم - والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربوا الى الله زلنى ان الله يحكم بينهم فياهم فيه يختلفون - والواقع أن الاسلام في مبداء ظهوره ما كان يقبل غير الاعتقاد بالله الواحد الأحد وقد بقي هذا المذهب كما بدا فهو اليوم جامعة تلك المذاهب واليه ينتهى كل اعتقاد

ومن مزايا الاسلام أنه دين رحيم فهو يمدح الجنة والنعم لكل مؤمن من دون تمييز على التقرب فالجارب يموت شهيدا والعالم يكتفي بتلاوة القرآن والاثنان مقبولان عند الله والفقير مكان على والفتى درجة رفيعة ولقد كان فكر النبي في الألوهية من أرفع الأفكار وأسهلها ولكنه تساهل كثيرا في تقدير الإنسانية لذلك تسلم الناس كثيرا في رغبتهم وما كانوا اليه يميلون . نعم يجب على الرجل أن يعتقد ويعبد الله ولكن لا يجب عليه أن يجارب نفسه وبمذهبها العذاب الايم ليقهرها اذ لا يقضى له أن يطلب لنفسه الكمال ولن يصل اليه لان من أراد الكمال فكانه أراد أن يساوى الله في جلاله وهو أسوأ الأعمال وأخبث الرغبات وكان رسول الله ﷺ يميل الى بعض ما يميل الناس اليه من المشييات فكان يقول على أسلوب بسيط (حب الى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة) ولقد يمسر الجميع بين هذا التفضيل وبين الليل الى النساء حتى يكاد العقل أن يرى في الأمر تهكما ولكن هذه الجلة لا تحتوى في الحقيقة على معنى خفى بل ما يفهم من لفظها هو الذى قصد منها ومن وعاءها فقد عرف الاسلام كإيماني وقد ورث للمسلمون عن نبيهم ميلهم الى ما كان يميل اليه فلاسلالة في قلوبهم منزلة سامية وليس التعبد بها عندهم خاصا بالنساء والأطفال كما هو عند المسيحيين بل هي منزلة من

مزاياء الرجال واحدى جهات فضلهم على النساء ولا يواظب عليها الصبي أو المرأة الا نادرا لاعتبارها عند المسلمين من أعظم الأمور التي تلازم فيها صفات الرجل التام (١)

ومع ذلك فن الشتمات مانهى النبي عنه وأمر بمجاهدة النفس فيه فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شرب يؤثر مثله وقد بالغ المسلمون في العمل بهذا النهى فكان من وراء ذلك أن نجت الأم الإسلامية من مرض السكرات وهي الهذبة التي تفجع اليوم بما كثير من المسيحيين وكانت إحدى الأسباب في اضطراب المجتمع الانساني وظهور مذهب الفوضيين مما تجهله الأمم الإسلامية

هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الثبات الالهية على صفات فوق صفات البشر قد كرها نفس صلوات في كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث أتبع الناس شيئا مما يشتهون وأعظم علم في انتشار الاسلام خصوصا عند الأمم النجبية (السود) بساطة مذهبه وسداجة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم طباع المجمع كثيرا الذين لم يعرفوا ديننا من قبل ذلك . ديننا لا سرار فيه ولقد أتى كل الشهادة يتقاض عنها عند الاحتضار بإشارة تدل عليها كرفع السبابة إلى السماء إشارة إلى وحدانية الله تعالى فكلمنا وجد الرجل الجاهل أمامه دينين متحدين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح وهما الاسلام ودين عيسى رآه يختار الدين الذي لا يزيد شيئا عن دينك الحقيقتين ويعتق الاسلام بلا محالة وهي قوة يفضل بها القرآن النهاية المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند القرن السابع عشر لذلك قرأ في كتب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن) ولا يفيين عن ذهن القارئ أن تلك الطاقة الشريرة أو الخرفة أو ما نشأ من الاسماء لا تزال حافظة لكل ماني الدين المسيحي من الأمور الظاهرة والوضوح القوية التصديقي مضافا إليه ما يوافق نظام الكون وقانون النشأة الدنيوية فقد أبعد عنه أحاجي الانجيل التي تخالف في أول الأمر غير صحيحة لانكرها العقول كما أنه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك الكتاب وبهذه الوسطة تمكن من رفع العقبتين التي يحس كل واحد منا بانهما الحائض بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في أيماننا هذه يتناحون عنه بالاسلام دون النهاية المسيحية

بقي علينا أن نستقصي الأسباب والوسائل المستعملة الآن لانتشار الاسلام وهنا أيضا نجد سببا عظيما من أسباب انتشار القرآن فراقوا راية الاسلام هم في العادة تجار بلد واحد تنافروا على جلب الرزق من بلاد قاصية فالبشر الاسلامي (ولملاحظ أن هذا الاسم غير صحيح عند المسلمين إذ ليس لديهم مبشرون متقلعون لهذا الامر كالسيحيين) لا يوجب عند الامم الجاهلية خوفا منه ولا فرقا تقدمه كما يحصل لهم ذلك من المبشرين المسيحيين وهم كما قال موسيو (موتيل) يعتقدون دينه لأنه لم يعرضه عليهم لها أشبها بالأم بالاطفال ترغب عما يقدم اليها وترغب فيها تحسبه متعوا عليها أما الطرق المستعملة في انتشاره فكثيرة متنوعة وأحسن موقع نبعث فيه عنها جهات أفريقيا بجانب الأملاك الفرنسية قرب خط الاستواء فليس من جهة يشاهد المرء فيها تقدم الاسلام أحسن منها

واقائمون بهذا العمل هم (الفولبوسيون) وهم الجنس الأبيض في السودان وله الاولوية على غيره . وهو أعرق في الاسلام واليهيم أشرفا عندما قلنا بأن أحد منبى الاسلام أقاليم نهر شادو وقد شاهدتهم المكتشفون الفرنسيون في (شاري) و (لوغونه) والفولبوسيون يتصلون بنشر الاسلام وتوسيع متاجروهم ثم هم يرمون إلى غرض آخر هو اتساع نطاق سلطتهم فظم خطط سياسية في الاستعمال مثل أوروبا يصلون لاجلها في أفريقيا قال موسيو (مسترن) أن الذي ألفت ذهننا كثيرا لما قلنا إلى جهات شاري هو النظام السياسي الذي تمكنت ملوك الاسلام في أواسط أفريقيا من إيجاد بين الأمم التي دافئ لكلمتهم (الفولبوسيين) مساعد كبير من حضائر

(١) كلا . فالمسألة واجبة على كل بالغ رجلا وامرأة

يقال لها الخواصة وهم من الجنس الأبيض وأقرب عهد بالاسلام وأقل منهم منزلة فنجسهم اليهم كنسبة اليهودى
 للمري وقد شبهنا باليهودى لانه تشبيه قال به جميع الرواد والمكتشفين من الاوروبواوين فالخواصة أمة لازمة
 لكنها محترمة كما هو شأن اليهودى يجب للمال ويتكهن طرق اكتسابه ولا يظلم بتجربه فيسير خلف
 (القولبوس) وهو رجل الحرب والفتوح ولا يستقر به القرار الا اذا آمن وتمكن والخواصة هم أهل المعارف
 والعلم في السودان حتى كلهم احتكروها الا أن علمهم قاصر على شيء يسير كالقراءة والكتابة في اللغة العربية
 وهو كاف لنفوذهم في الوثنيين لأن هؤلاء يظنون الكاتب والقارى الى درجة العبادة تحريا ومع ذلك فلا
 يزال الخواص وضع الدرجة في عين متبوعه القولبوس ، قالقولبوسيون هم أنصار الاسلام في الحقيقة
 والخواصة منهم بمنزلة الوعاظ والفقهاء ، ويمزى امتداد سطوة القولبوس دينيا وسياسيا الى تدخلهم في الخسومات
 التي تكثر بين القبائل الوثنية المجاورة اليهم فما تخصم الأهالي إلا وتدخل القولبوسيون ، أما الجهات التي
 اجتمعت فيها قلوب الوثنيين وخفت وطأة الشقاق ليسهم فلا يدخلون بينهم بدينهم وسياسيتهم إلا بالنساء
 ويتوصلون الى غرضهم في الغالب عند ما تركب جريمة قتل أو سلب حيث يوجد قوم من المسلمين لأنهم
 يراون اليهم الكتاب لتقتص منهم وبذلك ينشردينهم وتعاونهم ، ومهما توعت أسباب تدخلهم فان
 طريقة سياستهم تدل على حنق واقتدار فيها ومرجعها الى مبدأ الحماية التي توصلا الى وضعه بين الأمم المميج
 كما رواه موسيو (مستر) فمن احتسب بهم فقد أمن ومن خرج عن طاعتهم أصبح مهتدا ، ومتى احتمت بهم
 قبيلة ذهب رؤساؤها الى ملاك الاسلام في السودان فيولونهم المناصب ويلبسونهم الطلع ويردّونهم الى أوطانهم
 يحكمون فيها باسم سلاطين المسلمين ويحت رعايتهم ، فان كانت القبيلة أو القرية عظيمة أرسل السلطان اليها
 رسولا من قبله ليلاحظ حكومتها بالنيابة عنه والسفراء كلهم من الخواصة يكونون بجانب الحكم مستشارين
 ذوي كفة ونفوذ ومعارفهم وما يملكون من الأحكام بالقرآن تؤهلهم الى القضاء لشعبة اللاجئين اليهم وهم كالم
 يجتمع حوله التجار والافدون من السودان ، وقد يتفق أن بعض القبائل الوثنية لانحضع من أول ظهور
 القولبوسيين بينهم هناك تسلمو عليهم قبائلهم فقتل منهم وتأخذأبناء الرؤساء فتبع بهم الى السودان حيث
 يتربون على مبادئهم ومبادئ الخواصة ، وبعد زمن يرجعونهم الى بلادهم فيقومون فيها كقوّاب عنهم مثل
 الحكام الذين ترسلهم الممالك الاوروبواوية في مستعمراتها ، وفي تلك الأثناء ينشر الاسلام بمجرد الاختلاط
 والمعايشة وحب التقليد بدون أدنى اكراه ولا تعيين رسل أو مبشرين إذ بمجرد أن يشتري الوثني خرقة القطن
 من أحد الخواصة ويستجرها هو به يأخذ في تقليد البائع في الصلاة كالقردة ويتصرى ان اللحظة التي يصير
 فيها مسلما حقيقيا لأن اسلامه يأتيه تدريجيا ، ومتى كثر عدد المسلمين في بلد أقام فيها القولبوسيون مدارس
 يتولى الخواصة التعليم فيها ولكنهم لا يتدخلون في نشر الاسلام مباشرة بين البقية بل يتركون ذلك للخواصة
 أولا أهالي أنفسهم

وتذكر من الوسائل الناجحة في يد القولبوسيين لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوجون
 من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الأسباب على انتشار
 الدين الاسلامي ، وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك في بعض مكتبته حيث يقول « من الصعب أن يصم
 للمرء أذنه اذا قدمت اليه النساء والأطفال ومد كل يده اليه وطلب منه أن اعتقد بمن نعتقد »

على أن الزواج هو السبب في وجود أنصار الاسلام الأولين ، وكثيرا ما تزوج النبي ﷺ خديجة بنته لا
 لشهوة في نفسه ، فقد صرح بأن الله أباح له الجمع بين عشرة نساء خلافا لما فرضه لجميع المسلمين وهو
 اختصاص ندرك غايته لمن تأمل في الامور لأنه كان مصوفا عن النساء حتى بلغ الخامسة والمشرين من عمره
 وتزوج بالسيدة خديجة بعد وفاة زوجها الأول وقضى خمسة وعشرين سنة بعد ذلك مع هذه الزوجة وكانت

تلقه ولم يعل الى ما أباحت العرب قبل الاسلام وأباحه القرآن بعد ذلك من تصد الزوجات ولم يفسر ثم توفيت خديجة سنة ٦١٩ م وعاش بعدها اثني عشرة سنة تزوج في خلالها بغير نساء ليس بينهما إلا اثنتان كانتا بكرًا والباقيات مطلقات أو تميلات . قال (رولان) ان كثرة زواج النبي كانت ليزيد في نشر دعوته وهو قول يقصد به قوله القسح ولكنه حجة على أن النبي ﷺ لم يكن في تصد الزوجات شهويًا هذه هي أهم الأسباب في انتشار الاسلام ولست أدري أ كانت تكفي لادراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها من أسباب سماوية ، غير أن الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق ، وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة ، ونحن نعلم أن بهذا قال لآبراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيرا وكرره ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى تكونه من أولادك ، وأعاد بهذا هذه البشرية مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجا في الصحراء حيث رمى لموت عطشا ، وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظمأ وطمع الأم على ولدها من الطمأ ما يقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلا ثم جلست أمامه على مسافة رمي النبل وقالت لست أصبر أن أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل قد سبقها الى السماء فناجها الملك من قبل الله : مالك يا هاجر لا تخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعته فيه فقمي وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فيكون من ذريته أمة كبرى)

وقد ابرحت يدى عند ملامحتها لأزبل النطاء عن الكتاب المقدس كي أقل الآيات التي سطرها ولولا ما قاله الأب بروغل من أن قدم الاسلام أمر منسرج تحت ما بشره أبوالؤمنين لما تجرأت أن أطبق تلك الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سرا من الأسرار الربانية . انتهت الطليقة الثانية

﴿ الطليقة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا - الى قوله تعالى - وأعد لهم أجرا كريما -)
(في هذه الطليقة أربعة فصول)

(١) في الذكر الكثير

(٢) والسيح

(٣) وصلاة الله وملائكته على المؤمنين

(٤) وفي التبعة والسلام

﴿ الفصل الأول في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا - ﴾

إنني لأعجب كيف أقرأ نص هذا المعنى في كتاب (راجا يوتا) وبمنه الحكمة التامة المترجم سنة ١٨٩٦ في أميركا وقد ألقاه المترجم عنه محاضرات في تلك الأقطار بعد أن ترجمه من اللغة الهندية القديمة وقد اشترت الى هذا الكتاب فيما مضى من التفسير مرارا وقلت عنه ما يناسب الآيات ، إن في الكتاب مسألة لذكر الكثير وقد أوضحها الهنود فيه ايضا عجيبا ، يقولون منذ آلاف من السنين قبل النبوة الحميدة ماملخصه « إن الانسان لا يعيش إلا بالتنفس ، والصوره التنفسية لها الحكم على المورة الحموية ، وعلى مقدار الآثار في المورة التنفسية تكون الآثار في المورة الحموية والصوره الحموية تؤثر في الأعصاب والأعصاب توصل الآثار الى العقل ، ولأن حكم أمر تنفس فأخذ يدخل الهواء ويخرجه بالتدريج شيئا فشيئا ثم يحفظه في الرئة

قليل قليلا بقدر امكانه ، ثم يخرج به بالتدريج عدة مرات ويكرر ذلك في اليوم واليلة عدة دفعات بشروط خاصة فان ذلك يطيح قوة في الصلابة والارادة ، ومعنى ذلك أن زمام العقل والتفكير والارادة في يد أعضابنا وأعضابنا في يد العلم والهم في يد التنفس ، فاذا أحكمنا التنفس وذلقلنا لنا ذل ما بهد ونضع لنا ، وهناك تكون الارادة والزيمة طويح تفكيرنا ،

ولست أقول لك إن هذا القول يمكن العمل به بمجرد هذا البيان ، ولكني أقول يمكنك أن تنفس كل يوم عدة مرات في الخلاء بحيث تدخل النفس بالتدريج وتحبسه وقتا طويلا فترطقتك ثم يخرجها وتقل العلم فترطقتك ثم تنفس مرة أخرى ، فهذا نافع جدا في الصحة والقوة الجسمية ، وهذا يمنع الزكام وكثيرا من الأمراض ، وليس هذا مقام الاقامة في هذا التنفس فان علم التنفس كله الفرعجة عن علماء الهند وقد قصدوا به التداوي ومجحوا واستغنوا به عن كثير من الأدوية ، وانما هذا المقام مقام ذكراته كثيرا وذكر الله كثيرا انما يكون بالكلام والكلام بالتنفس والتنفس يصل حكمه الى الأعصاب الواصلة الى النخاع الشوكي الآتي بيانه في (سورة فاطر) عند قوله تعالى - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه - الخ والأعصاب هناك (قصاب) أعصاب حس وأعصاب حركة خارجات كلها من الحبل الشوكي المتصل بالبخ ، والحبل الشوكي والمخ هما المركز الأصلي للاحاساس والحركة ، وقد وزعت أعصاب الحس وأعصاب الحركة على جانبي الفقرات توزيما عدلا وهي (٣١) زوجا والزوج عصبان عصب للحس وعصب للحركة ، وهذه الأعصاب تنجى الى أطراف الجسم كاليد والرجلين وظواهر الجلد ، ومتى أحست تلك الأعصاب بطارئ ما وصلت خبره الى النخاع الشوكي والنخاع الشوكي بطريقه الى المخ والمخ حالا يأمر الأمر فيه أعصاب الحركة بالعمل لما يناسب ذلك الطارئ جلبا أو دفعا ، أما المخ ففيه (١٧) زوجا من الأعصاب كلها موصلات للحواس التي في الرأس كالعينين والأذنين والمنخرين ، وكل هذا ستره في (سورة فاطر) كما قلته لك الآن مرسوما مشروحا وهو الذي أجله علماء الهند في ذلك الكتاب الذي قرأته بالانجليزية مترجا عن اللغة الهندية لشرح ذكراته كثيرا . قالوا ان الأعصاب المذكورة هي الموصلات للأخبار الدوافع للحركات ، وليس لنا الانسان والحيوان إلا أمران حس وحركة (وبعبارة أخرى) علم وعمل وهذان النوعان قد تحجيا في أعضابنا وأعضابنا خارجات من النخاع الشوكي والنخاع الشوكي متصل بالمخ وهو مقر الملك وهو العقل المدبر فالرجح كله لهذا الرئيس المدبر المستوى على عرش ملكتنا ، ولكن هذا الرئيس يتأثر به الأعصاب سلبا وإيجابا ، فاذا أكثرنا من ذكراته وكرياه مرارا فان الكلام حركات في النفس والنفس يؤثر في الصورة فيصل الأمر الى هذه الأعصاب وينقل بحكم المجاورة الى الأعصاب فيحصل الحب ويكون الوصول لله . إذن فذكر الكثير لله يقرب اليه

هذا ما أروضه القوم في ذلك الكتاب ولكنهم يقولون (إنا حب الله ربنا فيفيد الانسان ، ولكن مادام محبا للدينا فانه يكون ناقص النفس فليس كل من أحب الله ووصل اليه وصولا تاما يكون كاملا ، فحب هذه الحياة قص عظيم)

أنا لست الآن أقول ان هذا القول كله حق ، ولكني أقول : اللهم ان العرب في جزيرتهم لا يعرفون ماهود ذكراته والقرآن جاء فيه - واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون - والعقل ليس عندهم براهين تدل على أن الانسان اذا ذكر الله مرارا يكون له الفلاح وهذا انما جاء بلوحى ، وظهورهم قبلنا كانت عندهم هذه المباحث وعقلوها وفكروا فيها أمر عيب ، وهذا معنى قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - . فهوؤلاء القوم سبقوا وقد تقدم أن كتاب الفيدا الهندية الذي سبق الاسلام بعشرات آلاف السنين بل جاء في آثار الهند كتاب لعالم منهم ألف منذ نحو (٦٠) ألف سنة يقول : ان كتاب الفيدا لا يعلم متى وجد

فبوجهول التلويح والبسمل . إذن هذه مهزة لمن الاسلام ، وكـ في الاسلام من مجهزات ، وهنا في هذا المقلم مهزة ثانية ، ذلك انهم يقولون « ان في الفقرات أمرين التلويح الشوكي (الحبل الشوكي) للموصل للحسن والحركة وفراغ لامادة فيه وذلك الفراغ تمتد من الصحن للتمعن الذي لا فراغ فيه الى المخ . قلوا وهذا الفراغ المستطيل الواسل بين هاتين الهاتين ملئى لا عمل له عند أكثر الناس ولكن هناك أناس قد قويت عزائمهم وعظمت مواهبهم بالأعمال العظيمة وبممارسة الذكر والفكر أو بالتنفس المتقنم أو ذكر الله فيؤلا هذه الأعمال المقويات لعزائمهم تجعل جميع قوى العقل تحت إرادتهم ويقولون ان كل عمل من أعمال الناس آمنه ففتح لهم فتحة جديدة في تلك العظمت للثقة التي في آخر تلك العظمت ونسى (الونس) وهذه يقولون إن فيها سرالانسان وعلمه وسكته ولانسان (في نظرهم) حالان الحال المعتادة وهي ما نحن عليه من وصول الآثار من الخارج الى قوسنا بطريق هذه الأعصاب كما هو حاصل للحيوان فلنا وله حسن وسرعة بهذه الأعصاب الواسلات للتلويح الشوكي الموصل للماغ . والحال العارفة للعادة بأن يفتح ذلك المثلث وهو (الونس) الذي فيه عجب الذنب . ومتى فتح اتصلت العلوم الخزونة فيه بالماغ والموصل بينهما الفراغ الذي في فقرات الظهر . وهناك يعرف الانسان علم كل شئ فلا يحتاج الى تلك الأعصاب حتى يعرف العلوم القليلة . فكيف هذا وقد أصبح محيطا بالعلوم التي يقدر عليها الانسان بحسب روجه هو لا بحسب ما نوصله اليه الخواص كافي الحيوان

هذا ملخص ماقرأه في ذلك الكتاب أوضعه ايضا بما دام أدع منه شئ . فهذا هو المشار اليه بعجب الذنب في الشريعة الاسلامية فان الآثار والأخبار ما يدل أن لزوح باقية وعجب الذنب باق لما معى هذا ولماذا يسمى ذلك في الأخبار ؟ ولماذا ينزل الله ذلك على لسان رسولنا ﷺ ونفس هذا المعنى جاء في كتب المنود بطريق آخر وهو ان هذا هو سرالانسان وعلمه . فلذا ورد : أن عجب الذنب باق كبقاء الروح ووجدنا أن علماء الهند قبل عشرات الالوف من السنين يقولون « إن عجب الذنب متى اتصل بالماغ من طريق هذا الفراغ فان العلوم الخزونة هناك يعرفها العقل فعنه أن ذلك المكان في نظرهم مستودع العلوم ومستودع العلم يمد العقل فكأنه غدة العلم كما ان البنكرياس غدة المادة الهاضمة والغدة الست في الفم جعلت لهضم المواد النشوية والصفراء وغدة المصنعة والامعاء كلها لهضم المواد الكربونية والنشوية وهكذا وكالغدة المسماة بالنخامية وللغدة الصوبرية في المماغ فان لها تأثيرا على نظام الأعضاء الجسمية ، وسيأتى أيضا في ﴿سورة فاطر﴾

ولست أقول ان ما قاله المنود مبرهن عليه في هذا أيضا ولكني أقول العجب أن يتكلم المنود في عجب الذنب وانه غدة العلم فيما كان وما يكون ويحيى في ديننا أمثال قول علماء التوحيد عجب الذنب كالروح لكن حققوا * وصوله الى البسلى ودققوا فلعلماء ﴿قولان﴾ قول اتيه بالروح ، وقولاته فان كما يخفى الجسد وليس هذا هو المقصود ، انما المقصود أن يرد هذا في ديننا ويوازن بالروح تارة وبالجسد تارة أخرى فبالأول يحكم ببقائه وبالتالى يحكم بفناءه ، وعلاؤنا وجهم الله معنورون في هنا ولم الحق أن يرجحوا فناءه لأنه من نوع الأجسام ولكن كلام أهل الهند أرجح الى العلم الخزون ، وهذه أمور فوق عقولنا لابرهان عليها ولكن المهم ان هذا مهزة ثانية والله يقول - بل هو آيات ينزل في صدور الذين أوتوا العلم - فهذه علوم عند أم خلت وربما كانت لها أسرار لا نقلها الآن ووردت في الاسلام ليعقلها قوم بمسندا ويشرحوها - والله يقول الحق وهو يهدي السبيل - وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا -

﴿ الفصل الثاني في قوله تعالى - وسبحوه بكرة وأصيلا - ﴾

اعلم أن الانسان اذا ذكر الله كثيرا فتحت بصيرته ، وقد علمت أن أهل الهند سبقوا الاسلام بذلك في الفصل الأول وهذا هو معنى قوله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما صابنا به ابراهيم وموسى وعيسى - الآية وقوله تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - وقد تبين لك أن هذا مجزأة اسلامية من حيث تلازم البيانات في الاصول وان كانت مهجورة بعيدة المدى ، ومن المطلع على طرق الصوفية في العالم الاسلامي وجد بينها وبين طرق أهل الهند ملازمة ترجع كلها الى ذكر الله تعالى ولكن بصيغة الاسلام وبصفة كتاب (الفيدا) الهندى

ولقد حقق علماء الاسلام أن هؤلاء الفناكرين لهم لا يصل الى المعرفة التي يقول بها علماء الصوفية إلا النادر جدا بل كثير منهم يسهم الجنون فلا تنتفع بهم الأمة وهذه إحدى نكبات الأمم الاسلامية . كثرت فيهم طرق الصوفية وعاشوا عبثة روحية كأهل الهند ولكنهم في الوقت نفسه لم يصل جميعهم الى العلم التي بشرهم بها أشياخهم ، بل ران على قلوبهم التفليد ، وهناك يصل لم شكركم وأوهم يقول الأذكاء فيهم وكيف يكون الله أرسم الراجين وهو عرشنا ويمتنا وأهل الشرق والغرب في فضال وقتل مستمرين وأصحاب الأسلحة البارية من أوروبا يهجمون على الشرق فيذلون الأمم . ثم ماهذه النظم الأرضية . وماهذه الحرارة والبرودة والمتناقضات في الأرض . وكيف يكون زيد الصالح فقيرا وعمرو العاطل غنيا ، إن هذا لشيء عجاب ! ، فيقال لهم في القرآن - وسبحوه بكرة وأصيلا - والتسبيح تنزيه عما يظن فيه سبحانه من أنه ترك العوالم تتخبط كأنه لم يكن هو بصغيرها وكبيرها بن هي دائرة بلا نظم ، ولو كان صانع العالم مطلقا على جلائل الامور ودقائقها لم نجد ناسكا أحرق نوبه وهجوذا هدم البيت عليها وطفلا ولد مشوها وإمرأة مات طفلها فاحترق فؤادها ولا طفت أمة على أمة ولا طغى طوفان الأنهار وسحق النار على فريق من الناس فأهلك الحريث والنسل وهكذا مما لا حصر له . فذكر التسبيح في الآية بهذا كثيرا ليكون في الأمم الاسلامية ﴿ فريقان ﴾ الفريق الأول ﴿ فريق العباد ﴾ (بتشديد الباء) الذين يسبحون الله بكرة وأصيلا إذ يسمعون قوله تعالى - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آتاه الليل فسبح وأطراف النهار لم تترك رضى - وقوله تعالى أيضا - الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا - وقوله - سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم - ويسمعون - وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأقبل النجوم - وقوله - وتسبحوه بكرة وأصيلا - وقوله - سبح اسم ربك الأعلى - وقوله - فسبح باسم ربك العظيم -

فهذا الفريق للمسبح يكون تكرار التسبيح منها لما يعلق بنفسه من تلك الشبهات ، فكما أن الذكر يفرح به ويقر به له ، فإن التسبيح بتكراره بكرة وأصيلا يحزن النفس على أن يتقاعد عن تلك الشبهات وتوطن الضمير على أن يعتقد أن الله منزّه عن الشرور والأفلة ، وأن ما نأمله من تلك الصائب في هذا العالم هو يعلم نتائجها وز فيها حكم مجزئا عنها ، فالتسبيح إذن أشبه بالخراس التي يحرس العقل من التعرض لهذه الشبه ، فهنا ﴿ أمران عجيبان ﴾ الذكر بقوله - اذكروا الله ذكرا كثيرا - وذلك لاستحضار المذكور وتكون النتيجة حبه ، ولكن الحبيب التي يغد الواشى حبه معرض حبه للذهاب فتكون القطيعة فجأة بعد ذكر التسبيح وتكراره يحصل ما ينسب التوهم المغناطيسى فتذهب تلك الوساوس فيقرب الحب على حاله حتى اذا فارق الانسان هذا العالم فهناك يدخل في عوالم فهم فيها ما جهل هنا . فالتذكر تخليعة والتسبيح تخليعة ولذلك نسمع الله يقول - الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم - فالجد نوع من الذكر والتسبيح تخليعة عن تلك الشبهات . ويقول - دعواهم فيها سبحانه اللهم - لجل التسبيح

مع الحد (و بعلرة أخرى) التحلية مع التحلية . هذا هو الفريق الأول وهم العباد (بشديد الباء)

(الفريق الثاني في الأم الإسلامية)

الفريق الثاني في الأم الإسلامية هم الذين يسبحون الله بكرة وأصيلا كالفريق الأول ولكنهم لم عقول راجحة فلا يقفون عند الشبهات التي ترد عليهم بتكرار التسبيح لأن العابد درجة محدودة ولكن العارف بالله أرقى من العابد . فيقول هذا الفريق : نحن قرأنا في ﴿سورة آل عمران﴾ - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتنابذ النار - فيقولون ههنا سمعنا ذكر النار وعذاب النار بعد الذكر والتفكير . وههنا يقولون الذكركل العباد ولكن العارفون بالله لا يقفون عند الذكر فهذه مرتبة ضعيفة بل يفكرون في جلال ربهم وصنعه

وهذا معنى قوله - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - . نعم نحن نسبح في الركوع والسجود وبعد الصلوات . ففي الأولين (١١) مرة وفي الثالث (٣٣) وعند النوم كما في الحديث (٣٣) أيضا ونسبح بكرة وأصيلا . ولكننا لا نقف مكتوفي اليدين أمام عظمة ربنا وجلاله . وهذه الطاقة هي التي ستظهر بعد انتشار هذا التفسير . وسيكون في الأم الإسلامية فطاحل الحكماء الذين لم يخلق في أمة مثلهم وهؤلاء هم عماد هذه الأمة بل هم عماد الأمم . فهؤلاء يعيشون محبين لربهم وتخلقه ويعملون حياتهم كلها في درس نظام الطبيعة وجاها . ولا معنى لهذا كله عندهم إلا أنهم أحبوا وحشوا مبدع الكائنات وأحبوه لما نقش وزق وأبدع وأحكم وتوقع وصف . وهذا الفريق فقط هو الذي يفهم لم كان المرض وللولوت والفقر والطوفان والحرب واستئلال الأقوياء أرض الضعفاء في هذه الأرض . ومستحيل أن ينال هذا الإنسان في الأرض إلا بدراسة مجمل العلوم الرياضية والطبيعية لأنها آثار الصانع الحكيم فان لم ندرس آثاره واكتفينا بقراءة كلامه كنا أشبه بمن قرأ كتاب الملك الذي نشره في رعيته ولم يعمل به . وغاية الأمر أنه يكرر الكلمات التي أرسلها في ذلك الكتاب للمشور . وهذه وإن كانت سخافة وقلة عقل وجهل في كتب المتألفين فهي ليست كذلك في كتاب الخالق لأن كتاب الخالق عز وجل له منزلة خاصة . فانظر رعاك الله إلى أجسامنا وأجسام حيواننا وإلى نباتنا فالك ترى أكثر نوع الإنسان يعيش ويموت وهو لم يدرس هذا الجسم ولا عقل من عجائبه شيئا . وهكذا يأكل من الحب والفاكهة وهو لم يدرس ولم يعرف عجائب النبات كما لم يعرف عجائب جسمه ومع ذلك ينتفع بالفاكهة ويلبج ويجسمه بالمجهولات عنده جهلا لما . أكثر هذا الإنسان هكذا حاله ، بجسمه المملوء من الجبال في نظام ، وكل ما حوله من علوم ومشروب مجهول جلالة عنده ، وهذا الجهل لم يمنعه أن يعيش بجسمه عمرا طويلا ولأن ينتفع بالنبات والحيوان ، وأقل هذا النوع الانساني هم الذين أدركوا جلال أجسامهم وجمال طعامهم وشرابهم من حيث النظام والابداع . فلذا صح هذا في أجسامنا وفي كل ما حولنا وكفه من حسن الابداع وسعة الرحمة من المبدع الحكيم . فهكذا صح في تسبيحنا . فالمسبح بقوله ﴿سبحان الله﴾ وهو من العابدین قد نال أثر ذلك التسبيح في نفسه فتباعدت عنها تلك الشبهات كما اتفقت الانسان بجسمه أمد الحياة وبما حوله من طعام وشراب وهو جاهل بذلك كله . فأجسامنا وتسيبنا وذكرنا أشبه بما قيل في كتاب كليله ودمته - وثقه المثل الأعلى - فهو للجهال حكايات تفرحهم وهو لخواص حكمة وهم وسيلة . هكذا أجسامنا وما حولنا للجاهلین حياة في الدنيا وللحكمة دراسة بهجة جيلة . فهكذا التسبيح هو للجهال عبادة تشرح الصدر وللحكيم حث على العلم والحكمة ﴿مثل ذلك﴾ أن ينظر في جسم الانسان مثل ما تقدم في سور كثيرة ، ومثل ما ستره في ﴿سورة طه﴾ كما أنبأناك في أول هذا المقال إذ قلت لك إني سأفصل عجائب الجسم الباطنية هناك

فسترى هناك الصورة التنفسية مرسومة ، ومثلها الصورة السموية . ثم أعصاب الحس والحركة . وتجب

جذ العجب من (غدد) جمع غدة موضوعة في اللحم وهي ست وأخرى في المعدة وغيرها في الامعاء وتدهش
 أيها الذكي من هذه الجنود المجددة التي تقف في طريق الغذاء معدة لاصلاحه مخرجات من خزائنها تلك السوائل
 للمزروعات على أنواع الطعام، فمنها ما أعد لاذابة المواد النشوية والسكرية كاللبن في اللحم، ومنها ما أعد لاذابة
 المواد القحمية أو المواد الدهنية أو المواد الأوزوتية كاللبن في المعدة والامعاء، وسرى ايضاحه هناك مع هذه
 المادة التي يسمونها (الكيموس) أولا ثم يصير كيلوسا بعد ذلك وهي مادة أرق وألطف من الأولى، فقرأها
 تنتقل من حال الى حال ونجد لها هناك نوعين من العروق، فالنوع الأول عروق تأخذ السائل السموي أى
 الذي استحال من الحلال الأخيرة وهي الكيلوس الى الحلال الجديدة وهي الدم، فترى هذه العروق هناك
 تحت الغشاء المخاطي في الامعاء فتجذب تلك المادة الطيفة المستخرجة من الطعام، وتأخذ عروق أخرى
 فتجذب السائل المستخلص من الدهن فيكون هناك (دورتان) دورة دموية، ودورة ليفافية، والثانية
 تشبه الأولى بعض التشابه من حيث تفرع عروقه في الجسم. ولا أشبه الدورة الليفافية إلا بخلع الجنود
 وثكنات السكاكر، والمادة التي فيها ليست حراء ولا فرق بينها وبين الدم إلا أن هذه ليست فيها كرات حراء
 بل تخلق فيها الكرات البيضاء التي تدخل مع السائل اللغافي الى الدورة الدموية، وهذه الكرات البيضاء
 هي الجنود التي أعدت لمساعدة الكرات الحمراء في الدم التي توت بالون الأحمر وواجتماعهما معا يحاربان
 الجيوش الجرارة المخالطة على جسم الانسان والحيوان من الخارج لاحداث الجسرى والحصاء والطاعون
 وأنواع الجيات المختلفة، إذن دهن السمسم وزيت الزيتون وزيت بزر الفطن والكتان والقرطم وشحم
 الحيوان. كل هذه أعدت لخلق هذه الكرات البيضاء المحاربات لأعدائنا المخالطة في أجسامنا فإذا كنت
 منذ أيام قد توجهت الى بلدة (الخانكا) من أعمال مديرية القلوية وشاهدت الآلة الناحية للسمسم وهي
 آلة بخارية وبها يصير الزيت وهكذا أمثاله في غيره. فهذا معناه أن هذه الآلات البخارية الفاصلات بين
 العجينة المسماة (الكسب) والمواد الزيتية التي يأكلها الناس مساعدات لنا على حفظ حياتنا من حيث أن
 هذا الزيت وأمثاله هو المساعد على خلق الكرات البيضاء في اللحم المهلكات للجيوش القاتلة لنا بالأمراض
 المختلفة. فيسبحان الله. شمس تشرق على الأرض. وحب يبذر فيها. وماء يزل عليها. وذلك الحب
 ينبت فيصير حبا مثل الأول وهو السمسم. ثم تتلقاه تلك الآلات العاصرة فيكون زيتا. لم هذا كله؟ ليكون
 لنا حافزا إذ تأكله الكرات البيضاء التي جعل لها في أجسامنا عروق لمقلوبة سيأتي شرحها وماهى إلاثكنات
 عسكرية. يا سبحان الله: أ يكون في أجسامنا ثكنات كشكنات الجنود التي تحمل البنادق والمدافع والغازات
 النافقة لتقتل الأعداء. أهذا الزيت المستخرج من السمسم أ ملهى معدة ثكنات العسكرية جسمى
 الله أكبر. هذا معنى - وسبحوه بكرة وأصيلا - انتهى الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين
 الفصل الثالث في قوله تعالى - هو الذي يصلى عليكم وملائكته - الى قوله
 - وكان بالمؤمنين رحيما -

ولاجرم أن هذا الفصل مرتب على ما قبله. إن صلاة الله رحمة. وصلاة للملائكة استغفار. وقد أبان
 الرحمة بقوله - ليخرجكم من الظلمات الى النور - وصرح بها بقوله - وكان بالمؤمنين رحيما -
 ذكر كرم الله ربك كثيرا فأجبه بذكره الكثير كثرى بنى آدم يحملون نظام الجند تسليم رجالهم على ضابطهم
 وتبليتهم لنداهم وامطافهم وقوا أمهم وتخرجهم على ذلك وعلى كثرة التنظيم لهم من موجبات انتظام
 الجيش وحسن تربيته لما يحصل من الآثار بهذه الأقوال والأفعال في الأرض. ويزى الملوك يزور بعضهم بعضا
 فترفع أعلام الدولتين مهاورتين كما اتفق لك البلجيك أيام طبع هذه السورة في شهر مارس سنة ١٩٣٠ م
 فيحدث ذلك في قوس الأمتين مودة

فهذا ضرب مثل دنيوى لذكر الله عز وجل وآثاره فى النفوس . وهذا الذكر كما تقدم له حارس وهو التسبيح لنزبه للذكور عن خلق العلم عبثا لئلا يفسد قوتنا على ادراك جميع الحقائق . وهذا وذلك لايتان إلا برحة الله ولذلك قال - هو الذى يصلى عليكم - الخ فرحة الله هناجلت لنا منفعة الذكر وصرفت عنا الشكوك والأوهام للهوشات على ذلك . انتهى الفصل الثالث

(الفصل الرابع فى التحية والسلام)

وهل بقى بعد ذلك إلا التحية والسلام ؟ ويانه أن الانسان لاسعادة له حقيقة إلا بأمر واحد كما اتضح سابقا فى مواضع وهو الثقة الحققة بنظام هذه الدنيا و بأن كل مايصنع فى هذا العالم إنما هو خير أو أيل للخير وهذا لن يتم ويثنى به الانسان بقينا إلا بالاطلاع على العجائب مولما كلنى ذكرنا فى الفصل الثانى من عجائب جسم الانسان ، وهناك يحسن الانسان بالأمان والسلام فى نفسه فى الدنيا والآخرة ، ذلك لأنه اذا عقل ما ذكرناه فى الفصل الثانى وزاد على ذلك أن ينظر فى المائرة الصبية فانه يرى أمرا عجبا ؟ يرى مثلا أن هناك غدتين فى السماغ وغدتين بجاني العينين ، فالأولان لتنظيم أحوال الجسم والآخران لافراز الماء الملح الذى يحفظ العين ثلاثا تلف و يرى غدة فى الرقة وأخرى تسمى (التيموسية) وأخرى فوق السكتين ، و يرى الأثنين فى الرجل والمبشرين فى الأتى ، وهناك يجب جدا من أن بعض هذه الغدد لو أزيل لم يميز الذكر من الأنثى فى المظاهر كشمرة البحية فى الرجل وانسجام عظام الصدر فى المرأة وكفظ اللون ، فان بعض الغدد لو أزيل لصار لونا تكون البرز أو النحاس ، و بعض الغدد بازائه تكبر العظام جدا فتصير كالنخلة والعين كالبطيخة ، وبعضها لو أزيل لحصل للانسان تشنج واختلال عقل ، وبعضها لو أزيل لحصل للانسان البول السكرى أو غيره من الأمراض كما سيأتى تفصيله فى (سورة فاطر)

هذا هو العلم الموجب لليقين الذى يمرتفا نزيه الله وتسبيحه ، وهو الذى يمرتفا تناهيه فى الرحمة والعناية بنا وبغيرنا وهناك تحسن بالسلامة فى الدنيا والآخرة . هذا هو قول المسلم (التحيات لله) فهو يحيى الله أولا ثم يخاطب نبيه ﷺ فيقول له مناديا : يا أيها النبي ان الله أمّنك فأنت عليم برحمة الواسعة وأيقنت بذلك ، ومن أيقن بالرحمة فله يصاب بعباد . ثم يقول السلام علينا ويمم عباد الله الصالحين فى الأرض وفى السماء . وفى الحقيقة أن الوجود منحصر فى الموجودات للمركبة فأما هذه العوالم فهى كلها كما ظهر فى هذا التفسير أضواء متحركة كتبت لحوانسا على هذا المنهج المشاهد

المسلمون يسلّم بعضهم على بعض . ويسلمون فى الصلاة على كل صاب . ويسلمون فى آخر كل صلاة فان كانوا دارسين لعجائب الحكم الالهية كما فى هذا التفسير الذى تكفى دراسته كل عاقل فى الأرض فلنهم فعلا يكونون قد آمنوا العذاب من الآن على سبيل الرجاء وان كانوا مؤمنين ليسوا من المطلعين على العجائب أو اطلما عليها وهم لا يفتقون جالها كبعض علماء التشريح وعلماء الطب اذا كان معلومهم غافلين عن الابداع فى التركيب مثلا فالسلام لم يسل إلا بمجرد العبادة ولم عليها فلوب مؤجل

ومن هذا القبيل انك تسمع الناس يقولون عند التعزية « لا أراك الله سوا » فهذا مستحيل فى المظاهر ولكن فى الحقيقة لاسوء لأن مصائب الناس سبب فى اسعادهم بل هى سلام ارتقا لهم والموت من منازل ارتقا لهم . فهم يقولون فى العيد « أبقاك الله لكل عيد » أو « جعل الله جميع أعيادك سعادة » وكل هذه أدعية مطابقة للحقيقة لأن الناس لا يفتنون بالموت بل هم أحياء . إذن السلام والأمان موجودان وان سجب عنهما الناس . والأولون نواهم معجل لأنهم شاهدوا جبال الصانع بمجرد مشاهدة جبال الصنعة وعقلوا حكمة الحكيم فى مظاهر حكمته وذكره عند مشاهدة بدائمه وصار ذلك سجية لهم . فهو لاه فى الدنيا سعداء فبالك بهم بعد الموت ؟ هذه أقصى سعادة لأهل الجنة . انتهى الكلام على الطيفه الثالث . كتب صباح

(اللطيفة الرابعة)

(يسر من أسرار التنزيل قد أظهره الله في آياتنا هذه بالعلم الطبيعية مع موازتها بحوادث التاريخ في ضمير قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا

إلى الله بإذنه وسراجا منيرا -)

جاء في آية أخرى - وجعل الشمس سراجا - وهنا يسره ^{بجعله} بالسراج . إذن هوشم وهذا كلام الله عز وجل . فلذا سمعنا النافذة يقول للنعمان

كأنك شمس والملك كواكب * إذا طلعت لم يبد منهق كوكب

فانا نقول هذا تشبيه لم يكن له أثر في الوجود . ولا جرم أن أعذب الشعرا كذبه وهذا مستفيض فان الأدب في جميع اللغات إنما تكون نتائجها الاقتباس والانسلاط على مقدار تباعد القول عن الحقيقة بإلحاحه لباس الخيال يكون وقع في النفس . إن هوشنا المحسوسة في هذه الأجسام تزيد أن تتألم الحرية ولو في خيالها فتفرح بأنواع التشبيه والمجاز والكناية . فترح أن نسمع قول القائل

ففض الطرف إنك من نير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فهذا خفض قوم بعد الرفعة بمجرد هذا التخييل . وقول القائل في بني أمية النافذة قوم هم الأتف والأذئاب غيرهم * ومن يسوي بأنف النافذة الذبا وقرح بقول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا * وأسيفنا ليل تهاوي كواكبها

فبجرد هذا التخييل من بشار رفعه على امرئ القيس القائل صف عقابا

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لمى وكرها العناب والحنف البالي

هذه صورة آثار التشبيه عند العرب . فهل قول الله عز وجل - وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا - كقول النافذة * كأنك شمس الخ * نظري آثار النعمان فلا نجد له أثرا يشبه آثار الشمس . إن للشمس آثارا براها وهي معروفة عند أهل الشرق والغرب . فهل هكذا آثار النعمان . كلا . ثم كلا . إن التشبيه والاستعارة والمجاز والكنائيات كلها ترجع إلى أمر خيالي . وكلما كان الخيال أكذب كان أعذب . هذا هو اصطلاح علماء اللغة العربية وتلك تجد الشاعر أيام عهد الأمة العربية كالمتنبي وأبي تمام والبحتري وأضرابهم لا يبتدون القصيدة إلا بالفرزل ويصفون فتاة بالجمال والحسن . وإنهم هاموا صباة ووجدوا وغرما والسامع يعلم أن كل ما يقوله مكثوب ورواة القصائد جميعا يعلمون ذلك . إذن التشبيه وجميع أنواع التخييل التي فصلت في علم المعاني ليست تراد بها الحقائق وقد جعل هذا في علم المنطق ركنا من أركان مادة البرهان الخمسة وجعل هذا الخامس مقصودا لأحداث الاشتمزاز أو المسرة والقائل والسامع شريكان في العلم بكذبه . إذن ننظر في هذه الآية . ما آثارها في الوجود ؟ وما مناسبة النبوة لآثار الشمس ؟ لندرس الشمس من علم الطبيعة وآثارها في الأرض . لنمثل هذا المقام برجل ماهر في اللعب أراد اظهار براعته فوقف في مكان منسق وقسمه (١٨٠) قسما وعلم الأقسام بعلامات وذلك في أرض العباسية بمصر ثم وقف في وسطها بحيث يكون (٩٠) عن اليمين و (٩٠) عن الشمال وكل (٩٠) قسمها ثلاثة أقسام بحيث يكون القسم الذي يليه من كل منهما يبعد بنحو (٢٥) درجة عن موقفه والقسم الذي عندتهما يتبين قريب من هذا في أنساعه فيكون مكان اللعب في الناحيتين (٦) أقسام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله . فلما رتب هذه الأقسام قال مخاطبا الواقفين (يا أيها الناس : أنا سألب لعبة تدهشكم ولا تهترون أن تأثروا بمثلها فقلوا : وماهي قال أرى بكرتين

من يدى اليمنى واليسرى (أولاً) تذهب إحداهما الى الشمال وتأتيهما الى الجنوب ولا تعان إلا عند نهاية القسم الأول من كل ناحية بحيث لا يحصل خطأ من مدة حياتي (ثانياً) متى وصلت الكرتان في الجهتين تنقسم كل منهما الى قطعتين قطعة ترجع الى من أسفل وقطعة تذهب الى القسم الثالث من الجهتين . ومتى وصلت هاتين القطعتين الى القسم الثالث يرسل رجلان واقفان على آتو الملعب من الجهتين كرتين أخريين فيرميان بهما فيحلان محل هاتين القطعتين المرتفعتين في القسمين المذكورين وهذه الحركات متصلة منتظمة . فإذا رأينا لاعبا فصل هذا فانه لاحالة يدعشنا لانتا ترى كثيرا من الناس يلعبون لعبة (البلياردو) والمدر فيها على أن الكرة المضروبة بالعصا تصيب كرة أخرى بشروط خاصة ، فهناك يحكم للاعب أو عليه ، أما هذا اللاعب فلن حركته متى صدق فيها تكون من أدهش اللعب القى لا يأتى الزمان بمثله

هذا المثل القى ضربته قريب لما سقاه ، فاللعب المقسم (١٨٠) قسما هو نصف الكرة القى نحن فيه ووسطه خط الاستواء ، فالشمس مثلا لها باللاعب وسورتها مسطحة على خط الاستواء والرياح تهب هناك فترتفع كما يرتفع الهواء في منازلنا بسبب الحرارة في تنافسنا ، ومتى خف هواء منازلنا هبت رياح شديدة من أبواب تلك المنازل داخلة على ساحاتها مع ان الجوى في جميع القرية وما حولها ساكن هادئ ولا رياح إلا هنا لأجل الحرارة

فهنا المثل الصغير هو القى يحصل بسبب الشمس فهي تجعل الريح عند خط الاستواء ينفخ فترتفع فيذهب الى الجنوب والشمال وهو القى مثلا له بالكرتين . ومتى وصل هذان التياران الى نحو نصف ٢٠ درجة من الجانبين قلت الحرارة الزائدة للهواء فأرادا النزول الى الأرض كما تنزل الطائرة اذا قل ما فيها من (البزني) هناك يزلان في تلك المسافة فيقابلان سطح الأرض فتقابلهما حرارتها فيرتفع كل منهما كرة أخرى الى أعلى ثانيا وهو قسبان كما ان الكرة المتقدمة ارتفعت وهي مقسمة قسمين فيرجع قسم منه الى خط الاستواء ليحل محل ما ارتفع هناك من الهواء بخفضه وقسم يذهب الى البائرة القطبية من الجانبين . ومتى وصل هناك وقابل وجه الأرض خف ثانيا بسبب الحرارة فيرتفع وهناك يجعل عمله رياح تأتي من القطبين وهو القى عبر عنه باللاعب في آتو الملعب من الناحيتين والرياح التي من جهة القطبين إنما أتت لتعمل محل الرياح الصاعدة في البائرتين المتقدمتين

هذه حال الشمس والهواء والبرد والحرارة ، اللهم إن الحرارة والبرودة جنسيان ساتقان لهذه العوالم وكرة الهواء حولنا هي ميدان العمل ، فما هي حياتنا يلربنا ؟ حياتنا راجعة لتدبير محكم لو كشف لنا لاحترقنا قلوبنا من الحب والدهش ، أمور بدئية ، ماهذه الأعاجيب ؟ شمس وحرارة منها سلطت على خط الاستواء فجرت الرياح فقابلت الأرض حوالى دائرتي الجدي والسرطان فقابلتها الحرارة فارفعت ثانيا ثم وقعت عند البائرتين القطبيتين وحلت محلها رياح أخرى ، ثم إن هذه الحركات لامتدودة ولا منوعة . إن الهواء ساعة وسلكها القى هو (الزنبلك) هي الشمس . وهذه الساعة لا تقف تدور ليلا ونهارا والناس غافلون تائهون . الناس جميعا يا الله يعيشون ودواليب هذه الساعة تجري فوقهم وتحتمهم وهم يعيشون فيها وغاية الأمر انك أنت علمهم صناعات يعيشوا بها وماهى إلا ضرب مثل لهذه العجائب المحيطة بهم ومن أجلها حرلة الشمس وتأثيرها في الهواء القى لولاه لم تكن هذه الحركات فيه ولم يكن سحب ولا مطر ولا أنهار ولا حيوان ولا إنسان ولا علماء . فلو أن هذا اللاعب في المثال المتقدم زاد على ما قلته فقال إن هذه الحركات يستنتج منها مخلوقات حية وغير حية لكان هذا من أعجب العجائب (أنظر شكل ١ في الصفحة التالية)

اتجاهات الرياح



(شكل ١ - قلا من الاطلس الحديث)

انما رسمت هنا الشكل لك أيها القاري ليزيد فهمك بهذا الموضوع وما هو ؟ هو المشبه به في الآية لأنه سراج بنفس الآية والسراج يطلق على الشمس ، فترى أن نبين آثار الشمس العامة ثم ننبه بالآثار الاسلام والقرآن في الأرض ، ثم نبين آثار أعظم الفلاسفة فعلا في أرضنا ، وهناك فقط فهم أن قول الله هنا - وسراجا منيرا - ليس كقول شعراء العرب في الجزيرة وفي البوادي للنعمان بن النضر

* كأنك شمس مللك كواكب الخ * . إن حرارة الشمس تقع على خط الاستواء فيرتفع الهواء نحو (٧٠) ميل ، ومعالم أن الحرارة تمتد الأجسام فتتخف كما قد علمت لك ، ومتى ارتفع الهواء بسبب الخفة تحمل معه رياح من الشمال والجنوب ثم هو يتأثر بالحرارة ثانيا ويرتفع وهكذا ، فتري للرياح المرتفات عند خط الاستواء تجري الى الجهتين ورياح أخرى تجري من تحتها من الناحيتين الى خط الاستواء فهي دائرة دائما أبدا . وهذه أشبه شيء بالهولاب يجري ليلا ونهارا وكالنجوم والشمس والقمر . والتي تنهب الى خط الاستواء من الناحيتين تسمى الرياح المنتظمة أو الرياح التجارية والرياح المرتفعة الى الشمال والجنوب تسمى الرياح التجارية الضدية والرياح الآتية من القطبين تسمى بالرياح القطبية . فها رياح تجري من القطبين ورياح تجري من خط الاستواء ورياح تجري من بعد مخصوص الى خط الاستواء والى المائتين اقليةتين . هذا هو التدبير والنظام البديع

يقول الله هنا - يا أيها النبي إنا أرسلنا شاهدا ومبذرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا -

هاتذا أيها القاري عرفت المشبه به وهو الشمس وعرفت آثارها وانها بحرارتها حركت هواءا فارتفع ثم انخفض ثم ارتفع ثم انخفض وهو في ذلك دوالب يجري والمحرك للدوالب هي الشمس الله أكبر . ماذا كانت نتيجة هذه الحركات والمواليب الماثرات نتائجها بديعة وجيلة . نتائجها سحب يجري بجري الرياح والسحب أتى بآثار الحرارة في الماء . فالحرارة أثارت الرياح من البحار والحرارة أثارت الهواء . فهذان الأثران يلتقيان ويتعاقبان وهما أخوان البخار والهواء الجري كلاهما بسبب الحرارة . فترامهما يتعاقبان ويحمل أحدهما وهو الهواء وأنه وهو البخار ويجري به . لماذا يجري به ؟ ليشي الأرض فيكون الزرع وكل شيء . عجيب جدا ! حرارة تنبث منها حركتان . حركة لتليز يؤخذ من الهواء . وحركة لبخار من الماء . فيجري هذان الطائران يلتقيان ويحمل أقوامهما وهو الهواء وأنه وهو البخار الذي صار سحبا فيطر على الأرض فتكون الأنهار والزرع والثمار والحياة . المشبه به جميل جدا بهي حسن . فإذا تقول في المشبه به وهو النبي ﷺ

﴿ الكلام على آثار النبوة وهي المشبهة بالشمس ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي فقرأ ما كتبت الآن فقال : إن ما كتبت الآن قد تقدم في هذا التفسير . أفلا يكون هذا تكرارا ؟ مسألة الرياح القطبية . والرياح التجارية المنتظمة . والرياح التجارية الضدية . كل هذا قد تقدم في هذا التفسير وأريد على ما ذكرت هنا الرياح الموسمية . ذلك ان الأرض تتأثر بالحرارة أكثر من الماء فيصعد الهواء من فوقها الى الجوف والماء طبعا يحيط بالقارة فيجىء الهواء الذي فوق البحار ليحل محل الهواء المرتفع فيحمل البخار فيكون المطر على السواحل فتكون إذن حرارة الصيف في القارة سببا لارتفاع الهواء وحاول هواء البحار محل الهواء المرتفع وقد دخل معه البخار فكانت الحياة في فصل المطر صيفا على الشواطئ كالذي يحصل في جنوب آسيا وجنوبها الشرق وبهذه تعيش أم وأم . وهذه هي الرياح الموسمية . أما في الشتاء فإن الهواء يخرج من وسط القارة الى البحار لأنها إذ ذاك تكون أدفا من الأرض . وهذه الرياح تهب (٦) أشهر الى جهة تهب بالعكس ستة أشهر أخرى وهي في ذلك كنسيم البر

والبحر فان النسيم عند شواطئ البحر باليسل هب من البحر الى البر ويسمونه نسيم البر . لماذا ؟ لأن الأرض أسرع برودة من الماء وفي النهار هب الهواء من البحر الى البر ويسمى نسيم البحر لأن الأرض أسرع حرارة فيرتفع هوائها ويحل محله الهواء القوي فوق الماء فتتم هناك دائرة كالمواثر الحاصلة من الرياح الموسمية والرياح التجارية ونحوها . ثم قال : هذا القول منك تكرار لما تقدم . قلت . كلا . بل يجب ايضاحها (لسبين * السبب الأول) ان كثيرا من الأذكاء لم يتصوروا ما كتبت سابقا حتى تصوروه فذلك رسمت هذا الرسم حتى يعرفوا الحقيقة العلمية التي نعيش بنظلمها ، فعادة القول هنا يعقلها من صعبت عليه هناك ، والرسم هنا لم يكن له نظير فها تقدم ، وايضا هذا لزيادة التثبيت وتذكير بحال الله وابداعه وحسن صنعه وجهه وان لم يكن التذكير بخوم الغفلة ، ومعلوم أن الله يكرر القصة على أنحاء شتى في القرآن ليكون ذلك أدعى للاعتبار والحكمة إذ في كل مرة تظهر حكم ليست في غيرها ، فهنا لا بد من ذلك (السبب الثاني) في اننا هنا نريد أن نفهم الحكمة في جعله ﷺ سراجا منيرا ، ولنا نعرف للشبه إلا بعد ادراك المشبه به فاذا لم تفصل الكلام فيه لم نترك المشبه بقرباقتنا ، فاذا فصلنا الكلام في المشبه به هناك لنترك المشبه ، ولا يجوز أن هذا من التشبيه المركب وأعظم التشبيه للمركب ما ﷻ بشار وغيره وهو

* كأن منار النقع فوق رؤسنا الخ * فالتشبيه المركب الذي ﷻ محصله أن غبار الحرب المحيط بالشجعان تظله السيوف اللوامع ذاهبات آيات مرتضات منخفضة . شبه هذا كله ببليل داج حالكة تساقطت فيها الشهب من السماء . تتخلل أكتافه لامعات متقابلات كثيرة الحركات

هذا أعظم تشبيه عند العرب كما يقول علماء البيان . فاولم نعرف للمشبه به هنا لم يمكننا ادراك المشبه . فقال حسن هذا ولكن المقام هنا صعب كيف نصل الى أن يكون النبي ﷺ كالشمس في هذه الحركات . فقلت إن الله شبه القرآن بالصيب من السماء فيه ظلمات وورعد وبرق . فهذا التشبيه للمركب أرق من تشبيه بشار المتقدم . أدري أن القرآن شبه بالمر وهو الصيب . والوعيد في القرآن شبه بالورعد . والبرق شبه بالهلع . ومن يمرض من سباح الوعيد يشبه بمن يضع أصبعه في أذنه خوفا من الرعد . ومن يسمع الهلع في القرآن ثم يعرض عنها كمن يمشي في البرق وإذا أغلظ قلب ولم يتحرك . فهذا التشبيه للمركب أوسع نطاقا من تشبيه بشار . وقد تقدم هذا في (سورة البقرة)

هناك قال صاحبي : « أسعج صعبجة ولا أرى طمعا » . ماذا أفدنتا بهذا التشبيه ؟ أنا أفترض عليك من (وجهين * الأول) إن الآية هنا ﷻ سراج منير . ولكن أنت تذكر أن القرآن مشبه بالمر ورجعت في قولك الى ما ذكرته أنت في أول البقرة (الوجه الثاني) ان أول كلامك أفهمنا انك ستظهر لنا سرا مصونا من تاريخ النبوة يشبه ذلك السر المصون الذي ظهر في الشمس لأنها بجوارتها وحدها كانت منها الرياح الموسمية ونسيم البر والبحر والرياح الاستوائية والرياح التجارية المنتظمة والرياح الفسدية والرياح القطبية . وكل هذه حاملات سحبا وسفنا ونعما . فأنت لم تأت لنا بوجه في النبوة تناسب التشبه به وغاية الأمر انك رجعت الى علم التشبيه الذي أنت نبيت عن الوقوف عنده لأنه أمر لفظي . والأم الإسلامية الآن قد عرفت من آثار النبوة ما لم يكن فيها مضي في الزمان الأول . وقد قلت أنت عن الصلاة السيوطي في كتابه (الاقحان في علوم القرآن) في (سورة العنكبوت) أن الأنبياء كانت معجزاتهم كلها حسية . أمامهم ربه ﷻ فهي راجعة الى ما سيظهر في القرآن للأمة والأجيال من المعاني التي تتجدد بعهد الأمة والأجيال . وملخص اعتراضي (أمران) انك لم تذكر النبي ﷻ في التشبيه بل ذكرت القرآن . وانك لم تأت بما كنا نترقبه . قلت له : اليس عندك اعتراض بعد هذا ؟ قلت لا . قلت من عجب انك في هذا الاعتراض أشبه بهؤلاء الذين يقال عنهم انهم يقرؤون الأفكار . إن كل ما قلته هو الذي سسمعه وغاية الأمر اني أتيت

بهذا التشبيه مقدمة فقط للجواب الشافي . فلأنتك صبرت على أن لو جدت الجواب على النحو الذي ترضاه . فقال

أنتم برة جواب ما أنا سائل * عنه فنار العلم ذات تشمع

فقلت إن النبي ﷺ أرسل في جزيرة العرب ، وهناك أرسل الجيوش هو وأبو بكر وجماعة الخلفاء إلى أطراف جزيرة العرب والفرس ومصر وبلاد المغرب والأندلس والسودان وهكذا في جهة الشرق إلى بلاد الهند والصين ، فهذه الجيوش كالرياح والقرآن معها كالسحاب ، فلذا كانت الشمس أرسلت بمرورها رياحا في الهواء عند خط الاستواء وكانت لها فروع وفروع ، وكانت الرياح للموسمية ونسيم البر ونسيم البحر وهكذا وجلت تلك الرياح السحب فأمرت الأرض هكذا هذه الجيوش الجارية المجاهدة والعلماء والفقهاء والحكام المسلمين ، هؤلاء كلهم هم رياح مختلفة الأشكال يسمون بأسماء مختلفة ، وهؤلاء يحملون السحاب ، فالقرآن منزل عليه ﷺ والجهاد بشاعبه ، ثم إن الدين اقتصر بالعتاية ، فلننظر إلى رياح الجهاد الواسلة إلى الأندلس لنحيطها مثلا لنا لنستدل على الباقي ، أليس الاسلام بقي في الأندلس (٨٠٠) سنة ؟ أليس هو كالرياح التي وصلت إلى أهل المدارين (الجبدي والسرطان) وقد قلنا إن الرياح هناك انقسمت قسمين قسم رجع إلى خط الاستواء ، وقسم ذهب إلى المائرة القطبية ، فافطر الشكل السابق ، هكذا السحب الاسلامية التي وصلت مع رياح الجهاد إلى الأندلس قابلهما القوم أيام (ابن رشد) بحرارة التصب ضد العلم لأن العلم عند هؤلاء قد اعتقدوا أنه ينافي الدين فارتفع عنهم إلى أهل أوروبا وأخذ يرقى القوم وقد نال المسلمون إذ ذاك نوما عميقا ، ولأذكرك بمسألة وهي إن الله رب العالمين لأرب المسلمين وحدهم ، وإذا خلق النسيم فلم يخلقها للمسلمين وحدهم بل خلقها لأهل العالمين ، إذن نبيتنا ﷺ جاء لابقاظ أهل الأرض مهما كانت نحلهم وأديهم كما إن الشمس لأهل الأرض جميعا لأن الله رحيم ورسوله راحة للعالمين

إذا فهمت هذا عرفت السر في أن أوروبا لما أخذت علم (ابن رشد) كما عرفته في غير هذا المكان قامت من رقدتها وهناك حصلت هناك شعبتان شعبة توجهت إلى أمريكا في أيام اضطهاد المسلمين فلم تقصت أمريكا وشعبة رجعت إلى الشرق بالحروب الأوروبية ، فهاتين أولاد ترى أهل أوروبا لما أيقظتهم الحروب الصليبية التي تشبه من كل وجه الرياح التي تأتي من المدارين إلى خط الاستواء رجعوا إلى بلادهم ووجهوا همهم إلى أمريكا من جهة وإلى أم الاسلام والشرق من جهة أخرى . فهم فتحوا أمريكا فارتقت وهم جاؤا بلادنا يحاربونا ومعهم تلك العالم التي تصرفوا فيها ورفوها بعد أن أخذوها من آبائنا . أليس هذا بينه هو الحاصل من الشمس ؟ شمس تشرق على خط الاستواء فتتغير الرياح فتصل إلى مداري (الجبدي والسرطان) فتكون هناك (ربحان) إحداهما تتجه إلى خط الاستواء . والأخرى تتجه إلى جهة ضدها . فهنا كذلك اتجه الاسلام إلى بلاد الأندلس ولما استقر هناك العلم مدة كره المسلمون العلم خذله اليهود إلى أوروبا فدهشت من هذه التعاليم فأخذت ترتقي وتوجه منها قوم إلى أمريكا وطردوا المسلمين من بلادهم لأنهم جهلوا العلم والدين . وهادم أولاد يجهلون وراهم في شمال أفريقيا وفي آسيا . فهذا نفسه هو الذي حصل في الرياح بحرارة الشمس إذ توجه منها تياران مختلفان لما وصلت الرياح إلى المدارين . فهكذا هنا تياران مختلفان . فأما أمريكا فقد ارتقت وبقى أمر أم الاسلام فهنا دورهم ولا عيب علينا في ذلك فإن الرياح الجارية من خط الاستواء تحمل عملها الرياح الآتية من المدارين . وإذا كان هذا طبيعة ملك الله فليس على نظامه ولنتم أن هذا هو وقتنا وأيام رقيتنا . ومماثل هذه الأم الاسلامية مع دينها لا اكتمل أرض زل عليها الفيت فأنبت نباتا حسنا ولكن تركت بركا ومستنقعات هنا وهناك لعلم المسلمين للأرض وهذه البركة أخذت تنكسر وتزداد على مدى الأيام فيعد أن كانت الأرض أخذت زخرفها وازينت أصبحت كلها حشاش ومياها مرة قفرة وأرضا مستوخة كثرت فيها الأمراض والجعري والحسباء بجمل أصحابها

هذه حال المسلمين لما نسا الشمس المحمدية وناموا على كلام شيوخهم للتفرقين وظن كل شيخ طريقة أو عالم مذهب من مذاهب الاسلام أن الدين هو ما يعرفه وما عداه لا يجب عليه ولا على الناس صار الناس كأنهم في مستنقعات وبرك ، وقلبك ترى للتبعدين والخارجين وأصحاب المذاهب السقيمة كثروا في الاسلام فهو لاء كلاء إلا أكد أضرتوا بتلاميذهم وحبوبهم عن العلم فذلوا ، وكأ أن الشمس تظهر الأرض هكذا النور المحمدي بالرجوع اليه يستيقظ المسلمون

فلما سمع صاحي ذلك قال هذا حسن ، ولكن من المسلمين من منع عنهم المستعمرون العلم . فقلت ولكن لا يمنعون القرآن ولا هذا التفسير ، وهذا التفسير وأمثاله في أم الاسلام كثير منه يفهمه كثير من العقلاء وإن لم يكونوا متعلمين العلوم الحديثة ، وهل للمسلمين عنر بعد الآن فقرأ أيها الذي منحك الله تلمذة في الصبا ، فلس يناقض هذا التفسير لأن المذاهب كلها في أمور عملية جزئية وهذا في الأمور العامة ، ومنه يظهر لك بعض أنوار الشمس المحمدية التي بها تعرف أن وقوف المسلمين في هذه البرك والمستنقعات الملوثة من الحيوانات القبرية الفكرية الضارة بالمسلمين هلاك لهم وهم أجبر بالسعادة والرقى من جيع أم الأرض

فقال صاحي : الآن فهمت ولكن أين موازنة نبينا ﷺ بأعظم الفلاسفة . فقلت إن أفلاطون وأف جهوريته وهي أعظم كتاب الله عالم في الأرض كلها ، وهذا الكتاب علم عرف الأمم كيف تنظم الحكومات والجند والعامة ، وما الذي يرقها ، وما الذي يخفها ، وتقدم تلخيصها في هذا التفسير ومع ذلك لم يجد لهذا الفيلسوف دولة بل انه مع شهرة كتابه الآن وانتفاع الأمم به لم يحدث جزأ مما أحده هذا النبي العربي الذي استحق بمقتضى التاريخ وتناجح أعماله أن يسمى (سراجا منيرا) لأنه حرك الكرة الأرضية كلها حتى ان الحركة وصلت الى اليابان والصين ، فاليابان ماسوكها إلا تعاليم أوروبا والصين كذلك ، فحركات الإصلاح تليه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بسبب الحركة الاسلامية . إذن هو ﷺ شمس منير حقا وبه ارتقت أوروبا وأمريكا واليابان والصين والمسلمون الحاليون الذين جنى عليهم جهل آبائهم للتأخرين سيأخذون دورهم في الرقى وتب رباح سلمهم الى الأمم كرة أخرى تحمل لهم علما فزيروا فقال صاحي : إن هذا البيان عجيب وأنا أحد الله عليه . فقلت الحمد لله رب العالمين . انتهى صلب يوم الأحد (٨) ديسمبر سنة ١٩٢٩ م

(زيادة إيضاح في بعض أسرار قوله تعالى - يألها النبي - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا -)

لقد تم الكلام على تفسير هذه الآية وإيضاحها ولكن لابد من إيضاح المقام حق من حيث العمل بعد العلم في بلاد الاسلام . لاجرم أن ضوء الشمس له منافع جمة في علم الطب . ولقد أكثر الأطباء من تعداد منافع التعرض للهواء والشمس نابذين تغطي الأدوية من السبيليات في أنحاء العالم . ومعنى هذا أن الأطباء في العالم اليوم رجعوا فعلا الى منافع ضوء الشمس والهواء والتداوى بما هو طبيعى . وهلم أولاد ينكرون كل الانكار ما يرواه الأطباء غالبا من الملوثة بالعقاقير المشهورة ويقولون انها تحدث أمراضا وأمراضا . وهذا القول قلت في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - وهكذا ترى كثيرا منه في (سورة الأعراف) عند آية - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي (سورة الحجر) في أوائلها عند الإشارة الى قصة آدم وفي (سورة طه) عند قصة آدم أيضا وفي (سورة الشعراء) عند آية - وإذا مرهض فهو يشفين -

فترى في هذه المواضع ما يشك في علم الطب ويرجعك الى المعالجة الطبيعية ومن أهمها ضوء الشمس .
 هنا في شمس السماء وهي الممتلئة بها ، أما المشبه في الآية وهو رسولنا ﷺ فانا نريد أن نعرف لماذا
 كان هذا التشبيه وما فائدته لنا معاشر المسلمين الآن بطريق أبسط بحيث نعرف من هذا التشبيه ما عرفه الأطباء
 في علمهم ، فلما كان الأطباء رجعوا الى ضوء الشمس ونحوه في طبهم وهم مصيرون فهل أمراض المسلمين
 الاجتماعية يكون الشفاء منها بنفس هذا التشبيه وقوله تعالى - وسراجا منيرا - . هذا ما أريد بحثه اليوم
 فأقول : اللهم إني أجدك جدا كثيرا على نعمة العلم ووجهة الحكمة . اللهم إني أعتد ووفقت
 وشرحت الصدر ودرت الأمر وعلمت ونصرت وأوفيت العهد فانا أسألك اللهم أن تجعلنا وافرين بعهدك
 حتى نستحق منك هذا الوفاء وهذا الجليل وهذه النعم الطيبة التي نحن قرة بها ونحمدك عليها

أيها النبي : أكتب هذا صيغة يوم الخميس ١٩ ديسمبر ١٩٢٩ م ذاكرا ما اتفق لي أمس الأربعاء
 (١٨) منه ، ذلك اني أحسست بأن من البرد في كتي اليسرى ولقد اعتدت أن أعرض لضوء الشمس متى
 أحسست بهذا الألم منذ سنين طويلة فيلعب ذلك المرض ، ومن أعجب العجب اني قبل أن أعرف ما لضوء
 الشمس من الفوائد ولم أقرأه في كتب الأطباء وبعد ما جرت به صح عندى

أقول : إذ ذاك قابلت طبيبا مصريا فسألت : لم لم يظهر الأطباء فضل حرارة الشمس مع اني أنا عرفت
 منفعتها في شفاء جسمى ، فكان جوابه : قد وضعوا الأدوية الحارة وهي من نوع حرارة الشمس ، فسكت
 ورضيت بهذا الجواب ، ثم بعد ذلك اطلعت على فوائد الضوء التي تقدم في هذا التفسير مشروحا شرحا مستفيضا
 من أقوال قس الأطباء فدل ذلك على أن ذلك الطبيب الذي سألته قبل ذلك كان مقصرا أشد التقصير في
 جهله الامور العلة وحصر فكره في العقابر الطبية فله كمثل كثير من علماء الاسلام في القرون المتأخرة الذين
 حصروا عقولهم وأضاعوا مهجهم ووضعوا نبوغهم في المسائل الجزئية من الطلاق والبيع والميوض والنفاس
 ولم يرفضوا رؤسهم الى الشمس المشرقة المحميدة فيدرسوا قس القرآن وقس السيرة المحمدية وصبر الصحابة
 والتابعين ليستخلصوا من ذلك رقى الأمم الاسلامية المسكينة ، إن نسبة هؤلاء في علومهم المنصورة كنسبة
 الأطباء في حصر علمهم في العقابر المشهورة ونسبتهم في رجوعهم الى القرآن وتفسيره بالهيئة الحديثة التي رأينا
 كنسبة رجوع الأطباء الى التداوى بالماء وضوء الشمس وبالطواء التي

أقول : لما أحسست بذلك البرد توجهت الى الغلاوات خارج القاهرة وجلست في مكان قصي نحو ساعتين
 متمرضا للشمس على عاذق ، وبينما أنا كذلك إذ صاحي قد تبع خطواي فسمعت نداء خلقي فلم وحيا وجلس
 وقال فيم تفكر الآن . قلت وإذا عرفت اني أفكر فلماذا قصدت قطع التفكير ؟ فقال قصدتك بعد مدة
 كافية لتعلم الفكر . قلت أنا أنظر الى الشمس وإلى السحاب وأعجب من مهرجان وعرس وأفراح في هذا الجوف .
 أنظر : ألت ترى السحاب يحيط بالأفاق شرقا وغربا . ها لماذا جالس على هذا الرمل وأرفع طرفي فأرى قبة
 زرقاء تحيط بي مهندسة الشكل بديعة الوضع حواشيها موشاة بالسحب الجليلة لآفاقها . وهامى ذه تباهل ذات
 العين وذات الشمل وتتلرب وتباعد . أفلتت ترى أن هذه هي عين ما يفعله الناس في أعراسهم وأفراحهم
 وولائمهم في عقود زواجهم . الناس شرقا وغربا قديما وحديثا يستنون الولائم فيضربون الطبول ويطلقون
 الرصاص من البنادق بل القنابل من مدافعهم . ولم أغان يشدونها ويجالس ابتهاج مجموعهم وأنعم بذبحونها
 وصداقات يوزعونها وأعلام يرفسونها . لم هذا كله ؟ لاقتراح فني بقتة أو ولادة وله . والمظاهر عادة تتبع في
 ضعتها وقوتها الصبر والبسروا والفقير وكل امرئ بقدره

فلذا كانت هذه طبيعة الانسان فهي تجمع عليها واجماع الانسان على عمل واحد يكون له شأن القطرة
 والقطرة صادقة . فم هذا كله ؟ نظرا فوجدنا هذا الاقتران نتيجة الولادة والولادة ترجع الى وجود حى على

الأرض . إذن هذا الانسان انما يكون فرحه بالوجود ، فلا فرح إلا بوجود ولا حزن إلا على مفقود ، ثم تنظر فترى أن القربة التي فرح بها الانسان ربما تموت وربما يموت الأب قبل كبرالابن ، فدلنا ذلك على أن هذا الفرح فرح جزئي لا كلي لأنه ليس بدائم ، وما ليس بدائم لا قيمة له ، إذن عواطف هذا الانسان وهذا الحيوان عواطف جزئية جعلت فرائد لأعمال جزئية لا دوام لها ، فلننظر إذن في العوالم التي منها خلق هذا الانسان فترى هذه الأفراح والأعراس تقام في السماء دائماً من يوم أن خلقت السموات والأرض . ولن تقام تلك الأعراس إلا ابتهاجاً بالوجود العام كما أقامها الانسان للوجود الخاص ، وعظمة أفراح السماء مناسبة لعظمة الموجودات التي أقيمت الأفراح لها

أنظر أيها القاري : أليس ترى هذه الشمس تخفي ثلثة وراء هذه السحابة وتارة تظهر كأنها تفعل فعل الناس في أعراسهم يظهرن أماني القلب ، وبعد الاختفاء يظهر وجهها كرة أخرى وقد رغبت قلبها تخبئني أنا وتحبيك بالسلم وهي بسامة ، ثم إن أفراح السماء علة ، فهذه أمالك في جميع جوانب السماء لأن هذا الفصل فصل للطرقه جعل للطرقه الحياة . فأفراح السماء ترى

(١) السحاب

(٢) والبرق والرعد

(٣) وأصوات الرياح العنيت بأعواد الأشجار

(٤) والأعشاب والزروع الرافضات على تلك النغمات وفيها الطيور المغردات بأنواع النغمات

(٥) وهل فعل الانسان غير ذلك في أعراسه ؟

مدهوون كالسحاب كثرة وقلة . والملاق الرصاص من البنادق والمدافع يحدث صوتاً مشاكلة للرعد وضواً مشاكلة للبرق وضرب البوق والطلل مشاكلة لأصوات الرياح والرقص والغناء كرقص الأشجار وغنائها وغناء الطييار

ولكن الفرق بين العرس الذي أقامه الله وأعراس الناس انه عرسه دائم بدوام السموات والأرض يراه الآباء والأبناء وعرسنا ذاهب جزئي مقتر بمقدار عواطفنا وأحوالنا . ثم انما مثل المسلمين السابقين بعد العصور الأولى الذين هم خير النصور المقتصرين على دراسة القشور من دين الاسلام في اقتصارهم على كتب خاصة في المذهب المعروفة كتل أهل الأرض في إقامة الزينات وإعداد الولائم في أعراسهم الجزئية وحال المسلمين القديين يقرؤون اليوم أمثال هذا التفسير وينظرون في القرآن ويهيمون هذا الوجود فهما حقاً انهم يرون ما أراه أنا وأنت اليوم أيها القاري فقال وما هو ذلك ؟ فقلت اني أنظر فأرى أن هذه الأعراس والزينات المقامات في هذه الآفاق مقصودة لمصوتنا أهل الأرض أن نشاهد العرس الأعلى والأوسع نطاقاً . فهمة العاقل تتجه الى المثل الأعلى والمثل الأعلى هنا أن نعرف لم دامت هذه الزينة السابوية دائماً ؟ فقال لدوام الوجود من حيث الكليات كالأكواب ومن حيث الجزئيات كالواليد على الأرض . قلت إذن سينتج من نظر المسلمين بعدنا الى هذه الأعراس العلة ولا ينحصر نظركم في الأعراس الخاصة . قال ان شاء الله فيعرضون الشمس والقمر والمجسم والجبال والبحار والهواء . وهناك يفرحون ويقرؤون - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - وهناك يفهمون لماذا قال الله هنا في الآية - وسرلياً منيراً -

ومنى برزت الشمس قتل ضوءها كل المكروبات (الحيوانات القربة) وأزال الغفوات من الأرض . فهكذا متى درس المسلمون أمثال ما نكتبه في هذا التفسير زالت تلك الغفوات الطلية والأخلاق الورائية التي خلفها أناس من قبلنا لم يرفع شيوخهم أعينهم الى معرفة نفس القرآن ونصوصه والى جلال الله وإبداع تركيبه . وهناك سينتج الجميع وجهة واحدة فيعرفون الجلال الأسنى والحكمة في هذا الوجود . وهناك

يفرحون بالوجود الأعلى وهو الوجود الدائم وجود رافع هذه الزينات ومرسل الرياح في الآفاق ومعلم الطيور أنواع الفناء . ومطلق في الجوق أصوات العود ولألاء البروق والجمال فيبدل أن يفرح الناس بمولود يموت ويذويت ستفارق وبنم ستزول . يفرحون بوجود هو الحاضر الدائم الذي لا يفرقهم . وهناك يعلمون أن تلك الأعراس وتلك الزينات الجوقية ماضى لإندرسه صغرى ومقدمات لتهم الأعراس الكبرى ومتى عرفوا أن هذه الأعراس والأبناء كلها فانية توجه للعرس الأكبر ولن أقام زينة ونصب نعيمته وهو الوجود الذي لا ابتداء له ولا غاية . هناك يرتقي المسلمون ارتقاء لاحد له وتضمحل تلك الخرزات الحقبية الصغيرة التي ولدها قصر النظر التي طال أمده إذ يرون دراسة الوجود كله دراسة القرآن وما انطلاف في الاسلام إلا كاختلاف الأشجار ورقاً وطعماً وجمالاً لاغير

وهذه العقول الاسلامية بعدنا التي يكون فرحها وعالمها كلها متجهة الى نظام هذه الدنيا يسمعون في الدنيا وفي الآخرة لأنهم يعرفون الرحمة التي تقدم تفسيرها في أول ﴿سورة الروم﴾ وما يسدها للبسملة ويقولون بأن من جعل هذه العوالم خدامات لكل انسان ليس يرسل الاما لخالق إلا لفائدة ذلك الخلق وهو لا يفرح حكمته وأنهم يوقنون بعد دراسة ما تقدم بذلك كل الايقان . وهناك فقط يعرفون معنى قوله تعالى - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تفلحون - فلا ايقان باللقاء ولا فرح بذلك اللقاء إلا بعد تفصيل الآيات التي جاء بعضها في هذا التصدير ويدون ذلك لايقان بل هو ايمان . فانه أخذ يفصل الآيات اليوم في الكرة الأرضية . وهاتين أولاد ذكرنا بعضها وسيقوم بياقينا من بعدنا . وهاتين أولاد اليقين قد أقبلت ويدرس المسلمون نظام الدنيا ويرفعون شأنها ويرجعون الى ربهم فرحين به مستبشرين فقال صاحبي : فاذكر لنا كتيبن فيما رأيت اليوم من الأفراح كلة عاتمة وأخرى خاصة حتى يكون ذلك نموذجاً لتفكيرك اليوم . قلت أما الكلمة العاتمة فاني أقول لك انك بحق لك أن تقول ان هذه القبة السجلية والأرضية وما بينهما . وهذه الأعراس الطبيعية القائمة الآن هي لك أنت . قال وهل الوجود ليس فيه غيري ؟ قلت انها لك أنت . فقال ما بالبرهان ؟ قلت أنت من الأمة المصرية البالغة (١٤) مليوناً وارتقاؤها ينفعك وضعتها يضرك . قال حقا هذا . إذن كلهم نافعون لك اجبالا . قال هذا حق . قلت والأمة المصرية بينها وبين الأم حلاقات التجارة والبريد والطرق الجوقية للطائرات والبريد الجوي والبحري وهكذا قال حقا . قلت فكل الأم نافعات لها . قال نعم . قلت ولك . قال ولي . قلت الشمس والهواء والسحاب كلها نافعات لك ولأنتك والأم والحيوان والنبات الخ . إذن هذه الشمس وهذا الهواء مسخرات لك لأنها نعمت الأم النافعات لأنتك النافعة لك . إذن العوالم كلها تخدعك ولا ينافي هذا انها تخدع غيرك لأن هذا نظام إلهي يحارفيه العقل . فكما خدمت الأم كلها والعوالم نفسك هكذا أنت تعتبر خادماً لأنتك ولأم غيرها بطريق غير مباشر . هذه هي الكلمة السكية العاتمة

أما كتيبي الخاصة فاني أقول إن هذا الانسان لن ينال السعادة التامة إلا بعد معرفة الحقائق معرفة تامة والمعرفة التامة في هذه الدنيا مستحيلة لأنه محبوس في جسده بل هو محبوس في سجن مظلم ولم ينل من العلم إلا قليلاً لأنه محبوس بالأم داخلية وأخرى خارجة كالسجنين في سجون المجرمين في عالم الأرض ولكنه وهونا قد يتلصق بعض الجمال من خلال نوافذ السجن كما سأوضحه هنا فأقول :

إني اليوم لما توجهت لتقاء الغراء وفسيح الخلاء لم أجدها يهديني الى الطريق إلا ضوء الشمس . هذا الضوء لولاه لم أعرف الطريق . وهذا الضوء هو نفسه الذي يسبب امتصاص الورق في الأشجار مواد الكربون (الفحم) البالغ جزءاً من ألف ألف جزء من الهواء كما استراه موضحاً مشروحات في ﴿سورة يس﴾ عند قوله تعالى - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - الخ . فالضوء به كان هذا الورق في الأشجار المحيطة بنهر النيل حولي

وسرى هناك فتحات الورق فتصوّرة بالمرور الشمسي وقد شرحها العلماء فقالوا إن كل فتحة توصل إلى شجرة ذات حوالط شسفاقة مظاة بسقف بديع وفي داخلها مادة سائلة يموم فيها مادة خضراء بها تكون خضرة النبات ، وفي الورقة الواحدة قد يكون نحو مائة شجرة أوماتين وقد يكون فيها ألوف بل ألوف الألوف في نفس الورقة الواحدة وكلها بهذا الصنع المتقن ، فلذا أيمن المسلم بذلك وهو لا شك بوقن لأنه سي شاهد بعينه تلك الخجرات وقرأ شرح العلماء لها

فهذا الايقان الذي منحه الله لقرءاء هذا الكتاب ستخرج به طبقات ممتازات في بلاد الاسلام يرفعون أهمهم إلى أعلى درجة في الكمال ، وهل يفكر الجاهل في ضوء الشمس ؟ وانه نعمة . كلا . إن أكثر هذا الانسان لا يرى نعمة إلا ما يخص به أو كان ممنوعا عنه فبذل له كالتفني بعد الفقر إن من عرف ربه بهذه الرحمة وأيقن أن الآلام والمصائب المحيطة بالانسان لم تخرج مما فعله الحكومات الأرضية في الناقصين من بني آدم اذا سجنوهم ، واستنتج من ذلك أن هذا الحكيم لن يفعل ذلك فينا إلا لنلحق بمال أعلى من هذا العالم الناقص كما فعل حكوماتنا في الناقصين منا حتى يسلحوا لأن يعيشوا منا غير مفسدين لأننا ، وهناك نعرض هذه الطبقات الممتازة أم الاسلام على الاعتراف من الحكمة والعلم . وهذه الطبقات الممتازة في بلاد الاسلام المؤتمنة بهذه الرحمة الواسعة تكون صفاتهم الممتازة أنهم يحبون أهمهم بل كل أهل الأرض ويسعون لرقيهم ويفرحون ببقاء ربهيم فهم إن عاشوا عاشوا سعداء مسعدين وإن ماتوا ماتوا فرحين ببقاء ذلك الحبيب الذي أسعدهم بالخبرات وهذبهم بالقيم . فالتزموا التزم سيان عند قراء هذا التفسير وأمثاله

واعلم أيديكم الله أيها القديس أن كل ما ورد من صفات هذه الأمة وفضلها وإياها خير أمة أخرجت للناس قد تمّ بفضله أيام النبوة وفي عصر الراشدين ومن نحا نحوهم . وسيمت بياقه بعد نشر أمانات هذا التفسير إذ يقبوا المسلمون متبوعا العلم والحكمة وحب الله المبني على الايقان وإدراك الجلال والحسن والبهاء والاشراق واسعاد العالم الانساني . وسيكون نبراسهم - يا أيها النبي - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - إلى قوله - وسراجا منيرا - فهذا تفسير هذه الآية وسيظهر أثره للعالم الانساني وإافته هو الولي الجديد اه

﴿ آثار النبوة وانتشارها في أوروبا ﴾

(وكيف ترى العلماء فيها هم الذين يعتقدون هذا الدين وذلك من آثار كونه ﷺ سراجا منيرا)
ذكرنا فيما تقدم قريبا رسالة عبد الله كويليام الانجليزى الذى أسلم مع نبذة من ترجمة حياته وهى الرسالة المسماة « الجواب السكافى » وقد ترجمها إلى العربية الأستاذ زهدى الخماش . وزيد على ذلك الآن ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ (١٠) يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ المستشرق الفرنسى الميسو ايتان دينيه ﴾

(السيد ناصر الدين دينيه)

(المسلم الفرنسى والمصور الشهير)

ما هذا المستشرق التابه وقد اعتقد حوله لتوديعه الوداع الأخير المند العديد من كبار قومه الرسميين ومن أصدقائه وعارفى فضله من أهله ومن غير أهله من مثلى الشعوب الشرقية التى أحباها وخدمها وقد وجب علينا وان كنا لم نقف هنا لك في باريس مع الواقفين خاشعين أن نبعث إلى روحه الطيبة تحيات السلام والاعتراف بالجليل

أحب للسويدي حياة العرب وهو ذلك الفنان الكبير فأنفذ له بينهم مقاما محمودا في بلاد الجزائر في تلك الواحة السعيدة المهادنة الجيلة (بوسعادة) ينقل اليه يسكنه نصف العالم كاملا . يرتاح للعرب وجبرتهم . ويروح من نفسه بينهم . وينم بما في حياتهم من جلال تلك المناقب الماثورة عنهم وتلك المعارك المعروفة بهم والتي لا يميل اليها الا عشاق الخيال السامى ولا يشهدا الا أهل الفضائل العالية ، وقد وضع في حياة العرب كتابا جيل جيليا ملاء باللوحات البديعة من ريشته القادرة ذات البلاغة في تصويرها والبيان في صمتها

والسويدي به يبلغ من العمر سبعين عاما . وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير ، وصاحب اللوحات الكبيرة النفيسة القيمة ، تزدان بها جدران المعارض الفنية وتحفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف العالم ، وله في متحف لوكسمبرج (وهو متحف كبير للمصورين المصريين بباريس) عدة صور منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم (غداة رمضان) وكذلك له صور في متحف (بو) وكذلك في متحف (صندى) بإسترااليا وغير ذلك كثير

وجميع صورته تدل على القدرة الفنية الكبيرة في رسم الصحراء وتصور حياة الصحراء ، كأنه على دقة التعبير عن الحالات النفسية المختلفة . وهو ذو مركز خاص مشهود به بين اخواته المصورين وامتاز عنهم بتخصمه في تصوير الحياة الأصلية وبالأخص ما كان منها في بلاد الجزائر

وقد درس الروح العربية وفهمها الفهم الصحيح حتى قيل عنه انه المصور الفريد بين اخواته الذين يستطيع تمثيلها بالريشة والألوان والاصباغ أحسن تمثيل وهم يقولون عنه انه المصور (العربي)

وقد جاءت ترجمة للسويدي (دينيه) وأعماله في مجلدين (لاروس) الكبير وفي مجلده (هاليت) للفنون الجيلة . وله عدة مؤلفات منها كتاب حياة العرب التي ذكرناه ومنها كتاب السراب ، وكتاب حياة الصحراء ، وكتاب ربيع القلوب ، وكتاب الشرق كما يراه الغرب . وكلها تشير الى ما في طبيعته من انطلق الطيب وما يحصل في قلبه من الحب والتقدير للشرق والشرقيين

ومن أهم كتبه ما جعله تاريخا لحياة الرسول سيدنا محمد ﷺ وهو السيرة النبوية في مجلد كبير جليل وضمه باللغة الفرنسية وزينه بالصور واللوحة البديعة الكثيرة المتعددة ، من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الاسلامية ومشاهد الدين ومعاله . وطبعه طبعا غاية في الاقنن والعناية حتى انه يعد تحفة من تحف الطباعة كل ذلك قدبرا منه لموضوعه . ثم انه قدمه لأرواح الجنود الاسلامية التي استشهدت في الحرب الكبرى وهي تحارب في صفوف الفرنسيين . ونشره كذلك باللغة الانجليزية بنفس الحجم الكبير والاقنن اللم ، والكتاب في طبعة قد نحلى بمختلف أنواع اللوحات الزخرفية الملونة ذات الاشكال العربية غاية في الدقة والابحار ، وهي اللوحات التي قام بعملها خاصة لهذا الكتاب السيد محمد راسم الجزائر أشهر رجال الزخرفة العربية والتي أشار اليه المسيو الاثرلي الاستاذ بجامعة الجزائر ومدير متحفها وذلك في المحاضرة التي ألقاها في النادي الفرنسي بالقاهرة في شهر مارس سنة ١٩٢٩ ، ويبلغ عن النسخة الواحدة من هذا الكتاب خمسة جنيهات مصرية

وما ننظر أن العالم العربي قدقرأ للسويدي (دينيه) شيأ بالعربية قبل تلك الرسالة التي مر بناها له (أشعة خاصة بنور الاسلام) والتي نشرت بمصر في هذا العام ، وهي التي جعلها بمثابة مبادئ الدين الاسلامي وأراد اظهار هذه المبادئ واضحة جلية وأنها أفضل مبادئ للدينات المحضرة . ولعل هذه الرسالة هي آخر ما كتب ، اللهم الا اذا كان قد فرغ من (رحلة الحج) التي كان قد ذكر لنا أنه يشتغل بتدوينها مهمة ونشاط وذلك عقب هودته من بلاد الحجاز هذا العام بعد أن أدى فريضة الحج واذا سمحت لنا الحقيقة أن نقرر شيئا فانه ذكر لنا في كتابه اليانا أنه لاقى من التعب والمشاق الشئ الكثير رغم ما لاقاه من التكرم والعناية الخاصة ورغم نسيانه المشقة في سبيل الله وهو يدعو الى اصلاح وسائل النقل والصحة وتنظيم الحياة لأولئك الألوف من الحجاج الذين

بأنوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق -

والسيو دينيه كاتب رقيق العبارة واسع الاطلاع قلبك هو صحيح الحق ناهض البرهان ثم هو شديد الهجوم شديد الضعاف ذلك لانه غيور على مبدئه الذي لم يتخذه الا بعد بحث وتساكير . وقد أعلن اسلامه رسميا بالجملع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل عام ١٩٢٧ وطلب ان يدفن في قبره مسلما حنيفيا . وهو القبر الذي شيده لنفسه في بلدة (بوسعادة) بالجزائر وقد ذكرت الاحرام في تفرقاتها الخصوصية أمس أنه سينقل اليها من فرنسا وفق وصيته ، ويقول إنه لم يسلم لمطعم أومغيم (والرجل غني موسر الحال) وإنما أسلم لإرضاء ليقينه وضميره وأنه ناقش الناصرين والطاعنين فخرج من (دينيه) الى (ناصر الدين)

وله في بيان فضائل الشرقيين عامة والضعاف عنهم جولات عقلية ولوحات تصويرية تشهد له بإخلاصه في حب الشرق وتوهم دليلا على حبه للعدل والانصاف . وقد استقناه بعضهم من أسرار الشرق والغرب فكتب يقول ان الغرب يخطئ النظر الى الشرق مع ان الشرق على الغرب أفضل متواصلة في مدينته متغلطة في حياته ذلك من أثر الدينيات التي هومدين فيها للشرق ومن أثر المعاملات والاقتصاديات التي منشؤها اليهودية الشرقية . ومن أثر الحياة الشرقة والهامة القصص التي منشؤها أنظمة القروسية العربية . ومن أثر علم البحار وعلم السماء وعلم الأبدان وعلم الكيمياء التي ابتدعت أصولها العقول الشرقية

ويقول ان الشرق لم يضر الغرب الاساءة ، وأن الغرب يخطئ اذ يظن أن الشرق لا يستحق العناية مع أن الشرق قد عرف كل دنائيل الغرب وأنه مع ذلك لا يحمل له الا السلامة

وهكذا يقوم السيد ناصر الدين دينيه رسولا للسلام بين الشرق والغرب ، وهو المثل الطيب لكل فرنسي يحب بلاده الأصيلة ويحب الشرق الجليل النبيل . ومع انه قد اعتنق الاسلام وعاش مسلما ومات مسلما فإن ذلك لم يمنعه من أن يكون مقابلي العهد والاخلاص لبلاده المحبوبة وأن يجتمع حول نفسه رجال فرنسا الرسميون من الوزراء يذكرون حسناته ويؤيدونه أحسن التأييد . ذلك لنبالة قصده ومثانة انسانيته

(راشد رستم)

هذه هي المقالة التي كتبها الاستاذ المذكور ، وأما كتبنا تاريخ (المسيو ايتان) لأنه توفي أثناء تقديم هذه السورة للطبع فكتبناه هنا تذكيرا للقراء هذا التفسير ، وبمعنى بنا أن ذكر شغرات من رسالته المسماة « أشعة خاصة بنور الاسلام » وهي التي ترجمها الاستاذ المذكور . وإليك بيانها

(الشجرة الأولى)

عما لا نزاع فيه أن القربة والمكان والموقع لها الأثر الكبير الفعالي في نشأة الأمور وحياتها . وأن الشجرة الطيبة التي تزرع في أرض خيثة تخرج ثمرها أضخم مما تخرج الشجرة الخبيثة التي تنبت في أرض طيبة . كذلك كان الشأن مع المسيحية : فهي وإن ظهرت أنها تحكم العالم في وقتنا الحاضر فليس ذلك مرجعه الى تعاليمها دون غيرها ، بل ان مرجع ذلك هو الى ما استفيد من القوة المادية التي أوجدتها المستكشفات التي قام بها العلماء والفرسيون . ومن الغريب أن أغلب هؤلاء في ذلك هم من اليهود ، أو من الملاحدة والمطليين ، أو المشرقيين . بل ان منهم من حاربهم المسيحية واضطهدتهم . خذ مثلا (جالية) القسكس الايطالي و(ايتين دوليه) الكاتب الناشر الفرنسي وغيرهما كثيرون ممن ذهبوا بحجة التنصب للقيم

وأمر غريب آخر . ألم تجد الأمم الآرية التي تأملت فيها المسيحية أن الضرورة قضت عليها بالتباعد عن روح مسيحيتها في سبيل المحافظة على مملكتها ومستعمراتها . انتهت الشجرة الأولى

﴿ الشفرة الثانية . للمجهزات ﴾

ان نبي الاسلام هو الوحيد من أصحاب البينات التي لم يمتد في انعام وسانت على المجهزات : وليست محمده الكبرى الابلاغة التزليل الحكم . وفي ذلك يقول تعالى - وما منعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون - وقد نسي رينان أن محمدا ﷺ مع عدم اعتياده على مثل هذه المجهزات التي ينكرها قديما بأكثر المجهزات عما هو شاذ في تاريخ البينات كلها ، جاء بذلك الدين الحنيف الذي لم ينفك يزداد أفضاره كل يوم منذ ثلاثة عشر قرنا حتى بلغوا اليوم ثلاثمائة مليون من النفوس دون أن يكون له دعاة أو مبشرون على أن المجهزات التي تنسب إلى محمد ليست من نصوص القرآن ، وإنما قدنسها المعوزو الصوري المتأخرة تقليدا للمجهزات التي تنسب إلى المسيح ، فهي ليست من الدين في شيء

وأما تلك المخرافات والمستندات الفرية التي نشاهدها في بلدان الاسلام المختلفة فهي غريبة عن القرآن وخصيلة على الدين ولا تتفق مع شيء مما عرف عن رسول الله ﷺ . فتنسب في الأثر أنه لما مات ابراهيم حزن عليه محمد حزنا عظيما . وحدث أنه ساعة دفنه كسفت الشمس فقال الذين من حوله انها لمجهزة بمحمد فقد شاركته الشمس في حزنك على ولده . ومع أن النبي كان مأخوذا بالحزن الشديد فقد أنب القتال وقال : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينصفان موت أحد ولا حياته ،

ومن ذلك يتضح لنا أن الاسلام منذ البداية في أيامه الاولى قد أخفى محاربة المخرافات والبدع ، وهو نفس العمل الذي يقوم به العلم إلى يومنا هذا . انتهت الشفرة الثانية

﴿ الشفرة الثالثة - التسليح والرفق في الدين ﴾

ان القرآن ، دون الكتب المقدسة الأخرى ، هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والاحسان في الدين . جاء إلى الرسول أحد بني سالم بن عوف واسمه الحسين ، وقال له يا رسول الله اني ولدين مسيحين بآيات النجول في دين الله والى لجبرهما على ذلك . فقال له النبي ﷺ - لا كراه في الدين - وفي هذا الباب ما جاء في سورة الكافرون : - لكم دينكم ولي دين - كذلك ما جاء في سورة العنكبوت - ولا تعجلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن -

ومن الحقائق التاريخية أن النبي أعطى أهل (بحران) المسيحيين نصف مسجده ليقوموا فيه شعائرهم الدينية وهانحن أولاء نرى المسلمين اذا بشروا بدينهم فاتهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيون في الدعوة إلى دينهم ولا يتبعون تلك الطرق المستغربة التي لاتحملها النفس والتي يجمعها التوق السليم

وقد أصف (القس ميشون) الحقيقة في كتابه (سياحة دينية في الشرق) حيث يقول : انه لمن الحزن أن يتلقى المسيحيون من المسلمين روح التسليح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدم قواعد الرحمة والأحسان عند الشعوب والأمم (١)

زد على ذلك أن المسلمين يعملون لمبى في قوسهم التبجيل والتعظيم ، في حين أن أنصار المسيح يطرون محمدا وأبلا من الفئات والسخطات ، الأمر الذي يدهون إلى الوحشة والفراة ، ذلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقاتل بالنفوس والاحسان !

بل كيف يكون موقف المسيحية أمام هذا التسليح الاسلامي الشريف اذا ما ذكرنا رسالة القديس (أغسطين) إلى الحاكم (بوتيفس) وهو يبرره فيها اضطهاد الخالفين وقتلهم متفرعا قسلا بأن البيانات الأخرى تجعل مثل ذلك قاتلا نظير أن تقوم الكنيسة نفسها بذلك ، لأن الكنيسة ان هي اضطهدت أحدا ، فإنما هي لاتقسم على ذلك الا مدفوعة بعاطفة الحبة . ، فما أعظم حبة الكنيسة ! وما أكرمها لأولئك الملايين الذين براحو نخبة

(١) نقلا عن الكونت دي كاستري في أبحاثه عن الاسلام

«القديسة» محاكم التقبيل . ونحية القديس يارتمى وغيرهم من «القديسين» والقديسات ، الذين يستحيون للذناج والمجازر البشرية . انتهت الشفرة الثالثة

﴿ الشفرة الرابعة — العلم ﴾

رفع النبي محمد قدر العلم الى أعظم الدرجات وأعلى المراتب وجعله من أول واجبات المسلم . وفي ذلك يقول :
اطلبوا العلم ولو بالعين . يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء . شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وغير
الأمراء الذين يأتون العلماء . فضل العلم خير من فضل العبادة (١)

وقد نظر للمسيو (كز انوفا) أحد كبار أساتذة كوليج دى فرانس بيليس في هذه الكلمات الغاليات
كيف يقولها أحد أصحاب الميانات فعلق على ذلك يقول : «يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون
تحمل آرائنا وهضم أفكارنا . يعتقدون ذلك وينسون أن نبي الاسلام هو القاتل بأن فضل العلم خير من فضل
العبادة . فأى رئيس ديني كبير وأى قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوي
الفصل للمؤمن ! هذا القول الذى هو قس عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة

نعم إن هذا هو مبدؤنا اليوم ولكن أليس العهد قريب يوم كانت الكفاة عندنا من أهل العقول تنتظر
الى مثل هذا التعار كأنه رمز العصر ومجلة الشئ . ١

كما أنه سوف يقال ان أوضح مبادئ الحرية الفكرية قد كسفت أمثال (لويبر) و (كاليفين) وعاد
الفضل فيها الى رجل عربي من رجال القرن السابع . ذلك هو صاحب شريعة الاسلام . انتهت الشفرة الرابعة
﴿ الشفرة الخامسة — الحر ﴾

ذلك هو الماء الفتاك وهو أحد الأمراض الاجتماعية الوبيلة في عصرنا الحاضر . طى أن محمدا هو الشخص
الوحيد الذى أحسن بالأتراسية الشديدة للحر في النفوس ففاض به حتى حرمه نحر مبادئها وقفا في ذلك فوزا كبيرا (٢)
— يأبها الذين آمنوا انما الحر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون
انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهل أتم متبهون — سورة المائدة

نعم ان من المسلمين من لم يعمل بذلك فهو يخاف الدين في تحريم الحر نحر بما قلعا . غير أن الكثيرين
من هؤلاء قد تركوها ثم تابوا وأتابوا وهم لم يضاوا ذلك الابتأثير الدين نفسه وبما جاء فيمن النهى عن الحر
والأمر بالتحريم . في حين أننا نسمع أن أحدا من المسيحيين الذين يحنون الحر قد تركوها أو عاودا عنها
ولا يخفى أن الانجيل المسيحية ذكرت أن المسيح في أفرح (قانا) ملا من التبيذ ستا من قدر الماء
نسع كل واحدة منها ما يقرب من سبعين الى تسعين لترا بكلياتنا الحاضر

كما أن الكنيسة قد جعلت (مونيك) الافريقية في عداد القديسات ، مع أنها كانت من مله منات الحر
كما ذكر عنها ذلك ولها نفس القديس (أفسطلين) في اعترافه (٣) . انتهت الشفرة الخامسة

﴿ الشفرة السادسة — الوسيلة ﴾

الوسيلة هي إحدى كبريات المسائل التي تلاق بها الاسلام جميع الأديان ، اذ ليس بين الله وعبده وسيط وليس
في الاسلام قساوسة ولا رهبان

(١) الجزء الاول من كتاب الاحياء للفراي

(٢) وأما تجربة الولايات المتحدة في أمريكا في تحريم الحر فلم تظهر نتائجها بعد اذ لم يحض على

ذلك الاضع سنين

(٣) عن الدكتور بينه ستجبله ، في كتابه «جنون يسوع»

ان هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الاديان . وانهم كذلك مهما كانت عقيدتهم ومهما كان اخلاصهم وحسن نياتهم

وقد أدرك المسيح نفسه ذلك . ثم يردد «بأني الهيكل» غير أن أتباعه لم يفعلوا مثل ما فعل . واليوم اذا دعوا عيسى فكم يردد من أمثال بأني الهيكل !!

كذلك ما أكثر البلايا والمصائب بل ما أكثر اللذاع والمجاذر التي يكون سببها هؤلاء الوسطاء سواء كانت بين العائلات وبعضها أو بين الشعوب والشعوب . وهم في ذلك كله يصيحون : باسم محمد الله !!

ثم انهم قد عكسوا الآيات وعلوا النيات ، وغبروا الأوامر والنواهي ، ولم يدركوا قصد عيسى ولا مرماه النبيل العالى ولا فهموا مضاه الحقيقي حين يقول : «جئت لأتقن نارا على الأرض . فإذا أريد نواظرت ؟ أظنون أني جئت لأعطي سلافا على الأرض . كلا أقول لكم . بل أقسم . لأنه يكون من الآن خسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب على الابن والابن على الأب . والأم على البنت والبنت على الأم» (١)

وقد حرم الاسلام نظام هذه القداسة ومحا الولاية فنفى بذلك تلك الخرافات الفسادة والمعتقدات الفاسدة . وأزال آثارها وتأنجها

وليس لاسلم أن يدعو الرسول ويتضرع اليه ، وإنما له أن يدعو الله وحده لاشريك له . وقد يكون لاسلم أن يدعو الله للرسول ، ولكن لا يدعو الرسول لله ولا للهاته

كذلك يحرم القرآن الشفاعة وينكر الشفاعة . ويوم القيامة لا تسأل نفس إلا عن نفسها وأما ما رآه من الزوايا وأضرحة الأولياء فإن ذلك لم يرق إلا بعد الهجرة بنحو قرنين من الزمان ، تقليدا للمسيحية . على أن ذلك لم يقبله الميديون كما أنفاه الوهابيون أخيرا من مكة والمدينة وما إليهما . انتهت الشفرة السادسة

{ الشفرة السابعة - الله }

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الله شكلا بشريا ، أو ما إلى ذلك من الاشكال أما في المسيحية فإن لفظ (الله) تحيطها تلك الصورة الأدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بات عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والاعمال - فمن تعاجيد بالوجه غائرة إلى لحية بيضاء مرصعة مهملة تثير في النفس ذكرى الموت والفناء

ونسمع القوم يصيحون (يا حي الله) فلا نرى للفرابة محلا ولا نهيب لمسيحتهم وهم ينظرون إلى زمن الابدية الدائمة وقد نخل أمامهم شيخا هزما قد بلغ أرذل العمر . فكيف لا يمتحنون عليه من الهلاك والفناء ، وكيف لا يطلبون له الحياة ؟

كذلك (يا هو) (٢) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي فهم يعاملونه في مثل تلك المظاهر المتهاكمة . وكذلك تراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الأنجيل المصورة القديمة

أما (الله) في دين الاسلام الذي حثت منه القرآن فلم يجرا مصورا أو نحات أن تجرى به ريشته أو ينحته لأزميل . ذلك لأن (الله) لم يخلق الخلق على صورته ، وتعالى سبحانه فلم تكن لمصورة ولا حدود محصورة وهو الواحد الأحد الفرد الصمد ولم يكن له كفوا أحد

وقد يقال لنا إن تلك الصورة التي وصفناها والتي يمثل بها للمسيحيون الله عندهم هي مما لا يرضى عنه

(١) انجيل لوقا . الاصحاح الثاني عشر . ٣٩ - ٥٣

(٢) (يا هو) أي الله . وهي الاصل البري

أهل التدبیر السليم منهم . على اننا لو سلمنا بهذا الاعتراض جدلا فإذا هم قائلون وليس في الكنيسة كلها الاصلاح واحدة وقصيرة يحدون بها الاله (الأب الأزلي الهام) . وأما الابن والأم وزوج الأم والصلب وقب يسوع المقدس فلها كل الصلوات ولها آلاف الصور والحقايل ذات الاحترام والاجلال . وكلها مقدسة عندهم مثل قدوس الوثنيين لأصنامهم التي تمثل معبوداتهم . انتهت الشفرة السابعة

(الشفرة الثامنة - عا الهمة)

قال رسول الله ﷺ : عا الهمة من الايمان ، وذلك أنه لما كانت الشريعة الفراء قد سلوت بين الناس ، ولما كان لابد للناس من مراتب ودرجات ، لم يجعل لأحد منهم فضلا على أحد الا بعلمه في مكارم الاخلاق والنبيل والذكاء . وفي هذا فليتناقص المتنافسون . وأما ما جاء في الانجيل من قوله . (من اعلمك على خدك الأيمن خذ له الآخر أيضا) . فذلك ضرب من ضرب الحطة بالنفس والنزول بها والنهاب بكرامتها ، كما انه تشجيع ضمني لاهل السوء والغبطة في أن يظهروا ويسودوا . وفكرة التسليم هذه والتساهل في شأن النفس وعدم الأخذ لها بالشدّة ترجع الى أمل هندي . وقلبك تسكن في طيبتها تلك الاسباب المتأصلة التي أخضعت الهند الكبيرة لتبراجل الصغيرة ، وليس عجيبا بعد ذلك أن نرى الانجليز يخرجون على تعاليم الكنيسة ولا يميلون بأوامر المسيح في عفة الجبل من السكون وعدم التعدى . انتهت الشفرة الثامنة

(الشفرة التاسعة - المساواة)

لقد حقق الاسلام نظرية المساواة هذه بين القبائل والشعوب وهي النظرية التي لم تأت أخيرا إلا على يد الثورة الفرنسية . وهذا بلال الحبشي أقدم رسول مؤدنا للمسلمين فكان العرب ، وهم من الشعوب التي تقدر الاجتداد والأنساب ، تسمح له وتسي الى الصلاة اذا ما أذن فيهم هذا العبد الحبشي . انتهت الشفرة التاسعة

(الشفرة العاشرة - مسايرة الطبيعة)

لا يجرّد الاسلام على الطبيعة ، التي لا قلب ، وانما هو يسير قوانينها ويزامن أزمائها ، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة : مثل ذلك الفرض الذي ترضه على أبنائها الذين يتخلدون الرهبة فهم لا يتزوجون وانما يعيشون أعزاب . على أن الاسلام لا يكتفي أن يسير الطبيعة وأن لا يجرّد عليها وانما هو يدخل على قوانينها بما جعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقا اصلاح ونظام ورياضة يسور مشكور حتى لقد سمي القرآن لذلك (بالهدى) لأنه المرشد الى أقوم مسالك الحياة ولأنه العمل على أحسن مقاصد الخير والأمّة العديدة لا تموزنا ، ولكننا لقمص نأخذ بأشهرها وهو التساهل في سبيل تعدد الزوجات ، وهو الموضوع الذي صادف النقد الواسع والذي جلب للإسلام في نظر أهل الغرب مثابجة ومطاعن كثيرة . وما بالاشك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى ، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق ، بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه . لم يكن للإسلام امل الأمر الواقع ، وهو دين البسر ، إلا أن يسنين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكما قطعيا ولا يأمر به أمرا بانا . والذي فعله الاسلام أول كل شيء أنه أقص عد الزوجات الشرعيات ، وقد كان عند العرب الأقمنين مباحا دون قيد ، ثم أشار بعد ذلك بالتوحيد في الزوجة في قوله تعالى - وإن خفتم أن لا تعملوا فواحدة - وأمر رجل في الوجود يستطيع أن يعمل بين زواجه المتعددات ، وبذلك كان التعدد بهذا الشرط مستحيل التنفيذ ، ولكن انظر كيف وضعه الاسلام وضعا هو غاية في الرقة والذقة والطف مع الحكمة . ثم انظر هل حقيق ان العناية المسيحية بتزويجها الجبري لفردية الزوجة والتوحيد فيها وتشديدتها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات ؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك بدون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟ وإلا فهو لاء مثلا ملاوك فرنسا (دع عنك الافراد) الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لم من الكنيسة كل تعظيم واكرام ، إن تعدد الزوجات قانون

طبيعى ، وسبق ما بقى العالم . وذلك فان مافعله المسيحية لم يأت بالفرض الذى أرادته ، فانكسرت الآية معها وصرتناشهد الاغراء بجميع أنواعه . وكان مثلها فى ذلك مثل الشجرة الملعونة التى صومت ثمراتها فكان التحريم اغراء . على أن نظرية التوحيد فى الزوجة وهى النظرية الأخذ بها المسيحية ظاهرا تنطوى تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص فى ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاد . تلك هى السعرة ، والعوانس من النساء ، والابناء غير الشرعيين . وإن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الاخلاقية لم تكن تعرف فى البلاد التى طبقت فيها الشريعة الاسلامية تمام التطبيق . وانما دخلتها واقتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية . ومن الأمثلة القائمة على ذلك ما كان من أمر وادى (ميزاب) حيث تسكن القبيلة التى بهذا الاسم فى بلاد الجزائر إذ لم تدخلها السعرة الا بعد ضمها الى فرنسا عام ١٨٨٣ . وقد وصل بها الحال اليوم ان أربع بلدان من مجموع كله سيج بلدان قد ابتليت بهذا اللداء الويل . وما نرويه من هذا القليل ماجاء فى كتاب «الاسلام» تأليف (شمس مودولان) «انه عند ما غادر الدكتور مافرو كوردانو» الاستاذ سنة ١٨٢٧ المبرلين لمراسة الطب لم يكن لعاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعرة . كما لم يعرف فيها داء الزهري (وهو السفليس المعروف فى الشرق بالمرض الافرنكى) فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين أى سنة ١٨٣١ تبدل الحال غير الحال . وفى ذلك يقول الصدر الأعظم الكبير رشيد بلشا فى حسرة موجبة (اتنا نرسل أبناءنا الى أوروبا ليتعلموا المدنية الافرنكية) فيعودون البناء مرضى بالداء الافرنكى على أنه من جهة أخرى نرى أن الطلاق قد يخفف بعض الشيء من أضراره هذا التمتع فى القصر على زوجة واحدة . ولكن من جهة ثانية نرى أن الطلاق سيئة من السيئات . إذن ، إذن ماذا ؟ إذن أى الأدواء قد دخلنا بها من بعض السيئات ؟ على أن الكنيسة قد أساءت كذلك فى مسألة الطلاق بمثل ما أساءت فى أمر التوحيد فى الزوجة . وذلك بمخالفتها أيضا لقوانين الطبيعة . انظر هل أشتمن الحكم على زوجين شايين لم يستطيعا عن بعضهما صبرا ، وقد سلبت ظنهما فى الزواج ولم يدركا السعادة التى طلباها من وراء ذلك ، هل أشد من الحكم عليهما بأن يخلعا بضيان بقة أيامهما فى حذاب ونكد وشقاء ؟ كذلك اذا كان أحدهما عاقرا أو كان غير كفء لزميله ، هل يحرم الآخر من أن يبنى لنفسه بآخر وأن يقيم له عائلة من جديد . واتنا ونحن فى صدد الطلاق لا نفوتنا حكمة التشريع الاسلامى وهو يرى السوء فى فوضى الطلاق فيسمع النبى الكريم يقول (أبغض الحلال الى الله الطلاق) . انتهت الشئرة العاشرة

(الشئرة الحادية عشر — بساطة الصلاة والنظافة)

ان الحركات والاشارات فى الصلاة الاسلامية هى ذات بساطة ولطافة وبساطة لم يسبق لها مثيل من نوعها فى صلاة غيرها . كما أنها لا تدعو للجوء بالتظاهر والتكلف ، ولا العيون بالشخص الى السماء واستئزال الصموم التى تذكرنا بالصوم الجليلى بينة التى يصطحبها بمثل السيناء فى عصرنا الحاضر . حقا ان الصلاة الاسلامية خالية من تلك الأمور الشائنة التى خصها المسيحيون بالصورة المسيحية مما جعلها فى غير جلال ولا جلال ولا وقار حقا ان الأقوال والحركات التى فى الصلاة الاسلامية هى ذات دلالة على الرزاق والمهدوء والطمأنينة ، وهى خالية من مبالغات الودع وتكلفات الخشوع والتظاهر بذلك مما هو غريب فى العبادات ، لأن الله سبحانه وتعالى علم بمافى الصدور وهو النبى العزيز ثم ان من الأمور الغربية تخصيص وجود الاله فى السماء عند دعوته . وهذه الحال تحمل فى طياتها الحدا ، اذ تجعل السماء . منفاه ، وتنفى بذلك عنصفا الوجود فى كل مكان وحركات الصلاة الاسلامية ، فوق تغييرها التام عما تحمل نفوس المؤمنين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم ، تقدم للجسم بأعظم مزاي الحركات الرياضية . فهى مفروضة الأداء خمس مرات فى اليوم الواحد . وكفى من شيخ كبير وبدين مسن يستطيع كلاهما السجود والركوع والوقوف درن كبير عنه ولا مشقة مما لا يستطيعه مسيحى فى مثل هذا السن أو ش مثل هذه الحال مالم يكن قد استراض على ذلك من قبل . انتهت الشئرة الحادية عشر

﴿ الشذرة الثانية عشر - الأذان ﴾

يجز الإسلام في الدعوة إلى الصلاة بأن الإنسان هو الذي يدعو لإخوانه إلى تأدية هذه القرينة . وأن صوت الإنسان صوت طبيعي وهو أدهى إلى حل العاطفة الإنسانية الصادرة من قلب المؤمن إلى إخوانه المؤمنين للقيام بأهم أركان الإسلام من أي آلة صناعية ومن القلب إلى القلب رسول الله هذا ما أردته من رسالة (المسيوينايتا ديفيه) للمسلم الفرنسي والمصور الشهير . ثم انظر إلى ما جاء في جريدة الأهرام بتاريخ يوم السبت أول فبراير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ المؤتمر الديني الدولي ﴾

(خدعة السلام في العالم)

منذ نحو ستين عام جماعة من رجال الأديان في (أمريكا) يسمون لانشاء مؤتمر ديني دولي يمثل مختلف الأديان والمذاهب في العلم بقصد خدمة السلام العالم بواسطة الدين وعقدوا اجتماعهم الأول في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ م في جنيف تحت رئاسة الدكتور (شابراماتيو) رئيس الكلية السبئية في جامعة (شيكافو) في الولايات المتحدة ، وكان الحاضرون ١٩١ مندوبا من بلدان مختلفة وأدين شتى ، وقد قرروا انهمون إذ ذلك انتداب لجنة مؤقتة لتنظيم أعمال المؤتمر برئاسة الدكتور (ماتيو) النماليه وألفت تلك اللجنة من خمسة وعشرين عضوا وجعل سكرتيرها الدكتور (اتكنسون) من نيويورك ، وكان (١٢) من أعضائها يمثلون المسيحية وعضو واحد يمثل الإسلام ، وعضو يمثل الهندوس ، واثنان يمثلان دين (كوتوشوس) واثنان لليهودية ، وعضو يمثل البائية ، وعضو يمثل الننتوا في اليابان . وعضو للبوذيين في سيلان . وعضو للثيو صوفيه هولاندا . وعضو للجوس في الهند

وقد قرروا إذ ذلك عقد مؤتمر عالمي للسلام يبنى عمله ومساعيه على مبادئ الأديان التي ينتمى إليها أعضاؤه بدون أن يجز ذلك إلى المفاضلة بين مزايا هذا الدين إذ ذلك على أن يكون غرض الجميع واحدا . وأن يبنى هذا الغرض على المبادئ الآتية

- (١) أن يذكر كل ممثل لدين من الأديان تعاليم ذلك الدين فيما يتعلق باستقرار السلام ووجوب احلله محل الخصام في العالم
- (٢) ذكر مجموعات الميئات الدينية في سبيل نشر لواء السلام في العالم
- (٣) وضع القواعد التي يمكن السير عليها بصفة عامة لازالة العتبات الحاققة دون استتباب السلام واتصاف الحق وضمان العدل بين الدول وازدياد محبة الخير العالم
- (٤) انتهاز كل فرصة لاستثارة الشعور الديني في كل طائفة ضد روح العدوان والخصام وكل ما يؤدى إلى الشحاذ بين الأمم

وقد عقدت بعد الاجتماع المتقدم اجتماعات متعددة في أنحاء مختلفة ولاسيما في أمريكا إذ يظهر أن فكرة المؤتمر الديني العالمي نشأت من هناك . وآخر اجتماع للجماعة عقد في شهر أغسطس الماضي في مدينة مانسفورت في ألمانيا تحت رئاسة الدكتور (شابراماتيو) حامل لواء المؤتمر . وقد حضره (٦٢) عضوا يمثلون جميع الأديان الحية في بلدان العالم . وفي هذا الاجتماع ذكر السكرتير الأميركي انه ساح في بلدان الشرق الأقصى وقابل فيها زعماء الأديان والمذاهب المختلفة وبحثهم في مسألة اتحاد المؤتمر الديني العام لمقاومة الخصام واحلال السلام على بين البلدان فأبدوا المسرور وحبوه . وقد قرروا في اجتماع (فرانكفورت) انتخاب لجنة لتنظيم المؤتمر القادم وعقدته على أن يكون خمسة رؤساء وثلاثة عشر وكيلات تدب للتنفيذ وأنشئت للمؤتمر سكرتير رئيسية مركزها في (نيويورك) وأنشئت لها ثلاثة فروع في لندن وباريس وبرلين . وقررت تعيين سكرتير في اليابان

وسكرتير في الصين وواحد في الهند وواحد في الشرق الأدنى وواحد في البلقان وسكرتير لأوروبا الجنوبية .
ثم أصدرت الهيئة القرار الآتي

« قررت أن يهدى إلى اللجنة اتخاذ التدابير اللازمة لعقد المؤتمر العلمي الأول في سنة ١٩٣١ في إحدى بلدان الشرق وأن يدعى لحضوره ممثلو الأديان الحية في العالم
وقد انتهى إلى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل همردوسون باشا الذي أصبح علما من أعلام الشرق وقطباً من أقطابه كتاب من المستر عبد الله يوسف علي المندى الذي كان وزيرا للالية في حكومة نظام حيدرآباد يلتمس فيه من سموه باسم لجنة المؤتمر أن يقبل رئاسة المؤتمر فيكون في مقعته الرؤساء الستة الذين تقرر اختيارهم من كبار الرجال لرئاسته ويكون مثلاً للإسلام في الرئاسة ، وتلقى سمو الأمير أيضاً كتاباً من سكرتير المؤتمر الدكتور (نكسون) الأمريكي ييسط فيه لسموه الأغراض النبيلة التي يسعى إليها القائمون بأمر هذا المؤتمر العلمي الجديد ويقول إن البارون (ساكيتاني) الياباني والدكتور طاغور الشاعر الهندي الشهير سيكونان من الرؤساء الستة ، وإن الكنيسة الكاثوليكية ستختار عطيا من عظمائها ليكون من الرؤساء ، وأن الاستاذ (اينشتين) الألماني العالم المشهور سيكون رئيساً ممثلاً لليهود ، والمفهوم أن الأمير الجليل لم يقر حتى الآن شيئاً بهذا الشأن . انتهى

ومما يناسب قوله تعالى أيضاً - وسراجاً منيراً - ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

(حالة العميان في مصر)

وجهت «جمعية العناية بالعميان» في سان فرانسيسكو إلى وزارة الخارجية المصرية أسئلة طالبة الجواب عليها وأنها ألتأتها إلى الجهات المختصة ، وفيما يلي نص الأسئلة وأجابة وزارة المعارف على كل منها

(س) هل يأخذ العميان إعانة ، وما مقدارها ، وما لوجه استحقاقها ؟

(ج) تدفع الحكومة الإعانات المختلفة لبعض معاهد العميان حسب درجة تقدم كل منها كما يأتي :

٧٠٠ جنيه لمدرسة العميان بالزيتون ٢٥٠٠ جنيهاً لمدرسة العميان بالإسكندرية التابعة (للكونسل ميث) ١٥٠٠ جنيهاً لمدرسة العميان الأهلية بالطريقين ١٥٠٠ جنيهاً لمدرسة الكفيفات بالزيتون ، ويدفع بعض أعضاء الخالية البريطانية إعانات لـ ٤ فئات ثمانية تلاميذ بمدرسة الزيتون بمعدل ١٢٠ قرشاً في الشهر لكل تلميذ ، وتدفع سيدتان مصريتان إعانات لـ ٤ فئات تلميذين آخرين بهذه المدرسة

(س) كم عدد العميان تحت إشراف الحكومة ؟

(ج) يوجد (٨٠٠) طالب تحت إشراف الحكومة منهم (٢٠٠) بمعهد الأزهر بالقاهرة و١٠٠ بمعهد أسيوط و١٠٠ بمعهد الإسكندرية و١٠٠ بمعهد طنطا و١٠٠ بمعهدى بسوق والزقازقي و٥٠ بمدرسة الزيتون للعميان و٥٠ بالإسكندرية . أما الأناث فيوجد منهن ١١ تلميذة بقسم العميان الكائن بمدرسة تمرين معلقات بولاق التابعة لوزارة المعارف و٣ بمدرسة الكفيفات بالزيتون . أما العميان الذين ليسوا تحت إشراف الحكومة فهم ٢٠٠ طالب بمدرستين في القاهرة إحداها ببولاق والأخرى بشارع البيطار بالأزهر تحت إشراف لجنة إنكليزية برئاسة (الطران جوين) و٩ طالبات بكلية البنات الانكليزية ببولاق تحت إشراف اللجنة المذكورة و٥ طالبات بمدرسة الأمريكان بالزقازقي و٥ طالبات بمدرسة الأمريكان في النصورة و٤ طالبات بمدرسة الأمريكان بضمهور و٩ طالبات بمدرسة الأمريكان بأسيوط و٨ طالبات بمدرسة الأمريكان بالأقصر وكلهن تحت إشراف كلية الأمريكان ، ويبلغ مجموع العميان بالتطهر المصري ١٥٥٠٠ منهم ١٠٥٠٠٠

- ذكور و ٥٠٠٠٠ انث منهم نحو ١٠٠٠ تحت اشراف الحكومة وجاعات مختلفة والباقي بحرف قراءة القرآن في المنازل والجبانات اذا كانوا مسلمين ومهملين في الكنائس اذا كانوا مسيحيين
- (س) هل بذلت الحكومة مجهودا لتعليم العميان صنعة ؟ فان كان كذلك فما درجة نجاحهم
- (ج) ابتدئ في تعليم العميان الصناعات سنة ١٨٩٦ ولكن نجاحهم فيها متوسط بالنسبة الى فئة الاعاقات
- (س) هل توجد مصانع يتقن فيها العميان على غيرهم ؟
- (ج) لا توجد صنائع مشتركة بين الأعمى والبصير بل توجد مصانع خاصة بالعميان فقط وهذه المصانع هي مصنع السلال والكراسي بالمدرسة الاكليريكية القبطية بمهشة ، ومصنع السلال والكراسي والسجاد بمدرسة العميان بالزيتون ، ومصنع السلال والكراسي والفرش بالإسكندرية تحت رعاية (الكوقس ميث) ومصنع السلال فقط بالإسكندرية تابع لجمعية أهلية ، ومصنع ليشلان والجوارب والسلال التي تصنع من الخرز والسلك بكلية البنات الانكليزية ببولاق وهو خاص بالنات فقط ومصنع للسجاد والكراسي والسلال بقسم العميان بمدرسة معلقات بولاق التابعة لوزارة المعارف
- (س) ما نوع الأشياء التي يتشجعونها
- (ج) الأصناف المنتجة هي السلال وهي تصنع من الغاب الهندى والصفصاف والكراسي الخيزران المصنوعة من الغاب الهندى والصفصاف والكراسي التي تصنع من قلب الخيزران وقش الباسم وقش الأرز
- (س) أى الأصناف من أعمالهم وجدت رواجا في الأسواق
- (ج) الأصناف الرائجة هي السلال بجميع أنواعها والكراسي وأطقم القش والفرش
- (س) ماهي الطرق التي تتبع في عرض منتجات العميان في السوق
- (ج) تضاد الحكومة هذه المصانع بشراء ما يلزم لها من السلال وغيره للمصالحها وتعرض هذه المصنوعات في المعرض الدائم لمصلحة التجارة والصناعة
- (س) أى النسبتين أكثر في العميان نسبة الذكور أم نسبة الاناث ؟
- (ج) تزيد نسبة الذكور على نسبة الاناث كما هو مبين في الجاية عن السؤال الخاص بعدد العميان
- (س) أى الجنسين أكثر استعدادا لتحصيل الكسب
- (ج) الذكور أكثر استعدادا لكسب بما يبذل من المجهودات لتعليمهم ، وعند الحكومة مشروع لتوسيع نطاق العميان بالقطر المصري ، وقد أنشأت الوزارة فعلا قسما لتخريج معلقات لهذا النوع بمدرسة المعلقات الأولية الراقية ببولاق في سنة ١٩٢٧ م وأتم الدراسة في هذا القسم (١٣) طالبة ستخرجن في نهاية هذا العام وألحقت بهذا القسم فرقة من الضربات ليكون بمثابة أداة تمرين للطالبات وعلى ذلك أرسلت الحكومة الى انكلترا بعثة للتخصص في فن تعليم العميان مؤلفة من طالب وطالبة
- (س) ما مقدار متوسط ما يكسبه أحدهما في الاسبوع أو الشهر
- (ج) يبلغ متوسط كسب الذكور في الشهر أربعة جنيهات والاناث جنيهين
- (س) هل يمتدنون العميان بالاعانة ؟ وان كان كذلك فما هي الطريقة التي تتبعونها
- (ج) توزع الحكومة اعانات حسب مقدار نجاح كل مدرسة من مدارس العميان
- (س) هل توجد ملاجئ للعميان وأى الجهات تنفق عليها ؟
- (ج) لا يوجد للعميان سوى ملاجئ أنشأتها الحكومة للأيتام أحدهما بطره ، والآخر بالقرية يقبل فيها العميان ، وملجأ للجائز بشبرا تابع للحكومة الإيطالية قبل فيه العميان أيضا وملجأين للاناث تابعين لكلية الأمريكان أحدهما في قم الخليج والآخر بأسيوط يقبل فيهما العميان
- (س) أى الصناعات وجدت أكثر فائدة على العميان الذين درّبوا تدريبا راقيا

(ج) صناعة القرش والسلاط والكراسي

هاتان الرسالتان رسالة المؤمن الذي ورسالة جمية الضاية بالعيان توجبان دقة النظر والملاحظة (أولاً)
ان خدمة السلام العام لم تقرأها في التاريخ قبل النبوة المحمدية فان الاسلام هو الذي أبغى الأمم شرقاً وغرباً
وبشلاط حركته حرك الأمم في اختراع الآلات والقطارات والطيارات فتقاربت الأمم ، وهذا من أسرار كونه
رسالة سرياً منيراً ، وأيضاً يذكرها هذا بآية - حتى تضع الحرب أوزارها - وأن علماء الاسلام يقولون
« إن الحرب سيقضى عليها » (ثانياً) إن إرسال جماعة من أميركا رسالة للمحافظة على العميان في مصر
للسلعة يدل دلالة واضحة أن اشراق النور النبوي قد أثر بطريق غير مباشر في أمم غير مسلمة والأمم المسلمة
ناطقة وهذا عار فكان الأحرى بهذه الأمم الاسلامية أن تكون هي أبهى للأمم كلها لا أن يكونوا أذلها .
وميكون في أم الاسلام بعد الآن نهضة فكرية يرقى بها نوع الانسان . ثم الكلام على الطليقة الرابعة
(الطليقة الخامسة)

(في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم -)
اعلم أن بين القول والعمل مناسبة وصلة تظهران في هذه الآية ، إن الانسان يعقل الأشياء وتصدر عنه
تلك الأشياء من (منهذين) منفذ اللسان ، ومنفذ الأعمال ، فهما فرعان لأسل واحد ، ونظماً أحدهما
يؤثر في الآخر ، فما من قول قوله إلا وله آثار في أعمالنا ، وكلما كان القول أحكم كانت الأعمال الى الصواب
أقرب ، لأن الدربة على الفضائل تكون في النفس ملكة تكون مصدراً لها من بعد ، فكل فضيلة في
اللسان أوفى الأعمال تحدث في القلب أثرًا ، وتوالي الآثار تتأسس للملكات ، ومن الملكات الفاضلة تكون
الأعمال الشريفة ، وملكة اللسان في الصلح وفي حسن القول تؤثر في النفس آثارها فيتعدى ذلك الأثر
الى الأفعال فتنتظم ، إثر الأعمال والأقوال فرعان للنفس والقول أسهل وزعاته أشد وجوامه أكنى
وسهامه أنفذ وخطره عظيم * وفي الحديث « وهل يكب الناس في النار على وجوههم يوم القيامة إلا حسائد
استهم » انتهت الطليقة الخامسة

(الطليقة السادسة)

(في معنى قوله تعالى - وجعلها الانسان -)

جاء في القبروز بادي مانسه « وقوله تعالى - فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وجعلها الانسان - أى أن
يخنها وخائنها الانسان . قال : والانسان هنا هو الكافر والمنافق ، اه
وهذا المعنى واضح والحمد لله رب العالمين . انتهت الطليقة السادسة

(الطليقة السابعة)

(هذه الطليقة علمت في السورة كلها وفيها قبلها وبعدها)

ذلك ان الله تعالى يقول فيها - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جبذكم جنود - الخ .
ذكر الله للمؤمنين بنعمة الله عليهم إذ نصرهم في غزوة الأحزاب ، كاذكر قوم موسى بنجاتهم من فرعون
وهذا تذكرة جزئي والافهم الله من نعم . إن الناس يتقلبون فيها صلباً ومساء ، فأجسامهم ملئت حكمة وهم
مغمورون في ضياء الشمس ونور القمر والكواكب والهواء وعندهم نبات وحيوان وما لا يحصى وإنما
هذه يعرفها العامة والخامة لأن أكثر الناس لا يشكرون الله إلا على النعم الخاصة كالنصر في هذه الغزوة والا
فانتم لانهاية لها ولتلك أردف هذه السورة بسورة سبأ المبسوذة بالحمد لله ، وعلى الحد بأن له مافي السموات
ومافي الأرض وانه يصمد في الآخرة وحده ، ومقتضى هذا أن فم الدنيا والآخرة له وهو يحمد عليها لأنها كلها
واصله لنا ، فليس الحمد لله خاصاً بالنصر في الأحزاب (انظر هذا المقام في أول السورة الآتية) ثم تفسير
سورة الأحزاب يوم الثلاثاء ٢٤ مارس سنة ١٩٢٥ م ٢٨ شعبان سنة ١٣٤٣ هـ والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة سبا

(هي مكية)

(إلا قوله تعالى - وقال الذين كفروا هل نفلكم على رجل ينسبكم إذا من قم كل غرق إنكم لفي

خلق جديد - الآية)

(آيتها ٥٤ - نزلت بعد لقمان)

(هذه السورة قسبان)

(القسم الأول) في تفسير البسملة

(القسم الثاني) في تفسير السورة كلها

(القسم الأول في تفسير البسملة)

لك الحمد اللهم على ما أوليت من نعمة العلم وأفدت من آثار العرفان ، وهديتنا إلى ما نحن بصدده من تفسير آيات كتابك ، وألمهتنا أن نذكر أنفسنا والأم الإسلامية برحمتك الواسعة التي كررتها في أول كل سورة من كتابك فتفتح بصائرنا إلى عجائب حكمتك وبدائع صنعتك وبواهر خلقتك وجواهر نظمك ، فحمدناك على ملأى سمواتك وأرضك ، وعلى ما فتحت من بصائر هذه الأم الإسلامية الحاضرة والمستقبلة بما أنزلت في هذه السورة من غرائب ما تخرج من أرضك في زماننا من أنواع المعادن وأصناف الخزائن التي أودعتها أم قبلنا كأهل سبا ذوى الجدة والقنبر وأصحاب الجنتين اللتين عن يمين وشمال وأنهم لما حفظوا نعمتك وحافظوا على هبتك أبقيتهم ولما كسلوا عن ذلك الحفظ وقاطعوا أرويتهم في حفرة الهلاك وأذقهم - وه النكال والقي بدلا على ذلك تلك الرسوم المصورة التي أخرجت من أرض سبا في زماننا فكبرا ملوك اليمن وعلماء اليمن وعظماءه أن في بلادكم نعمنا ان استخرجتموها أقيت بلادى بأيديكم والا فأرضى أعطيها لمن يستخرجون منافسها ويحفظون نعمها ويسعون بها عبادى ، فليس من العدل أن يكون أنبياء أقل شكرا لكم من أولئك الذين كانوا عبود الشمس من دون الله ، كل ذلك الايقاظ والتحذير من رحمتك الواسعة التي صاحبها العلم بكل جليل ودقيق

ومن رحمتك الواسعة المذكورة في البسملة انك أفدتنا في قصة داود وسليمان أن شكر نعمتك والقيام بخضعتك ليس قاصرا على العبادة ولو كانت الجبال مؤوبات مع العابدين ، صرذات لتلك الصلوات ، صرذات تلك التسيبحات ، فمن حق الشاكر أن يقوم بما يقدر عليه من الصناعات ويتقنها كاذابة الحديد وصناعة الفروع واستخدام الريح ، ومن أجل الرحمت على المسلمين اليوم أن يعلموا أن ما تلقوه الأرواح من الأقوال لأهل الأرض أثناء محضرها ليس حجة قاطعة فهم لا يملكون القيب وليس يذبحه منهم إلا أرواح صغيرة ضيقة العطن قليلة العطن ، ومن الرحمة التي ظهرت آثارها في الأرض بعد النبوة انك أعلنت في هذه السورة أن نبينا ﷺ مرسل للناس كافة بشيرا ونذيرا وان أكثر الناس لا يحفون وانك أنت المختص بعلم ذلك ولقد ظهرت تلك الآثار لنا عيانا وصدق وعد الله . ومن اطلع على مؤلفات القرنجة في انتشار الاسلام في أفريقيا عند خط الاستواء وفي شماله وجنوبه يدعش إذ يسمعه يبرهنون على ان هذا الدين لا ينتشر بانسيف بل بالهبة والمودة والاخلاص وأن اتهام قومهم في أوروبا بأن انتشار الاسلام إنما كان بالسيف ضلال ميين ولتوجدوا في أفريقيا ملوكا عظاما وأعظمهم مقاتل بيض الوجوه لهم السلطان والسيطرة وهم في احتلالهم أرض غيرهم وجانيهم لهم سياسة أشبه بسياسة الأوروبيين ، فلم الأمم الاسلامية بهذه الزلايا وبما اضطوت عليه آيات السورة في زماننا من أجل التمس التي ستبذل الزائم وتوضع الأمم الحالية إلى أوج العلا ويخرج جبل اسلامي جديد أعز

نفوساً وأرقى عزائم وأعلّ بما أبعس الله في أرضه وما خلق في سمائه هناك تصلح الأم الإسلامية لعمارة الأرض ولحبّ ربهم وإليهم به والغرام بعمله ، هناك يشكرونه فلا يكفرونه ويدّكرونه ولا ينسونه ويصبح خاصتهم بما يرون من الجانب في هذه الطبيعة الأرضية والسماوات تطلقين في قلوبهم بمثل ما ذكره (الكوت هنري دي كاستري) عن بعض علماء الاسلام ﴿ ربّ إن الجنة لا ترجى إلا لرؤيتك فيها ، ولولا مورداً لك البنية لفنناها ﴾ وماتله هو أيضاً عما يؤثرون (الشيخ القشيري) في القرن الرابع الهجري ﴿ إلى إنك تهتدي بفراق يجرمني على العوام من تجلياتك البهية ، فيارب اصنع في مائتاء ولا تحرمني من مشاهدتك العلية ، فليس سمّ امرّ مذاباً وأشدّ قتلاً من ألم هذا القراق ، وما حيلة النفس بغير ربها إلا أن تعيش في فزع وتبقى في حيرة واضطراب ، ربّ إن النفس لترضى : ن تذوق للموت مائة ألف مرة ولا تذوق لحرقه فرقة لك مرة واحدة ، ربّ إن مصائب الدهر وجع الأمراض القتالة لو اجتمعت على لا احتملتها غير متوجع من موقعها ولكن لا طاقة لي على احتفال بعدك هنى ، ربّ لو احتجبت عنا برهة أملت أرضنا وغاضت أنهارنا فماذا يكون حالنا لو دام هذا الاحتجاب ؟ ولولاه لما أحرقت نار الجحيم واشتدّ لها ، ربّ إن في تجليتك حياتنا وكل سعدنا ونعيمنا ، وفي احتجابك عذابنا ونعيمنا ﴾ انتهى الكلام على تفسير البسملة وهو القسم الأول

﴿ القسم الثاني في تفسير السورة ﴾

﴿ مقنعة ﴾

اعلم أن في مبادئ السور حكماً غالية وإشارات عالية ورموزاً شريفة ، ألم ترى ﴿ سورة الفاتحة ﴾ كيف ابتدأها بعد البسملة بالجدّة على ربّيته للعلن وقد شرحت الترتيب هناك ونظامها وتناسقها وعمومها في العوالم كلها ، فهناك حرية العوالم اجبالاً ، وأما ﴿ البقرة ﴾ ونحوها فهناك نكتة لطيفة وهو ابتداء السورة بحروف (الم) ولما فضلنا هذا ذكر بأول آل عمران ﴿ اشارتان بديستان بـ الأولى ﴾ إن الحروف الهجائية هي العناصر الأولى لكل كلام نظم أوثر ، ولن يفهم الكلام حقّ فهمه إلا بالرجوع لحروفه وتحليله وتقطيعه حرفاً حرفاً ، فلن تكون علوم البلاغة ولا الصرف ولا النحو ولا سائر العلوم العربية إلا بأرجاع الكلمات لأصلها وببحثها وتقليبها على جميع وجوهها بالتصريف وغيره . وإذا كان ذلك كذلك في علوم اللغة فأحرى أن يكون في علوم الكون من الطبيعيات والرياضيات فلا هندسة إلا بتحليل الإبراهيم والرجوع لأصولها . ولا جبر ولا ملك إلا بتحليل الأعداد ومعركة الأولية وغيرها الأولية فيقال عدد (٥) أولى و (٤) زوجي و (٧) أولى وهكذا تعرف جميع الأعداد ويعرفها يعرف ماركب منها . وهكذا في الكيمياء والطبيعة فهل تعرف المركبات من الحيوان والنبات إذ بتحليلها ؟ وهل يعرف الناس مركباتها صناعاتها إلا بأرجاعها إلى عناصره الأولى هذا هو الغنى يشبهه ذكر الحروف في أول السور كسورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت وغيرها وهذه النكتة عامة . وهناك لطائف خاصة كأن يقال في البقرة مثلاً (الم) هل معروف جاءت في قوله تعالى - ألم ترى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف - الخ وقوله - ألم ترى أن الله من بني اسرائيل من بعد موسى - وقوله - ألم ترى الذي حاج إبراهيم في ربه -

فانظر كيف أتى بقوله - ألم - للاستفهام الاقراوى في مسألة الحرب والمطاع عن البلاد وفي مسألة النظر في العوالم ونظامها وتحليلها كما حلل إبراهيم الطير وركبه وذلك هو العلوم الطبيعية فكان (الم) تنبيه على ذلك . فكان الله يحثّ المسلمين بهذه الحروف على معرفة الكائنات بحثاً ودقيقاً وتفكيراً وتحليلاً وتركيباً هذا ما ذكره لك في البقرة وفي كل سورة مبدوءة بالحروف المقطعة كما قدّم بعض في الروم وما قبلها وما بعدها . فانظر إلى ابتداء الجند . قد رأيت الابتداء بالجدّة في سورة الفاتحة ثم في سورة الأنعام . ففي المقنعة يحمد الناس ربهم على الترتيب الاجالية لأن السورة افتتحت للقرآن ولكن في الأنعام الحمد على نعمة السماوات والأرض والظلمات والنور ففيها بعض التفصيل وأظهر الجلال وبدائع النور البهيج البديع المشرق في العالم كله

والحمد في أول (الكهف) على نور العلم كما كان في الأنعام على نور الكواكب وأشراقها . وههنا ابتداء السورة بالحمد على أن الله ماني السموات وماني الأرض وليس الحمد خلاصا على النجاة من الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله والمؤمنين ونصر الله للمسلمين عليهم . يقول الله : إن لي ماني السموات وماني الأرض وأنا محمود عليهما . إن كل عبده انتفاع بجميع العوالم . فالتعم المشترك ينتفع بها الجميع . إن ادراك نعم الله وهو مهيأ أعظم سعادة للبكر لأنه يرى ما لا يراه غيره . ولذلك يكون سعادة أهل الجنة بطلاعهم على خزائن إبداءه ويبركون الحقائق ثمانية وهو قوله - وله الحمد في الآخرة - الخ وأما قوله - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها - فاعلم أنه كما يشير في أول سورة الروم والعنكبوت والبقرة بالحروف الهجائية إلى أمور هامة في السورة كهجاء التحليل للدورة في قصة إبراهيم في سورة البقرة وكيف بدأ الله الخلق في سورة العنكبوت ونحوها . هكذا هنا قال الله - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - يشير بذلك إلى ما سيذكر في هذه السورة من الكشف الحديث . يريد الله أن يقول للمسلمين أنا لم ألهم عبادي أيام عبد الأوائل من سبأ ولخثان والتبابعة أن يكتبوا على الأحجار ويطمروها إلا لعلي أنها ستخرج لعبادي في هذا الزمان . إلى ألهمت الأوائل أن يدخلوا في الأرض مصنوعتهم ويكتبوا أخبارهم على أحجارهم لأخرجها لعبادي المتأخرين فيعرف الآخرون مارك الأوائل عظة واعتبرا وحكمة

ستقرأ أيها القارئ ما كشفه العلماء الألمان والنسايون والإنجليز وغيرهم في أصقاع (سبأ) والمسلمون لا يشعرون . دقق الله ذلك هناك ليرينا آثارهم فقال - يعلم ما يلج في الأرض - كذلك الآثار التي أولجها في أرض (سبأ) - وما يخرج منها - كما تخرج تلك الآثار اليوم كما سقاه في هذه السورة . فانظروا لابتداء هنا بذلك . انظر أنه لم يذكر كذلك في أول سورة إلا هذه . انظر كيف بدأ بالحمد على أن الله ماني السموات وماني الأرض ليدلنا على أنه ليس التنصر على الأحزاب هو النعمة وحدها . إن النعم كثيرة فاحمدوا الله عليها . ثم ذكر التولج والخروج في الأرض ومنها ليدلنا على ما سيأتي ذكره في السورة من علم تلك الأمم في أرض اليمن . وأما قوله - وما ينزل من السماء وما يعرج فيها - فانه يشير به إلى نكتة أدق وحكمة أشرف ونور أصفى وعلم أعلى وبهاء أبجل وجهال بهيج

ذلك انه قد ذكر في (سورة النور) أن من الحيوانات ما يمشي على رجلين . ومنه ما يمشي على أربع وذكر الخمل بعد ذلك وهو يمشي على ست وذكر العنكبوت بعد ذلك وهو يمشي على ثمانية أرجل . ولم يذكر العدد ؛ لأن أكثر الناس لا يظنون لذلك . ولكن جعل ذلك خزائن مخزونة في القرآن حتى يأتي هذا الجليل الاسلامي الجديد القبل فيتغلغل في الحكمة والعلم ويدرس الوجود ويقول انظر يا أخي . انظر كيف بدأ لنا ربنا الهجاء في القرآن . انظر كيف جعل (٧) و (٤) من أرجل الحيوان في سورة النور و (٦) في سورة الخمل و (٨) في سورة العنكبوت بالترتيب ولم يعلن ذلك لعله جهل الناس وخباها لنا لنعرفه . ثم انظر كيف جاء في هذه السورة وقال - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - وقد عرفت رمزه . ثم قال - وما ينزل من السماء وما يعرج فيها - وما ينزل من السماء ويعرج فيها الملائكة . وسيأتي في (سورة طه) بعد هذه أنهم ذنوا أجنحة متى وثلاث ورابع ثم قال - يزيد في الخلق ما يشاء -

لم يذكر الله فوق الأربع لأن الناس لم يعرفوا من الأجنحة فوق الأربع ولا من الأرجل فوق الأربع لأنهم لم يدرسوا ولم يظنوا إلا قليلا قد كراء - يزيد في الخلق ما يشاء - كأنه يقول إن الملائكة أجنحة فوق الأربع لا عدد لها والزيادة في الخلق لا تختص بأجنحة للملائكة فهكذا في أرجل الحيوان التي ذرناها أربع يزيد فيها ما يشاء . ومعالمك أن هناك من الحيوان ماله أربع أرجل رجلا فأكثر فهذا من زيادة الخلق كما يساء الله . انتهى الكلام على المقدمة

(تفسير السورة)

فلأشعر في تفسير السورة ولأجعله فصولا ثلاثة (الفصل الأول) في تفسير الألفاظ بطريق الإيجاز (الفصل الثاني) في جعل السورة ستة مقاصد وتفسيرها تفسيراً عاماً كنت كتبت منذ عشرين سنة في بعض المجلات العلمية (الفصل الثالث) في مجازات القرآن التي أظهرها العلم الحديث في مسألة الجن وانهم لا يملكون الغيب ، ثم كيف كان سدّ العرم لا زال آثاره باقية للآن وكيف أظهر أسرار تلك البلاد علماء أوروبا والمسلمون ناعون هائمون ، إن ذلك كله مجازات للقرآن ، وكيف ظهرت مسألة الجن في علم الأرواح ولا علم المسلمين بذلك ، ولعلك تعجب حين ترى خريطة السلطنة كور في القرآن كشفها الأوروبيون (مع أن القرآن كتبهم والبلاد ملكهم) وهم لا يملكون بذلك ولا يشعرون وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الاول في تفسير ألفاظ السورة كلها)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ • يَنْزِلُ مَا يَلِيجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يُخْرِجُ فِيهَا وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُمُ عَذَابُ
النَّارِ لَا يَنْزُبُ عَنْهُ مِغَالٌ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ • لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ • وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي مَآئِنَا مُؤَاجِرِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ •
وَيَرَى الَّذِينَ ءَاتَوْا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ
الْحَمِيدُ • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَشِّكُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلٌّ مُمْرِقٍ
إِنَّكُمْ أَنْتَ خَلْقِي جَدِيدٌ • أَفَتَرَى عَلَى أَفْئَةٍ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ • أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا يَتَّبِعُ أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ
عَبْدٍ مُتَّبِعٍ • وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ •
أَنِ احْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاحْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ • وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ
غُدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَمْشِي عَلَيْهِ يَنُودُوهُ إِذْ يَخْرُجُ
رَبِّهِ وَمَنْ يَرْغَبُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذَرُهُ مِنَ الْعَذَابِ السَّعِيرِ • يَسْأَلُونَكَ مَا بِإِسْرَائِيلَ مِنْ حَرَابٍ

وَقَامِلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ أَمْحُوا مَا دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشُّكُورُ • فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَةً
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ النَّيْبُ مَا لِيُفَوِّ فِي الْمَكَابِ الْمُهَيَّنِ • لَقَدْ كَانَ
لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ مِّنْ بَيْنِ وَشَمَالٍ كُلُوا مِّنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ • فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِيرِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ
ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خُطْبٍ وَأُتْلَى وَشِئْنُهُ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ • ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي
إِلَّا الْكَافِرُونَ • وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الْفَرَسَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا فَرْسَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا
السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ • فَهَالِكُوا رَبَّنَا بِأَعْدَائِنَا وَأَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَاهُمْ أَتَادِيثَ وَمَرْفَاقَهُمْ كُلٌّ مَّحْمُودٍ إِنِّي فِي ذَلِكَ لِأَيَّاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ • وَلَقَدْ
صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ • وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ
سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَن يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
حَفِيطٌ • قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَقْتُمْ مِّنْ ذَوْنِ اللَّهِ لَا تَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِّنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ • وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ
عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ • قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ
لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ • قُلْ لَا تَسْأَلُونَنِي أَن أُجْرَمَنَا وَلَا تَسْأَلُنَا عَمَّا تَكْتُمُونَ • قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ • قُلْ أُرْوِي الَّذِينَ الْحَقُّ بِه
شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَكِنِ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ • قُلْ
لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَغْفِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُؤْمِنَ
بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْفِفُوا لِّلَّذِينَ اسْتُكْبِرُوا لَوْلَا أَنه لَكُنَّا

مُؤْمِنِينَ • قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَغْنَوْا أَتَمْنَحُكُمْ هَذَا قَدْ هِيَ الْمُدَى بَعْدَ إِذْ
 جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ • وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَغْنَوْا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
 تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَكَا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا
 الْأَغْلَاقَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
 مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ • وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا
 وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ • قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي التَّرَفَاتِ آمِنُونَ • وَالَّذِينَ يَسْتَعُونَ فِي
 آيَاتِنَا مُجَازِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ • قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ مَا أَقْتَضِي مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ • وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
 جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لَهُ إِنَّا كُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ • قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ
 دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ يَوْمَ مُؤْمِنُونَ • قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ
 لِبَعْضٍ نَفَقًا وَلَا مُضَارًا وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ •
 وَإِذَا تَنَاسَلْتُمْ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِنَا يَتَنَادَوْنَ مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ
 آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا فُتْرَةٌ مِمَّنْ قَبْلُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ
 مُبِينٌ • وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ • وَكَذَّبَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِيسَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ • قُلْ
 إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ بَوَاحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ
 إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ يَنْزِلُ بِكَ عَذَابٍ شَدِيدٍ • قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ
 إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ • قُلْ إِنَّ رَبِّي يَغْفِرُ بِالْحَقِّ عِلْمَ النَّبِيِّينَ •
 قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ • قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَأَنَا أَصِلُ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ
 أَعْدَيْتُ فَمَا يُوْحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ تَمِيعٌ قَرِيبٌ • وَلَوْ رَأَى إِذْ فَرَّحُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ

مَكَانٍ قَرِيبٍ • وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُوتُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ • وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ • وَجِلَّ يَنفُسُهُمْ وَجِئَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا قِيلَ بِأَسْبَاطِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُؤَبَّدٍ •

﴿ التفسير المفصل ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي له مافى السموات ومافى الأرض) أى ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بأن يحمده ويشي عليه من أجلها (وله الحمد فى الآخرة) كما هو له فى الدنيا لأن النعم فى الدارين كلها منه وحده أهل الآخرة راجع لاكتشاف الحقائق لهم فيكون الحمد على مقدار العلم وهو عزيز ويرمز اليه ما ورد ﴿ ان أهل الجنة يلهمون السييح والحمد كما يلهمون النفس ﴾ (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين فاستحق الحمد لذلك (الخبير) بيوطن الأشياء (يعلم ما يلج فى الأرض) كالغيب ينقد فى موضع وينبع فى آخر كالكنوز والنفائس والأموات (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات والفزات وماء العيون وما استخرجه علماء أوروبا من بلاد (سبا) الآذ ذكرها ، وذلك ما أشار به العالم الألمانى ميخائيلس المتوفى سنة ١٧٩١ على ملك المانيا بارك أن يرسل بسة الى بلاد الصين ففعل سنة ١٧٥٦ وأرسلها فعرفت بعض القوش وقالت إن اليهود والعرب لا يقدرون على قرامتها ، وأول من فكر فى ذلك الألمان فالانسكينز فالفرنساويون ومنهم العلامة ارنوكان فى الصين سنة ١٨٤٣ وعاد معه ٥٦ نقشا نقلها عن آثار صنعاء والحريب ومأرب وحرم بلفيس ، وأيضا أحضر خريطة سد مأرب وهو أول من تمكن من مشاهدة آثار ذلك اسد ، فلهذا ذكر الله هنا ما يلج فى الأرض وما يخرج منها لعله بما سيحصل فى بلاد الاسلام وأن الأمة الاسلامية سيتولاهوا الاضطط وتصبح غيبة جاهلة ويأتى الفرجة يعثون عن أسرارها وأهلها نائمون عابثون جاهلون جامدون كما حصل فى هذه القرون إذ يكون تفسير هذه السورة ومجرباتها وسد مأرب المذكور فيها والجنات كل ذلك طموح مخزون فى الأرض ومن المسلمين من يقرأ القرآن وهو جاهل - كالحمار يحمل أسفرا - والفرجة يأتون فيقرؤن ويتعلمون تاريخ أسلافنا ويرون انهم كانت لهم مدينة عظيمة ويرون أنباءهم التابعين لأصطم نبي أصبحوا جاهلين بكل شئ ، بتاريخ أسلافهم ، بماتى كتابهم ، علم الله ذلك كله قبل وقوعه فقال - يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها - مشيرا الى ما سياتى فى هذه السورة ، يقول الله انهم ما أولجوا آثارهم فى الأرض إلا بعليل ولا أخرجها الفرجة إلا بعليل لآنى لا أفضل إلا للحكمة ، انظروا التعميم كيف خزنته فى الأرض قبل أتيكم آدم وأخرجته لكم الآن . هكذا خزنت عجائب سبا وهوشهم وأمرت أهل أوروبا فاستخرجوه ووضعت هذه الآية فى أول هذه السورة لأنه للمسلمين أن يستيقظوا فيعلموا علوم الأمم ويعثوا على ما خبا فى الأرض ، إلى خبايا فى الأرض عجائب طبيعية وصناعية ، فلأن لم يتظن لها المسلمون ويستخرجوها فوعزنى وجلالى لأخرجهن منها ولأملكتهن لغيرهم ، إلى لأعطى النعمة إلا لمن يستحقها فان نام المسلمون فلا تمنع عنهم نسيم الحياة وأسلط عليهم الأمم ، أما كنزت هذه الكنوز كما كنزت لليتيمين فى المدينة كنزا ولما بلغا أشدهما أخرجهن لهما ، هكذا المسلمون كانوا أيتاما جهالا طفا بلغوا الرشد فى هذا الزمان سلمتهم الأمامة الخزونة فى الأرض حتى يعرفوا مجد القدماء ويستفيدوا من علومهم ويزيدوا عليها وتكون لهم مدينة أرقى من مدينة أولئك الأقوام والأسكنت الأرض غيرهم ويكونون خيرا منهم ، إلى عدل رؤف رحيم حكيم علم ، ما خلقت خلقى عبثا ، أنا الحكم العدل لأعيد ولأبيل وأعطى النعمة لمن يهملها وأطرد عنها من لا يعقلها

يقول مؤلف الكتاب : إن هذا التفسير وأمثاله جعل تنبيه المسلمين حتى يفتنوا وهو أشبه بنبه علم ،
فعل كل ذكر أن يسير على هذا للنوال ويرقط الأمة فان كل من قرأ هذا القول مسؤل عن أمته فليتواصوا
بالحق وليتواصوا بالصبر ، وإن لم يربحوا عظيم أن يهدي الله بهذا التفسير أمتا ويهيى قلوبا ويشرح صدورا
ويسعد دولا انه هو الفتح الجديد وقوله تعالى (وما يزل من السماء) كلالثة والكتب والمقادير والأرزاق
والطر والأبواب والصواعق ، وبالجملة أكثر ما جاء في علم الآثار العالوية من علوم الفلسفة الطبيعية وعددها ثمانية
مذكورة في كتاب الفلسفة الذي جعله مختصرا للثلاثين (وما يرج فيها) كلالثة وأعمال العباد والأغرة
والأدخلة والطيلرات والمنطليد الجوزية (وهو الرحيم الغفور) الغرطين في شكر نعمه مع كثرتها (وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة) انكروا لها واستبطاء واستهزاء (قل بلى) رد لكلامهم (وري لتأتينكم عالم الغيب)
لا يفوت علمه شيء من الخفيات (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا
أكبر إلا في كتاب مبين) القدرة أصغر نخله ، والكتاب المبين ألوح المحفوظ ، وقد تقدم تفصيل الكلام على
هذه المعاني في أول (آل عمران) وفي سورة (يونس) وغيرها طرجه إليها . وقوله (ليجزي الذين
آمنوا وأعمالهم الصالحات) متعلق بقوله - لتأتينكم - وقوله (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) أى لا تعب فيه
ولأنهم عليه (والذين سوا في آياتنا) بالإطال وتزهد الناس فيها (معاجزين) صابرين كي يفوتونا (أولئك
لهم عذاب من رح) سبي العذاب (أليم) مؤلم (ويرى الذين أنوتوا العلم) أى ويعلم أولو العلم من مسلمي
أهل الكتاب (الذين أنزلنا إليك من ربك) القرآن (هو الحق) بالرفع والنصب (ردها) إلى صراط العزيز
الجديد (وهو دين الله (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم لبعض (هل نملك على رجل يبتئكم) بحدنكم
بأنجب الأعاجيب (إذا منكم كل مخرق إنكم لني خلق جديد) انكم تفتشون خافا جديدا بعد أن تخرق
أجسادكم كل تخرق وتخرق بحيث تصيرنوا (أفترى على الله كذبا أم به جنه) جنون يوحه ذلك وبقية
على لسانه (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) أى عن الحق في الدنيا (أفم يروا إلى
ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن ننأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أى
أهموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض واتهما حينما كانوا وأينا ساروا أمامهم وخلفهم عيطان بهم لا يقدرون
أن ينفضوا من أطرافهما ولم يضافوا أن نخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم لآيات الله (إن في
ذلك) النظور إلى السماء والأرض والتعكر فيها ودلا : هما (لآية) لدلالة (لكل عبد) راجع إلى ربه
مطيع له إذ الميب هو الذي ينظر لآيات الله ويعرف انه قادر على البعث (ولقد آتينا داود منا فضلا) وقلنا
(يا داود أوتى معه) من التأييد أى رضى معه التسييح إما بخلق صوت مثل صوته وإما بأنما تحمله على
التسييح إذا تأمل عجائبها فهي له مذكرات كأيذ كالمسبح مسبحا آخر ، وقوله (والعلي) معطوف على محل
الجبال وكان الأصل - ولقد آتينا داود منا فضلا - تأويب الجبال والظرفيدل به هذا النظم لقنمته
(وأئنا له الحديد) وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء (أن) بمعنى أى (أعمال سابقات) أى دروعا
كوامل واسعت تسحب في الأرض (وقتر في السرد) ضيق في نسج الفروع أو جعل النسج على التقصد
وقدر الحاجة (وأعمالوا) ينادوا وآل داود (صالحا إلى بما تعملون بصبر) سخرا (سليمان الرمح غدوها
شهورا واحدا شهر) جريها بالقدادة مسيرة شهر وبالعشي كذلك (وأسلنا له عين القطر) النحاس المذاب
أسلنا من معدنه فنبع منه نبوع الماء من ينبوع فذلك ساء عينا (ومن الجن من يعمل بين يديه) من
يعمل معطوف على الرمح ، وقوله - من الجن - حال متقدمة (بإذن ربه) بأمره (ومن يزغ منهم عن
أمرنا) ومن يعمل منهم عما أمرناه من طاعة سليمان (بنقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون
له ما يشاء من محارب) قصور حصينة ومساكن شريفة ، سميت بذلك لأنه يحارب عنها (وتماثيل) وصورا

أوتيا نبل لللائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراهم الناس فيعبدون على عادتهم * يقال انه كان له أسدان في أسفل كرسيه ونسران فوقه ، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما ، وإذا قصد أن ينزل نسران باجنحتهما (وجفان) قصاع (كالجواب) كالخياض الكبير يرجع جاية من الجاية وهذه من الصفات الغالبة كالأبابة (وقصور راسيات) ثابتات على أكتافها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها لظهورها وكان يصعد إليها بالسلام وقلنا (العملاء) يا (آل داود شكرا) أي أعمالوا بطاعة الله شكرا على نعمه والمراد بآل داود إماموه وحده أو هو سليمان وأهل بيته وليس بهما تحقيقه (وقليل من عبادى الشكور) أي قليل العامل بطلاعتي شكرا لنعمتي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (مادهم على موته) مادلّ الجنّ أو آله (إلا دابة الأرض) أي الأرض أضيفت إلى فعلها والأرض يسكون الرأه أوقفها يقال أرضت الأرض الخشب أرضا فأرضت أرضا ، فالفضل الأول كضرب والثاني كفرح (تأكل منسأته) عصاة ، تقول نسأت البعير إذا طردته وهي تطرده بها (فلما نزل) وقع سليمان (تيفت الجنّ) علت الجنّ كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على علمهم وضعتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) أي لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلوا موته حيناً وقع فلم يلبثوا بعد موته حولا في تسخيره * روى أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فأت داود قبل تمامه فومى به إلى سليمان فاستعمل الجنّ فلم يتم ودنا أجله فأعلم به فأراد أن يمسى عليهم موته ليموتوا فدخلهم فبنوا عليه صرحا من قوارير بليس فيه باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها ، فبقي كذلك حتى أكلتها الأرض غفرا ثم بنحوا منه فوجدوا بحسب مقدار أكل الأرض انه قد مات منذ سنة وكان عمره ٥٣ سنة ومملكه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مئين من ملكه

هذا ما جاء في كتب التفسيرين رحمهم الله وسيأتى في الفصل الثالث مقصود هذه القصة وإتاه من المعجزات النبوية لأن هذا المقصود هو نفسه الذي شرحت الأرواح في الوقت الحاضر وهو عجيب وهذا داخل في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها

ثم قال تعالى (لقد كان لسبأ في أولاد سبأ من نسل محطان) (في مسكنهم) أو مساكنهم قراءتان أي في مواضع سكنهم وهي اليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة فراسخ (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار ، والآية المذكورة (جنتان) جاعتان من اللبنتين (عن يمين وشمال) جماعة من يمين بلنهم وجماعة من شمال كل واحدة منها في قاربها وتضايها كأنها جنة واحدة أولكل رجل بستانان بستان عن يمين مسكنه وبستان عن شماله ، وقد أظهر الكشف الحديث الآتي إلى الأول فقال لهم الله على ألسنة أنبيائهم هذه البلدة التي فيها رزقكم (بلدة طيبة) ور بكم الذي رزقكم (رب غفور) لمن شكره * قال ابن عباس وكانت سبأ على ثلاثة فراسخ من صنعاء ، يقال انها كانت أنصب البلاد ، وأما طيبها فليس بها بعوض ولا ذباب ولا يرغوث ولا عقرب ولا حية وسرى تحقيق أهم هذه الامور (فأعرضوا) عن التسكر (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي السد وهو جح عرمة وهي الحجرة المركومة كالخزان في وادي النيل عنداصوان يحجز الماء وكان ذلك بين زمن عيسى ومحمد عليه السلام وهذا السد له ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض والمطر يجتمع أمام ذلك السد فيسبون من الباب الأعلى ثم الذي يليه ثم من الأسفل (وبتلأهم بجنتهم) للذكوريتين (جنتين) سميتا جنتين للشاكلة (ذوائى أكل خبث) الأكل الفروا خط كل نبت أخذ طعما من المرارة وشجر الأراك وكل شجر ذى شوك (وأثل) هو المبل وهو أكبر من الطرفة وأعظم منه (وشئ من سلق قليل) وهو شجر معروف ينفع بورقه في الفصل ونقره النبي وهما مطوقان على أكل لاهل خط ، الا ترى أن الطرفة لا تمر لها فلا تكون في حيز الماء كقول وفي كل خط قراءتان الاضافة والتثنية وعلى الثاني يكون بدلا أو عطف بيان (ذلك جنّ شام

بما كفروا) أى بكفروهم (وهل يجازى إلا الكفور) وفى قرأة - وهل يجازى - (وجعلنا بينهم وبين
القرى التى ياركنا فيها) بالتروسة على أهلها وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض
أوراكه من الطريق ظاهرة لأبناء السبيل (وقرنا فيها السبر) بحيث يقبل الغدسى فى قرية ويبت الرامح
فى قرية الى أن يبلغ الشام وقبل لهم بلسان الحال (سبروا فيها لىلى وأياما) متى شئتم من ليل أو نهار (آتينى)
لايختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات (فقلوا ربنا باعد بين أسفاننا) أى انهم بطروا النعمة ومالوا العافية
كبنى اسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطلوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود
الأزواد فأجلبهم الله بنحرىب القرى المتوسطة (وظلموا أنفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يستمروا بها (فجلبناهم
أحدث) يتحدث الناس بها تعجبا وضرب مثل فيقولون قفر قوا أىدى سبأ أى كما قفرت أبناء سبأ فى البلاد
كما سبأتى تقصيلة (ومن قناهم كل محزق) وفرقتهم غاية التعزى (إن فى ذلك) فى ذكر (آيات لكل
صبار) من المعاصى (شكرى) على النعم (ولقد صدق عليهم ابليس غثه) بالتشديد أى حقق غثه أو وجده
صادقا وبالتخفيف أى صدق فى غثه (فاتبعوه لإفريقا من المؤمنين) أى لإفريقا هم المؤمنون لم يتبعوه
(وما كان له عليهم) على التبعين (من سلطان) تسلط واستيلاء بالوسوسة والافواء (إلا لنظم من يؤمن
بالآخرة من هونها فى شك) أى ليميز المؤمن من الشاك (وربك على كل شئ حفيظ) محافظ رقيب . واعلم
أن هذه الآيات من قوله - ولقد صدق عليهم ابليس غثه - جىء بها كاهى عادة القرآن بعد ذكر القصص
لاستنتاج العلم من أحوال الأمم لأن المراء تعليم المسلمين لا مجرد القصص وسردها . يقول الله إن ابليس لا
سلطان له على قلوب الناس وإن أسطه عليهم كما أسط القباب على العيون القنطرة والوواء على البلاد التى
تستحق لتعفن جرؤها ، فليست أفضل إلا لحكمة فمن سمع وسوسة للموسوس فهو للذنب وحده ، فإذا حل
الوباء بأرض مات من لا قنطرة له على الحياة لاستعداده للموت وبقي من له استعداد للحياة هكذا فى الوسوسة
يفرق الله بها بين الثابت للنعبة ومتزلزها وهكذا جميع حوادث الدنيا من النكبات والخسائر منها والحوادث
للثوثة وحاولها ليثبت القادر ويسقط الضعيف وهكذا الأمم الأوروبية جعلها الله محكلا لأهل الشرق فمن صادمهم
وصبر على مكولتهم فاز بالاستقلال ، ومن جزع منهم وناف وهلع ونضع أصبح أسيرا لهم وإذا قوه سوء
النكال . هذا ما تنبئه الآية إذ يقول تعالى - وما كان له عليهم من سلطان إلا لنظم - الخ ثم قال تعالى (قل)
يا محمد للشركين (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتهم أنهم آله (من دون الله) ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل
بكم فى سنى الجوع ، ثم أمد عجز الآلة فقال (لا يهلكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) يعنى من
خير وشر وضع وضر (وما لهم) أى للآلة (فيهما) فى السموات والأرض (من شرك) من شركة (وما له)
الله (منهم) من الآلة (من ظهير) معين يعينه على تدبير أمرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) أى لا تنفعهم
شفاعتهم أيضا عنده تعالى فلا شفاعة عند الله (إلا من أذن له) أى إلا من أذن الله له أن يشفع والله لا يأذن
أحد أن يشفع هؤلاء الكافرين فيخرون مصقين عند الموت (حتى إذا فرغ) كسوط وطلى (من قلوبهم)
الطوف والفرغ (قلوا ماذا قال ربكم) أى قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا لآلهة الحق (قالوا الحق)
أى قال المشركون الحق فأقروا به حين لم ينضمهم الاقرار (وهو الصلى الكبير) أى ذوالعلق والكبرياء ،
والآية وجه آخر فى التفسير وهو أن الله تعالى لما قال - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له - ذكر حالا
من أحوال الذين يؤذن لهم بالشفاعة وهم للملائكة لا الأصنام لأن الملائكة وسائط الوصى ، وقد تقدم فى
(سورة البقرة) أن التعليم بذر الشفاعة فقال إن الملائكة ينتظرون الأذن خاتمين فرعين حتى إذا فرغ من
قلوبهم بالأذن قال بعضهم بعض ماذا قال ربكم فى الشفاعة ؟ قالوا قال القول الحق وهو الأذن بها لمن أرفق
وهم المستعترن لها ، وهذا المعنى فصله حديث الترمذى « إن الله إذا تكلم بالوصى سمع أهل السموات

صلة كبر السلسلة على الصفا فيسقطون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاء فزع من قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول الحق فيقولون الحق ،

واعلم أن حال العلماء والحكماء في الأرض فيها بعض الشبه بذلك . ألا ترى أن النبي ﷺ عند الوحي كان كأنه مغشى عليه وينتابه العرق ثم يكشف عنه ذلك فينطق بما أوحى به إليه . ألا ترى أن الإنسان لا يعرف علما إلا إذا صرف كل قواه العقلية إلى الفكر وحصر كل همه في الفهم حتى يقتل ما هو بسدده . إن هذا القدر ذكر في الآية والحديث يشير إلى أن العلوم والحكمة من عالم مغاير لعالمنا فلا يزال ملك ولا نبي ولا عالم شيئا منه إلا بأن تكون كل قواه محصورة في العالم الروحي وأقل الناس في ذلك العلماء وأعظم منهم الحكماء وأرقى منهم الأنبياء والملائكة فاستغرقا هاتين الطائفتين أشد والله أعلم

﴿ الكلام في حجة الكافرين وللمؤمنين والمؤمنين وما هو من هذا النحو ﴾

لما ختم قوله تعالى - لا يعلكون مثقال ذرة - ألم أتى هنا بقرينه فقال (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله) فلا جواب سواه (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) أي ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والأخرون ضال ذلك على طريق الإلزام والانصاف في الاحتجاج إذ يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب فكذبهم من غير تصريح بالتكذيب (قل لا تأتوا نساءنا أبونا ولا نساءنا عماتنا) وهذا أدخل في الانصاف إذ أسند الأجرام لأنفسهم والعمل للمخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويضلل بأن يدخل الفريقين الجنة والمطلين النار (وهو القاتل) الحاكم الفصل (العلم) بما ينبغي أن يقضى به (قل أروني الذين أحقتم به شركاء) لأرى بأي صفة أحقتموهم بالله في استحقاق العبادة ، استفسر عن شبهتهم بعد إلزام الحق عليهم في نفيهم (كلا) ودع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقابلة أي ارتدعوا (بل هو العزيز الحكيم) للوصف بالعلية وكمال القدرة والحكمة ، فأما من أحقهم به فلا قبول لهم عندهم ولا القدرة (وما أرسلناك إلا كافة للناس) إلا لإزالة علة لم فهمي كفتهم أي منعتم أن يخرج منها أحد منهم أو ألا حال كونك جمعاً لهم في الإلزام والتألف بالبيعة (بشراً ونظيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيعلمهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون) من فرط جهلهم (منى هذا الوعد) يعنون المبشر به والمنع عنه (إن كنتم صادقين) الخطاب لرسول الله ﷺ والمؤمنين (قل لكم موعد يوم) أي وعد يوم (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) إذا فاجأكم وهو جواب مطوف على التهديد مطابق لما قصدوه من التفتت والانكار (وقال الذين كفروا لن تؤمن به هذا القرآن ولا بالذي بين يديه) ولا بما قدّمه من الكتب ، وذلك أن أهل مكة سألوا أهل الكتاب عنه ﷺ فأخبروه أنهم يجحدون فته في كتبهم فضربوا وقالوا ذلك (ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم) في موضع الحاسبة (يرجع بعضهم إلى بعض القول) يتحاورون ويراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الأنبياء (الذين استكبروا) للرؤساء (لولا أنتم لم كنا مؤمنين) فأنتم الذين منعتمونا عن الإيمان (قال الذين استكبروا) أجاب المتبوعون في الكفر (الذين استضعفوا آمن صمدنا كم) منعناكم (عن الهدى) عن الإيمان (بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) بترك الإيمان (وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا بل مكرائيل والنهار) أي مكرهم بنا في الليل والنهار أي لم يكن إيماننا الذي صدنا بل مكرهم لنا دائماً ليلاً ونهاراً حتى غيبتهم علينا رأينا (إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجمل له أندادا) وذلك أن القادة يقولون للاتباع إن ديننا الحق وأن محمداً كذاب ساحر فاذن طاعة الكفار بعضهم لبعض تكون سبباً لميلوتهم في الآخرة كما هو مشاهد في قطع الطرق والفسقة إذا وقوا في أيدي الحكام والقضاة فتهتم يتعادون (وأسروا التهمة لما رأوا الضذاب) أي وأضرم الفريقان التهمة على الضلال والاضلال (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم (هل يجوزون إلا

ما كانوا يصليون) أى لا يضل بهم ذلك إلا جزاء على أعمالهم (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مفروها
 إنا بما أرسلتم به كافرون) ذلك نبيه رسول الله ﷺ لأن المتعمين النعمسين في الشهوات هم الذين
 يحلمهم التكبر والمفاخرة بزخرف الدنيا على النعم من الكمال والحكمة والعلم والإيمان لأن الضدين لا يجتمعان
 فمن هو متغمس في الشهوات والذنوب كيف يخلص عقله للكمال ، ثم أخذوا يربطون الكمال النفسى بالكمال
 للمادى (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً) ولم يكن ذلك إلا لرضاء الله علينا ولو كان ديننا باطلاً ما منعنا هذه
 النعم فمنهم مكرمون (وما نحن بمعذبين) قل ردّا لهم (إن ربي يسقط الرزق لمن يشاء ويمطره) يوسع
 ويمضي امتحاناً وابتلاء فلا علاقة للكمال الروسى بالكمال الجسمى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنها
 كذلك فيخطئون في أحكامهم ويعلقون أحد الأمرين على الآخر (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تفرحون عندنا
 زلي) أى بالتي تفرحون عندنا قريباً (إلا) لكن (من آمن وعمل صالحاً) أى إيمانه وعمله يقربه منى ،
 فألأموال والأولاد لا تقرب أحداً إلا للمؤمن الصالح الذى ينطق ماله في سبيل الله ويعمل ولله الطيور ربه على
 الصلاح (فأولئك لهم جزء الغنى) أى أن يجازوا النصف إلى عشر إلى سبعمائة فأكثر (بما عملوا وهم
 في الفترات آمنون) من المكروه (والذين يسعون في آياتنا) بالزهد والطنن فيها (معاجزين) مسابقين لأنبيائنا
 وأوطانين انهم يفوتونا (أولئك في العذاب محضرون) قل إن ربي يسقط الرزق لمن يشاء من عباده ويمطر
 له) هذا في الإنسان الواحد وفي وقتين مختلفين وما أحتم في شخصين مختلفين (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه)
 عوضاً إما عاجلاً أو آجلاً (وهو خير الرازقين) ولا رزق من غيره إلا أن يكون واسطه في ذلك فالرزق حقيقة
 هو الله (ويوم يحشرهم جميعاً) المستكبرين والمستضعفين (ثم يقول الملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون)
 تقريباً للشركين وتبكيتم لهم واقتلوا لهم من توقع شفاعتهم (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) أى الذى
 نواليه من دينهم لا موالاة بيننا وبينهم (بل كانوا يعبدون الجئن) أى الشياطين إذ كانوا يعبدون غير الله
 بوسوستهم أو يعبدونهم هم أنفسهم إذ يفهمونهم أنهم هم الملائكة فتستفيئون بهم في قضاء حوائجهم
 كما هو مشهور عند أرباب العزائم والسحرة ، فأما نحن فأتينا ندعوا الناس إلى الخير والفضل ، فجواهر نفوسنا
 وتتأججها مخالقات لجواهر الجئن وتتأججها (أكثرهم بهم مؤمنون) أى مصدقون للشياطين إما باستحسانهم
 بطرق التحضير ، وأما بالوسوسة (طاليم لا يملك بضعكم لبعض تقى ولا ذر) بالشفاعة والعذاب أى أنهم
 عاجزون لا نفع عندهم ولا ذر لأن الأمر في ذلك اليوم لله الواحد اتهمار لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة
 لأحد (وقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)
 في الدنيا (ولذا تنلى عليهم آياتنا) أى قرئ القرآن عليهم (بينات) وانفصلت (قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن
 يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أى القرآن (إلا فلك مفتري) وقال الذين كفروا (أظهرنا في
 موضع الضمائر لا أنكر عليهم أى قالوا (الحق) القرآن أول الأمر النبوة (لما جاءهم) وعجزوا عن الاتيان بمثل
 (إن هذا) أى الحق (إلا سحرة من) أى بين ظاهر فكل عاقل يتأمله يسميه سحراً (وما آتيناكم من كتب
 يرسونها) ندهم على محبة الاشتراك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم إلى الشرك وينذرهم على
 تركه فمن أين هذه الشبهة ؟ ثم أخذ يهدمهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (وما بلغوا معشار
 ما آتيناكم) أى وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال (فكذبوا رسلنا
 فكيف كان نكير) أى نحن كذبوا رسلنا جاءهم انكارى بالتدبير فكيف كان تنكيرهم لهم بل يحزن
 هؤلاء مثلهم (قل إنما أعطاكم بواحدة) أى أرشدكم وأنصح لكم بمصلحة واحدة هي مادل عليه قوله (إن
 تقوموا لله مثنى ومثنى وتغفروا) أى هو الأليم والانتصاب في الأمر والنهوض بالهمة فتقوموا لوجه الله
 خالصاً ثم تنفكروا في أمر محمد ﷺ اثنين اثنين أو فرادى ، فأما الاثنان فيعرض كل واحد منهما رأيه على

الأخر ، وأما الفرد فيعكر في نفسه أيضا ببدل ومنصف هل رأينا في هذا الرجل جنونا ؟ وهذا قوله تعالى (ما
بصاحكم من جنه) أى فتفكروا هل بصاحكم من جنون أو ما بصاحكم من جنون ؟ (إن هو إلا نذير لكم
بين يدي عذاب شديد) فقامه لأنه مبعوث قبل الساعة (قل لمأسألكم من أجر) أى أى شئ سألتكم من
أجر على الرسالة (فهولكم) وهذا وما قبله يرجعان إلى أن دعوى النبوة بلا حقيقة لها إما أن يكون لجنون
أو لتوقع نفع دنيوى ، فأما الجنون فليظفر فيه بالقسر شئ وفراى ، وأما النفع الدنيوى وهو الأجر فهو منتف
أيضا (إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدق وخلوص نيتي (قل إن ربى يقذف
بالحق) يقول بعد نفي كل من الجنون وتوقع الأجر فى الدنيا قل لهم إن ربى يأتى بالوصى من السماء فيقذفه
إلى الأنبياء (علام الغيوب) خفيات الأمور (قل جاء الحق) أى القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد)
أى ذهب الباطل وزهى فلم يبق منه بقية تبدى شأ أو قعده (قل إن ضللت) عن الحق (فإنما أضل على
نفسى) فوال ضلالى عليها (وان اهتديت فبأى حى إلى ربى) فإن الاهتداء بهدأته (إنه سميع قريب)
يدرك قول كل ضال ومهتد (ولو ترى إذ أقروا) عند الحوادث العظام من هلاك فى الدنيا كما حصل فى حرب
بئر وغبرها أو عند الموت أو يوم البعث لرأيت أمرا فظيما (فلا قوت وأخذوا من مكان قريب) من ظهر
الأرض إلى بطنها ، أو من الموقف إلى النار ، أو من صحراء بدر إلى القلب هناك (وقالوا آمنا به) بمحمد حين
عابنوا العذاب عند اليأس (وأتى لهم التناوش من مكان بعيد) أى كيف لم تناول ما بعد عنهم وهو الإيعان
والتوبة وقد كان قريبا منهم فى الدنيا فضجوه ، فإذا سألو الرء إلى الدنيا يقال : وأتى لهم الرء إلى الدنيا
(وقد كفروا به) بمحمد ﷺ (من قبل) من قبل ذلك أو أن التكليف (ويقذفون بالنبى) ويرجون
بالظن ويتكلمون بما لم يظهروا لهم من الرسول ﷺ (من مكان بعيد) من جانب بعيد عن الصدق
والحق والصواب كقولهم هوشاعر وساحل فهذا منهم تكلم بالغبية والذى لم يشاهدوه فهو من جهة بعيدة
عن حاله الشريفة ﷺ (وحمل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الإيمان والنجاة به من النار بعد ما فاتت
فرستة فى الحياة الدنيا وهم كافرون وقادمون بالقول بلا روية ولا فكر فى أمر النبوة (كما فعل بأشباعهم
من قبل) أى بأشباعهم من كفره الأمم لمارجة (انهم كانوا فى شك مريب) موقع فى الرية والهمة وهو
وصف للشك وصف به الشك مبالغة . انتهى الفصل الأول وهو تفسير ألفاظ السورة كلها

(الفصل الثانى)

نذكر فى هذا الفصل ما كنت كتبه ملخصا لتفسير هذه السورة منذ أكثر من عشرين سنين ليجتمع
لبنى بسهولة عند الأذكياء

اعلم أن هذه السورة تشتمل على (ستة مقاصد : الأول) اثنتى الوحدانية (الثانى) اثبات علم الله
(الثالث) اثبات يوم البعث بما يشاهد من العجايب (الرابع) آراء العلماء فى القرآن وآراء الجاهلاء
(الخامس) ذكر اثنتين عظيمتين غنيتين إحداهما أغفلها الغنى فكفرت وهى سأ وأخرى شكرت وهم
آل داود وسليمان وجوزى كل بما فصل (السادس) تعليم الناس الاستقلال فى الرأى ونبد الأوهام حتى
لا تخضعهم صورة عملة ولا رئيس ضليل ولا يفرتهم مال ولا يظفهم ظرف ولا يعبدون ملكا ولا جانا ولكن
يكونون أحرارا خالصين مخلصين فينالون السعادة فى الدنيا والآخرة كداود وسليمان عليهما السلام وكانى
ﷺ كما ذكر فى سورة الأحزاب

(المقصد الأول والثاني والثالث)

(من أول السورة الى قوله - من رجز أليم -)

ابتدا السورة بحمد الله عز وجل و بيان اختصاصه بملك العالم العلوي والسفلي وليس في الآخرة من نعمة الا من فيض فضله ونعم نعمته فهو المحمود في الدارين المشكور على التعمين نوط لما سيذكر في السورة من ملك داود وسليمان اذ عرفا قسمة النعمة واعترفوا بها من الله وشكروا عليها ولما دعا الى سبأ بكفرهم بالنعمة واعراضهم عن الحمد وتقطيعهم الارحام وتجزئهم شمل الامة - جزاء وثقا - بما عملوا ومزقوا كل ممزق لما أعرضوا وإيذا بأن من خدعوا بالانصاف وأغفروا بالرؤساء الذين استكبروا أو عبدوا لللائكة أو قالوا للضعفاء نحن أكثر أموالا وأولادا فأن أولئك غافلون وجراؤهم التقت والغضب والارتطام في أحوال الشبهات والفرق في غمرة الجهل واستعباد الرؤساء لهم وتهديبهم لما غفلوا عن مسبب النعمة ومسببها ثم أفاد أنه يعلم أجزاء المادة وان دقت وصغرت وصفاتها من حركة وسكون ودلوج وخروج وزول وصعود ويعلم ما فوق ذلك من ملك كيف لا ونحن نشاهد عجائب الكيمياء فنجهب كيف وزن القرات وزما يديها حتى انك ترى الألسون والأدروجين في الماء مثلا لا يزيد ذرة منهما أو من أحدهما مما رسم طاقى تركيب الماء وملك القرات دقيقة لا ترى بالنظار المعظم . وهكذا العناصر الناطقة في تركيب الاشجار والزرع فلقد وضع أن تألف منها النبات بمقدار معلوم فنرى الجبل مثلا في القطن وفي القمح وله مقام معلوم في كليهما لا يتعداه . وهذا هو السر للسون الحبيب المعبر عنه بقوله - ولا أصغر من ذلك -

فان ذرات الكيمياء أصغر من ذرات الهباء صغرا لاحده . ولا جرم أن القى يعلم دقائق الاشياء كأنشاهده لا يفضل عن أعمال البعاد . فاذا وزن القرات في تركيب النبات فما أحراه أن يزن أفعال العباد ليوم الميعاد فذكرنا الله بقوله - وري لتأتينكم - وهذا قسم لتأكيد على نهج البلاغة ثم اتبعه بالبرهان العلمي والدليل الطبي والكيمائي الحكما على سبيل الارتقاء قتل - ولا يهرب عنه مثقال ذرة - .. الخ فتجيب وتأمل وادرس العلم واقرا الحسنة حتى تفهم السر المصون وذلك قوله تعالى - يعلم ما يلج في الارض الى قوله من رجز أليم -

(المقصد الرابع)

ان عقلاء الامم وعلماء البيانات يرون أن هذا القرآن يوافق ما أوتوا وأنهم يهدى . وأما الجهال فانهم يأنهون في أودية الضلال لاجحة لم الا الاستبعاد . ولادليل لهم الا الاستهزاء والإيذاء بما يهرفون من جنة يدعونها وكذبة يفترونها . ذلك لقصر نظرهم عما أبعد في الارض والسماء وما وزن في المركبات من القرات بما لا يفهمه الاعضاء دارسون لهذا النظام . فما أخرى السماء أن تنزل عليهم كسفا وما أجبر الارض أن تخسف بهم خسفا فانهم يعيشون عليها وهم لا يفتقرون وبأ يكون خبرها وهم لا يدرسون قال تعالى - ويرى الذين أوتوا العلم القى نزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد - الى قوله تعالى - ان في ذلك لآية لكل عبد منيب -

(المقصد الخامس)

فيه غرضان الاول من أوتي مالا وعلمًا وحكمة وعرف وشكر وآمن بالبعث وهدى الناس . والثاني من أوتوا النعمة ففرحوا وأعجبوا واستكبروا وطغوا فهلكوا مما امتان ذكرهما الله عز وجل كانتا في جزرة العرب فبنوا اسرائيل بالشام ومنهم داود وسليمان عليهما السلام وسبأ كانوا في اليمن وما أنسب ذكرها بسورة الاحزاب وما أعجب قصص القرآن . ألم تركيب أنتم على النبي بنعمة النصر والفتح والهدى . وهل انسب لقلك من أمر داود وسليمان عليهما السلام وبلاد سبأ ببلاد الشام علاقة متينة قوية .

ألم تولى قصة بلقيس وسليمان عليه السلام أيام شباب الهولة الاسرائيلية فان بني اسرائيل كلن لهم أدوار ثلاثة .
 (الدور الاول) ظلم في مصر نحو أربعين سنة وعشرات (لثاني) ملكهم تحت حكم التبوخ السبعين نحووا
 من ذلك بالشام . (الدور الثالث) دور الملك والعظمة وذلك في زمن داود وسليمان عليهما السلام . وذلك أيام
 بلقيس . ولعلك الاشارة بقصة طالوت وبلالوت ودلود في البقرة وقصة بلقيس في النمل وأما قصص فرعون معهم
 فما أوضح ما ذكر في أول الشعراء في ذلك . ولقد كانت دولة الخريين والتبابعة قوية ذات مجد وسلطان وعظمة
 فما اشبهها بدولة بني اسرائيل في زمن سليمان ودلود . (ولكل من الدولتين قسم راسخة في صناعة الخناثيل
 وبناء الخراب والابنة والجلال والعظمة) ولقد أصبح القطران في حوزة الأمم الاسلامية الآن فاليمن معروفة
 أخبارها مشهورة آثارها غاية من الصناعة طرقة من العلم الاقليل وكذلك لرض الشام . ملك الله المسلمين
 القطرين منذ أيام العصر الاول وقس عليهم قصص الامم التي مكنتها والايال التي تحطمتها والملوك التي دبرتها
 لينكر المسلمون وليعتبروا وليعلموا أن التقاطع سفير العذاب ونذير الخراب وأن هذه البلاد سيملكونها
 فإياكم أن تكونوا كسبا إذ أغفنا عليهم التمس وملكهم التمس وجعلنا بلادهم من الخفاء وانصب كأنها جستان
 بحيث يرأها القاصد اليها جنتين من يمن وشبه أولكل مسكن جستان هو قائم بينهما على النظام الاوروبي
 المصري الذي حرم منه اللثرون عندنا وتجمع به مغر العبة هناك وهل كان ذلك النظام البديع الا باقتان علم
 الزراعة والإبداع في فن الصناعة ودرس علم الصحة وكيف تنظم المساكن وكيف تحاط بالباساتين الا بالهندسة
 للمروسة وتقويم الصحة وكيف بني السد المسعى بالرم أو السكر أو التجب أو المسناة ليحجز الماء الا باقتان
 فن الهندسة والبناء وهل الرى ونظام الجسور . وهل تلك الطبقت الثلاث في المسناة أو العرم التي تزل الماء
 بقدر معلوم فالنفاذ الاعلى يليه الاوسط فالاسفل بالبحكمة وعلم . وهل تستطيع الأمم الوحشية ذلك ؟ كلا
 ولقد كان الممران متواصلا مارا في تلك الصحارى القفرة الآن . والآثار المارسة حتى يصل بلاد الشام
 التي بارك الله لاهلها من بني اسرائيل وغيرهم . لا توجب . كيف دمر ملكهم وهل ينزل البلاد ويستعصى
 الماء . ويعوز الهواء . الا اذا جعلوا ما به الحياة وانصرفوا عن الحكمة الموروثة وقاطعوا وتجزؤا طرائق ،
 وتناينوا طرائق ، فجاءوا الهندسة وتركوها ، وأغفلوا الصناعة وبنوها وضاعوا عن الزراعة فلم يهتموها ،
 وأعرضوا عن علوم الرى فلم يدرسوها ، وانصرفوا عن نعم الله فلم يشكروها ، واتبعوا ما يقول الجاهلون ،
 ويتبعه لهم السجالون فيقولون (سيفتح العرم قارة فاربطوا هرة تحفظه وترعاه كاضل المصريون أيام قنيز
 اذا عجموا عن ضرب القارسين خوف الحر أن تصاب) - قتل الانسان ما كفره . فلما أن أمهلوا سدهم ،
 وتركوا ، أرضهم ، سال الوادى بالماء وبدل الجنتان بما لا ينفع الانسان من أثل لاغره وشجر من الفرونق
 قليل ، وتباعدت أسفارهم ، وتناثرت ديارهم ، وحزبت القرى المتواصلة المنظمة في طريقهم الى الشام ،
 فأصبحو متلا في الغابرين قليل قرقوا ايدي سبأ : وأبناء سبأ عشرة تشام منهم أربعة ، نهم ، وجدام ،
 وضان ، وعاملة : وثما من سبأ : الاسديون والاشيريون ، وجبر ، وكندة ، ومذحج ، واعمار ، ولما تفرقوا
 لحقت فسان بالشام والازد الى عمان ، وخزاعة ، الى تهامة ومرا الأوس والخزرج الى يثرب . ولحق آل خزاعة العراق
 (موازنة ملك سليمان بملك سبأ بن يعرب بن يشجب بن لقمان)

فوازن رعاك الله هذا الملك العظيم ملك بني اسرائيل وكيف زال الأول بسيل العرم بعد الابنة والجلال . والعز
 والمنعة والشرف والفضل العظيم وكيف عظم بنو اسرائيل فبني داود وسليمان عليهما سلام بيت المقدس اذ رفع على اعمدة
 بلورية وبني بالرخام الأصفر والأبيض والأخضر . وسقط بأنواع الجواهر وفضض سقفه وجعلناه بالآلى والياواقيت
 وسائر الجواهر وبسط أرضه بأنواع القبروز وسخر العملة . فبنوا الخناجيل لصنعوا الخناثيل لكل صنف من الحيوان
 الممثل للقوة كالاسد والصقر أمام كرميه وفوق رأسه . واللطيف الشكل كالغزال وغيره . ألم تركب زال هذا الملك

ادلفوا وبفوا وسلط عليهم بختصر من أرض بابل فأخذهم ووضعهم بأرض فارس وما والاها كافى أول سورة الاسراء . ان ذلك لبرة للسلمين كفى قصص هود . وعاد . ونمود وقوم لوط وأصحاب مدين . فساكن هؤلاء جميعا اسلامية اليوم . وقد أعطاه الله للسلمين فنت وعفوا أيام شباب دينهم فلما أدبروا وأعرضوا أصبحت البلاد عرضة للفساد آية الخراب ان لم يتم فيها صلحون ويسعدوا للمرشدون وذلك قوله تعالى - وقد آتينا داود منافلا بإيجال أوفى - الى قوله - لكل صابر شكور -

﴿ المقصد السادس ﴾

(الاستقلال والحرية فى الآراء)

خواب الأمم وذهب النول وخواب بلدانها لا يدعو اليه الا الجهل ولا يحده الا ترك العلم باتباع أخس الآراء وتصديق الترهات كما يحدث فى بلدنا من أكاذيب الجهلاء وأضاليل بعض السفهاء من المسلمين الفارين وكما حدث فى سبأ من نبد عالم اسلامهم واتباعهم أهواهم وبطالهم بجهاب سدوم كأنهم مهندسات ومنظمات ويقع الجهل خلة الظلم والتقاطع والتدابير وذلك هو المعبر عنه فى القرآن بالكفران . وشعب الاوهام كثيرة وأوديتها شامة وخروق فجها واسعة ولكن ترجع الى ثلاثة أصول ضنف فى بصيرة . اغترار برياسة . وضلال بطر النفى . فأما ضنف البصيرة فذلك ما ذكره الله عقب قصص سبأ من الاصنام المنصوبة والاشباح الخالية من الارواح وكيف صور الوهم للناس عبادتها وكيف يصلونها شغفاء ومن يشفع الا بعض المصطفين الأخيار فيخرجون فرصين ويضئ عليهم مصفين فإذا زال الفزع تساموا فبا بينهم ماذا أنزل وبكم قالوا انه قل الحق (وهذه الأصنام لاسية لها فضلا عن الشفاعة) وليس عباد الملائكة بأحسن حالا من عباد الاصنام فكلمهم مخلوق وكلهم مريبوب . بل يرفض الملائكة يوم القيامة ويتبرؤون عن يصدون ويقولون ان عبنا الا الاوهام ، وما اتبعوا الا الجان لضف بصائرهم . وذلك قوله تعالى - ولقد صدق عليهم ايليس غله فاتبعوه - الى قوله عذاب النار التى كنتم بها تكذبون -

(الاغترار بالرؤساء)

وأما الاغترار بالرؤساء ، والمخضوع للكبراء فهو الطامة الكبرى والحصية العظمى وداهية الشرق . وداهية اساع المروق . وغرور الجهال . وضياع الاموال ودمار البلدان . ولقد قطع الله الحجة واعنر . وقرر الذب على المرؤسين كل رؤساء والمحكومين كل حكمين . وتأمل كيف يقول الضعفاء للتكبريين أتم أضلتونا فهل تنفصونا . فقال للتكبريين كلا فانكم مجرمون ولم لاتفكرون أغلا تعقلون . فقال الضعفاء كم من حيلة نصبتموها . ومكيدة دبرتموها باداعة الاخبار ونشر الآثار بالليل والنهار قتل الله - لكل ضنف من العذاب - ذلك كما تشاهده اليوم فى الأمم التى ذهب مجدها وغاب سندها وحضر جهدها اذ يقولون على الرؤساء نعمنا ونحن لامل بأبدينا ولا سلاح ولا جند قطع الله الحجة وأوضح المحجة وألغى بكل عمله وأوجب عليهم أن يظفروا مفكرين ولا يضفروا بالتكبريين فكلم يسمع المرء محجة ولا يرى طعنا فالصلوك كالكلك فى الاسلام على كل التفكير - ان أكرمكم عند الله اتهاكم - ومصدق ذلك ما تراه الآن فى بلاد الاسلام من قولهم علم الحكام فباد الانام وقول كننا والله مسؤولون وعلينا أن تفكر للجموع والاحت كفة العذاب وذلك قوله تعالى - ولو ترى اذ الظللون موقرقون - الى قوله - هل يجزون الا ما كانوا يعملون -

(الضلال بالنفى)

وأما الضلال بالنفى والبطر بالمال فما أشبهه الا بصداء الاصنام ولن يجادل الانبياء ويقاوم الرسل والمصلحين الا الاغشاء لا تقوت ويستهم ويعلمهم غيرهم ذلك شان الانسان فى كل زمان الا أن عابد الصنم متع خياله

وخبائه والمغتر بالمال أعظم شهوته وخصع لثبات كالهجمات وذلك قوله تعالى - وما أرسلنا في قرية من نذير إلى قوله آمنون - فإلّا كالصحة والسلطان والولاء وسائرهم لادلالة لوجودها على الشرف والاعتماد على الضعة فهي تكون للبار كما تكون للفاقر فليت قرب بعيدا - ولا تبعد قريبا - ولا ترفع وضعا ولا تنزع رفعا لأنها ولكن هذه الأهراس أشبه بالسيف ينزع أن أسكه العقل الشجاع ويضر أن تناوله الجنون - هذه أهم مقاصد السورة الشريفة وماعدا ذلك فثبتت حجة أو تأييد لحكمة كقوله تعالى - قل من يرزقكم السموات والأرض إلى قوله ولا تستعجبون -

هذا وقبل أن ندخل في مباحث الفصل الثالث لابد أن نوضح المقام في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - إلى آخره وهو ما يأتي

(جوهرتان)

(الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير -

(الثانية) في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض - الخ

(الجوهرة الأولى في قوله تعالى - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض - الخ)

(كتب في ليلة الأربعاء ٢٠ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم لك الحمد على انك أسعدتني بالحكمة وحبوتني العلم ، لك أنت الحكيم الخبير ، فهذا إذا الآن أصبحت على يقين أن من عبادك في أرضنا أناسا أشهدتهم هذه الأرض وهذه السموات في حياتهم الدنيا فراديس وجنات العجم ، إن هذه العوالم في ظواهرها تمثل الشر ، فيها الموت والحياة والمرض والقلم والقسوة والقبحور والفسوق والخسران والحب والغرام والتسامة والحروب والمداغم والبرود والبنائيت والاهلاك والتدمير ، فهذه تشبه أن تكون ركننا من أركان جهنم ، اللهم إنك أنت حكيم ، هذا قصرك المشيد أرض وسما ومشاهد بينهما تمثل فيها العطايا والآلام والأرزاق والحياة والسرور والتمرد ولكنك أنت مع هذا كله جلت نفس هذه المشاهد روضة من رياض الجنة للحكماء والفكرين ، أظن من العجب أن تكون مبادئ النار والجحيم هي بيننا فراديس الجنان . كلا . بل هي مشاهد الحق ومظاهر الجلال والجلال ومبادئ مشاهدة الحق تبارك وتعالى ، في الأرض أقوام معذبون بهذه الحياة وإن كانوا لا يحسون أنهم معذبون ، مسخرون وإن كانوا لا يحسون ، أشقياء وإن كانوا لا يفقهون ، وهؤلاء هم أكثر هذا النوع الإنساني ، هم في داخل أنفسهم في شقاء آلام الأمراض والعواطف والهم ومواجع الأعداء والحساد والحكم والوحوش والحشرات ورتائل الأصدقاء والأقارب والحزن على مصائبهم الخلة بهم والسكة المتعدية منهم ، الحق أن الناس جميعا في الأرض مسوقون بصا من حديد ، هم مسوقون كما تناق الأعمال ، قرية الولد وكسب العيش وتلوي الطعم كلها بواعث وزواجر يحس بها الناس وملهى لإعصى من حديد تسوقهم وهم مرغمون

اللهم إن هذه حال أكثر نوع الانسان ، ولكن البادر منهم ينظرون هذه المشاهد وهم يسمعون كلاما ليس بحرف ولا صوت بل يقرؤه في نفس المشاهد ويفقهونه والناس من أمرهم متجهون هازئون وهم في أنفسهم للناس راحون ، العالم يرحم الجاهل والجاهل هم أكثر نوع الانسان ، فهذه الجوع تستمد من الحكماء والحكماء هم الراجون لأن الآباء يشفقون على الأبناء ، والحكيم أب لأخته لأنه أقرب إلى نبيها فلذا استمد منه الناس فهو بهم رحيم ، فإذا يسمع حكماء الاقمة من خطاب الله الذي ليس بحرف ولا صوت ، يسمعونه يقول

هـ أى عبادى : أثار حن رجم ، رضى سبقت غضبي ، ألم تسموا الى أبعدى كل سورة باسمي الرحمن الرحيم
 أألم أزل مضار في الأرض إلا سعدة ونصمة ، وغاية الأمر ان أكثر الناس لا يعلمون ، هذا العالم الأرضي عالم
 يسير الى الكمال ولا كمال إلا بالعلم ولا يتم علم إلا بمقتنين مقعدة المحبوب ومقدمة المكروه ، فكأن المناطق
 منكم يقولون لا نتيجة إلا بمقتنين هكذا حكمتي قنت أن لاعلم لكم إلا بسابقة مقعستين ولكن للمقتنين
 عندى هما المحبوب والمكروه ، أتم يا أهل الأرض عبيدى وأما أرجح أكثر من رجة أبويكم آلاف آلاف
 المرات ، ولن تستطيعوا أن تعقلوا هذه الرجات إلا بمراسة جيع العالم وبدون ذلك خط الفتاد
 فهاكم أمثلة مما تشاهدون (الأول) حب الصور الجلية طلبا للنسل ، أتم جيعا تحبون الحكمة والأشكال
 الجلية ، فأول ما يصادفكم في حياتكم حب الوجوه الجلية فيرى الرجل أو المرأة أن سعدة كل منهما في الاقتران
 بالآخر والاجتماع به وغير ذلك لأن صورة خلصة مقولة في نظره ، ولا معنى لقبولها إلا بأن يكون الخلدان
 والعينان والأف والقدم على مناسبة مقولة عند هذا الحب * إن الطيور على أشكالها تقع *

فهذا التناسب هو الذى يولج به القكور والآث فتكون القرية . إذن الحكمة والنظام وحسن الإبداع
 هنا جعلت للشهوة البهيمية وبقاء القرية وكان للتصديق ذلك كله هو اثنان تلك الصورة في نظرك العاشق
 (الثاني) حب الأعمال الصالحة . فإذا جاوز الناس المرحلة الأولى وهي الخضوع للشهوة البهيمية التي تنتج
 بقاء القرية اعتلاوا الى درجة أرقى وهي مزاولة الحكمة العملية فهناك يكون الخلقون في الأعمال المنزلية
 والقيام بما يوجبهم الدين والعرف والعادة من المحافظة ماذيا وأديا على أراحة أهل المنزل من الزوجين والصغار
 وبلى ذلك نظام القرية ونظام سياسة الجلية الانسانية كلها بالنظام العلم ، ولاعام تلك الإبالصناعات والأعمال
 الضخمة فهذا تخمين لكم أيها الناس على أن تكونوا خلفائي في أرضي (المثال الثالث) في الشوق الى فهم
 الصناعات الانسانية للثقة وهو أعلى مما قبله ، إن قوسكم تشرب للحكمة العلمية لأن الحكمة العملية
 بالسياسة المنزلية والأخلاق الانسانية والنظم السياسية العاقمة مقعمت ومدرجات لعقولكم حتى تشنق الى أن
 ترقى الى فهم حكمتي في خلقى ولكن حكمتي فوق حكمة المهندسين ومهرة الصناع في أرضكم ، فأول ما يصادف
 العقول الشريفة من الشوق العلمى أن تهرج المشاهدات الصانعة القريبة المثقاة اثنان أتم فوق ما تصنعون
 لفرايها بالنسبة لما قص من صناعاتكم ، إن أجسامكم هي الحاملات لأرواحكم وأنواع الثبات والحياة كل هذه
 متقنات الصنع حولكم ، وهذه الشمس وهذه النجوم كلها من ابحاث الصنع ولكن لما كانت قوسكم أرضية
 (وقد عجزت عن أن تعقل جد تركيب الثبات وإن كانت من علمائه ، وبهجة تركيب أصفر الحشرات وإن
 كانت من دلسيه ودقة صنع أجسامكم وإن كانت هي الحاملة له) أخذت تسمى الى صنعة الانسان لأنها اليه
 أقرب وعقولكم الى حكمة أمثالكم أميل ، ألم تروا كيف أقبل علماء أمريكا وأوروبا - من كل حذب يفسلون -
 على البلاد المصرية لما فتح الباب المقنوم بفتح الملك (توت عنخ أمون) يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٢٣ وشاع
 الخبر في الكرة الأرضية أن الفرقة الثالثة قد وجد فيها صندوق بدع داخله جثة الملك المذكور وجواهره
 الثمينة وهو من ذهب ومن خوف ومرصع بالأحجار الكريمة وبلغ طوله نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة أمتار
 وارتفاعه أربعة أمتار تقريبا ، وبعد ذلك وجدت الفرقة الرابعة وهي مملوءة بأثاث من أنفطر لمخزومة ترتيبا
 حسنا يفوق منظرها في جهاتها وعظمتها ما رأوه في الفرقتين المنجربتين ، وحضر لمشاهدة ذلك بعض ملوك
 أوروبا كملك البلجيك ولللكة لمشاهدة صنعة الخلق لأن صناعتها عقولهم أقرب الى عقول أهل الأرض .
 وأخذت الوفود تترى على مصر وهي عشرات الآلاف بل أخذ الناس في دور الصناعات بأوروبا وأمريكا يقلدون
 الصناعات التي ظهرت في القطر المصري ، ويطلبون نماذج للأزياء المصرية الأثرية كاللابس وأثاث المنزل
 والأواني ليصنعوا نظيرها وهم يصرفون الآلاف ومئات الآلاف من الجنيهات ، وابتدأت النساء الأمريكيات

والأوروبيات يلبسن ملابس كالتي ظهرت في عهد (توت عنخ أمون) فانه في صباح (٨) مارس سنة ١٩٢٣ ظهر في شارع (قفت القيو) وهو أعظم شوارع نيويورك ثلاث سيدات يسنن معا وقد لبسن من قبة الرأس الى أنصص القدم ثيابا مصنوعة على مثال ثياب ملكات مصر القديمة واحتدين أحذية على شكل (الصندل) فكنن يلبسن هذه موضع العجب وقبة أظفار الجبع ومثلهن في انكسار . وأخذ الناس في أوروبا وأمريكا يرقون تاريخ قدماء المصريين . فلقد حالم تلك الصناعات العظيمة من -

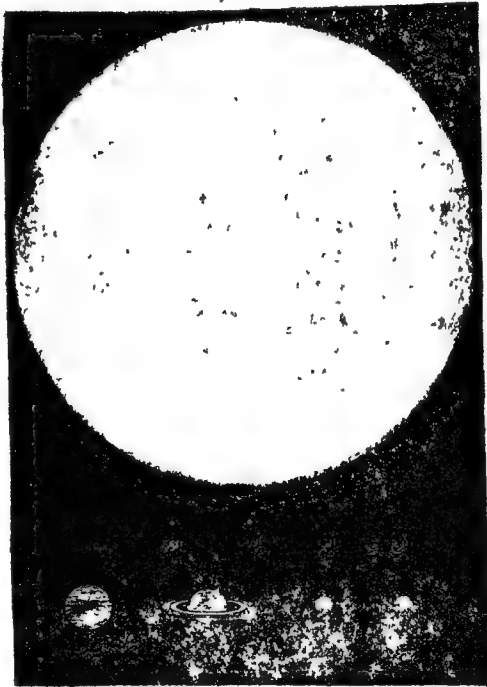
- (١) سرير يدع لتلك الملك من الذهب المطروق
- (٢) وآنية من المرمر منحوتة من قطعة واحدة للروائع الطرية لتلك الملك
- (٣) وآنية أخرى من المرمر أيضا
- (٤) ونوع من الحل الذي يزين الصدور من الذهب الخالص . هيئته تشبه هيئ السفينة
- (٥) ومثالين داخل الفرة الخارجية يحرسان باب الفرة الثالثة القنومة التي بها جنة الملك
- (٦) وصندوق لملايه وعليه صورتان تملنان شكل (أبي الهول) يطأ أعداء الملك تحت قدميه وعليه نقوش غاية في الإبداع والدفقة تفوق سائر ما في المدفن من الاقتان والدفقة والجبل
- (٧) وكريسي (عرش الملك) وهو مصنوع من الأبنوس والنج والنج وحلى بنقوش جبلة قوامه على شكل أسد من الذهب
- (٨) ومراة من الفضة منقوش عليها اسم الملك
- (٩) ولوحة قد كتب عليها تاريخ انتصارات القائد (هوس) النائب عن ملك مصر
- (١٠) وصورة الملك وهو يتلقى أخبارا انتصارات القائد المذكور
- (١١) وصورة ملهايا والأسرى من بلاد الحبشة
- (١٢) وحذاء الملك المصنوع من الذهب وهو مزين بشكل زهرة (اللويس) الجلية
- (١٣) وبرنس من نسيج كتان مصر المتين مع ملايه ، وقفاز كتاني النسيج وهو أول قفاز مصرى قد تم كشفه ، صنع منذ (٣٠٠٠) سنة

هذا نموذج من مصنوعات العباد وهي التي يفرح بها الناس ويرغمون على السفر وترك الأهل والوطن وصرف الثرم والدينار ، كل هذا حب الصنعة والحكمة الانسانية التي حل أقل اقتانا وبهجة من الحكمة في السموات والأرض . ذلك لأن عقل الانسان الى عقل الانسان أقرب ولهم صناعته أسرع مع انه هو نفسه في جسم أبدي صناعا وأقن وضعا وأبدع حكمة وأبدع قوتها وأتم نظاما من ملابس وصنادل وعروش وتمائيل (توت عنخ أمون) - لهم قلوب لا يفتقروا بها ولهم أعين لا يصررون بها ولهم أذان لا يسمعون بها - إذن هؤلاء العلماء السامعون من أقطار العالم لم يتجهوا إلا لما يناسب عقول الانسان من صناعاته لامن صناعات الخلق جل - وعلا فان تمثالا يعقل ويصبر وينطق ويسمع أتم وأكل من تمثال جاهل أعمى أخرس أمم ، فهذا التمثال الأتم وهو الانسان لا يفرح بجسمه ولا بما فيه من النقوش ولا بما في الحشرات والحيوانات والنباتات حوله لأنه متقلب فيها صابحا ومساء فسقط وقعها من قلبه وهرع الى مشاهدة ما لم يره من قبل ففرح به لغرابته لأنه بما يناسب عقله من حيث انه متهمى ما يصل اليه الانسان (التمثال الرابع) وهو أعلى من سابقه . هنالك أقوام في هذا النوع الانساني وهم أعلى ممن تقدمهم لهم ادراك أتم وعقول أكل ، فهؤلاء يقولون هذه البرجات الثلاث اثنتان منها انسانية وواحد منها حيواني انساني وهو الأول ولكنا نحن نريد مثلا أعلى وهومثل الملائكة فليكن نظرا نظرا أكل لنوع هذا الانسان فتكون آباء للدرجات الثلاث فهؤلاء يلبسون ويمشون في المنازل والمدن ويدرسون الصناعات ويدركون الجمال وكل منهم في أثناء بحثه

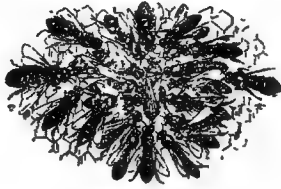
يسيره الحس والسعد والفرح والحزن . ففي المنزل وفي المدن وفي الأسفار لشدة الآثار أفراس وأتراس فقد يعيش الماشقان في هاهـ وقد يفترقان فيموت أحدهما كذا ، وقد يمتري لإنسان البش من هذه المصوعات (الباحات في دين قدماء المصريين المحرم بعضها على الرجال في دين الاسلام) فيغتره جاهلها فيقتلها فيبيع الخلف والتلبد من مقتنياته ويصح خلو الرعاض بادي الاخاص لابعك شروى قبر ولا يكون في العبر ولا تغبر قدسه الصر وملكه العتر إذن هذه البرجات ثلاث أثنائها طلعت نحن عن حكمة هذا الوجود ولن تظهر حكمته إلا في دواية السموات والأرضين ، فسفر حولنا في الحشرات والذرات واللبات وغوفا في السموات والأرضين . هل هذه الآلام ، وهذه القنات التي تمررنا لها نتاج صادقة ، أم هي مصادفات كاثي رأيها في الأمة الثلاث ، هؤلاء يحسون بخطاب نفسي بلا حروف ولا صوت وكأن الله يقول لهم : « أي عبادي هاأنذا أخطبكم وقد تألمتم لفهم عني وبذتم السابقين من بني آدم أرباب الأمته الثلاثه ، انظروا : ألم تعلموا أن اللذات والآلام منقبات للملوم فلو كانت اللذات وحدها والآلام وحدها لم تهم للعالم فائمه ، وهل يمشي الانسان على رجل واحد ؟ أم تملح له يد واحدة أم عين واحدة وأذن واحدة وطاقة أم واحدة ؟ فكل واحد من هذين الزوجين مكمل للآخر ، فهكذا هنا الآلام واللذات زوجان يكملان اليام بتعليمكم ولارشادكم ولكن ليس كل انسان أهلا لفهم عني . كلا . وإنما الذين يقولون هم الذين لمرقوا عن الطوائف الثلاث السابقين ، وهذه الطائفة الرابعة لأحسها مشاق السفر ولا يجوزها امتعال الحجر ولا توسل الحجر ولا بذل (البشر) وان كان شعارها ﴿ لكل مبتدأ خبر ﴾ و ﴿ لكل مأ مستقر ﴾ بل هؤلاء يظنون في منارهم وفي قراهم فيجدون أنواع الحيوان كالحشرات وهي تطوف عليهم صبا حرماء فإذا يرون ؟ يرون مثلا ان هذه الحشرات ونحوها ملهي لإسائنة ومعلون يطوفون على الناس ويقولون أيها الناس : نحن فريقان فريق يؤذيكم كالجراد والزناير ، وفريق يهددكم ويشفيكم ويسعكم كالتحل ، فأكثر بني آدم يتناورون للاموس والجراد نظر الخوف من قصص الأفسس والأموال و يظنون التحل ودود القز نظر الرجاء أن يشتروا العسل وينسجوا الحرير ، وهذه هي المرتبة الدنيا الحيوانية ولكن حكاكم أيها الناس وهم في ذروة المراتب يتجهون للانسك في مباحثهم ، هؤلاء يقولون عجبا عجبا ، نظم التحل كظم الزناير كظام الجراد كظام الأرضة التي سترى رسمها قريبا ، فلكة التحل وملكة الأرضة هاهما ذواتهما مرسومتين أمامكم وحوطهما جنودهما وخدماهما وحشهما . وهذا نظام عجيب . واحدى الملكتين مؤذية والأخرى نافعة لما فإذا لم يقل الانسان النافع ولم يفسد عند أكل العسل في حسن نظامه ودقة صنعه ليدرس الوجود فسي أن يفكر اذا لمعه زموير فيقر في قرصه ويفكر في مدينته ونظامها واذا ذاك يفهم . ومن كل شئ خلقا زوجين لعلكم تذكرون * ففروا الى الله . فهنا زوجان مؤذ ونافع وأحدهما ضد للآخر كالليل والنهار ولولا الليل لم نعرف قيمة النهار ولولا النهار لم نعرف قيمة الليل فبفهم الضدين يدرك الانسان الفرق بينهما وهناك تكون السواح العقلية وادراك الجباب الحكيمية

فإذا شاهد أمثال التحل والنمل والأرضة والجراد وعرف نظامها ألعاهما كلها على قاعدة واحدة وان اختلف فروصها واذن يفهم معنى . له ما في السموات وما في الأرض . لأن هذه الجلة تقتضي الاختصاص بالخاص لأن تقديم الخبر يفيد ذلك ولكن تقدم الخبر يفيد اعادة لفظية . أما هنا فان قارئ هذه النظامات يقول إن القاعدة واحدة لافرق بين ماضرنا وماينفعا . كلها بمالك مؤسسات على نظام واحد . فلكة التحل وملكة النمل وملكة الأرضة كلهم ذوات أروام لآترة وانظماهم إلا كظام أجساما وان كنا الى فهم هذه الحشرات أقرب منا الى فهم أجساما وكان التواين والضال والجود والراضع في جنود ملكات التحل أشه عما فينا من قلب وكبد وطحال ومعدة وامعاء وأعضاء حركة وأعضاء حس الخ كل له عمل بخصه

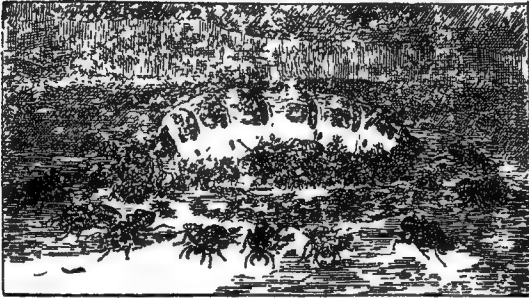
ولما كان هذا المقام يستلزم إعادة رسم أربع صور تهمت في هذا التفسير وهي صورة المجموعة الشمسية وصورة ملكة النحل وصورة ملكة الأرض وصورة جسم الإنسان رأينا أن نرسمها هنا أعمالاً للعائلة (انظر شكل ٢) و (شكل ٣) و (شكل ٤) و (شكل ٥)



(شكل ٢ - رسم المجموعة الشمسية)



(شكل ٣ - ملكة النحل)



(شكل ٤ - الأرضة)

(صورة الأرضة للمالكة وأتباعها . رسمها العلامة الألماني أزيك كهلها . الكتلة البيضاء الضخمة هي الملكة وإلى جانبها الملك ، ومن حولها العمال يقبلوها ويلحسونها فالتأمنون بتغذيتها يتألون عند قفا ويبقى في الطرف الآخر من وكل الهم النقاط البيض . وبين العمال جنود من البوليس صغير الحجم وفي الصف الأول في شكل نصف دائرة الجند الكبير القائم بحراستها ضد هجمات عدومعاجي)



(شكل ٥ - جسم الانسان)

ثم يرفع هؤلاء طرفهم الى السماء بعد أن يعرفوا أن العالم السفل على وتيرة واحدة فإذا يرون ٩ يرون شمسا يحيط بها نبتون وأورانوس وزحل والمشتري والمريخ والأرض والزهرة وعطارد وأكثر هذه حو لها أقمار . كل هذه دوائر حول الشمس فيدهش هذا العريق إذ يرى أن ملكة النحل وملكة النمل وملكة الأرض كلهن سواء في النظام وهن مقسّمات تمام المشابهة للشمس مع سياراتها وأقمارها وهكذا مع (النيازك) التي لا حصر لمتها وبعضها صغير جدا كالبلطة في منازلنا وبعضها أكبر وأكبر وهي التي نراها في الليالي المظلمة تنزل كسهام مضبوطة نسيمها (شهب) جمع شهاب وهكذا ذوات الأذنان كلهن دوائر حول الشمس كما تدور للشهب (الياركة) وكما تدور السيارات . وهناك يرون أن الشهب والسيارات إن هي إلا كأعضاء الجسم الانساني أو كأفراد من ممالك النحل وممالك النمل . لنا نحن في أوامر نلقينا على أعضائنا وأعضاؤنا تمثل تلك الأوامر . والموصل لتلك الأوامر من عقولنا الى أعضائنا هي الأعصاب فهن قائمات مقام البريد البرقي (التلغراف) وسرعة الفكر في العصب ميل في الثانية وبعض العلماء يقول « إن القوة الحاكمة تشعر بالأس على الوجه وتحبب عليه بتحريك اليد في سبع ثانية من الزمان . وتشعر بالسموعات وتحبب عليها في سلس ثانية . وبالمرئيات وتحبب عليها في خمس ثانية » فبالاستحسان طهر أن المسموعات أسرع حركة من المسموعات وهذه أسرع من المرئيات . ولقد حارر الناس فلم يعرفوا كم من الزمن يمر حتى تصدر القوة الحاكمة حكمها . وقد رَف هذا أحد العلماء بالآلات دقيقة جدا فقال « إن حركة الفكر تستغرق في الاحساس والحكم ثم الإجابة خمسا ومسيعين جزءا من (١٠٠٠) جزء من الثانية الواحدة وتستغرق الإرادة في اصدار حكمها (٤٠) جزءا من ذلك ولقد جربوا ذلك في رجل كهل والشاب أسرع في ذلك من الكهول »

لذن في الانسان قوة حاكمة . وأوامر تلقى . وأعضاء تأتمر . وهذه الأعضاء كثيرة جدا كأنها دولة أو كأنها مملكة النحل أو مملكة النمل أو مملكة الجراد أو الأرضة . فهناك تشابه وتماثل بين أعضائنا مع نفوسنا وبين ممالك النحل والنمل والشمس مع سياراتها ونواجم سياراتها . أليس هناك اتصال ما بين الشمس وما

حوطها من السبلات والنيازك وذوات الأذنان كالإتصال المتقدم بين النفس وأعضائها وبين ملكة النحل مثلا وأفراد ملكتها إذ هناك صلة وثيقة بين الملكة والأفراد لاهل لنا بها . ولنا الحق أن تصور الصلة بين الشمس وسيلاتها الخ كالصلة التي بين قوسنا وأعضائها ويكون علم الأفيقنا مقام أعصابنا . ذلك العالم الذي يقرب من العالم الخيالي أولوسى الذى قد ثبت أنه وإن يكن غير ملامى فيه قل لا يحسب بجانبه الحديد ولا النخب شيأ مذكورا فهو آمن من كل مادة ولولا هذا لم يتحمل قوة الجاذبية التي تقوم به بين الكواكب

تبين بهذا أن مافى السموات ومافى الأرض من الممالك على وتيرة واحدة . فاذا رأينا ممالك الحشرات لها نظام سياسي عجيب . ملكة أسرة ورعية مطيعة . واذا رأينا أعضائها هكذا مع قوسنا . واذا رأينا السيارات ومامعها هكذا مع الشمس . فلنفهم إذن الآية هنا فإن اختصاص الملك بالله المفهوم من تقدم الخبر يعرفه العقلاء بالبحث . فانك ترى الخبز يفتن الشعر أولوسى أو النقص أو التصوير أو علم النبات أو صناعة التجارة أو الحداثة . اذا رأى نخوبا منها عرف أن هذه من صنع فلان . فترى من يسمع شعر شاعر أو أثر نادر وهو من علماء أرب اللغة يحكم حالا حكما لاشك فيه أن هذا من شعر العصر الأول أو الخامس وهو من قول فلان كما أخبرني مرة الأستاذ (أولارد برلون) العالم الانجليزي المستشرق للدراس في (كلية كبريدج) إذ قال (لما أرسلت الحكومة الانجليزية ثياب رؤساء العشائر المقتولين أيام حرب السودان كانوا نعمونانين أسيرا أخذت أقرأ خطوطهم ونماذج انشاتهم فوجدت منهم من تزحوا الى السودان في العصر الأموى ومنهم من تزحوا في العصر العباسي . واستطعت على ذلك بمشاهدة الخطوط للخطوط والانشاء للانشاء)

هذا ما قلته وهكذا كل أصحاب صناعة يدركون لأول وهلة متى رأوا أى نموذج في أى عصره ولأى أمة وهكذا ، إن من ينظر الى نظام السجادة وأفرادها والمرأة وأولادها والحكومة وأفراد شعبها وملكة النحل ونظام أفرادها والشمس وما حوطها يهزم بأن الصانع لم يتغير لأن الطراز واحد لم يتغير وأسابيل الصناعة هو بعينه والا فبالبته أى فرق بين هذه الممالك كلها ، فهذا يعرف الحكماء اختصاص مافى السموات والأرض به ، واذا عرفوا ذلك الاختصاص بهذا البرهان العقلي انشرفت قوسهم وفرحوا بالصانع بعد فهم صنعه واشتاقوا اليه وأحبوه إذ لا حب إلا بعد المعرفة كما أن أهل أمريكا وأوروبا منذ يوم (١٦) فبراير سنة ١٩٣٣ الى الآن يفتنون زراعات ووجدان على بلادنا المصرية إذ عرفوا قيمة الحكمة التي كشفت في المصنوعات الأثرية ، فهؤلاء يمارقون الأهل والوطن ويصرفون المال ويتجشمون المشاق غراما بالجمال ولا جبال إلا تبع الحكمة أى النظام المتقن في الصناعة . إذن هذا النوع الانساني متى عرف الجمال والنظام والحكمة سارع ليرى ذلك ويشاهد ذلك الحكيم كما يشاهد أولئك الزائرون تلك الصناعات ويشاهدون من عملت في زمان وهو المملك (توت عنخ أمون) ويكتفون بمشاهدة جثته الهامدة وإن لم يروه هولائه هو وعلماءه وصناعه ليسوا هذه الأجسام بل هم أرواح كانت في هذه الأجسام ، فهؤلاء العلماء اكتفوا بما أمكن لهم وهو مشاهدة الجسم وإن خرجت الروح ، فهذا مثال ضربه الله مثلا لناس في الأرض فهو يقول (يا أهل الشرق ويا أهل الغرب إن نظايي جيل في الأرض وفي السماء ومتى فهمتموه فهمنا يؤدى الى شوقكم الى كما اشتاق علماء الأمم عندكم الى مشاهدة آثاركم والذين عملت في زمانهم فإن ذلك يجعلكم على حبي والشوق الى مشاهدتي ، فللمرقة تبت الشوق والشوق يمت على السعى للمشاهدة ، وهناك لا تتركهون الموت في حينه) وهذا هو معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »

أقول : وليس معنى هذا أن السبيل لحب لقاء الله وعدم كراهة الموت محصور فيما قلناه . كلا بل هذه إحدى السبل التي نحن بصددها وهذا الحب الذي كانت المعرفة بسببه هو المحامل للحامد على حبه فإن متقن الصنعة محبوب والحب يوجب اتقياد الأعضاء للعمل وانطلاق اللسان بالثناء . هذا هو السر في قوله بعد ذلك

- وله الحمد في الآخرة - وإنما خصّ الحمد لله بالآخرة لأن النفس تكون مجرّدة عن الجسم فيكون ادراكها أتمّ لتسقل الحقائق قديداً حياً . أما في الدنيا فهي تحمد الخالق والمخلوق وتشاهد أعمال الناس وتمسحهم . ولما كان ذلك كله راجعاً للحكمة ختم الآية بقوله - وهو الحكيم الخبير - بالحكمة بها النظام وبالنظام والاعتقان كان الحب والحب انطلق اللسان بالحمد . هذا هو تفسير الآية بالعالم المعروفة اليوم فلما اطّلع بعض العلماء على ذلك وهو من قراء هذا التفسير قال لي : لقد أحسنت في شرح نظم هذه السكاكيات العلوية والسفلية وفي ترتيب الحمد على معرفتها ثم في تبيان أن الحكمة هي الأصل الذي بني عليه هذا النظام ولكن العقل لا يكاد يفقه للنسبة بين ملكة النحل مثلاً والمجموعة الشمسية فهي عظيمة المقدار جداً حتى إن الشهب وذوات الأذنب الجليات حولها لا تكاد تحصى . يقول علماء العصر الحاضر أنها كعدد السمك في الماء . ثم إن المجرة التي منها مجموعتنا الشمسية قد علم أن فيها (٢٢٤) ألف ألف نجم وكل نجمة منها شمس كشمسنا ولها مجموعة شمسية أكبر أو أقل من مجموعتنا الشمسية . فهذه كلها تكون مجرة واحدة وشمسنا منها ، وفوق ذلك هذه المجرات لها أخوات كثيرات كلهن مجرات مثلهن شموس تعدّ بمئات الملايين ، وفوق ذلك أيضاً قد كشف الناس اليوم مجرات أخرى تسمى بالسدم جمع سديم ووجدوها أنواعاً فمنها السدم اللولبية ، ومنها السدم الحقيقية ، ومنها السدم المستديرة ، ومنها التي هي غير منتظمة ، وإذا كانت هذه السدم مجرات كمجراتنا المحتوية على شموس تعدّ بمئات الملايين كشمسنا التي لها مجموعة لاحتصر لحددها وإذا كان الذي عرف الآن من السدم اللولبية وحدها بالنظر للمعلم (١٢٠) ألف وأوصلها الأستاذ (بيرن) إلى خمسمائة ألف ، ومن رآه أنه قد يرى منها أكثر من مليون سديم إذا زادت آلات التصوير اتقاناً فإذا كان هذا المقدار في السدم اللولبية وقترنا السدم الأخرى بهذا المقدار كانت مجاميع المجرات اللولبية أربعة ملايين مجرة غير المجرات المعروفة ، وكل مجرة من تلك المجرات لها أبعاد ولا يكاد يصدقها العقل ، مثلاً مجرتنا التي منها شمسنا تمتد إلى نحو مائتي ألف سنة نورية من جهة ومن جهة أخرى أقل من ذلك فكيف يبالى المجرات وكيف عظمت سمها فهل بعد ذلك قلنا هذه بمملكة النحل أو بجسم الانسان

فقلت له : إن ما هالك من هذه العوالم السالوية يرجع كله إلى ما يشبه جسم الانسان . فالمجموعات الشمسية التي تعدّ بالآلاف في كل مجرة من المجرات التي تعدّ بالآلاف أيضاً أشبه بجسم انسان واحد أو بمملكة من ممالك النحل وكل كوكب سيار في كل مجموعة شمسية أشبه بعضو من أعضاء الانسان وسكان الكواكب أشبه بما في جسم الانسان من الحويصلات الحية التي كل حويصلة منها لها حياة مستقلة ومن لطف الله أنه جعل النظام واحداً مقسماً لتسهيل دراسته ومتى درس الانسان جسمه فكأنه درس العوالم كلها وعرف نفسه رمي عرف نفسه عرف ربه فاشتاق إليه . ومن عاش في الدنيا وهو غافل لم يشق الحكيم المبرر للعوالم ومات فانه يسكن في عوالم على مقدار درجته ولا يلاق ربه إلا من أحبه ولن يحبه إلا المبرر لصفته وغيرهم يتسكنون في عوالم لا تؤهل لفقائه لإقلاله على مقدار ما اكتسبوا من الحب . إن الحياة لسهولة فيها إلا بالحب ولاحب إلا بالعلم ولاعلم إلا بالبحث في نظام الأرض وتسموات اللدورات بتدبير الحكيم الخبير . انتهت الجوهرة الأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ جمال هذا الموضوع ﴾

(كتب قبيل فجر يوم الخميس ٢٧ مارس سنة ١٩٣٠)

يا الله : ما أجل ماصنت . وما أبعد ما أقتت . بهرتنا بجلال أعمالك . وسحرت عقولنا في دقائق وضعك . وغشيت على هذا الجلال بحجاب من حوادث الأيام ودخان الآلام والمصائب . ولولا ما نصب به من

فواضع الأيام رحمة منك وفضلا تنفطرت قلوبنا وتحرقت أجسامنا واحترقت بشرق أتورك الجلية . هذه هي الشمس وهذه سيارتها . لقد برزت في الرسم (شكل ٢ المتقدم) صورة تمثل البقعة وأفرانها جامعات حولها محيطات بها . ولكن الفرق أن بنات الشمس منتظمات الأعمال سائرت قوانينا لاختلاف فيها طويلا والأعمار عظيما الأتولر . أما أفرانها البقعة والسحابة والحامة وأنباع الأرض والبقعة والخلة فهن صغرا والأعمار والأقدار لا قانون لأعمالهن نعرفه ولا ماضيا لسيروهن ندرسه والفرقان المحدا في حسن الاقتران وأبدع التركيب والنظام فهذا عطلد الجاثم حول الشمس تجذبه اليها وتعلق عليه حتى لا يتبدد في أطراف هذا الجوف الواسع ولا يتيه في فيضات المجال . هلهوذا يجري حولها جريا حثيثا فلا يفتل نظامه . جريا متواصلا . جذبت اليها جذبا رقيقا بحيث لا يتسحق بها ثلاثية سكانه من شدة حرها ولا يظلم وجهه من شدة بصد ضوئها . إنا كل شيء خلقناه بقدر . بحيث كانت سنته مقدرة بمدة (٨٧٦٩٦٩) يوما . فهذه الأيام وأجزاؤها هي المقتررات لمدة المورة الكاملة حول الشمس منذ خلقت السموات العلى إلى الآن وإلى الأبد . وهذه الزهرة سنتها الكاملة (٢٢٤٧٠١) يوما والأرض سنتها الكاملة (٣٦٥٢٥٦) يوما والمريخ (٦٨٦٩٨٠) والمشتري (٤٣٣٢٥٨٥) وزحل (١٠٧٥٩) وأورانوس (٣٠٦٨٦٢١) ونبتون (٦٠١٢٦٧٢٠)

هذه هي المدن التي تسير فيها هذه السيارات حول الشمس وهي لها جاذبة ، انتهى لطبيعات صادقت في مواضعهن ، وأن انتهى الشمس لهما طرق المقرط وراحتها تجذبهن جذبا ليقا ثلاثين فرسخا ويتبددن في باحات الفراغ الواسع كما تفعل البقعة والخلة بأبنائهما . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . والله أن رأيتك يا الله بهذه التفاوت وحسبك لاحد لها . فهذا حساب سيرا السيارات لو اختلف ثانية واحدة لأضر ضررا بليغا فهذه الأرض الجارية حول الشمس لو أنها اختلفت نظام سيرها وقد علق عليه جرى قناراتا برا وسفنا بحرا لأورث ذلك خلا في أعمالنا جري القطر في غير حرجه ، وفشت المنياء بحرا في غير وقتها ففطعت السفن بحرا وهشمت وطاحت العربات والركب برا . تبارك الله رب العالمين .

ويبين بحكم يلحجم يلديع دقة صنعك ، وبهجة الجبال ، ومجائب الاقنان ، وبدائع التصوير في الخلة والأرضة المرسومين هنا وفي جسم الانسان ، فهلهوذا التخليع الشوكي هو ومنبهه الرئيس وهو المخلع في المماغ قد جعلهما أما لهذا الجسم المحي . بحيث تكون الأعضاء المنفصلة حولها العدالات بما يصل لها من أواخرها جامعات حولها جثوم الأرضات والنحلات والفلات والسيارات حول ملكات الأرضات والنحلات والفلات والشمس ، انما مثل السيارات مع شمسها كمثل الأعضاء مع الجسم في الحيوان والانسان ومثل النحل والفحل ونحوها مع ملكاتها ، ألا وإن عنايتك بالضعفاء يا الله لقوية متينة إذ كيف تخلق الخلة في العين الواحدة من عينيها المركبتين الموضعتين في مقدم الرأس (٢٠٠) عين كما تقدم في (رسالة عين الخلة) في سورة النحل ، وتخلق للنبابة الواحدة (٤٠٠) عين بسيطة في عينيها المركبتين

إن حكمتك ورحمتك لانهاية لهما فيكون حينها لك لانهاية له ، ولكن رحمتك الواسعة واتقانك البديع وحسبك لخلقك قد جمعت الوجود كله ومنها نوع الانسان ، فسترت عن عقله هذا الجبال بأنواع النصاب والحوادث والأمراض والموت والحياة والفقر والغنى والعز والذل ففسى على عقله فلم يدرك فأخذ يتلسم من اللعين ومن الكتب كما تفعل الآن في هذا التفسير ، ولو أن هذه الرحمت ظهرت للناس فوعيتها عقولهم لتزقت الأحشاء من ادراك ذلك الجبال فتطعت القلوب ، ولكن الرحمة علته والحكمة شاملة بالبرة وأكثر الناس لا يعلمون ، ومن العراية يمكن ما نراه من الاقتران في جماعات الحيوان المجتمعات الاثني تكون أمة واحدة وجماعات الكواكب القلواني تكون في مجموعة واحدة ، فان النحل اذا اجتمعن في بيت واحد وحلت الملكة من ذكر من غير ملكتها ألقينا النحل القى في ملكتها قام قومة واحدة واقتض على ذكران

تلك الملكة فأهلكها لأنها لا عمل لها ، فلا هي تجمع العسل ولا هي تفيد في أن تكون سببا في حل الملكة
هكذا نرى جوع الأرض الآتي الكلام عليها في هذه السورة والمتقنم بضعة في سورة النحل أيضا فان الملكة
لها جنود يحمونها ، وهؤلاء الجنود لهم عدد مخصوص ، فاذا زاد القندل رأينا الجماعات الاثني قد تم لجميع
الملكة الطعام فتمتع عن تقديم الطعام لما زاد من العدد المتحد حتى يموت . هذا في عالم الأرض . أما في
عالم السماء فاننا نرى نفس الاقنان في تقابل الأرض والنمس والقمر . ذلك اننا نرى القمر الذي يدور ٢٧
يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١ ثانية ونصف ثانية وذلك في دورته النجمية أي التي تمضي بين رجوعه بين
متابئين للقمر إلى نجمته واحدة بحيث اننا اذا لاحظناه يوما وقت الغروب في دقيقة معينة موجودا بجانب نجمته
خاصة من النجوم الثوابت فاننا بعد مضي (٢٧) يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١ ثانية ونصف ثانية نراه
موجودا في ذلك المكان عينه بجانب تلك النجمة . فهذا القمر المنتظم السير البديع الصنع والنظام اذا قابل
الأرض والشمس فيما يظهر للرأى في قطعه واحدة فانه يحصل هناك خسوف تارة وكسوف تارة أخرى فان كان
القمر بين الأرض والشمس حصل كسوف وان كانت الأرض بين القمر والشمس حصل خسوف ، وللمهم في
هذا المقام أن نقول ان الخسوف والكسوف في مدة (١٨) سنة و (١١) يوما يكون مجموع مرات الكسوف
(٤١) ومجموع مرات الخسوف (٢٩) والمجموع (٧٠) ما بين كسوف وخسوف ، وهذه المدة لن تتغير ولم
تتغير ، فهذا هو الابداع في الحساب ، فحساب الحشرات على وجه الأرض لن يطلع حسب الكواكب في
السماء ، فلم تطل يا الله أعمال النحل أي انك لا تمنع إلهامك لها أن تحل الذكر لأننا لا نعمل لها منى
حلت الملكة ولا أعمال الأرض فلم تمنع إلهامك لحاملات الطعام منها أن تقتل ما زاد من الجنود بحرمان
الزائدات طعامهن ، فإلهامك للطائفتين وتغيرهما مستمر منظم كنظام الخسوف والكسوف في العوالم العلوية
بحيث لا تختل أوقات الخسوف بوقوع الأرض بين القمر والشمس ، ولا أوقات الكسوف بوقوع القمر بين
الأرض والشمس بل النظام هناك لا يختل ، والنظام في أصغر الحيوان لا يزول ، فانت تحسب السورات الفلكية
بالتانية ونصف الثانية ولا تتغير ، وهكذا تفعل في الحشرات فتحسب لها حسابها وتلهمها

هذا هو الذي نفهم به معنى قولك - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة
وهو الحكيم الخبير - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما يدخل من السماء وما يخرج فيها وهو الرحيم الغفور -
فهذه هي الحكمة ، وهذا هو العلم ، وهذه هي الرحمة ، وهذا هو الغفران ، فأنت حكمة بعد هذه الحكمة
في الاقنان والخبرة في الحساب ؟ وأي رحمة ورأفة بهذه المخلوقات أعظم من هذه ! ثم اذا كان هذا الانسان
يعيش في الأرض وأكثره جاهل هذا النظام البديع وهو غافل عنه بل أكثره كافرا أي غير شاكر لأن الشكر
مبدؤه العلم بالنظام وأكثر الناس لا يعلمون هذا النظام البديع فلولا تجاوزه عن عبادته التي هي مقتضى جبلته
الأرضية الطينية لهام من الأرض ودمه الوجود فيها غباوته ولكنه غفور ستر ذلك الذنب الطيبى وعفا عنه
وأحيا الانسان في الأرض لأنه يعلم أن له مستقبلا في عوالم أخرى وهناك يفهم هذا الجلال من استمد له

{ تذكرة }

إن هذا الابداع نراه لا يزول وهو محيط بنا ونجد أنفسنا في هذه الأرض مغمورين في أنواع الحروب النولية
والمطامع الشخصية والأحقاد القلبية والأمراض الجسمية فتكون مبدئين عن السعادة في الدنيا ، ولكن متى
لنا الجلال من خلال تلك السحب القائمة نسبنا مصابنا وأدركنا جلا في ضوء الشمس ونور القمر وبهجة
النجوم وهناك نفس مصائبنا الوقية وقرح بهذا النعم وهو العلم والحكمة والاقنان الذي نراه دائما لا يتغير
ونرى قلوبنا به فرحة ، هنالك نسمع في نفس الحياة للدنيا ونرى أنفسنا أشبه بالراحتين الذين لم يبلغوا السن
وقد فرحوا بأنهم قريبا سيبلغون السن القانونية والرشد وتسلم لهم أموالهم . هذا ما خطر لي في تفسير هذه الآية

والحمد لله رب العالمين . تم الكلام على الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية لم تكن في أول هذه السورة وفي أول سورة الحديد إلا لحكمة ، فهذا كلام الله وهو موزون كالوزن كل نبات وكل حيوان وكل كوكب ، يقول الله - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها - وقد علم سبحانه مايلج في الأرض من الآثار التي تركها الأولون كما ستعرف شرحه في ﴿ قصة سبأ ﴾ وترى ماذهله دلاء أوروبا في بلاد اليمن وانهم استخرجوا منها مورا وعرفوا بها علما ، فهذا بعض ماويلج في الأرض قد بما وماخرج منها حديثا ، وهكذا يقول تعالى - يعلمون له مايشاء من محاريب وتمائيل - والتمايل قد تكون من العادن ، فهذه مما يخرج من الأرض ، وهكذا في ﴿ سورة الحديد ﴾ ذكر الله الحديد وابشأ السورة بما يفيد هذا المعنى ، اذا عرفت هذا السر العجيب فاسمع الآن لما في هذه الدنيا من العجائب المناسبة لهذه الآية

﴿ تفصيل الكلام على الأرض ﴾

لأجعل الكلام في « مقامين * المقام الأول » وصف نفس الأرض « المقام الثاني » مايقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والنفث وما أشبه ذلك

﴿ المقام الأول - وصف الأرض ﴾

لقد جاء الحديد في أول الفاتحة والأنعام والكهف وهذه السورة ، أوليس من العجب أن يكون مقرونا بالترية للطين تارة وبذكر الأنوار والظلمات تارة أخرى وبزول القرآن آتية وبظهور نتائج الأرض والسدوات في حال أخرى

فقال صاحبي : هنا كلام غامض ؛ فقلت اعلم أن الحديد متى ذكر في أول سور القرآن نجد ذكر العوالم بعده فالحمد لله رب العالمين في الفاتحة ، ابتدئ بذكر الله في البسملة واه موصوف بالرحمة وأن الرحمة تستوجب الثناء بالجليل واه صرب للعالم كله ، فهنا ذكر مبدأ الوجود وصفته وزيته وكل ما ربه ، وفي الأنعام ذكر الثلاثة الأولى وأبان كيفية الترية بجعل الظلمات والنور ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ دوران الأفلاك ، فصوران الأفلاك سبب في الترية المذكورة في أول الفاتحة ، فهنا إيضاح لترية ، وفي الكهف نجد الحديد على العلم الذي رمن له بالقرآن . إذن هنا نور ظاهر لترية الأجسام ونور باطن لترية العقول ، الأول في الأنعام والثاني في الكهف فم يبق إلا نتائج تلك الترية الجسمية والعقلية للعوالم ، وهذا هو قوله - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها وما ينزل من السماء وما يخرج فيا وهو الرحم الفقور - ولذلك أن مايلج في الأرض ومايخرج منها لاحتص بالأجسام ولا بالعقول بل هو علم . فنور لكواكب ونور العلم يصلان للأجسام كما في سورة الأنعام والعقول كما في سورة الكهف . ومن الأرض يخرج الزرع ونحوه وهو جسمي وترفع الأعمال وهي عقلية . وملخص هذا كله أن هذه السور الأربعة جاء الحديد فيها مرتبا ترتيبا جعلنا نفتقدها يفتح لنا بابا لمراسة توارخ العلوم فاذا رأينا الله أول ما يبدأ بذكر لنا أوائل الموجودات ثم توابعها وهو مرتب لها . فنقل هذا هو أثر طرز في نظام التعلم وهو أن العلم الذي يدرس كلفته والنحو والاصول والتفسير ولا يدرس الناس تلخيصه اجالا ولا يعرفون سلسلة التأليف في ذلك العلم يكون طلابه فاقدي القرائح كسدي الافهم . ألا ترى أن الفلسفة اليونانية المنتشرة في بلاد الاسلام قديما قد أحدثت آراء وشبرا وبدعا وكل ذلك للجهل بتاريخها فلقد ذكرت لك فيما مضى أن الأوروبيين لما ترجوا فلسفة اليونان رأوا طباوس يحكم وسقراط يحزم بأن العالم حادث كما هو الرأى الحديث في أوروبا مع ان من قرأ الفلسفة القديمة للمتولة عن اليونان لا يجد فيها غير القدم مذهبها وهنا من الجهل بتاريخ الفلسفة ومن عدم الاطلاع على جميع آراء الفلاسفة هناك . وقد قام كتاب ﴿ كشف الظنون ﴾ للكاتب القدير (ملاجلي) بما ينفع في هذا الصدد

إذا صبح هذا أملا يجب على أن أقدم للاذكياء صورة الأرض وما قاله العلماء فيها حتى لاتكون آراؤهم جامدة جود من قرؤا العالم ولم يدوسوا تاريخها

لقد أطلعتني أحد الفضلاء على موضوع بديع في وصف الأرض والأقوال التي قيلت في هيئتها منذ القدم أدرج في «مجلة الجديد» فأحييت أن أذكره هنا ليكون ذلك تاريخا لمعرفة هيئة الأرض ولتقف على ما يقوله الناس فيها ، فلعلنا نخطئ على خواطر فكنت أقول : ياليت شرى . ما فائدة باطن الأرض إذا لم تكن فيه نفوس حية ؟ فوجدت هذه الطوائف والخواطر والظنون هجست تقوم في أمريكا كاستراء وهذا هو الموضوع

(في زوايا التاريخ)

(ليست الأرض كروية)

كان أول تصور للانسان في شكل الأرض انها بساط عظيم هائل لانهاية لعمقه ، يعتمد عليه قبوالسمااء كالسقف المرفوع ، ولما تقدم في الملاحه وقطع البحار الواسعة أخذ بتصويران الأرض ساجحة في أوقيانوس من الماء لانهاية له كافي (شكل ٦) وكان ذلك خطوة لتصويران الأرض محوطة بدائرة وترتكز على جنور طويلة مثل الشجرة كافي (شكل ٧)



(شكل ٧)



(شكل ٦)

وساد كذلك اعتقاد قديم بأن الأرض بساط مستدير يقوم على اثنتي عشر عمودا كافي (شكل ٨) ولكن على أي شيء تقوم هذه العمود ؟ فيجب قساوسة أوروبا في القرون الوسطى بأنها تقوم على الضحايا البرية من أهل الفضيلة والتقوى الذين لولا وجودهم هنالك لمكت الأرض وذهبت هباء في الفضاء ، وقد كان (أناكسبندر) الاغريق في القرن السادس قبل الميلاد يرى أن الأرض كالاسطوانة كافي (شكل ٩) وأن قطرها يساوي ثلاثة أمثال ارتفاعها ، وانها ساجحة في مركز القبوالساوى . وانه لم يكن منها إلا وجهها الأعلى . وتوجد أوروبا في النصف الشمالي وليبيا وأفريقيا وآسيا في النصف الجنوبي



(شكل ٩)

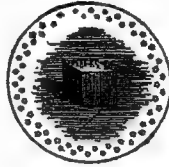


(شكل ٨)

ثم جاء من بعده بقليل الفيلسوف أفلاطون وقال « أن الأرض مكعبة » (انظر شكل ١٠) لأنه كان يعتقد أن المكعب أكل الأشكال الهندسية فيجب أن يكون موطناً لأفضل الكائنات وهو الإنسان . وأنه قبل أن يقول علماء الغرب بكروية الأرض سبقهم الى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق حيث تخيلوا أن الأرض كروية وتنتهى شمالاً وجنوباً بجبال عظيمة الارتفاع كما في (شكل ١١) ونرى كذلك في هذا الشكل إدراكهم لعمود عظيم تعتمد عليه الأرض وهو الذى تطور فيما بعد الى ما يسمى الآن (المحور)



(شكل ١١)

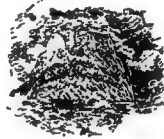


(شكل ١٠)

وذهبوا الى أن جبال النصف الشمالى تخرج من أوقيانوس عظيم وترتفع حتى تبلغ مقرّ الآلهة في السماء بينما تتدلى جبال النصف الجنوبى حتى تبلغ اعظم ومقرّ الشياطين . ويجد مثل هذه النظرية في علم الفلك في الهند مع اختلاف في المسيمات حيث يذكر أن جبل العالم يرتفع في القطب الشمالى للأرض ليصل ما بيننا وبين السماء وهو مثل محور تدور حوله الأجرام السماوية (انظر شكل ١٢) . ووجدت أيضاً نظرية في بلاد (الهند والكلدان) تقول : « إن الأرض مثل محبرة كبيرة مستديرة (انظر شكل ١٣) تقوم على أربعة أفيال ، ويرمزون لذلك بالعمائر الأربعة أو الراليع . وتقوم اثقيلة على ظهر سلحفاة كبيرة . ويرمزون بها للقوة والبقاء والصبر والجلد والخلود



(شكل ١٣)



(شكل ١٢)

وانتقل الى الغرب منذ (١٥٠٠) سنة نظرية تقول : « إن الأرض بيضاوية وإنها ساجدة في الأثير » (انظر شكل ١٤) وقال الادريسي وهو أحد الجغرافيين من العرب في القرن الحادى عشر ليلاد () أن نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور في الماء . وذلك ليحل مشكلة النصف المجهول ، وكان (بطليموس) في القرن الثانى لليلاد وهو من أشهر الملكتيين يرى أن الأرض مثل كرة مقطوعة من جانبها كعبة القنطرة (انظر شكل ١٥ في الصفحة التالية)



(شكل ١٥)

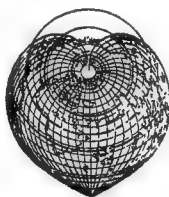


(شكل ١٤)

وجاء (أينانوس) في سنة (١٥٢٠) ميلادية فقال « انها تشبه القلب » (انظر شكل ١٦) وصادفت نظريته ميلا في قلوب قساوسة الدين في أوروبا فأيدوه قائلين « انها قلب الله » وأن هذه الكرة القلبية تشبه أرض المكنشف العظيم (كولبوس) حيث تصورها مثل الكمثرى ، فالنصف الكروي هو الشرقي والنصف المستطيل هو الغربي ، والتمتد القنى أوجده فيه هو (العالم الجديد) الذى اكتشفه ، وأما (دانت) فقد تصورها قبل ذلك بقرن في مثل هذا الشكل جاعلا هذا التمتد لجمه القنى صوره فكانت جبال المطهر تحت خط الاستواء بثلاثين درجة (انظر شكل ١٧) بينما جعل (أورشليم) أو (ريون) في الجهة المقابلة ليحفظ التوازن



(شكل ١٧)



(شكل ١٦)

وظهر في سنة ١٨١٩ في (سنت لوريز) بالولايات المتحدة القبطان (جون كيلفيسيمس) بنظرية عجيبه تعرف باسمه أو بنظرية الكرات المتداخلة وهي أن الأرض أوى كوكب يتكوّن من عدة من الكرات المتلاصقة والمشتركة في مركز واحد (كما في شكل ١٨) و (شكل ١٩) وبين كل كرة والتي تليها فاصل ملء بالهواء ، وعند القطبين فتحة كبيرة في جميع هذه الكرات . ويرى أن الأرض تتحرك من خمس طبقات أو ذرات متداخلة وأن فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطرها إلى أربعمائة ألف ميل وقطر الجنوبية ستة آلاف ميل . وأن سطح كل كرة أو طبقة مسكونان فتوجد سكان في الأرض على السطوح المحدودة والسطوح المقعرة . وطلب الى المجلس النيابى بالولايات المتحدة أن يجهزه بسفيتين ليسافر الى أحد القطبين ويدخل من الفتحة الموجودة هناك ليدخل الى سكان السطح المقعرات الذى يعيش فوقه



(شكل ١٩)

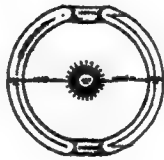


(شكل ١٨)

وطبع للمارشال (جاردن) في سنة ١٩١٣ م في الولايات المتحدة كتابا عنوانه (سياحة الى داخل الأرض) ذهب فيه الى أن الأرض مجوفة ويبلغ سمك طبقتها التي نعيش عليها ثمانمائة ميل وانها مفتوحة عند القطبين . ويوجد في داخلها شمس (انظر شكل ٢٠) ويبلغ قطر كل قطعة قطبية ألفا وأربعمائة ميل وقال (موريه) في كتابه (علم الفلك اليوم) ان الأرض على شكل هرم (انظر شكل ٢١) وهو يرى أن نظريته تبين اختلاف انصاف أقطارها ونحس كثيرا من النقط المضطربة في هذا الصدد التي لا يمكن أن تفسرها أية نظرية أخرى



(شكل ٢١)



(شكل ٢٠)

وهذه النظرية التي نشرها (توفيل موريه) العالم الطبيعي الفرنسي إن هي إلا شرح وتأييد لنظرية (لوثيران جرين) العالم الانكليزي التي كانت مثارا لجدال كبير في سنة ١٨٧٥ م وهو يذهب الى أن الأرض هرمية الشكل وأن البحار تشعل بطون في سطوحه الأربعة بينا أركان هذا الهرم عبارة عن القارات الخمس وقد بحث (موريه) هذه النظرية الهرمية للوجود بعد رفضها في ذلك العهد ليعملها العلماء من جديد في نورما استكشف من العلم الحديث . والجدال قائم الآن في كل مكان على قدم وساق . ويقال انها أحسن نظرية في بيان حقيقة شكل الأرض . وأن مالا شك فيه أن نظريات كروية الأرض لا يؤيدها أحد اليوم من علماء الجيولوجيا والفلك . انتهى المقام الأول في وصف الأرض

(للمقام الثاني)

(فيما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والوقوع الخ)

اعلم أن علماء الاقتصاد استقصوا مباحث المعادن والوقوع وترتبة الأرض ، فلاذ كر خلاصة ما يقولون في هذا المقام إقناعا للعلمين وتعليلًا للجاهلين

اللهم إنا نحمدك حمدا يوافي نعمك ، أنت الذي علمت وألهمت ، وأنت الذي جعلت الأمم كلها يخدم بعضها بعضا وكل يساعد كلا وان كانوا لا يتصلون ، فهنا نحن أولاء نتنتج بعم الأمم ، فالعالم كله مرتبط ببعضه

بعض بطرق الجاذبية التي بين الكواكب والسيارات ، وهكذا الناس مرتبطون بالمخاض والعلوم شأواً أم أبوا - ثم استوى الى السماء وهي دنان فقال لها وللارض اقبيا طوعا أو كرها - ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها -

﴿ التربة ﴾

إن التربة قد تكون سوداوية التي جلبها (الفرين) أي ما يسمى في مصر بالطمي وقد تكون نباتية وقد تكون بركانية كأراضي الملتا . فالسوداء هي التي تجلبها الأنهار كنهر النيل بمصر وهذه لا تحتاج الى سقي كثير والرميلة تحتاج الى سقي كثير ويزرع في الأولى أمثال الارز والقصب وفي الثانية الشعير والقول السوداني والبطيخ . ومن أحسن الأراضي السوداء الهندية في مقاطعة بنجاب فقد زرعت آلاف السنين بغير سداد . وأما التربة الثانية فهي التي امتزجت تربتها بما تحلل من النباتات قديما فصار ذلك غذاء للزراع التي تزرع فيها . فالوا ومن أحسن أنواع التربة المحسنة في العالم التربة البركانية وتقع عادة في جوار البراكين الحية أو النائمة وتتكون من بعض المسهورات أو الرماد التي ينفث من جوف البركان فتحملة الريح وتشره على مسافات واسعة حول البركان فيكسبها الخصوبة الكثيرة . ومن أمثلة ذلك الأراضي البركانية القديمة الواسعة في مقاطعات (الولايات المتحدة) و (سنجوتون) و (لريغون) انتهى أقول : فإذا كان أحسن أنواع التربة هي التربة البركانية . فهنا ظهر بعض معنى قول الله تعالى هنا - وما يخرج منها - فهو التي قتر الزلازل والبراكين ليستخرج لأهل الأرض تربة أصلح وأنفع من التربة التي يعيشون بها . إذن المناسبات التي يأتي بها البركان والزلازل أقل جدا من المناسبات هذا من معنى قوله - يعلم ما يلج - الخ وقد آن أن آيين لك الكلام على الهزات الخفيفة والزلازل العنيفة من كتاب (الجغرافيا الرشيدة) محمد جدي بك فقد جاء فيه ما يأتي

﴿ الهزات الخفيفة والزلازل العنيفة ﴾

الاهتزازات في القشرة الأرضية كثيرة حتى يكاد يقع منها نحو ٣٠٠٠٠ هزة في السنة ، ولكن هذه الاهتزازات النافهة لا يلتفت اليها ، ولا يكاد يدونها الجيومغراف التي يقضي الشهور الطويلة أيضا الصحيفة لا يجيد فيها عن الخط المستقيم ، ثم تأتي المفاجأة الهائلة فيهب القل ويترفع على الورقة ارتجاف الطائر الحائر حتى ينقضي المقدور وينتهي المسطور . ويظهر أنه على قدر مدة السكون تكون شدة الزلزال للقبل ، إذ أن أشد الزلازل خطورة كانت عقب أطول الفترات سكونا .

﴿ التغيرات المترتبة على الزلازل ﴾

إن حركات القشرة الأرضية المداومة المستمرة أبعد مدى في تغيير معالم وجه الأرض من التغيرات الفجائية التي تحدثها الزلازل ، وأهم ما ينشأ عن الزلازل ارتفاع أراض كانت واطئة فجأة ، وانخفاض أراض أخرى ، وتغيير مجرى المياه تبعاً لذلك ، وتطعيم القشرة الأرضية وتزيقها بالتشققات والتقوق الطويلة المرمية في أقرب وقت غير إن الزلازل وإن كانت مفاجئاتها وأحوالها تلفت النظر اليها وإلى آثارها هي من الحوادث الصغيرة في تاريخ القشرة الأرضية ، وليست شياً بجانب بفيان الجبال وتغيير صورة وجه الأرض بهدوء واستمرار . وسرعان ما تنسلط عوامل التعرية على ما خلفه الزلازل من الآثار فتتمحوها وتبهرها كأن لم تكن .

﴿ نشأة البركان ﴾

قد علمت أن جوف الأرض مكون من مواد شديدة الحرارة جدا درجة يبوسها عنقوفة يضغط القشرة الأرضية عليها . وفي أثناء تقلص الأرض والتواء قشرتها يحدث أحيانا أن يخف الضغط فجأة على تلك المواد

فتفسر لوقتها وتحول ، وبهيء وجودفق أوشق بعيد العور فرصة لخروج المواد المنصهرة الجاثمة فيشأ عن ذلك البركان . وهو جل مخروطى الشكل ، فى قلبه قبة مجوفة ، على رأسها فوهة وعائية الشكل تخرج منها الإخزرة والصخور والمنصهرات . ويشيد البركان من الانقاض التى تخرج من فوهته سواء أسالت على جوانبه أم تساقطت من الجبو بعد الارتقاع مخروطا بركانيا

(العلم البركانية)

تسمى الصخور المنصهرة التى تخرج من فوهة البركان حمما : وقد تبرد أحيانا فتكون سددا يسد القبة فتخرج الحمم من الشقوق الباقية الى أحد جوانب البركان وتعمل لها فوهة صغيرة يشيد حولها مخروط صغير على جانب المخروط البركانى . وتسيل الحمم على جانب البركان فى كل ناحية فتشيد فيه وتزيد فى بنيانه . وعند ما تبرد الحمم تشقق كاشقق الأرض الشرائق فتكون منها أشكال منتظمة كما ترى فى أحمدة المنازل . ويحدث أن يتحات المخروط البركانى فاركبا سددا للقبة وحشا القوهة فتبقى صخرة منزلة

(الثوران البركانى)

يخرج من فوهة البركان سحب من بخار الماء المتولد من المياه التى تسرب الى جوف الأرض وتختلط بالصخور المنصهرة ، فيطرد البخار الصخور المتحلقة فى قصة البركان بعد أن يزفها كل بخرق ، ثم تخرج سحائب من القرب البركانى التى يجعل الجو مظلما ويشتت فى الآفاق الى مسافات هائلة ، وتخرج من بعده الحمم والمواد المنصهرة ، فتسيل على الجوانب . وتلك تجد المخروط البركانى مشيدا من طبقات من الحمم ، وأخرى من الرماد البركانى التى تنزل به الأمطار الموحلة على البركان ، وكلما تكررت ثوران البركان تكثر تكتوئين الطبقات وتشيد الجبل . ومن أعظم الثورات البركانية ثوران بركان كركتوا فى سنة ١٨٨٣ . وجريرة كركتوا هذفى أرخيل الملايين سومطرى وجرى ، تكرر فيها حدوث الزلزال ، وفى صباح ٢٧ أغسطس سنة ١٨٨٣ بدأ الثوران البركانى العظيم : فسمعت أصوات هرقرة العارات فى جنوب استراليا ، وخسف ثلثا الجزيرة لخل محل الجبال العالية بحر حمقه القى قدم ، وهاجت الامواج الهائلة فلفت على سواحل الجزائر القريبة ، وذلك الذى كان يرتفع الى ما لى ٢٠ ميلا من القوهة . وقد أفسر هذا القرب فى أجواء العالم فجعل للشقق منظرا شديدا الاحرار حتى غرب أوروبا . وقد علمت أن فى قمر المحيطات طيبة حراء مشتقة على بقايا الحيوانات البحرية ، فهذه الطيبة مكنوة فى الغالب من الرماد البركانى . انتهى ما أردته وهذا القلم من كتاب الجغرافيا الرشيدة فاطر وتعب : إن علم الله بما فى السموات والأرض لا يحتاج الى بيان فكل متدين يعلم ذلك ولكن الله كره فى القرآن كثيرا فى كل مناسبة وهو اذا علم كل شئ فهو يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها الخ ولكن لما قرأنا علوم أهل زمانا وجدنا أن ذلك التخصيص بالنس لحكم طهر بعضها وسيظهر ما فيها . علم الله أن المسلمين سيقروا القرآن ويؤمنون عن العمل ويتروكون الأرض ليعبرهم فقال لهم : أيها المسلمون : أنا أعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج من الأرض ولولا نفعه لكم ما أخرجه منها . هذه التراكم مهلكة ولكنها نعمة لأن وجه الأرض كلما خضعت لزيادته فيه علم تأت بالعرض للطلوب . سلطت عوامل سرية على تربة قوية فأظهرت للمكنون فى باطن الأرض مظهر على وجهها بالبركان ثم أصرت الرياح فجرت به وعرشته وفوقته على الجهات المجاورة . إذن هذا الخروج يعلم وحكمة وتقدير . هكذا القمم والبغول والحديد ونحوها

(القمم)

حزن الله القمم فى الأرض أجيالا وأجيالا . وما القمم إلا مواد باقية احتجبت فى طلفات الأرض عن الهواء دهورا طويلة غرت عليها سلسلة من التعبرات الكيميائية أدت الى فقد مقدار عظيم من الايتروجين

والاكسوجين وبقاء مقدار من الكربون . والكربون يكون في الخشب المعتاد بمقدار نصف ما يكون في الفحم العادى ، ولقد يكون منه في الفحم بنسبة (٨٥) أو (٨٨) في المائة
هذا كلام علماء الاقتصاد ، ومعنى هذه العبارة أن الخشب يحتوى على ماء (الاكسوجين والامروجين) المتقدم ذكره ويحتوى على مادة خفية وهى الكربون ، بقاء المواد النباتية مئات القرون تحت الأرض ينهب منها أكثر الماء ويخوصف المادة الكربونية (الفحم الخالص) والبقى من ذلك كثير فى الفحم ، وقالوا من أنواع الفحم

(١) انتراسيت وهو لماع صلب الاشغال لا تنسخ منه اليد ، لجه قليل أو عديم اللمع ، شديد الحرارة عند الاشتعال

(٢) الفحم البخارى وهو قليل الدخان كثير الحرارة يحفظ للأساطيل

(٣) فحم الغاز

(٤) فحم الكوك ، نافع فى المعامل والسكك الحديدية والبواخر وفى التناير لاستخلاص المعادن وصهرها ومعامل الغاز

(٥) الفحم على وجه العموم هو المادة الأولية لمئات من الصناعات مثل الكوك المتقدم ، ومنه القار الفعوى ، ومنه زيت القار وهو وقود جيد ، ويعمل من الأول مستخرجات تستعمل فى الصباغة وعمل الفتالين والتطهير ، ومنه التورول وغاز الشادر ، وتصنع منه الأسمدة ، ويستخرج من الفحم أيضا بعض الكيماويات الداخلة فى صناعة الطيب مثل (السكرين) وهى العطريات والمفرقات وهلم جرا

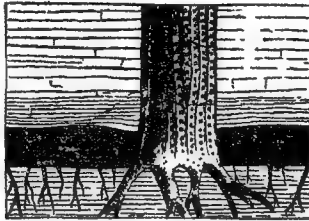
فاجب أيها الذكى لفحم أسود اللون منبوذ يكون وقودا وسادا وعطرا وأداة حربية تهدم الحصون وتخرب البلدان وصباغة للثياب وتطهيرا ودواء ، هلن دأوى المريض فقد نما به الروع وإن صيغ الثوب فقد أهلك المدن - إن الله لطيف خبير -

هناك أربع صور للفحم (انظر شكل ٢٢ فى هذه الصحيفة) و (شكل ٢٣ فى الصفحة التالية) و (شكل ٢٤ فى صحيفة ١٣٧) و (شكل ٢٥ فى صحيفة ١٣٨)



(شكل ٢٢ - منظر رسم هندسى للفحم منظور من معدنه أثناء العمل)

(ج)
(ب)
(أ)



(شكل ٣٣ - رسم هندسي بديع)

(أ) هذا هو الجزء الذي تحت الطين مع الجذور الممتدة فيه

(ب) فرش الفحم وهو أسفل طبقة

(ج) سقف الفحم مختلطا بالرمل وينوع من لوح

هذا هو الفحم الذي خزته الله في الأرض وأبقاه مئات الآلاف من السنين ثم أبرزه اليوم للناس بعد ما انفضحه وجعله مدارق الأُم في الزراعة والصناعة والعلم والحكمة ، ألا ترى أن العقول تزداد بصيرة بمزاولة هذه الجباب ، أبرزه للناس فرفوه بعقولهم واستخرجوه من الأرض ، ولما علم أن المسلمين سينا مون طويلا كما نام الذين من قبلهم من الأمم قال سبحانه - يعلم ما يلج في الأرض - (كالأشجار والنباتات في قديم الزمان) - وما يخرج منها - (فهي قد استخرجت اليوم واتقع بها الناس) لا المسلمين فهو يقول إنها بعلمى دفنت في الأرض بالزلازل والحوادث الكثيرة وبعلمى تستخرج الآن ، فعلمى متعلق بها في الحالين وهي التي خزنت فيها ضوء الشمس الذي أشرق عليها أيام نوحها ثم أما الآن أظهره لكم لتجنوا نوحه وتعرفوا خبره ومثل الفحم البترول

(زيت البترول)

(أنواعه ومستخرجاته ومنافعه - أشهر جهات العالم به - القوقاز - الولايات المتحدة . وغيرها)

(مصر وزيت البترول فيها)

سبحانك يا الله : أمهشنا صنعك . و بهرنا وضعك . جعلت في الأرض ماء . سلكته ينابيع فيها . ومنها الينابيع الحارة التي رست في (سورة الكهف) في أولها عند قوله تعالى - إما جعلنا ما على الأرض زينة لها - هناك من زينة الأرض قد رسم نوعان من العيون الحارة المرتفع ماؤها عن الأرض . نوع ينهم وسط التلج . ونوع ينهم وسط الجارة الصفراء . وهكذا نراك جعلت في الأرض أيضا المعادن والفحم المتقدم ذكره . وهكذا نراك أجريت منها سائلا متدفق به في أحمالها . علم يقتصر عملك على الفحم الذي هو جامد بل خلقت لها جسما سائلا وخرته في الأرض . أليس هذا من الحب اتخلق لزيت في الزيتون وفي السمسم وفي زرة القطن وفي غيرها وتجعله نافعا لها . هذنا لما رنا وهكذا شحم الحيوان . كل ذلك فوق الأرض مشاكلة لما أبدعته من الأنوار التي أرسلتها من عليه سمواتك



(شكل ٢٤ - رسم الأعشاب في مدة النجم المجري)

بهذا الفيضان . لماذا ؟ لأرىكم أن عندي منه كثيرا فالتسوه . فتم الخس الناس البترول من بلطن الأرض فخرج

(١) زيت طيبى أسود قائم ثقيل فأجروا عليه عمليات كثيرة وصغوه بها فخرج منه أنواع وأصناف تختلف وزنا وسيلانا وغيرهما من الخواص وباختلاف الخواص تختلف الأعمال والمنافع والأسماء فنها

(٢) صنف خفيف يسمى (كبروسين) وهذا مستعمل للأضاءة

(٣) وصنف آخر ثقيل يستعمل للوقود

(٤) وصنف آخر يستعمل للصقل أقل منهما . وتسمى الزيوت المستخرجة من الولايات المتحدة باسم

(٥) زيوت البرافين

(٦) ومن عجب أن هذا الاسم لا يطلق في انكلترا إلا على نوع الزيوت التي يستخرجونها بالتقطير

وبينا أنا أكتب هذا إذ حضر بعض الأصدقاء فقال : كيف يكون التقطير هنا ؟ أقطر من نبات ؟ قلت :

كلا . قال أقطر من بلطن الأرض . قلت . كلا . قال إذن يتم قطر ؟ قلت يقطر من صنوبر . قال وكيف ذلك

قلت قد كشفه رجل انجليزي يسمى (السترجس بايج) عفر عليه وهو يبعث عن الزيت الطيبى المتقدم .

ذلك انه رأى ذلك الزيت يسيل من سقف أحد المناجم بمقاطعة (در بشير) بالقطر فلاحظ له فكرة أن

يستخرج هذا من الفحم الخالص فاستقره فنجح وأحوز رخصة بزاولة هذا العمل سنة ١٨٥٠ فاستخرج

زيت البرافين المذكور ثم استخرج مادة البرافين المشهورة . ثم إن هذه الصنوبر الفحمية تكون بالقطر

وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا والهند وأستراليا وزيتا كما عرفت يشبه البترول ويستعمل مثل استعماله . وليست

طريقة استحضاره بالآلات المماثلة كما في الزيت الآخر . كلا . بل الطريقة هنا أنهم يسهرون الصنوبر في أوعية

حتى يتبخر زيتا فيستقبلوه ويصكفونه فيكون زيتا خالصا . ومن العجب أن زيوت البترول والبرافين

أصبحت ذات شهرة واسعة بل إنها أضحت عن الزيت النباتي والحيواني . لماذا ؟ لأن الله نور السموات والأرض

ولأنه واسع عليم ولأنه لطيف لما يشاء . هو الذي خزن ذلك في الأرض ووضعه على (نخلين) نخل هو

سائل وهو البترول . ونخل هو جامد وهو زيت البرافين . فيستنبط الناس الأول من الأرض ويستنبطون الثاني

من الحجارة والنتيجة واحدة . وقد أصبحت تلك الزيوت المستنبطة من الأرض أومن حجارة الفحم تفتى عن

زيت الزيتون الذي كانت تنخره إيطاليا ومعظم ممالك البحر الأبيض الشهيرة من قديم لكثرة أشجاره فيها

فتمنى الناس يختارون زيت البترول للصقل لأنه يبقى مدة طويلة بلا يجمد أو لزوجة كما يحصل للزيوت النباتية

والحيوانية فانها بهذا السبب تلتصق بالمواد التي يراد صقلها ولا يتم الانتفاع بها الآن على الوجه الأكمل الأحسن

إلا إذا منجبت بمقدار من زيت البترول . إذن الله يقول لنا - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - والإخراج

قد يكون بالآلات المماثلة وقد يكون بالاستقطار من الأحجار فهو يعلم أن مثل هذا النوع المستنبط يساعد في

الأحوال العملية كالصقل المذكور إذ أن الزيت الذي خلقته على ظهر الأرض فيه حصص فاحتاج إلى الكمال فأخرجت

لكم زيت البترول من بلطن الأرض لأدلكم على ما وراء ذلك وكذلك أتزل قطرات من الفحم الحجري ليدلكم

على ما فيه وأنتم لا تستكملون ذلك بصلكم . إذن هذه مخازن الله خزنها في أرضه وصنوره ودلنا عليها وعلم

منفتحها ثم قال للمسلمين استخرجوها كما استخرجتها الأمم قبلكم لأن هذا من فروض الكفايات وفروض

الكفايات لها مقام عال في الاسلام ، وأيضا أنا سخرت لكم مافي السموات والأرض وهذا مما في الأرض

أفلا تشكرون نعمتي أيها المسلمون ، وشكروا نعمتي بضمها أولا وقبولها ثانيا ، أما انهم فها هوذا وأما البترول

فبالعمل وبالعامل قد استخرج الناس من زيت البترول ما يأتي :

(٧) زيت الفازلين : وهو زيت خفيف جدا يتولد منه غاز سريع الاحتراق يسمونه (بترول) فقط

وهو المستعمل في تسيير السيارات وما شاكلها

- (٨) والبنزين يحتاج اليه كثيرا في صناعة المطاط (والقوتلر) لما فيه من خاصية اذا بهما
 (٩) والمارولين ويستعمل دهانا ومنافه شتى في الشؤون الطبية
 (١٠) وفريولين وهو أكثر زيوت البترول تطايرا ، ويستعمل أحيانا في الطب للتخدير المحلي الذي يحدث
 في العضو من البرودة الشديدة التي تعقب تطايره
 (١١) والنفتالين (التفت) وغير ذلك من المواد النافعة

ثم ان أشهر جهات العالم في استخراج زيت البترول اما هي بلاد القوقاز في شطوط البحر الأسود وعلى
 جوانب بلاد القوقاز على حدود فارس عند (مرود) وأشهر مراكزه (موردان) (المورد الأول) على جانب
 القوقاز الجنوبي ومينائه (باطوم) على البحر الأسود (المورد الثاني) على بحر قزوين ومينائه (باكرو) .
 وأكبر هذه الجهة معروفة من قديم الزمان وكان الفرس يزودونها ليجلبوا اللز في غازاتها اللينة للتدفئة من
 جوف الأرض ، ولقد تقدم في (سورة طه) عند قوله تعالى - وقل رب زدني علما - الكلام على اندلاع
 النار في تلك الأنهار فارجع اليه وأقرأ صود ذلك هناك وأعجب من حكم تجلبت في هذه الدنيا ، ثم ان هذا المورد
 لم ينفع الناس منفعة تامة إلا حين خرج من قبضة الفرس الى الروس في أوائل القرن التاسع عشر ، وليس في
 الأرض مكان فيه من كثرة الزيت ما في هذه الأمكة إذ يتدفق الزيت هناك على جوانب الآبار من غير حاجة
 الى استنباطه بالآلات ، وتنبط البئر في اليوم الواحد (مليون غالون) وقد يتدفق الزيت بشدة فينزع الأجهزة
 المركبة على فوهات الآبار ويقذف بها في الجوف مساطات

وعلى هذه الجهات في استخراجها (الولايات المتحدة) وفيها الآن (٢٠٠٠٠) بئرها نحو (٤٠٠٠٠)
 ميل من الآبار لنقل الزيت الى المصافي في بلاد مركزية . ومن هذه يوزع في طول البلاد وعرضها أو بقل
 الى الموانئ للتصدير ، ثم ان صناعة الحديد والصلب والزياج وغيرها تقوم بمجوار تلك البنايع
 هذه أشهر البلاد التي يستخرج منها الزيت ، ومن البلاد التي يستخرج منها الزيت للذ كور مصر ولكنه
 قليل ، ففيها (شركة الزيت الإنجليزية بمصر) جنوب السويس عند البحر الأحمر واتظمت العمل بها سنة ١٩١١
 ونحت امرتها (أبكر جيه) و (أبكر هرغاده)

ويستخرجون منه بقول السيارات وبقول الاضائة وسائل الحريق وزيوت الصقل وغير ذلك اه

(عبارة)

اعلم أيها القاري أن بلاد المسلمين قد خزن الله فيها للناس خيرات . فبذل الله عز وجل بمنع النعم من خلقه
 لأن المسلمين يجهلونها - إن الله لطيف لما يشاء - حكيم الصنع يوزل الاحسان . هذه دولة الروسيا لما ملكت
 مناج البترول استخرجته ، ولما كانت ملك بلاد الفرس كانت محجوبة عن الأمم
 أيها المسلمون : اعملوا أن الأرض خلق الله وأتاه عبيد الله والله عز وجل الذي خلقنا وخلق الأمم
 حولنا لا يمكن أن يرضى بتعطيل منافع ملكه لأجل جهل بعض عباده ، فهل يظن المسلمون أنهم اذا عطوا
 نعم الله يرضى هو بذلك . كلا . بل هو يزع الأرض منهم ويعطيها لغيرهم ، وهل خلق النعم وزيت البترول
 مثلا وهكذا المعادن ؟ هل هذه كلها خلقها الله ليعجبها عن الناس . كلا . فانه خلق المنافع وبها في الأرض
 ومنى خلق من يستحقها لا يمنحها عنه كما لم يمنح الذكور عن زواج الاناث لما في ذلك من المنافع ، فلذا جعل
 المسلمون منافع أرضهم سلاخ غيرهم عليها فأخذوها واتفقوا بها وهو ائقائل - وما خلقنا السموات والأرض
 وما بينهما إلا عيين - . لو خلق الله هذه المنافع ثم هو يمنحها الى الأبد لكان ذلك عبثا والله يحل عن العبث
 وهو الحكيم ، هو الذي يقول - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - أي يعلم من يمنح منافعها فينقله
 ومن يستخرجها فيساعد له حكيم عليم ، والحكيم لا يخلق إلا الحكمة ، ولا يعطي النعمة إلا لمن يستحقها ،

فليطم المسلمون مراكزهم من الانسانية حتى يطبق عليهم قوله تعالى - خيرا ما أخرجت للناس - انتهى

(جمال العلم)

(في قوله تعالى - وبأخرج منها -)

جاء في كتاب « الجغرافيا الرشيدة » تحت العنوان التالي ماضه

(الينابيع المصحرة)

كثيرا ما يجري الماء ، هذا في الجير فيسكوكل ما يصادف من الاشياء بطبقة قد تغير الآثار الحية فتجعلها متحجرة ، ولا شك في أن الغابة المتحجرة في هليوبوليس تكونت بتأثير ينابيع حارة مذاب فيها الرمل .
(الصخور الرسوبية الكيميائية)

فالجبس الذي رأيت في الاعمدة من الصخور الرسوبية المتكونة بتأثير كيميائي ناتج من ذوبان الصخور الجيرية . ومثل هذه الصخور الملح . وفي فكلكتزه بالقرب من كراكوف في تشيكوسلوفاكيا اعظم مناجم الملح في العالم فهناك مدينة بنماها منحوتة تحت الارض في صخور الملح

(أنواع الصخور الرسوبية)

فن أنواع الصخور الرسوبية الطين والحجر الرملي وهما من الرواسب العادية ، والجير والمرجان من البقايا الحيوانية ، والفحم من البقايا النباتية ، والجبس والملح من الصخور التي تكونت بموامل كيميائية .

(الصخور الرسوبية المتحولة)

وقد يطرأ على بعض صنف هذه الصخور تحول بسبب الضغط أو الحرارة أو حركات القشرة الارضية ، فيتغير شكل الصخر ويميزاته ويزداد صلابته ولعانه ، فخلا اردواز أصله الطين والرخام أصله العباشير .

(الصخور غير الرسوبية والصخور النارية)

هناك نوعا آخر من الصخور يختلف عن كل ما وصفنا لك الى الآن . هذا هو الجرانيت الذي سمعت عنه كثيرا في الآثار المصرية كالسلالات والتمائيل . خذ قطعته واحصها تجد أنه ليست له حبات مستديرة ، بل يشكون من ثلاثة أنواع من الصخور البلورية المختلفة الشكل : فها الفلسبار بلون اللحم الاحمر ، والميكا ذات اللون الاسود اللامع المتفرض ، والكوارتز الذي تكونت منه حبات الرمل . وليس لوضع أجزائه أي نظام ، وليس له طبقات ولا فيه حوز بل هو من صنع الطبيعة ذاتها . ويرى أجزائه بذلك في الحال على تكونه بالحرارة فهذا الصخر ناري ، من الصخور الأصلية التي تكونت منها قشرة الارض قبل الصخور الرسوبية . والصخور الرسوبية كلها مشتقة في الأصل من هذه الصخور النارية . وهناك نوعا آخر من الصخور النارية وهو الطفح الذي يخرج من البراكين وترى فيه فقائيع غريبة ويسمى صخرا بركانيا ، تميزه له عن مثل الجرانيت الذي تكون بهدوء تحت سطح الارض . وهذا جدول يلخص لك تقسيم الصخور على كل وجه :

(الصخور)

(١) متحولة (ب) ومائية (ج) ونارية

(١) الصخور المتحولة (١) مائية الأصل كالاردواز من الطين (٢) نارية الأصل كالجبس من الجرانيت

(ب) الصخور المائية (١) تكونت عن طريق الجير والفحم (٢) وكبائية كاللح والجير (هكذا بالأصل)

(٣) رسوبية كالطين والحجر الرملي

(ج) الصخور النارية (١) البركانية كالبازلت (٢) والباطنية كالجرانيت اه

﴿ نموذج التمارين التي اعتاد المدرسون أن يسألوا التلاميذ فيها ﴾

- (١) صف مجموعة من الحفريات التي تجدونها في جبال القطم . ما الذي تستنبطه من وجود هذه الأصداف عالية في الجبال ؟
- (٢) أغلب الآثار المصرية مطمورة بالطين إلى علو أربعة أمتار ، فلماذا كان عمر الآثار أربعة آلاف سنة ، فما سمك طبقة الفيرين التي ترسب على أرض مصر ستوباً من الفيضان ؟
- (٣) من أي أنواع الصخور : البزلت والرخام ؟ هل وجود الرخام في جهة أبي زعبل تحت طبقات البارلت
- (٤) في شرق هليوبوليس غابة متحجرة . ماذا تظن السبب في وجودها ؟
- (٥) ببحوار ساحل البحر الأبيض المتوسط في مصر ملاحات عظيمة . وضح كيف يحصلون على الملح منها وبأي كيفية تكونت صخور الملح العظيمة في كالسكة ؟
- (٦) ما الذي تعرفه عن أصل الفحم الحجري ؟ وماذا في هيئة الفحم يؤيد نظريتك ؟
- (٧) ما الأدلة على حرارة جوف الأرض وماذا تعتقده بشأن أصل هذه الحرارة ؟
- (٨) أي أنواع البحار يلائم الجو المراتي ؟ كيف تطل وجود الجزائر والحواجز المرجانية في البحار العميقة
- (٩) ما سبب تكوين المغارات في الصخور الجيرية ؟ أي نوع من أشكال التضاريس يختلف المغارة الطولية إذا سقط سقفها على أرضها ؟
- (١٠) كيف تكونت همد الجبس في المغارات الجيرية ؟
- (١١) أذكر أمثلة من الصخور النارية الباطنية والبركانية والمتحولة .

﴿ حركات القشرة الأرضية ﴾

(الزلازل والبراكين والنافورات)

قد اتضح لك أن الصخور الرسوبية تكونت في قعر الماء ، وأن وجودها فوق ظهر الأرض مثير للعجب ومشوق لمعرفة السبب ، وبالأخص لوجود هذه الصخور في أغلب بقاع اليابس . فالسبب لا يمكن أن يكون إلا أحد أمرين : فإما أن ماء المحيط كان في الصور الحالية فوق جميع اليابس ، وإما أن قشرة الأرض هي التي تتلوى وتنتفي في مختلف الاتجاهات . وسنبين لك حالا أن السبب الأخير هو الصحيح .

﴿ السواحل الطالعة والسواحل النازلة ﴾

المحيط الأطلسي ساحلان : ساحل شرقي وهو المجاور لأوروبا وإفريقية ، وساحل غربي وهو المجاور لأمريكا فإذا زوت الأقاليم الشرقية في الولايات المتحدة تجد السهل المجاور للمحيط الأطلسي مكوناً من الصخور الرسوبية الحديثة العهد ، حتى إذا وصلت إلى شرق جبال اليجني وجدتها محززة بحزوز أفقية متوازية تنصب الحزوز التي تعملها الأمواج في صخور التواطمي البحرية في ألمانا هذه ، وتجد في الجبال كهوها ومقارن لا يشبهها إلا الكهوف والمقارن التي تحتها أمواج البحار . ولا يشبهك وجود الحفريات من أشكال التوافق والاصطفاء والسمك التي تعيش في المحيط الأطلسي حتى الآن . فلا يمكن أن يبقى في نفسك أي شك في أن هذا السهل الساحلي قد برز من أعماق البحر . فهل انحصر عنه الماء ؟ إذا كان ذلك كذلك فينبغي أن يكون الماء قد انحصر أيضاً عن شواطئ أوروبا الغربية فتزداد علواً عن سطح الماء ، ويكون انحصار الماء عن السواحل علماً بأنه انتهاء الماء من هذه الدنيا . ولكن عذابي صحيح ، والواقع يكذب ، لأن سواحل أوروبا الغربية أخذت في الهبوط التدريجي تحت سطح الماء : فقد كن لرومان مبان في غروب إربلنده وكانت هذه المباني مشرفة على ساحل المحيط الأطلسي ولم يكن الماء يغطي عليها طبعاً ، وقد أصبحت الآن غائرة تحت مستوى ماء المحيط ، فلا تظهر

إلا وقت جزر البحر ، وتغيرها المياه وقت المد . فبتبينك من ذلك أن البحر لا ينقص ماؤه وأن قشرة الأرض هي التي تلتوى وتنتفي ، وليس ذلك جهات قليلة من وجه الأرض بل هي حركات آثارها ظاهرة في كل موضع على اليابس وتحت الماء .

(الجبال الحديثة والجبال القديمة)

نأمل من خريطة الدنيا ترأعظم سلاسل الجبال الحالية موجودة في الجبال معية : فهي في الغالب على حافة المحيطات الكبرى ، أو عند مجمع القارات (كما هو في الحال في حوض البحر الأبيض المتوسط) . وفي هذا الوضع المنتظم دلالة على العوامل التي أوجدتها : فالقشرة الأرضية تلتوى وتنتفي فيظهر أثر هذا الالتواء في أنصاف جهاتها ، فأعظم جبال الدنيا مثل روكي وأندس والألب وهمالية من الجبال الحديثة التي برزت من قرار البحر في أزمنة قديمة ، والأزمنة الجيولوجية لا تقاس بالسنين ولا بالآلاف ، ولكنها أحقاب طويلة بكل من إدراكها الحاسب

(عامل الوجود وعامل القضاء وعملية التوازن)

لا يمكن أن تبرز الجبال والسهول من البحر فتزيد مسطح اليابس ويحجمه بالمقابل فإن من المسلم به في كل معاملة الموازنة بين الوارد وللصرف والا انتهى الأمر بأفلاس أحد الطرفين المتعاملين . فبالتي يمسكها البحر عوض ما يخرج منه من الأراضي الجديدة والجبال الحديثة ، إن القوي يسفده في مقابل ذلك ما تجلبه له الأنهار ، يساعدنا في ذلك عوامل القضاء الأخرى المعروفة بعوامل التعرية التي تسلط على الجبال من وقت ظهورها بمحاول القضاء فتحتها وتجرفها ولا يهدأ لها بال حتى تكسها من على وجه الأرض وتبعث بأقاضها مع الماء الجرفي إلى المحيط ، تدفع بذلك عن الأراضي الجديدة التي تجرمنه

(أسباب حركات القشرة الأرضية)

(١) علمت أن الأرض تدور على محورها باستمرار ، وهذا الدوران من شأنه أن يغير شكل الأرض كما تتغير أوضاع حبوب القمح وقت هز الكيلة ، وأن هذا الدوران هو الذي أعطى الأرض شكلها الخاص بها والذي جعل القطر الاستوائي أطول من المحور ، ففي القديم الغابر كانت الأرض كلها سائرة أولينة كان هذا التفسير سهلاً ولكنه قد صعب الآن بعد أن جمدت الأرض وتصلبت قشرتها فلا يتم بدون طي الصخور المرونة وكسر الصخور الشديدة الصلابة

(٢) كانت الأرض قبل أن تفقد شيئاً من حرارتها أعظم حجماً وكلما نقصت الحرارة يتقلص قلب الأرض فنضغط الصخور القشرة أن تنتفي وتتكسر لكي تنطبق عليه كائنات ملابس الرجل البدن إذا هزل جسمه بسبب المرض ، ويدفعها لذلك (أمران الأول) جذب مركز الأرض لها من تحت (والثاني) ضغط الطبقات الهوائية عليها من فوق

(٣) إن متوسط الثقل النوعي للصخور الكوكبية الأرضية أكثر من خمسة أضعاف الثقل النوعي للماء على حين أن الثقل النوعي للصخور القشرة لا يزيد على الضعفين إلا قليلاً ، ومعنى ذلك أن الصخور الخفيفة هي الموجودة على وجه الأرض في حين أن الصخور الثقيلة موجودة في قلبها ، وذلك يدهي إذ أن الخفيف من طبعه أن يطوف فوق الثقيل ، وقد حصل هذا الترتيب أيام كانت الأرض في حالة سائلة والصخور صرنية على وجه الأرض بشكل يحفظ التوازن يعني أن الصخور التي في قرار المحيط قبيلة النوع وصخور الجبال المجلورة له خفيفة ، وبذلك أمكن قيام الأخيرة بحمولة بضخ الأولى ، لكن عوامل التعرية التي أشرنا إليها آتفا دائبة في افناء الجبال والأنهار تحمل الأتقاض إلى البحر أوّل فأول فيزيد الضغط في قرار البحر ويخفف على جبال اليابس باستمرار ويختل التوازن لولا حركات القشرة الأرضية التي تعيده إلى حاله كما ترزعزع

﴿ نتائج حركات القشرة الأرضية ﴾

ينتج من حركات القشرة الأرضية بتيان السلاسل الجبلية الحديثة وطفيان البحر التريسي على جهات بارزة كما ينتج منها كسور الصخور الصلبة وتشققها وانزلاق طبقاتها بعضها على بعض فتنشأ عنها تضاريس جديدة وتعتبر اتجاهات المياه الجارية وقد تنشأ كسور متقاربة فيترتب عليها وجود أخاديد غائرة أو هضبات مدفوعة

﴿ بتيان الجبال ﴾

قد رأيت أن أهم السلاسل الجبلية في الدنيا واقعة في اتجاهات متوازية فهي من جبال الپلي . ومن جبال الپلي أيضا سلاسل أصغر منها في القارات . فإذا أخذت طبقات تلك الجبال رأيتم أنها منعنية تدل على التواء . ثم تنشأ ثلاث طبقات من الصخور الرسوبية مرتكزة على طبقة من الصخور النارية في وضعها الطبيعي قبل الالتواء . ومفهوم طبعاً أن الصخور العليا هي الحديثة وأن التي تحنها هي القديمة . فالطبقة الثالثة أحدث من الطبقة الثانية وهذه أحدث من الطبقة الأولى والطبقة التي تحت الجميع من الصخور النارية الأصلية . ولكن عوامل التعرية لا تلبث أن تعبت بهذه الجبال فتكشط سطوحها ونحتها وتحرف منها

فإذا رغبت في ارتقاء الجبل تصادف أولاً الطبقة الثالثة ثم الطبقة الثانية ثم الطبقة الأولى حتى إذا ارتقيت إلى أعلى الجبل وصلت إلى الصخور القديمة النارية . ومن ذلك تعرف كيف أن الصخور التي كانت بعيدة عن وجه الأرض قد ارتفعت بحركات القشرة الأرضية ثم انكشف عنها غطاؤها بفعل التعرية فأصبحت ظاهرة قريبة للإنسان يستمتع بها في أغراضه

﴿ كسور الصخور الصلبة ﴾

يصادف المعدنون أحياناً وهم يتعمقون هراً من فلات للمعادن أو طبقة من طبقات المعجم عيا في الطبقات أي كسراً إذ ينتهي الفرق أو الطبقة فجأة فيوجد بدلها صخور أخرى كان ينبغي وجودها فوق الفرق أو تحتها

﴿ الأخاديد الغائرة ﴾

في الصخور التي تصاب بعيوب متعددة قد يحصل أن تزلزل قطعة من القشرة الأرضية خبطاً إلى هيئ كبير وينشأ عن ذلك اخدود غائر . وفي شمال أفريقيا اخدودان غائران يقع البحر الأحمر بأكمله ضمن واحد منهما

﴿ الهضبات المرفوعة ﴾

وقد يحدث أن تصور الأرض من جوانب جزء من القشرة الأرضية وتزلق عليه نارية على حين أنها تدفقه ساعداً فيظل قائماً بنفسه على شكل هضبة مدفوعة ، وهضبة (مزيته) المتكوّن منها أرض اسبانيا والبرتغال من هذا الطراز

﴿ الجبال المختلفة ﴾

والهضبة إذا شققها الأنهار والوديان يتخلل منها سلاسل جبلية تفصل أحواض الأنهار ، فهذه السلاسل الجبلية متخلقة من صخور الهضبة ، وسلاسل جبال شبه جزيرة أيبيريا من هذا الطراز

﴿ الزلازل ﴾

فلما يمرّ العالم من غير أن نسمع بوقوع زلازل في جهة من جهات الدنيا ، غيرة نسمع عنه في غرب أمريكا أو جزائر الهند الشرقية . ومرة نسمع عنه في اليابان أو في إيطاليا . ولا يمرّ خبر الزلازل بهدوء كبقا الأخبار لما يقترب به من الخسائر الفادحة والأحوال الكبار وهلاك الأتقى والأموال . وقد وقع زلازل في ليلة (٢٦) يونيه سنة ١٩٢٦ م شعر به أهل القطر المصري في الساعة التاسعة والذقيقة ٤٨ مساءً ومكث نحو (٤) دقائق هلعت له قلوب الأهالي وحدثت بعض إصابات من سقوط المنازل القديمة . ووردت التلغرافات في الأيام التالية منبهة عن مركز الزلزال الكبرى (في بحر الأرخبيل) وهي التي انشطرت هزاتها إلى مصر . وكان

الحديدية لأنه مغمور بالتلج الذي لا يذوب طول السنة ، وقد خطر ببال أحد المهندسين أن يجعل القطب الشمالى ملتقى الخطوط الهوائية بين القارات الثلاث أفريقيا وأوروبا وآسيا ، وبذلك يختصر المسافة اختصارا كبيرا ، فالتى يريد الذهاب الى اليابان يحتاج الآن الى أن يقطع نحو نصف الأرض حتى يبلغها ، ولكنه اذا ركب طائرة وصعد الى القطب الشمالى واتجه منه الى اليابان قصرت مسافة السفر ، وفي القطب الشمالى مناجم كبيرة للفحم يمكن منها استنباط الكهرباء لتدفئة والاضاءة فينار القطب وتبنى فيه العنابر الكبيرة لايواء الطائرات وتزود بها بالبنزين وتشيد الفنادق الكبيرة للسافرين ، وهناك يلتقى المسافرون فيبدلون طياراتهم وينهب كل منهم في طريقه ، فهل يحقق العلم هذا الحلم ؟ ولطالما حقق ما هو أشد منه غرابة . انتهى

هذا بعض سرّ قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - فها هو ذا الفهم قد أدخله الله في الأرض ، وها هو ذا يخرجها منها ويقتنع الناس به

ومن عجائب الخزون في الأرض «الكهرباء» . الكهرمان . لقد كنت أيلم العبا أرى الناس يسخنون في الأعواد بحيث يضعون ورق التبغ في حق صغير متصل بصود عجوف ينتهى بهم من (الكهرمان) وهذا الفهم هو الذى يمتصون به السنان المستمد من ذلك التبغ المحترق في ذلك الحق الصغير فكنت أنا تأمله فلا أعرف من أين جاء هذا الكهرمان ، وما كنت أدري أن الله خزّنه في الأرض قد بما خزن الفحم في الأقطاب الشمالية ، فألجئ على أن أجد الله على العلم بذلك ، فهاك ما رأيته من اللغات العلمية تحت العنوان التالى :

(الكهرمان . الكهرياء)

الكهرياء هو ما يسميه العامة عندنا بالكهرمان وهو ذلك الحجر الأمفر اللامع الذى يصنع منه خز المساج وتزين به النساء ، وقد كان الاغريق يعرفون الكهرياء وكانوا يعرفون منه أيضا (الكهرياء) وهى تلك القوة الخفية التى نستعملها الآن في دفع القرام والتلغراف والتلفون ولم يكن الاغريق يعرفون كيف ينتفعون بالكهرياء كما تنتفع ولكنهم كانوا يعرفونها وقد أطلقوا عليها هذا الاسم لأن من خواص حجر الكهرياء اذا حك به شئ أن يجذب اليه الأجسام الصغيرة ، فالقارى يرى الآن أن هناك فرقا بين الكهرياء الذى يصنع منه الخرز وبين الكهرياء التى وهى القوة الخفية التى يسير بها القرام ولكن يوجد لسوء الحظ من يخلط اللفظتين وقد قلنا ان الكهرياء حجر ولكن الحقيقة انه صمغ ، أو تقول بعبارة أدق انه لثى ، والثى هو ما ينزل من الشجر اذا جرحت قشره كلبادة اللبنة التى تخرج من (شجرة الجيز) عند ما تقطع إحدى أوراقها ، ولكن هناك أشجار الآن يستخرج منها الكهرياء وانما لكهرياء يوجد الآن مدفون في الرمال تحت طبقات الأرض فقد عاشت منذ آلاف السنين أشجار ثم طمرتها الرمال فصارت غما ، وهناك أشجار أخرى أيضا كانت تزر الكهرياء فيقع منها طريا ثم يجفّ ويصنع كانت قشره الرمال وبه لا يزال قريبا من سطح الأرض كثيرا ما تكسحه الأمطار وتخرجها الى السطح ، أما أشجار الكهرياء فقد انقرضت من العالم كما انقرضت من قبلها بالآلاف القرون الأشجار التى استحلّت الى غم . ومعظم بل كل ما يوجد قريبا من الكهرياء الآن يرسل من شمال ألمانيا على شواطئ بحر البلطيق . ففي كل علم يصغر من هذه الشواطئ الى أسواق العالم نحو ما تسمى آف رطل . وقد كان المصريون والاغريق والفينيقيون يستوردون الكهرياء من شمال ألمانيا وكانت طرق الكهرياء معروفة في أوروبا محروسة من القباطل . وكان القدماء يغالون به حتى قال (بليني) الكاتب الرومانى الذى عاش في القرن الأوّل ليلاد (أن تماثلا صغيرا من الكهرياء يزيد ثمنه على ثمن عبد ضخم قوى) وكان شعراء الاغريق يستعملون الخيال في كلامهم عن الكهرياء . ومن أجل ما قاله بعضهم عنه انه السموم المتجمدة للطيور . وقد بلغ من شغف الأمبراطور الرومانى (نيرون) بالكهرياء انه أرسل بعثة الى شاطئ بحر البلطيق جلبت معها (١٣٠٠٠) رطل من الكهرياء . انتهى وبهذا تم الكلام على الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في مبعثين عظيمين)

﴿ الأول ﴾ مبعث الجن وهل يعلمون الغيب

﴿ المبعث الثاني ﴾ في سيل العرم ومبأ وما جاء في العلم الحديث مصداقاً لهذا كله

﴿ المبعث الأول في مقامين ﴾

﴿ المقام الأول ﴾ في قوله تعالى - ما دهم على موته لإدابة الأرض - الخ

﴿ المقام الثاني ﴾ في المبعث الأول في قوله تعالى - فدانوا تينبت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا

في العذاب المهين -

﴿ المقام الأول في قوله تعالى - ما دهم على موته لإدابة الأرض تأكل منسأه - ﴾

(الكلام على الأرض)

اعلم أن هذه الآية قد أمعنتنا ﴿ ثلاث فوائد الأولى ﴾ أنها أبانت أن الجن لا يعلمون الغيب ﴿ الفائدة الثانية ﴾ أن أهل الأرض خاضعون للنواميس سواء أكانوا أنبياء أم غيرهم ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ إن من أسرار الحشرات ما له سلطان في هذه الأرض عظيم . يقول الله تعالى - وهولوا سبحانه التي سخرنا هذا وما كان له مفرقين - فتحن لولا تدبير الله لا تطيق أن تركب السواب بل لا تطيق هذه الحشرات التي أكلت عصا نبي عظيم من الأنبياء ، فإذا كانت هذه الحشرة هذا شأنها فذلك فتحن باب لمحضتها لتحتس منها . اللهم إن القصص في القرآن لم يكن إلا لتعليمنا لا غير والا فإذا فهم الناس في قصة بلقيس إذ تقول لقومها - ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون - وفي قصة فرعون إذ يقول له الملا من قومه في موسى وأخيه هرون حين استشارهم في أمرهما - أرحه وأخاه وأرسل في المداين حاشرين -

أقول : فإل فهم الناس من ذلك إلا الإشارة إلى الحكومة الشورية وأن الأمة لها القول الفصل ، وما المالك إذا كانوا فيها إلا متفذين كما يقول - وأمرهم شورى بينهم - فهكذا هنا يقول - ما دهم على موته لإدابة الأرض تأكل منسأه فلما خوّ تينبت الجن - الخ - وهول أيضاً فلما خوّ تينبا أيضاً أن للأرض سراً عجيباً فلا بد من المبعث عن أمرها واستقصاء خبرها ، فأكل الأرض لصا موسى أفهم الجن أنهم لا يعلمون الغيب فيقولوا من كبر يلهم ويرجعوا عن فهمهم ويتزلوا عن عتوهم ويخلعوا عنهم لباس الكبرياء والعظمة والتباهي والافتخار ، هكذا يصرّحنا أن للأرض هملاً منكراً إن لم تحتس منه خورنا صعبين في هذه الحياة الدنيا بتدبيرها واهلاكها ، وأيضاً هي من آيات الله تعالى وهجائب صنعه ، فوجب إذن المبعث في أمرها واستقصاء سرّها على قدر الامكان ، وقد تقدم الكلام عليها في ﴿ سورة النحل ﴾ ورسمت الملكة من هذه الحشرة الملكة بجانبها وحولها جنود الملكة والجناب والعساكر . وتقدم أيضاً رسمها هنا (وكذا ملكة النحل) شكل ٣ وهى مأخوذة من كتاب ﴿ ملكة الظلام ﴾ أو ﴿ حياق الأرض ﴾ تأليف (مترلك) تعريب الدكتور (تقولا فياض) وهما شفرات من الكتاب لتقف على سرّ ما أشاره القرآن في هذه الآيات . قال :

﴿ الأرض أو المل الأممي ﴾

الأرض (١) أو المل الأممي . ويقال له الايض وما هو بالايض يرجع تاريخه إلى مائة مليون سنة قبل الانسان على زعم علماء الحشرات والجيولوجيا أى طبقات الارض . غير أنه من الصعب تحقيق هذا الزعم

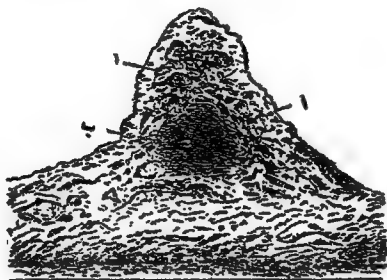
(١) الأرض دودة يضاف تبنى على قسما يتلستليلا ولها شفران تقربهما الخشب والاجر والطجارة جمعها أرض وهي هنا رجة كثة (تربت) بالفرنسية لا كلمة (تبت) أى السوسة أو العة التى تلعب الصوف والياب

والايتين بأدلة ماسعة على صحتها . على كل حال هذه الحفارة التي تعد أرقى من حفارة النمل والتحل هي بلا ريب قديمة العهد جدا أي أقي عليها بضعة ملايين من السنين . ولوقصينا المكتوب عنها لما وجدناه شيئا بالنسبة إلى ما قيل وكتب عن التحلة والغلبة مع أنك لا ترى على هذه البسيطة كائنا أقرب إلينا وأبعد عنا في آن واحد من هذه الحشرات التي تتمتع بأنظمة سياسية واقتصادية واجتماعية كأنها علم انساني يؤرخنا في آلامنا وشغافتنا . وهنا مجال واسع للشراء الذين يحملون شكلا جديدا للاجتماع البشري ويسمونهم الخيال والتصور إلى خلق مثال خاص للأجيال الآتية في نظامها وأحكامها فما عليهم إلا أن يقتربوا من هذه المملكة الهائلة فيجدوا من الغرابة مثل ما في أسلحتهم وأغرب عما تصوره في عطارده والمرح والزهرة

يقال الله يوجد على الأرض ألف وخمسة نوع من الأرض والمشهور منها لا يتجاوز الأربعين وكل نوع يمتاز عن سواه بصفات خاصة به فنه البناء الذي يقيم حضبا فوق الأرض ومنعما يعيش مكتنفا ويختار السباسب في خطوط طويلة بين صفيين من الجنود يختص بها العمال ومنه ما تملك الطبيعة جنوده بما يشبه الحفنة ومنه ما يشك بالأشجار الحية وينقبها وجنده كالكواسر أو النواري على جانب عظيم من التساوة ومنه ما تشبه مشافره (١) قرون التيس فتتمدد كالزبرك وتهدف به إلى مسافة عشرين سنتيمترا إلى آخر ما هناك

ثم قال بعد كلام طويل ما نصه : « بعض هذه الحشرات يعيش في جذوع الأشجار التي يحتفرها ويمد فيها مسالك وأسرابا تذهب كل مذهب وتنترقها من كل ناحية حتى الجنود وبسببها ينشعش في الأغصان ويوطئ حتى يقوى على مقاومة الأعصار وحتى يمتنع على الانسان الاستيلاء عليه فيضطر إلى نشره بالمشلر إلا أن الغالب فيه أن يتخذ منه تحت الأرض وبناء هذا المسكن من أغرب ما عرف وهو يتغير حسب البلدان والساكن والأحوال للوضعية والادوات التي يتاح للحشرة استعمالها بمركب في طبيعة الأرض من التوسع في الاستنباط والتقصير على ملائمة الأحوال والاصطباغ بصبغة البية التي توجد فيها . وأهم هذه المساكن يهزى إلى الأرض الأوستالية فيكون ثارة شبه نكبة (٢) تملأ من الأرض نحو ٤ أمتار ومحيط قاعدتها ٣٠ قدما كأنها قلب ضخم من السكر وطورا كما كأم من الوحل أو اتصال في حال التليان هبت عليه ريح الجليلد فجعدته لجأة وحينا كرهط من الحلايا التي يخزن فيها التحل الحوشى عمله وقد كبرت مائة أضعفة . ولونه كطبقات من القطر أو الاسفنج أو كالكلس من التبن الذي طال عليه سقوط المطر إلى ما شاء كل ذلك . وأعظم هذه البنى التي لا تراها إلا في أوستاليا تختص به الأرض المغناطيسية وقد سميت كذلك نسبة إلى الأبرة المغناطيسية فإن ما يتنبه يتجه أبدا من الشمال إلى الجنوب فينحس في أوله وينشق في الآخر . وقد تعدد الافتراض في تحليل هذا الانجاء دون الوصول إلى حل صحيح شاف » (انظر شكل ٢٦ في الصفحة التالية)

(١) المشافر جمع مشفروهي من البعير كالشفة من الانسان وقد تستعمل للناس فاستعملناها هنا على الجاز وترجمنا بها كلمة (مندیول) ويمكن أن تسمى أيضا الاحناك
(٢) النكبة كلمة عديدة الرأس جمعها نباك



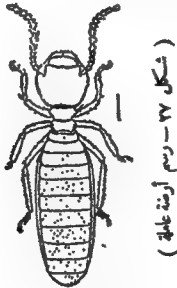
(شكل ٢٦ - قرية الأرض)

(١) غرة القطر (ب) خلية للملكة

« وأعظم ما شوهد من هذه المساكن هو في أفريقيا الوسطى ولا سيما في كونغوالبلجيك حيث يبلغ الملو من ستة الى ثمانية أمتار . وفي « مونيونو » قرايم على أحد هذه البيوت كأنه على راية فيشرف على ماحوله من الجهات . وفي أحد الشوارع الكبيرة في مدينة الزيات من أعمال « كالانجا » العليا قرية عالية شطرها الشارع الى شطرين . وقد اضطر عمال سكة حديد سكانيا أن ينسفوا بالبنائيات بعضا من هذه الابنية فكانت أبقاضها تجاوز في ارتفاعها مدخنة القطار . ومن هذه المساكن التي خربت ماصار أشبه بالبيوت ذات الطبقتين ولا يتعدى على الانسان أن يقعد فيها . وقد بلغ من متانة هذه البنائيات أن سقوط الاشجار الكبيرة وهو أمر كثير الوقوع في تلك النواحي لا يقلقلها ولا يضعف من جانبها وان قطع الغنم ينسلقها ليرعى العشب النامي فوقها دون أن يؤثر فيها . ونحو العشب فوقها راجع الى خصائص الطين الداخل في تركيبها فهو يحزن الرطوبة فضلا عن انه كثير الخشب زكي المنبت لانه مكون من براز الحشرة وفضلاتها . وقد ينمو مع العشب الشجر . والغريب ان الارض التي تهدم كل شئ في طريقها تحترم هذا الشجر كأنه مقدس

وبعض أنواع الارض يستعمل قسما من الطبقات العليا في الوكر لزراعة واستقبات القطر المخصوص الذي يقوم مقام الطفيليات (وسأتي الكلام عنها في الفصل التالي) وله وظيفة من تحويل الخشب القديم أو العشب اليابس الى كتلة صالحة للهضم والتخيل . وبعض الأنواع الأخرى تقيم مقابر حقيقية في أعلى العمارة ووجود هذه المقابر يدعو الى الجلب لما نفعه من ان الأرض يأكل موثاه ويتغذى بها الا اذا افترضنا انه في أيام الوباء (أو طاريء آخر) قد يقصر عن مجارة الموت لأكل كل ما يمد له من الزم فيجمعها ويكدسها لحين الحاجة على سطح المنزل حتى اذا جفتها الشمس أحالها الى مسحوق وجعلها مؤونة يتغذى بها شباب القريه . ومن هذه الأنواع من يذهب الى أبعد من ذلك فيتخذ مؤونة حية . وذلك أن القوة الخفية تدبر أمور هذه المملكة قد ترى لسبب لانفعه ان عدد الزعرة قد تجاوز الحد المطلوب فتفرز الزائد منها في غرف خصوصية بعد أن تقطع قوائمها حتى لا تنهزل بالحركة ثم تؤكل بالتدريج تبعا لحاجة المجتمع . وهذا النوع لهناية خاصة بالنظام الصحي فان فضلات البودة وبرازها يجمع في موضع على حدة ويترك الى أن ينشف ويسحق ويصير آذ طعام . هذا هو نظام الوكر كما يبدو لمعين الباحث على أنه قابل للتغير لانك لا تجد في الكائنات حيوانا مثل هذا يكرر التقليد ويعرف أن يكون كالانسان في لينة وخضوعه للاحوال ومجاراته لها ويستباح لناغبرمه في عرض هذا الحديث ان تتحقق ذلك»

ثم قال ووهذا النفق العظيم المستعتمت الارض والمرفوع فوقها ينشعب منه أسراب لانهاية لها تنتهي الى حيث الأشجار والادغال والشب وتنزل الناس فتجد المودة ما تحتاج اليه من الخلاوز وهي المادة الحويصلية الجامدة التي تتركب منها خلايا النبات وأليافها . وعلى هذا الوجه تفزو أحياء بأسرها كما ترى في أستراليا وبعض أنحاء جزيرة سيلان فتجد مسالكها الى كل صوب وتجعل تلك الارض غير صالحة لسكنى الانسان . وقد تملأ البلد من جانب الى جانب كما في الترنسفال ونال حيث بلغ عدد القرى نحواً من ١٦ في مسافة لا تزيد على ٩٣٥ متراً وفي كاتا شككا العالية تكثر في كل هكتار من الارض على قرية يبلغ علوها ستة أمتار . والارض بخلاف الخلة التي تعيش على سطح الأرض وهي حرة طليقة لا تتغير ظلمات قبورها الرطبة الحارة ولا تسير إلا في الخفاء فتعيش وتغوت دون أن ترى ضوء النهار فهي دودة الظلام الابدي وإذا مست الحاجة ان تجتاز للتموين حوايز لا قدرة لها على خرقها فلها تقوم بتجبة الجنود والمهندسين وهؤلاء ينون هرامتيناً مركبا من بقايا الخشب المضغوطة ومن البراز ويعملونه على شكل الأنبوبة ولا يدهون فرصة فتوت دون الاستفادة منها اقتصاداً في الوقت والعمل والنفقات فإذا أصابوا شقوقاً فيها قائمة أصلعوها وملسوها وجعوا بينها . وإذا فتحوا مخرجهم على جدار جعلوا شكله كمنصف أنبوبة بالاستفادة من الجدار أو على زاوية مؤلفة من جدارين اكتفوا بضموها (١) فغف عليهم نشا العمل . وهذا الممر الذي يفتح فيكون على مقياس الحشرة بالضبط يتسع من حين الى حين لينسج الحامل المروية اذا ما نالوا ان يفسحوا المجال بعضهم لبعض يدور عائق وإذا كانت الحركة شديدة والازدحام عظيماً فان الممر يكون أوسع ويجعل منه مدبب للذهاب وآثر للارباب . وليسمح لنا القارئ قبل الخروج من هذا النفق ان نلفت نظره الى الخاص من أغرب وأخفى ما في هذا العالم الكثير الغراب والاسرار فقد أشرنا فيما سبق الى الرطوبة التي لا تتغير في الوكر على الرغم من جفاف الهواء والارض المحروقة . وعلى الرغم من حرارة الصيف الطويل في تلك الاقاليم التي تفيض فيها الينابيع ويؤكل الزرع وينشف كل ذي حياة حتى جذور الأشجار الكبيرة والحق ان بقاء هذه الرطوبة في الاحوال التي ذكرناها لم يدهش له العقل ويقف دونه المفكر وقد أسقط في يديه حيرة وذهولاً حتى ان لوستون العالم الرحالة تساءل هل هناك طرق مجهولة تتمكن بها الارض من اخذ اوكسجين الهواء وجعله الى الهيدروجين الموجود في غذائها الباقي ليتكون بهما الماء الذي يحتاج اليه ؟ ذلك افتراض لم يثبت العلم بعد ولكنه غير بعيد الامكان وسرى فيها على أن للارض من العلم بالكيمياء والبيولوجيا مكاناً يحسدنا عليه (انظر شكل ٢٧) و (شكل ٢٨)



(١) غما البيت يضموها قحوا . غطاء بالطين والخشب



(شكل ٢٨ - جنديان من الارض)
 فوق : جندى يقاثل بفسكيه - تحت : جندى يقاثل بمحقة

ثم قال والخلّة عدو الأرض الالذّ وهي عداوة قديمة يرجع عهدها الى ثلاثملايين سنة ولولاها لكانت الأرض قد اجتاحت القسم الجنوبي من الكرة الأرضية الا اذا صح الرأى القائل ان ما تنازرت به من قنب الأرض وحفر الاتفاق هو ابن الحاجة والضرورة دفاعا عن نفسها وهربا من الخلّة . ومن الأرض ما لا يعرف البناء فيجعل سكنه في الاشجار وهو من النوع البسيط في تركيبه وارتقائه ولا فرق في وطائه أو تميز بين أعماله فيكتفي بسد الثغرة ببقايا الخشب والطين على ان منما خلق لنفسه جندا خاصا وهذا الجند يمتاز برأس كبير يستعمله لسد الفتحة كأنه مصامة من الفلين . وترود الخلّة قرية الأرض دائرة حولها ليل نهار راحة عن صنع أو شق تعمل منه اليها ولهذا كانت الحيطه لها بالغة أقصى المستطاع وكانت مراقبة الشقوق شديدة ولا سيما لشقوق المصنوعة لتجديد الهواء فان هذه المنازل تحتاج الى الهواء المتجدد وقد أقيم لذلك هندسة ونظام ليس من ورثتهما للعناء الصحة اليوم مأخذ لعاب أو معلق لطاعن . واذا أتيت للعدو أن يصيب أحدهم الشقوق فان أول ما يرى هو رأس أحد الجنود المدافعين وقد أخذ يضرب الأرض بمشغريه انذارا وتنبيه فليسرع الحرس ثم الفرقة بأسرها وتسد مجامعها الفتحة وهي تحرك في الهواء احناكها الهائلة كأنها أدغال من الشوك أو تهجم على غير هدى هجوم الكلاب الضارية حتى تصيب العدو فتعص عليه عضا شديدا ولا تتخلى عنه الاحملة قطعة منه ،

وجنود الأرض تبقى بعد تهتير العدو حيناً أمام الثغرة ثم تعود إلى قشلائتها وترجع العمال الهاربة طبقاً لأموس توزيع العمل الذي يضع البطولة في جانب والخدمة في جانب شائعة في ترميم ما تضرر بسرعة هائلة عندما كل منها كلفة برأيه وقد حسبنا ساعة من هذا العمل السريع تكفي لسد ثلثة بحجم الكف فتأمل . وقد روى سافاج انه دمر منزلاً للأرض في المساء ولما عاد عند الصبح وجده قد أصلح وتم ترميمه وعلى طبقة جديدة من الطين ولا عجب فإن السرعة في العمل مسأله حياة أو موت وأقل احمال في ذلك هو دعوة لأعداء كمثل راحة ذلك الاستمرار

ان هناك قوة خفية تخضع لها جمهورية الأرض فإذا زاد عددها مثلاً عن الطبيعي وهو خمس عدد سكان القرية فإن تلك القوة المجهوبة التي لا يمكن قواعد الحساب على ما يظهر تتكفل حالاً بإزالة العدد الزائد وإرجاع النسبة إلى ما كانت عليه من قبل ولا يحتاج في ذلك إلى مذبحه كما يجري في ذكور النمل فإن مائة عامل لا تقوى على جندى واحد من هذه الضواري التي لا تاتل الا من القسم الخلفي الضعيف ، بل تفعل ما هو أبسط وأسهل وذلك باستئناح العمال من إطعام الجنود قهراً هدمجوعاً . أما الطريقة التي يتم بها تعداد الجنود المتحكم عليها بالموت وفزرها ووضعا في مكان منفرد فلا تزال غامضة كالكثيرة من أمور هذه الاحياء الهيبية . وقبل أن نختم هذا الفصل عن جندي مملكة النظم نذكر للقارئ بعض حالات لها غريبة من الاستعداد والليل للوسيقى فهناك أصوات خاصة تكون طلة انذاراً وطورا استنجادا أو تحيياً أو غير ذلك وكلها ذات ايقاع موزون نجيب عليه جماعة الأرض يزجل خاص ^(١) مما جعل بعض العلماء على القول بأنها تتخاطب بالآلات فقط نظير النمل بل بلغة لفظي خاصة

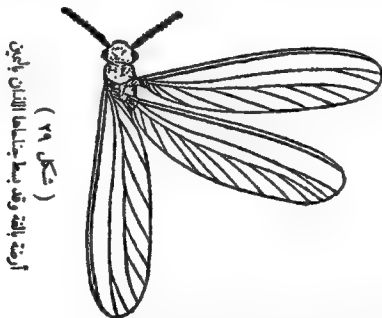
وبدیه ان مثل هذا النظام الواسع الشقيق وما فيه من توازن في القوى وقضمان في الاحمال لا يمكن أن يكون بغير قوام بين أبنائه وحسبنا دليلاً على وجود هذا التفاهم انتشار المستعمرة الواحدة في جنوح كثيرة قد تكون متباعدة بعضها عن بعض ولكنها ملتفة حول عرش واحد أي ليس لها الا زوج ملكي فإذا زادت في أحداً الجنوح فرقة الاحتياطي التي يحفظها الأرض لتعويض من المملكة في حال الموت أو الهجر تسرع سكان الجذع المجاور إلى أعداد فرقة جديدة بدلا منها . وسنعود إلى الكلام عن هذا الإبدال أو التغيير الذي هو من أغرب وأبعد أشكال السياسة الأرضية

وليست هذه الأصوات من غيبية واحتكاك أو صغير وانظار وإيقاع يتم على إحساس موسيقى كل ما عند الأرض . فإن لها أيضاً حركات موزونة يشترك بها الجمهور ما خلا للولود الجديد كلها صادرة عن جوقة وقص وأنظم مما وصفه العلماء موقع الحش والهجز وهي نوع من الرقص الاختلاجي تثبت فيه القدم ويهتدي الجسم متأيلاً من الوراء إلى الأمام وعلى الجانبين . ويضم هذا الاختلاج ساعات مع فترات من الراحة قصيرة . وأكثر ما يكون قبيل طيران العرس كأنه حفلة صلاة أو تقديس فتفتح الباب لأعظم ضيعة تقوم بها الأمة . ومن السهل مراهي هذه الحركات اذا خفضت أو أرت جأة أنابيب الزباج التي تحبس فيها الأرض في المختبرات على ان ذلك شاق صعب لندورة جأتها طويلاً في الايام فأما تفرق الصلابة من فلين أو معدن وقص كاحسن الكيمين إلى حُرط الزباج

الملك والمملكة في حجرة مستطيلة الشكل ملساء الأرض منخفضة السقف منيعة الجوانب يعيش هذا الزوج الحزين اللوكول اليه حفظ النوع دون أن يستطيع من موضعه حراً . أما الملك فهو ملك بالأسم لانه زوج الملكة ، ضعيف خفيض جبان خجول لا ينفك محبباً تحت بطن زوجته . وأما الملكة فهي من أغرب ما يرى في هذا العالم الكثير الثرائب لان لها بطناً ضخماً هائلاً متفخفاً بما فيه من البيض يكاد يتقرقر لفرط عدده وقد

يبلغ طولها به نحو ١٠٠ مليمترحلة كون العامل لايتجاوز ٧ مليمترات طولاً . وهي عاجزة عن الحركة لانها لا تملك غير قوائم صغيرة في صدر غارق في الدهن ومتوسط مقامعه من البيض هو واحدة في الثانية أى ٨٦ أنفاس اليوم وثلاثين مليوناً في العام . ولا ينقطع وضعها ليل نهار مدة الربع أو الخامس السنوات من حياتها كادل الاختبار والملاحظة

(فصل) - اذا ولي الخريف ودنا موعدا لطردت ساعة الحربة فاذا بالقلعة الحصينة المحسنة السدود والمنصبة عن العالم الخارجي كل الانفصال والتي لامتأخذ لها إلا ما كان تحت الأرض أو ما هو لتجديد الهواء قد أصابها نوع من الجنون فافتتحت في جوانبها فجأة تخاريب لا تحصى (١) ومن وراء هذه التخاريب وقتت الجنود تسمى برعوسها الدخول والخروج . هذه التخاريب تتصل بأسراب وأنفاق قلادرجت فيها المنجحات وهي تنتظر بغرغ صبر إملاتها من الأسر . حتى اذا صدرت الإشارة الحفية وأمرت القوة الحاكمة المجهولة انسحبت الجنود من مواقعها فانكشفت الثغور وشق للرائس طريق القضاء . حينذاك يبدو للعين مشهد يفوق مشهد التحلر روعة وجلا فان البناية العظيمة نبكة كانت أو حرما أو قلعة تصير كالرجل الغالى يكاد يتفجر . ومن شقوقها المدينة يرتفع ضباب كثيف مؤلف من ملايين الاجنحة الشفافة المضطربة في الهواء ساعة وراء الحب سحبا يساوره الريب وتصفقه الخلية . منظر جميل غير انه قصير العمر كسكل ماهو حلم أودخان فلا يلبث الضباب أن يهبط بأجعه الى الأرض جاعلا لها غطاء من تلك الاشلاء وهكذا ينتهى العيد وقد نكت الحب بهوده وحل الموت محله . ولا يكاد يسدل السار على هذا المشهد حتى تعقبه مأساة أخرى أشد هولاً فان الاستعدادات السابقة وإلهام السليقة التى لا يضيع يدعو ان كل مشتاق الى تلك المأدبة السنوية التى تقيمها هرائس الأرض فتعقد المصافير والحيات والحرة والكلاب وسائر الحشرات ولاسيما القمل وتجمع على هذه الفرائس المحرومة من الدفاع والتي تغطى أحيانا ألوفاً من الامتار وتبتدىء المجزرة الهائلة كل على قدر جسده وشهوته بل ربما أفرط بعضها في الاكل كالصافير نخرت من الوليمة وهي لاتستطيع اقبال منقرها . والانسان نفسه يشترك في اقسام الغنيمة فيجمع ما يصبه بالمجرفة ويأكله بعد التحميص أو يجهن بالسكر فيصير كاللوز ويبيعه في السوق كما في جزيرة جاها . وبعد الطيران وخروج آخر مجنح من القرية تقفل هذه بأمر القوة المحجوبة المدرة وتسد التخاريب في وجه الخارجين كأنما حكم عليهم بالنفى المؤبد (انظر شكل ٢٩)



(١) جمع مخروب وهو الشق في الحجر أو الثقب في كل شئ

(تخريب الأرض)

ان قرى الأرض بأشجارها وتعددها وشرعها القاسية البالغة متهى النظام وبحيويتها وتواصلها الهائل قد تكون خطرا عظيما على البشر وربما غطت وجه البسيطة لولامعادة الاقدار لها وجعلها سريعة العطب شديدة التأثير من البرد فهي لا تختمل من الحرارة إلا ما كان تحت درجة ٣٤ ستغرادو وفوق ٢٠ وهذا ما يجعل بقية المناطق في مأمن منها . على انها حيث أقامت كانت عاملا للهدم والتخريب وما أقلت الأرض في البلاد المطلة حشرة مثلها في حوب دائمة مع الانسان فتأكل بيوم من أساستها وتبقى ماعنده من فراش وكساء وورق ومؤونة وخشب وفعل ونبات ولا ينجو شئ من موجوداته من هذا للتخريب الفطيع الذى يتم في الخفاء فتفسد من خوارق الوجود . وانك لتجد أشجارا كبيرة سليمة في الظاهر فلانكا . تمد اليها يدك حتى تنهار لتأكلها من البطن

تلك هي عادة أحمال الأرض في التخريب المنزل وقد يتسع فطافها فيشمل مدينة بأسرها في عام ١٨٤٠ أسرت إحدى السفن المعدة لتجارة الرقيق فدخلت الى عاصمة سنت إلى (جاستون) نوعان الأرض البرازيل الصغرى الجنود المسلحة بالمخافن فهم قسم من المدينة وفعل بها فعل الزلازل . وفي عام ١٨٧٩ نسب الأرض بسقينة حربية إسبانية في ميناء «دورل» فلم يبق ولم يبق . وزعم الجنرال لكرك أن جزر الأنتيل الفرنسية لم تقو في سنة ١٨٠٩ على الرد الأتجيز لأن الحشرة الهدامة كانت قد دخرت بالمنازل وتركزت للدافع والتخيرة في حالة لا تصلح للعمل . ويطلق بنا الشرح لآوردنا ان تعدد الجرائم التي يرتكبها هذا العدو الشديد الحول على ضعفه وقد سبق فقلنا انه غلب الانسان على أمره في بعض نواحي أستراليا وجزيرة سيلان فامسك عن الزراعة . وفي جزيرة فورمور أرضه تحرق حتى الهلون . تلك الجنران اذا لم تمسك بالطين امساكا شديدا

وقال أيضا ولو أعطى النحل أن يتصور الجحيم لما كان في نظره أشدهولا من هذا لأنه يجوز لنا أن نعتقد أن النحلة لا تشعر بنفسها حياتها ولا تقدم إلى الجبور عندما تروى من ندى الفجر وتمود ثلثة من الزهر فتستقبل باكرام في قصرها الصلى العاطر . أما الأرضة اللاصقة بالقراب تدب ديبيا في ظلمة خبثها القفر في ابن لها الراحة أو السرور واية مكافأة تنتظرها أو إغصامة نفسها عملها الشاق وهل عاشت هذه الاحباب الطوال فقط لتسقى كما هي أو بالآخرى كي لا تموت فتتكاثر بدون لذة وتخلد بلا أمل صورة من أحقر صور الوجود وأشقاه . من يرى الاسرار الروحانية أو الحيوية أو الاثورية أو الكهربية التي تختبئ في هذه اقرى ولا فصل الى حل طلاسها ؟ والحق يقال ان الانسان كلما تقدم في ادراكه أدرك انه من أجمل المخلوقات وأضيقها علما

إن المبادئ التي تدبرها هي أسمى وأمن نظاما من أحسن اجتماع بشري ولا يمكن التلاعب بالألفاظ للقول بأن حركات الأرض ليست حرة وأنه لا يستطيع الخروج على نظامه الأسمى فان العامل الذى يرفض العمل أو الجنى الذى يهرب من القتال يجازى بالبرد أو على الظاهر يقتل ويؤكل ، أهلبست هذه الحرمة نظير حرة ؟ ثم هل كان الذكاء البشرى القلب الوحيد الذى تفرغ فيه قوى الوجود الروحية والعقلية ، وهل كانت أعظم وأغرب وأعمل وأدق هذه القوى لا تظهر فينا إلا بواسطة الذكاء الذى نعتبره ناج الأرض والعلم ، إن أهم شئ في حياتنا أى سرها العميق هو غريب عن الذكاء معادله ، وما الذكاء إلا اسم نعطيه لإحدى القوى الروحانية التي لا نفقهها * وفي المعنى

اتما نحن في اختلاف عقول * مثله نحن في اختلاف وجوه

فربما كان للذكاء كما للحياة صور متعددة وليس لنا ما يدل على أفضلية بعضها على بعض ، وما الانسان الا فتاعة عدم يريد أن يقيس بها العالم . وبعد هذا كله فانا لا ندرك كل ما اخترع الأرض لأنه يقطع النظر عما ذكرنا من عمره ونظامه في الاقتصاد والاجتماع وتوزيع العمل والتمرين والكيمياء والصناعة وتوليد

الماء ونحوه في الصور والأشكال فإن هناك أشياء لم يحط بها العلم . لقد قطعنا الأرض في هذا الوجود بملايين من السنين فليس بعيد أن يكون اعترضه في طريقه من العقبات ما سيحترقنا يوما فنحتاج مثله الى تذليله كذلك أن تكون قلبات الجحوق والأقاليم في الأعصار الجيولوجية أيام كان يقطن شمال أوروبا كما دلت آثاره المكتشفة في إنجلترا وألمانيا وسويسرا قد اضطرت الى المعيشة تحت الأرض فأفضى به ذلك الى تقاضول بصره وكفه عند السواد الأعظم منه . من يرى اذا كانت هذه الرزايا لا تنتظرنا في المستقبل البعيد عند ما يجبرنا البرد على الالتجاء الى الكهوف والغيران في بطن الأرض أواذا كنا نهرب عليها منه . ثم اتنا نجعل طريقة المعلمة عند هذه الحشرات ولا نعرف كم اقتضى لها من الوقت والتجربة قبل الوصول الى هضم السيليز . أما تحوّلها العجيب الذي نستطيع به أن نحقق هذا الشكل أواذا فهو فضلا عن غموضه بمد خطوة واسعة في طريق الابتكار والإبداع لم يقس بعد للإنسان أن يحطوها . الأخرى اتنا لا نستطيع تحديد الجنس وتكوين الجنين كما نشأ بل نجعل حتى ساعة الولادة أكان ذكر أو أنثى . فلو كان لنا علم الأرض لاستطعنا أن نوجد عند الحاجة والضرورة أبطالا وعمالا ومفكرين لا يكون من عندنا اليوم من أهل البطولة والعمل والتفكير القياس اليهم شيئا مذكورا . ما الذي يمنعنا من الوصول يوما الى تضخم النماغ ألتنا الوحيدة للدفاع في هذا العالم كما وصل الأرض الى تضخم منافرجنوده وميض ملكاته ؟ وهل يمثل الخطر ما يستطاع عمله يومئذ فإن رجلا يبلغ من الذكاء أضعاف أضعاف ما بلغه (نيوتن) و(باسكال) مثلا فهو يقطع من مسافة العلم في ساعات ما يحتاج نحن الى عصور لاجتيازه . ولعله يصل الى كشف الحجاب عن أسرار هذا الكون فنفهم لماذا كل هذا الشقاء الذي يحيط بنا وهذه الآلام اللازمة لبلوغ الموت

هذا الانسان الجديد قد يصل الى اكتشاف حياة أخرى ، تلك الحياة التي يجذبنا سراها منذ القدم وقد وعدت بها كل الأديان دون أن تؤيد بلإبرهان وجودها ، ومهما يكن فعلنا اليوم ضئيلا فانا نشعر أحيانا اتنا على ضفة هاوية العلم بعيدة الغور وان دفعة صغيرة قد تكفي لتلقينا في عباها ، ولعل هذا التضخم النماغي يكون خيبة الخلاص في الأعصار الجليدية التي تهدد البشر ، على انه يحق لنا أن نفترض أن هذا الانسان وجد في سالف الأدهار وانه كان أوفر ذكاء من انسان اليوم بما لا يقدر ، غير اتنا نبعث عنه فلانجده لأمرا لنعد الى الأرض ، من يجسر على القول أن الخفاصة التي تتكلم عنها لم تنلها إليها الطبيعة . فطبيعة هي الهادي الوحيد لكل مخلوق قال (أرنست كابل) « كل مخترعاتنا وأدواتنا هي تقليد لعمل الطبيعة من غير أن نشعر ، فمخترعاتنا متقولة عن مضغ القلب ، وآلة التصوير هي غرفة العين المظلمة ، والتأليف هو جهازنا العصبي ، والأشعة المجهولة رؤية الأجسام من خلال الحجب كقراءة الكتاب دون أن يضر عنه الغلاف ، واللاسلكي مناجاة الأرواح بواسطة موجات غير منظورة وفي تحريك الأجسام بدون أن تمس (وهذا غير محقق) دلالة على ما يمكن عمله من تغيير شرائع المادية والثقل والاتصار عليها »

ثم قال « يجوز لنا أن ننسب غريزة الحشرات ولاسيما النمل والأرض والنحل الى الروح المشتركة الخالصة فقد قلت فيما أن هذه الشعوب هي كذات واحدة أو كائن حي مستقل أعضاؤه مؤلفة من خلايا كثيرة متفرقة في الظاهر مجتمعة في الواقع حول الشرعة المركزية . وهذا الخلود المشترك هو السبب الذي من أجله يموت المئات والالوف من الأرض دون أن يؤثر في الذات أو الجسم الواحد المستقل لأن غيرها يقوم مقامها كما أن اندثار ألوف الخلايا فينا لا يغير حالنا من غير عنه بكلمة « اتنا » ولهذا تظل الأرض عائشة كما هي منذ القدم دون أن يضيع لها اختبار أو ينصل لها وجود ولا تشتت تذكراتها لان هناك ذاكرة واحدة للجميع . وهذا ما يفسر لك كيف ان ملكات النحل لاتفك قبيض منتملايين من السنين ومن دون أن تزور زهرة أو تجمع لقاحا أو تمص عسلا تستطيع أن تخرج علامت تعرف ما جعلته أمهاتها كل هذه العصور وللدقيقة الأولى من طيرانها تفهم كل

أسرار الطريق وجمع الصل وزية العناري وكيمياء التغير . تعرف ذلك لأن الجسم الذى هو احدى خليته يعرف ذلك قهرها منبعته في الفضاء وهي متفرقة الشمل في الظاهر ولكنها مربوطة بالوحدة المركزية . فهي تكتليا جسما تقوم في سائل إلا أن هذا السائل أوسع مدى من سائل الجسم البشرى وأكثريته وخفة وروحيته

هل يمثل الأرض لنا نموذجا للنظام الاجتماعى الآتى ؟ من يدري ما يخبئ لنا الغيب . لا يعرف خيال في تصور راتنا قد يكفى أحيانا شي لا يذكرك لقلب نظام الادب ومقننات الشعوب . ان غاية ما نصبوا اليه اليوم هو حياة جال ورغاء وسلام . ومن قد أتى على الانسان ساعات من السحر فارب بها هذه الغاية في أثينا أو ألهد أو بعض أدوار للسيعة . فمن يؤكد لنا اليوم اذا كانت الانسانية تمشى حقيقة في هذه الطريق لافى الطريق للما كته لها ان مالا يربيه أن السعادة الكاملة الثابتة لا يجدها إلا في حياة روحية بحتة فهل هذه الحياة ممكنة ؟ نظريا نعم أما عمليا فمن المستحيل ذلك لأننا لا نرى من حولنا إلا المادة وبسوى المادة لا نشعر . ودماغنا نفسه مادة فكيف نرجوا أن نفهم به غير المادة . كل الجرب الواحد منا أن يغفل من قيود هذه المادة أصابه البواخ وهبط الى الخفيض . ان المادة علم الانسان الوحيد وقد اتفقت الأديان على ذلك سواء سمى هذا العنوشرا أم خطيئة ولهذا كانت حالة البشر محزنة على الأرض لأنه لا سبيل الى الخلاص من المادة . وكيف الخلاص وكل ما فى العالم هو منها والقوة نفسها والحياة ان لها الامورة من صور المادة وشكل من أشكالها بل الجسم الجامد الذى لا حراك به والمادة الضخمة المبته فيها حياة أكثر روحانية من أفكارنا . تلك الحياة الهائلة الخالصة . حياة الكهلب اتى لاتعب متحركة كالسيارات حول نواتها المركزية . كيفما أجبنا الفكر نرى شيئا وهذا الشيء هو غير العلم فلما أن يصير دأنا عظيم الى الحد أن ينسى مع ذلك الحيوان الصغير الذى كان يقال له الانسان أو يبق حثيرا خائلا على مدى الصور وهي لسة لا يوازنها أكبر عذاب من حجم المسيحين . على كل حال يقول أبكتت الفيلسوف : لا ينبغي أن نحاول تغيير طبيعة الاشياء فليس هذا بمسطاع ولا بمجد . ولكن على قبولها بها لنتمتع أن نطبق تصرفاتنا على نواحيها . عشرون قرنا مرت على الانسان منذ رقت في أذنه هذه الكلمات ولم تعمل به بعد الى نتيجة رضيه . انتهى (يقول المؤلف حمل الطبيعة يريد حمل خلق الطبيعة) اه

(خطاب للمسلمين)

أيها المسلمون : هذا اختره من كتاب (ملكة الكلام) أو (حياة الأرض) الذى عرّبه الدكتور (قولا فياض) . ثم أنا أضفت في الكلام على (الأرض) ومعيشتها وسياستها ونظامها ، وإنما حوكنى لذلك قوله تعالى - ما علم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته - . يا سبحان الله : مالنا والأرض ، وما لنا ولنساء سليمان ، وما لنا ولا كل الأرض لها ، وما لنا ولكون سليمان لم يعلم اليهود موته إلا بعمل الأرض ، عجيب والله هذا القرآن ! عجيب والله أن تكون هذه الكلمات باعثة لى على تقب أحوال الأرض ، فإذا عرفنا منها ؟ عرفنا أن الله جنودا وجنودا وتلك الجنود لها ملوك ولها سياسات ونظم اجتماعية عجيبة ، وعرفنا أن فى أم أوروبا من يدرسون هذه الحشرات ليستخرجوا منها علما عسى أن يرتقى به الانسان في مستقبل الزمان ولقد ظنوا أن هذه الحشرة الخفية قفرت أن تستخرج للماء من المواد التى حولها . يا الله : أنا أتوجه اليك وأسألك أن تبث في قوس قزح هذا التفسير حبا للعمل وحبا للعلم والحكمة حتى يكون للمسلمين نظام مع الأمم حولهم به يمشون في حبور وحياة منتظمة ، فأنت الولي الجيد

أيها المسلمون : إن الناس تنموا الطيران فطاروا ، وهالهم أولاء يتنمون عقولا أرقى من هذه العقول ويسعون لكسبها فسبعوا مع الناس بل أنتم أولى فان اشارات القرآن تبث السلم على العمل ، أولاترون

أيها المسلمون الصادقون كيف كان سليمان في هذه السورة هو سليمان في سورة النمل ، وبالحجبا يا الله وأنت عجب . اللهم انك أنت للعلم ، أنت للحكيم ، كيف كان سليمان في (سورة النمل) يتبسم ضاحكا من النحلة ، ونفس سليمان في هذه السورة تدل على موته دابة الأرض بالحجبا . كأن الله يقول لكم أيها المسلمون إن بين النمل والأرض علاقة فلتدرسوها ، فلاحظها في القرآن قصة سليمان وعلاقته في العلم اشتراكها في المدينة والسياسة وأن بينهما عداوة ، فالدرس للدرس الله أكبر : قصتي سليمان في هذه السورة وفي سورة النمل يفهمها العلة والغاية ، شارحة للصورة وهي باب لمراسة النمل ولمراسة الأرض ، فلأن عجب العلة والغاية من قصة سليمان مع النمل وقصته مع الأرض فوائده ليكونن عجبهم أكثر وأكثر حين يدرسون الجباب التي أبدعها الله فيهما - إن ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم - انتهى المقام الأول في المبحث الأول

(المقام الثاني في المبحث الاول)

(في قوله تعالى - فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين -)
اعلم أن طائفة من الناس يفرقون عزائم ودعوات كفرية أودينية أو غيرها وزعمون انها تقضى حاجتهم بها وينادون أسماء شيطانية ويبتلان اليها ، وهذا في الحقيقة نوع من العبادة ، وما الفرق بينها وبين الأصنام فالأصنام شفعاء وهؤلاء شفعاء ، فيحذر المسلمون من هذا ، إن الاعيان بالله على المهم ويرفع النفوس الى المستوى الرفيع الشريف كما كان الصحابة رضوان الله عليهم . فعلموا الهمة هو التي يرفع الانسان عن العوالم كلها الى بارئها فينال ما يريد اذا كان ذا عزيمة صادقة . ثم ان الذين يحضرون الأرواح في هذا العصر يعلقون آمالا عليها في أمورهم الدنيوية أوفى معرفة الغيب وهذا كله خروج عن القضايا الدينية ثم لا يفيد فاعله ويكون ذلك أشبه بالعبادة ويحبب الانسان عن ربه . ومن ذلك ما تقدم في هذا التفسير من الأرواح التي كان يستعملها قسما المصريين كالثلث والرابع والخميس الى التسع للكواكب السبعة . والمسلمون اليوم هكذا يستعملها بعضهم وهو لا يدري انها كالشرك بالله تعالى . ولأورد لك أسئلة من كتب الأرواح اتقاهما العلماء على الأرواح في أوروبا لما استحضروها . وهاك يسما

(س) هل من أسئلة تكرمها الأرواح الناقصة

(ج) لا تكره إلا الأسئلة التي ترجع النقاب عن جملها وخطابها

(س) ما قولك فيمن يتخذون الخبارة الروحانية بابا للهوا وهزل أولا يستنبأ أمورهم صوالهم للزمنية

(ج) هؤلاء تسر بهم جدا الأرواح الناقصة لمدايمتهم وخطابهم

(س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أمر المستقبل ؟

(ج) كلا : إذ لو عرف الانسان المستقبل لأعمل الحاضر

(س) ماهي أخص دلائل النبوة الكاذبة ؟

(ج) هي التي لا تأتي بغائدة علمية أو يكون مرجعها النفع الخاص

(س) لماذا تكون الأرواح الرصينة عند قنبتها عن أمر لاهين زمن حدوثه

(ج) يكون هذا إما عن عمد منها أو عدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمرانما زمن وقوعه

يكون في الغالب متعلقا بحدوث لم تتم بعد ولا يعلمها إلا الله ، أما الأرواح الطائفة فلا يهملها أمر الحقيقة وتحدد الأيام والساعات من دون التفات الى صحة النبوة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إقناع بصيرتكم وترقيكم الروحي لا المرافقة وقصص الفال ، فمن أحب هذا تألفه الأرواح الماكرة

ويصبح العوبة بين أيديها . انتهى المقصود من كتاب الأرواح

وهذا يكفيك من ذلك فان الأسئلة توضح الآية هنا ايضاحا كافيا ، إن هذا من أعظم معجزات القرآن كيف لا ونحن نجد أن أوروبا التي لم نسمع أن في القرآن هذه القصة لعدم إيمانها به تكون نتيجة حديثها مع الأرواح أن الجن لا تعرف خبر الغيب ، ولا معنى للجن إلا النفوس الناقصة كما لا معنى لللائكة إلا الأرواح الكاملة وكل منهما درجات ، إن هذا معجزة وأى معجزة ، إن المسلم يمر على مثل هذا مرارا ويكتفى بالإيمان أما اليوم فانه يرى اليقين في العلم ، فان كذبت أيها القطن الفرجية فدونك العلم فاستعمل الطرق التي أوتيتها في كتابي «الأرواح» واجعل نصب عينيك الحقائق لا الامور السنيوية . وهناك تعرف بنفسك لا بأوروبا لكن مع الصبر والجهد ، وان أردت إلا أن الزيادة فليكن بكتاب الأرواح ، وان شككت فاستقل بالعلم ، واعلم أن الله جعل هذا الزمن هوار زمان الذي فيه يظهر سر القرآن - وقل الحمد لله سير بكم آياته فتمرفونها -

فالسلمون إن لم يدرسوا فليرحلوا من العالم ويأتى الله بأمر آخرى لهذا الدين أرقى من هذه الأم النائمة فأما الكسل والتكذيب والاستهزاء فليس يجدى في زمن العرفان والعلم والحكمة والارتقاء . وبهذا تم الكلام على البحث الأول بقائه معا

(لطيفة في قوله تعالى - فلما خوّت نبت الجن - الخ)

(تذكرة في ليلة الخميس ١٣ يناير سنة ١٩٣٠)

في هذا اليوم حضر عندي رجل عظيم ذكى عالم وقال لي : ألم تطلع على « مجلة الدنيا للصورة » في هذا الاسبوع . قلت ماذا فيها ؟ قال إن فيها أمرا عجبا ، وقص « على ما يأتى :

(يد خفية تكتب من وراء الجھول)

(بعمر البرلمان المصرى علما واحدا ، وتنفذ المعاهدة في خلال سنة أشهر)

بين النجمين وقرءا الطوائف الذين هبطوا مصر رجل هندي له طريقة مدهشة في الاجابة عن المستقبل بحار العقل في قلبها ، وهل هي سحر ساحر علم ؟ أم شعرة مشعوذ ماهر في خداع العقول والأبصار ؟ ونحن نسردها على بعض أعمال هذا الرجل الخلقة لعادة كما شاهدناها مندوبنا وتركه للقارئ لتليها

في شقة بسيطة الرياش يقيم رجل هندي لا يفتيك مظهره عن خبره ، وكانت زيارتي لهذا الرجل حافلة بالدهشات ، ولو انى حاولت أن أدرك خفي أسرته وأستطلع وسيلته التي يتوصل بها لتأدية أعماله فلم أوفق في محاولتي مع يقيني بأن الأمر مهارة خارقة لاعلاقة لها بالأرواح . لآتري في شفته مظاهر التأثير والروعة التي تصحب عادة منازل النجمين وعلماء الروحانيات بل هي ذات فرائس بسيطة أشبه بكتيب وكيل أعمال أرواح مبتدئ . و رأيته في صغائر السق هادئ النظرات حليق الوجه يتحدث في ابتسامة صغيرة وبسيطة . سألني بالانجليزية : أريد أن تعرف شيئا عن مستقبلك ؟ أجبت : نعم . ودخلت حجيرة مكتبه وليس فيها إلا مكتب واحد عليه أوراق متناثرة وأقلام ودفتر عادية وقد طليت جدران الحجرة باللون الاسود . ولما رآني أنظر لهذا الطلاء الاسود اهتتم مستغربا قال لي في هدوء : اتى أمي الحجرة لاستحضار الأرواح فانها لا تظهر إلا في الظلام وسألته : وفي أى نوب تظهر الأرواح . فأجاب : تظهر مشكلة بشكلها الأرضي فتراها كما عهدتها على سطح الأرض في الجسم نفسه والملابس نفسها ، ثم طلب مني أن أكتب أربعة أسئلة على أربع ورقات صغيرة عما أود معرفته من شؤون المستقبل ، وتناولت ورقة صغيرة قطعنها على أربعة أقسام وبينما أنا أقطعها بثأن وبطء استأذن مني ليغيب دقيقتين وترك الحجرة وانصرف ، ومضيت أنظر حولى فلم أجد في الحجرة ما يرب وتناولت قلبي فكتبت على كل ورقة سؤالاً ثم طويت الورق وأودعته يدي ، وعاد الرجل بعد قليل وجلس الى مكتبه وسألني : هل كتبت الأسئلة ؟ فأجبت : نعم . وجلس يسطر جداول ورموزا والورق في يدي اليسرى مطوى

طيات عديدة وقد طبقت كفى عليه ، ثم طلب منى أن أكتب فكتبت يدي اليمنى على ورق أمامي وأغمض
 عينيه ثم أملأني السؤال الأول فالتفتي فالتفت فالتفت فالتفت فالتفت فالتفت فالتفت فالتفت فالتفت فالتفت فالتفت
 الكلمات وكان نظره المنفص يخترق كفى ويخترق الأوراق المطوية ويتلو ما فيها ، وكان بين الأسئلة سؤال
 كتبت فيه كلة ومحوها وكتبت كلة محلها ، فلما أملأني هذا السؤال ذكر الكلمة الأولى ثم طلب منى أن
 أمحوها بالقلم وأكتب بدلها الكلمة الثانية . كتبت الأسئلة وأنا أقسم وأغالب دهشتي ، ثم تلو القلم من يده
 وطلب منى أن أضعه فوق الورق في كفى فوضعت ثم استعاده منى وقال لى : افتح الورقة فلان الأجوبة
 مكتوبة فيه . وفتحت الورق فرأيت في أسفل كل سؤال الجواب عليه مكتوبا بالقلم الرصاص وكانت الأوراق
 لم تخرج من كفى وهي مطوية فيه طيا عكسا . وكانت حقا مفاجأة لطيفة مذهشة . وقلت له : لتحدث كما
 يتحدث الأصدقاء . مسرعا هذه المقطرة العجيبة ؟ أجبني بهدوء : سرها بسيط فاني متصل بالأرواح أسخرها
 خلعنى وأسطمع أنبأها فهي توحى الى ما يخفى أمره على الناس . ولكنى لم أشاركه القول بأن هذا السر
 أمر بسيط وإنما أعدت سؤالى : ومن أين لك هذه المقطرة ؟ وصمت طويلا وكأنها يستعيد ذكريات قديمة
 ثم قال : سأحدثك بما لم أحدث به أحدا . كنت وأنا في التسعة عشرة من عمرى طالبا في (لاهور) ببلاد
 البنجاب في الهند . وكنت أقيم وحدى في شقة استأجرتها فأقضى نهائى في الجامعة ولبلى في منزلى أراجع
 دروسى . وفي هذه الأيام تعارف بفتاة هندية حسنة كانت طفلة صغيرة ولكنها جمعت كل معاني الانوثة الفاتنة
 وأسرار الجبال الأخد . همت بمحبها وطنى غرامها على كل حواسى حتى أصبحت ولا تشغلنى إلا فكرة واحدة
 مستولية على كل مشايرى وماللت كل رأسى وهي هذه الفتاة . ولكن الحجاب القاسى كان يحرمنى من لقائها
 ورؤيتها . وكانت تمر في الأيام دون أن أراها فأذوب وجدا وتضطرب أفكارى وتختل أعصابى . وفي ذات
 ليلة جلست في منزلى وحيدا وأنا أفكر فيها بكل قواى . أفكر فيها وأرغب في رؤيتها وأحصر كل أفكارى
 وحواسى في هذه الرغبة القوية . وخيل لى أن كل قوى العالم اجتمعت في ذهنى ثم تمركزت في هذه الرغبة
 القوية واذ ذلك خيل لى أن قوة تفكيرى وشدة الرغبة الصادرة من روى تخترق الحواطا والجدران والحوائط
 وتصل الى هذه الفتاة في خدورها وتستدعيها ولتها تحيى ملبية دعوى الحارة وانها تقرب من منزلى وانها تسير
 تحت نوافذى وأطلت من النافذة فرأيتها تسير في الطريق وهي تنظر الى نوافذ حجرى . وحدث ذلك مرارا
 فكنت كلما فكرت فيها رأيتها أمامى . ولا ريب أن فى ذلك إحدى معجزات الغرام والرغبة القوية . ولكنى
 لم أهنأ بحبيبتى فقد اختطفها الموت وهي في زهرة صباها وحزنت عليها حزنا شديدا فهجرت الجامعة والدروس
 وأهملت نفسى ورحلت كالجنون لأريد من حياتى إلا أن أراها بعد موتها . وكنت أعلم أن بين جبال الهند
 وغاباتها يعيش جماعة الفقراء والبرائش الذين يقال عنهم أنهم من طائفة قشت أيامها في التنسك والعبادة
 حتى أزيلت عنها الحجب واتصلت بعوالم الأرواح وتجردت من شوائب المادة الدنيوية فبلغت نفوسها درجة
 فائقة من القداسة . ودعائى شغى بحبيبتى الميتة وجنوتى ورغبى في رؤيتها الى الميام في الغابات والجبال والى
 غشيان جماع البرائش الفقراء في العراء أملا بأن أستطيع أن أرى روح حبيبتى . وأخذت عهدا على بعض
 شيوخهم وكان لابد لى من قضاء مدة التجربة بينهم . ولأرأى أذكر تلك الليالى الطويلة والمحن التى قاسيتها
 فيها حيث كنا نجلس حلقة كبيرة في وسط الغابة تحت ضوء السجوم تتلو آيات معينة من القرآن الكريم
 وتكررت ثلاثتها آلاف وألافا من المرات حتى تتجرد أرواحنا عن أجسامنا ونسبح في علم كله هدوء وسكينة
 وكنت أرى بعض وحوش الغابة تتسلل نحونا ، فهذا فهد ضار يقف عن بعد يحملق إلينا وكان عينيه شعلتان
 تتقدان في ظلام الليل ، وهذا أفصان ضخم يزحف بين الحشائش ويدور حولنا ، وكان الفزع يتولانى في
 أول الأمر ، ولكنى أرى البرائش في ذكرهم وتلاوتهم لا يشعرون بتلك الضواري ولا يقيمون لها وزنا

فأجمع قوائ وأشد على قلبى وأستمر فى القراءة والتفكر . وفى صباح اليوم التالى أسأل أحد رفائى عن هذه الكواسر فيجيبنى إنها الأرواح مشككة فى أشكال خفية تحاول قطع قراءتنا حتى لا نسلط عليها ونسئ لا يقطع الرعب فى قلوبنا ولها يمتنا قبل أن نهزمها ، وقضيت أربعين يوما على هذه الحالة وأنا لا أتناول طعاما ولا أرندى نيا ولا أقطع قفى إلا بالتلاوة والتذكر ، وفى ختام اليوم الأربعين شعرت بأنى بلغت ما يبلغ أساتذتى المروايش واتى أصبحت سيدا على الأرواح أمامها قلبى ندائى . وسألته : ومن كانت أول روح استعصرتها قال بهود : روح حبيبتى طمبا وقد لبث ندائى وحادثتها وحادثتى

وبما يذكر عن نبوات رجل الأسرار واسمه الخقيقى (مير عبدالحيد) أن أحد النواب الوفديين ذهب إليه ليسأله فى أمور سياسية وكتب الأسئلة وطواها وكان بينها هذان السؤالان

(١) - كم يصر البرلمان ؟

(٢) - هل تعقد بين مصر وإنجلترا معاهدة فى بحرسة أشهر قادمة ؟

فكان الجواب على السؤال الأول « بصرسة واحدة » والجواب على السؤال الثانى « نعم » ولم يجد النائب فى هذين الجوابين ما يثنى عليه فان حل البرلمان لا يمكن أن يحدث اذا أبرمت المعاهدة وسأل سؤالا ثانيا : « اذا كان البرلمان سوف يصر علما واحدا فما هو نظام الحكم الذى يتلوه ؟ » وكان الجواب « يكون الحكم فى يد حزب الأغلبية ويبقى فى يده طويلا » وكان هذا الجواب يدل على أن الحكومة الوفدية سوف تحمل البرلمان بعد سنة واحدة ثم تعود الاضطرابات فيخرج حزب الأغلبية وهو الوفد فازرا ويتولى الحكم مدة طويلة والله أعلم اه

فلما قال صاحب ذلك وقد قرأه فى المجلة بنصه . قلت له : وهل لهذا علاقة بالتفسير . قال نعم : أذكرك بما تقيم فى (سورة النور) ألم تذكر هناك أن الأسئلة التى وجهها الناس الى الشيخ أحمد بن المبارك تليذ الشيخ الباغ فى أمر السحاب والمطر والبرق والجبال التى فى السماء ، ولما رأى الشيخ ابن المبارك أن علماء الاسلام قبله لم يعرفوا أغلب تلك المسائل هرع الى الشيخ الباغ فأجابها وشرح مسائل لم يظهرها إلا لعالم الحديث فكان ذلك مجزة إذ ظهر أن فى المجزءا من تلج يزل منها برد وقد رسمنا أنت هناك ، وأنت قلت ان طبيعة دين الاسلام أن يسأل الناس علماء عن كل شئ لأن القرآن يذكر أمورا كثيرة ، فإذا قال الله لنا ان الجنة لا يطمون القيب فما بالتنازى رجلا حنانيا فى هذه القصة يهبرنا نحن المصريين بأن المعاهدة ستكون بعد ستة أشهر وأن البرلمان يصر برلمان آخر بعدسة ، وكيف قدرت روحه أن تحضر محبوبة الى منزله من وراء الجدران والحيطان ، وكيف يحاطبها بعد الموت . وإذا لم يكن تفسير القرآن هو الذى يوضح ذلك فمن أين نعرفه ؟ ثم هذا القى الهندى يجمع الآن بهذه للزية . فهل من المصلحة أن نبقى لنظيرها لأن الناس جميعا عندهم استعداد لأمثال هذا وإن كانوا فيها مختلفين . فقلت له إن قولك يتضمن ما يأتى :

(١) كيف قويت روح الهندى على أن ينظر القاتلة من وراء حجاب

(٢) كيف قدر أن يحدث الأرواح

(٣) كيف يعلم القيب والله يقول ان الجنة لا يطمون القيب وهو يقول إن الأرواح تعلمه ذلك القيب

(١) أما قوته على رؤية القاتلة من وراء حجاب فتلك يرجع الى قوته فى نفوس جميع الناس وهذه القوة لا تتجلى إلا نادرا جدا لأن قوائا فى الأرض موزعة على أعمالنا ، ألا ترى أن أرواحا موزعة قوائا على الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة وعلى ما فى من قوى شهوية وقوى غشبية وهواطف وعادات وأموال لا حصر لها ، وكل هذه مفرغات عن النفوس ، فإذا حصر المرء فكره فى أمر تال منه على مقدار ما قسم له

وهذا القتي حصر فكره في القناعة وجميع السحرة في العالم من هذا الباب دخلوا ، فنفسهم حصروها في أمور خاصة بطريق خاص بهم تقوه عن قبحهم وقد قبلوا الشهوات فأثروا على مقدار عزيتهم ، وهذا القتي ماحصر فكره إلا الحب القتي استحوذ على جميع قواه فصار هذا الجسم وحواسه الظاهرة والباطنة كأنها ملغاة لأهل لها وهذا تقدم تقريره في مواطن من هذا التفسير

(٧) وأما محادثته للأرواح فهو مفرغ على ما قبله وقد تقدم تقريره في هذا التفسير كثيرا وهو مشروح شرحا تاما في كتابي (الأرواح) القتي ألفته لذلك . إن النفس متى انصرفت عن أحوال هذا العالم اطلمت على عوالم أخرى

(٨) وأما جواب السؤال الثالث فهو المذكور سابقا وهو أن الأرواح لاتعلم الغيب سواء أكانت في أجسامها أم كانت مجردة منها بعد الموت ، وهذا القتي الهندى إما أن يكون إخباره بالغيب في أمر البرلمان من قوة قضية فيه ، ولما أن يكون بإخبار الأرواح وكلاهما ينفى البحث فيه

نحن الآن لاتفهم هل يصدق ذلك التنبؤ أم يكذب . ولم تخص السنة الأشهر ولم تخص السنة حتى نحكم بصدقه أو كذبه ، والقى يمت في علم الأرواح أنها لاتقدر أن تعرف الأحوال المهمة في الأرض وإذا أخبرت وقع الصدق والكذب فيها إلا إذا كانت أرواحا عالية تسخر بأمر لغرض شريف فهذه يباح لها ذلك الاخبار فأما الأرواح الصغيرة فانها طائفة تخبر بما لاحظه من الصدق استهزاء بالسائل لأنها تحب الهزء والسخرية هذا ثم إن منزلة هذا القتي الهندى في النوع الانسانى وأمثلة من أولئك للتبتلين ليست هي المنزلة السامية . نحن خلقنا هنا في الأرض ولنا أعضاء وقوى وعقول فلا بد أن نعطى حقها من العمل وحولنا عوالم أرضية وسماوية فلا بد أن نعطى حقها من العرس وحولنا نوع الانسان فلا بد أن تكون نافعين له بقدر طاقتنا ، أما تعطيل قروانا واتكالنا على الأرواح فهذا قصص فينا كاهو مفسر في (كتاب الأرواح) وليس للاخبار بالغيب في عالمنا منزلة شريفة اذا صدق ولتلك قل الصدق في الاخبار بالغيب لأن الانسان اذا علم المستقبل أهل الحاضر فنام وكسل وهذه هي سنة العوالم الأرضية ، الأرواح الصغيرة تخبر صدقا وكذبا والأرواح العالية تخبر إلا بالامور العالية للنافع العامة وذلك قليل ونادر ، إن عالما يضرب به العلم بالمستقبل فاجل به هو السنة الصالحة في أرضنا ، وهذا القتي الهندى هو وأمثلة اليوم لا يفيدون الانسانية أمورا عملية . ثم ربما كانت حياتهم مذكرة للناس بعوالم الأرواح ، فهم من هذه الوجهة قد أدوا خدمة وإن لم يقصدوها ، ولكن العرافة والاخبار بالغيب أكثرها كذب لايصح التعويل عليه ولوصح ذلك لكان وبالاعلى الناس إذ يصلهم الكسل والانتكاس على المستقبل ، ومنعجب أن يقول ، إن الأرواح تظهر للناس في أشكال خفيفة خشنة القسط عليها هذه العبادات ، وهذا دلالة على أنها أرواح من عوالم منخفضة ليست راقية ، فإذا سخرت هؤلاء الناس فهي أشبه بالاستعمار في الأرض . فالأمم التي عندها أسلحة تقوز التي لا أسلحة لها وهؤلاء ضاعف . إذن ظهورهم واختفهم هؤلاء الناس وقت القراءة أشبه بمعاربة لاجبات أهلهم فإذا تغلب الناسك على تلك الأرواح استخدموها ، إذن هذه الأرواح صغيرة ضعيفة يسخرها كل من قدر عليها وهذه هي الأرواح التي تكذب تارة وتصدق أخرى وإخبارها بالغيب مشكوك فيه لأنها محبوبة عن المستقبل إذ العلم بالمستقبل لا يسقى إلا لأرواح عالية إلى حد مخصوص ليساعدها فيما تراه من اصلاح العوالم الأرضية . هذا ما يعطيه علم الأرواح . فأما هذه اللوحة التي أعطىها الشاب الهندى فليست منزلة شريفة في الانسانية

وإذا قرأت ما تقدم في (سورة الحج) في (صحيفة ٥٢) وما بعدها من الجزء الحادى عشر واطلعت على كلام الشيخ الباغ والشيخ الخواص والشيخ الشعرائى وجدت هذا المقام موعها كل الاضاح وأن أهل الصلاح القبين اطلوعوا على الامور الغائبة ليس لهم حظ في الآخرة لأنها شهوة نفسية وور بما يموت الصالح مغلسا لأنه أخذ

حظه في الدنيا . ولذلك ترى الشيخ الخواص يقول « إياك أن تقبل التوحي والاطلاع على المغيبات بل استعد بالله من ذلك ، و ترى الشيخ البياض فسر لنا آيات وأحاديث بما لم يفقه غيره من العلم والحكمة العالية وهو هو نفسه يقول { إن الذين يعبدون الله ويقصدون بالعبادة هذه الامور يصحون أخس نوع الانسان } فافقروا هذا المقام هناك وفي سورة الكهف عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وفي موضع آخر قبله في نفس السورة . وإذا كان العباد والساخون اذا قرؤوا القرآن وعبدوا الله لهذه المقاصد مذمومين لما باله بهذا التقى الذي قصد من النجدة أن يخاطب محبوبته . ثم ان القرآن لم يزل لئلا هذا . كلام كلا ، على أن حصر النفس واحضار الأرواح لا يتوقف على القرآن ولا على كتاب سلاوى بل حصر النفس يحصل بالصور كثيرة ومنها اتصاله بذلك الشيخ ومنها تلك العزائم التي تشتمل على ألقاظ لا يفهمها قارئ وهو مشغول ، بقراءتها فليس المقصود من قراءة القرآن أمثال هذا بل هو لئلا تهذب النفوس وإصاح الألام لا يخرجها من الجسمية الى حال الروحية مرة واحدة . هذا ما علم في هذا المقام - وفوق كل ذي علم عليم - فقلت الحمد لله رب العالمين كتب نصف الليل يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٣٠

فلما أتممت هذا المقال جاء الى أحد الاخوان وقال فانظر انظر الى ما جاء في مجلة « الدنيا المسورة » بتاريخ يوم الأحد ١٣ ابريل سنة ١٩٣٠ م وقرأ ما فيه

{ قوة الارادة تنتج أعمالا خارقة }

(كيف يسلط المشعوذون قوى ارادتهم فيأتون بالغرائب والمدهشات)

لا شك أن في الانسان من القوى المعنوية المجهولة ما لم يستطع العلم به الوقوف على سرها أو كشف حقائقها في الناس من سمعنا عنهم أن نافورة من المياه المتدفقة تخرج من بين أصابعهم ساعت وأيام بلا انقطاع ، الى أن يبلغ حجمها أنصاف حجم الجسم الذي تخرج منه لو فرضنا أنه استحالة كله ماء . ومنهم من يضع نفسه في صندوق يحكم الغلق ويبقى فيه مسدود آلاف والمتنافس عدة أيام وليال ثم يخرج منه كأن لم يكن في الأمر شيء . ومنذ آلاف السنين عرفت قوة الادارة واستعملت ولكن في دوائر محدودة وبين أفراد قليلات جدا ، على النحو الذي يمارسه فقراء الهنود إذ ينأمون على المسامير والحرايب دون أن يشعروا بأنهم ، ويمزقون جلودهم بالمدى والأسنة دون توجع أو أنين

{ عملية جراحة بدون مخدر }

ويقول علماء هذا العصر ان كل انسان يملك هذه القوة التي ترى أنها خارقة ، وكل ما عجزه هو تنميتها وتدريبها . فقد حدث أخيرا في أحد المستشفيات أن مريضا رفض أن يتعاطى مخدرا قبل اجراء عملية جراحته خطيرة ، وطلب الى الطبيب أن يقوم بعمله رأسا ، بعد أن تمكن بقوة ارادته من أن ينام نوما لم يشتر في غرضه بمبضع الجراح . وقد فحص الأطباء بعض قوى قوة الارادة فقررروا أنهم استطاعوا أن يزيلوا عدد النبض العادى أو يقلوه كإبر يدون ، بل تمكن بعضهم من أن يوقف دقات القلب زمنا ما

{ طهرا بك في لندن }

لقد كان الناس يدعون فقراء الهنود الى عهد قريب دجاجة يشنون ويخدعون ويكذبون فيما يظهره من الخوارق ، ولكن العلم الحديث يعترف بأنهم ليسوا كذلك ، إنما هم قوم ذوو قوة إرادة نافذة وسيطرة عقلية على الجسم جميعه . ولعل القراء يذكرون ما عرضه « طهرا بك » في مصر من مدة قريبة ، وقد مرض هذا الرجل كثيرا من أعماله الخارقة في لندن فظهر الأطباء أن فيها شبهة الكذب والخديعة . ذلك أنه دعا أربعين

طبيبا انجليزيا وأجلسهم معه على المسرح الذى كان يشغل فيه ، ثم فرز سكيننا حادة فى أجزاء من جسمه كان يسيل الدم منها ويشجس تبعاً لإرادته . ثم استلقى أمام الأطباء على لوحة من السامير المعدنية وأوقف رجلاً ضخماً على صدره دون أن يشعر بأى ألم ، ولما زل الرجل جىء بحجر كبير وضع مكانه ووقف رجلان يتناوبان ضرب هذا الحجر بفأس حتى تنكسر على صدر « طهراً بك » الذى قام بعد ذلك سليماً معافى . وقد فحص الأطباء ظهوره فوجدوا به آثار دخول السامير فيه ، ولكنهم لم يروا أثراً لتقطرة دم مفرقة . وقد ظهر فى برلين فى العلم الماضى رجل قام بقتال هذه الاعمال جميعاً وزاد عليها أنه كان يظهر للجمهور سليماً دامياً على أديم ظهره ثم يخفيه ويعود الى اظهاره حسب إرادته . وقد قال هذا الرجل إنه رسم بموسى حلاقة صليبا على ظهره بحيث لا يمكن أن تراه العين . حيناً كان يريد اظهاره للناس فيسلط بقوة إرادته على الصورة المصوية فتدفع الدم الى خطوط ذلك الصليب ، فيظهر للناس دمايا رهيباً ، ثم يأمر الصورة المصوية بقوة إرادته فتمتص الدم من الصليب فتسمى آثاره

﴿ يشق تألم ﴾

وقد أسكن تطيل مكان عدم الشعور بالألم باستعمال قوة السيطرة العقلية على الجسم . بمآثره فى التنويم المغناطيسى حيث لا يشعر النائم بأى ألم يحدثه بأوتريج لما يصاب به أثناء نومه . وأقرب من هذا ما حدث فى مدينة شيكاغو إذ شق شاب اسمه هارفى شيرش وهو تألم . فقصوكم هذا الشاب من أجل حادثتى قتل قطيعتين ثبتت أداتته فيهما وقضى عليه بالأعدام شقاً . وقد غلب الخوف والفرع ذلك السفع ، فعمد الى السيطرة على نفسه ببطء الى أن غدا لا يشعر بشئ مطلقاً مما حوله ، ولبت تألماً فى سبات عميق عدة أيام قبل تنفيذ الحكم وأنقضت كافة المحاولات لا يقاظه ، وحل يوم التنفيذ غاب الوعى الى المشقة حيث شق وهو فى غيبوبة وعدم شعور تامين . وهذا مما يميز صدق الافعال التى يقوم بها فقراء الهنود وغيرهم ، إذ أن السيطرة على الجسم بقوة الإرادة ، وتركيز القوى المعنوية الخفية ضد التنويم بالألم ، كل هذا يزعم اعتقادنا بأن هناك قوة غير طبيعية وغوارق شاذة ليس فى مقدور البشر حل مهماتها

﴿ تخونه إرادته ﴾

وقد خضت لجنة طبية فى يومباي « الهند » فقرا استطاع أن يوقف النبض فى أحد ذراعيه دون الآخر وتمكن من أن يوقف دقات قلبه لمدة ستة ثوان حيناً أمر قلبه بذلك . وقد استطاع أيضاً أن يوقف حركة التنفس بضع دقائق وبقي بعد ذلك حياً . على أن قوة الإرادة التى تعمد هؤلاء الناس التنظ على هذه الاشياء الخطيرة ، قد تخونهم فى أحرح المواقف فلا يكون نصيبهم منها أقل من الموت ، كاحداث « فقير » بلا كان ، فقد مارس هذا الرجل لعبة المكوث مدفوناً تحت الرمل فى أحد المارح دون تنفس بضع ساعات ، وأجوى هذه اللعبة عشرات ومئات المرات كان يقوم بعدها دون أن يصاب بشئ . ولكن حدث مرة ، وهى الأخيرة أن أخرجه بعد للدة المقررة . وقد فرق الحياة . فقد خانت الرجل قوة إرادته فى أروع موقف وأخطر ساعة

﴿ الموت والحياة بالإرادة ﴾

ومن الممكن أن تتأثر الحياة والموت بالإرادة ، ويميز هذا القول ما رواه أخيراً الماجور سميت سكمدار بوليس مستعمرة الساحل النهي فى إفريقيا ، ذلك أن أحد كبار الوطنيين المتعلمين ، تأثر من مشادة وشجار حدثا بينه وبين أحد مواطنيه فأعجل إرادته فى نفسه ومات فى اليوم التالى ، دون أن يكتشف الأطباء أى سبب لوفاة أى أثر لمرض فيه . انتهى

فقلت له : انك لم تفعل شيئاً . ماهو إلا تكرار لما كتبناه هنا وهو ملخص ما كتبناه فى نفس هذا الموضوع فى « سورة الاسراء » وشرحنا نفس هذا الشرح فى (طهراً بك) المذكور وفى الرجل الألمانى .

فقال : حقاً أنت قلت قس هذه المعاني . فقلت : فاجد الله على العلم والحكمة . اللهم إنا نحمدك على الحكمة والعلم واتارة أم الاسلام في هذا الزمان

(للبحث الثاني)

(من القصل الثالث)

(في سبأ وسبل العرم ومحجائب العلم والكشف الحديث)

قد ذكرت لك في أول السورة أن قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - واختصاص ذلك بهذه السورة إيدان بما حدث في هذا العصر من العلم والحكمة وظهور آثار عربية في البلاد السبئية فبطله زلت في أرض سبأ وخبت في أرضها وبعلمه سبحانه استخرجت من أرضها وأظهرت النقوش في أسرارها سبحانه ربنا . قد كنت كتبت الفصل الثاني من تفسير هذه السورة منذ سنين وهو موجز السورة ولم أكن إذ ذاك لأطلع على معارف الأوروبيون عن بلاد سبأ فكان القول أجاليا والعلم استنتاجيا . ثم إن العوائق وقفت في طريق أعمال التفسير ونشره نحو عشرين فأطلعت في أثناءها على الكشف الحديث المصدق للقرآن العجيب البيان . فلما أن أذن الله بالتفسير الآن أخذت أكتب ما رأيته وأخلص ما علمته

علم الله بخزائن الأقمعين من أمنا العربية وطهرها في الأرض أجيالا وأجيالا فاعلمنا معاملة الأيتام مات عالمهم والجهل غاب سالكهم وكثر اليليم لا يسل له إلا عند بلوغه . لقد مضى على المسلمين زمن كانوا فيه غير راشدين بعد الخلفاء الراشدين بأجيال فعميت عليهم آثار آيائهم وناموا في كهفهم لا تثباته سنين وازدادوا تسعا بل ستاة سنين وازدادوا ثمانية عشر

نام المسلمون واستيقظ الفرييون وأخذوا يحلون الرموز ويكشفون الكنوز وقرؤا التوراة ، قرؤا فيها آثار الجين فهموا بالآثار والمسلمون قرؤوا في سبأ فلم يلقوا لها بالا ، فهم كالغلامين في المدينة والكنز تحت الحائط ، فأمر الخضر عليه السلام أن يظهر الكنز وهو مال عزيز وعلم منقوش ، هكذا المسلمون يتأخروا وقد خزن في بقاعهم العلم والمال فلم يسلمه الله لهم ، ولكنه اليوم أراد سبحانه أن يسلم إلى الأمانة فأرسل أولا علماء الفرجة نجاسوا خلال البلاد الفجينة واطلعوا على الخزائن الخفية والنقوش الجيرية والكتابة السبئية فرجعوا بلادهم ناشرين ولصور أعمال أجدادنا مظهرين وهاهوذا سبحانه أراد ولاراة لقضاء أن يظهر القرآن بالمظهر العلوي للعالم الاسلامي ويعلم أبناء المسلمين أن كتابنا الكريم يحضنا على بحث أعمال الأقمعين وأن من لم يشكر النعمة بتقبلها وحفظها يسلها الله منه ، بل أقول فوق ذلك إن ذكر هذا المقال في التفسير الآن من علامات اقبال العصر على أمة الاسلام ، سيقرا هذا الشبان المسلمون والشيوخ الشريقيون قعدهم نفوسهم أن يرجعوا مجدهم ويحفظوا كنزهم ويفرسوا ما كن في أرضهم ، سيكون ذلك في مصروفى - ووريا وفي العراق وفي اليمن ، وسيؤلى الحث على هذا علماء الدين ، كيف لا . ألم تسم السورة باسم سبأ . ألم يذكر الله قصتها هنا ، نعم فبعل الله وضعت الكنوز ورسمت النقوش ، ويعلم الله أن خزبت وستخرج وبأوى على رسول الله أنزل القرآن وفيه هذا السر للمصون ، ويعلم الله جاء أمثال هذا التفسير ، فليشتر المسلمون باقبال الأيام وظهور الحكمة والعلم في الاسلام ، فلا شرع في المقصود في هذا المقال ولأجله (ثلاثة مقاصد الأول) في الكاشفين لآثار سبأ (الثاني) في الكلام على مدينة مأرب (الثالث) في الكلام على سد العرم

(المقصد الأول في الكاشفين لآثار سبأ)

قد ذكرت لك في أول السورة أن أول من خطر له ذلك العالم الألمانى (ميخائيلس) وهو عالم بالفلسفة

واللاهوت ومات سنة ١٧٩١ م وكان يميل الى نبذ التقليد ويجب أهل النظر وهو المقتنع على ملك الهندبارك ارسال البعثة الى الصين سنة ١٧٥٩ ليحقق مافي التوراة من المسائل المتعلقة بجغرافية الشرق وعدادات الشرقيين
 يا هبجا : انظر كيف ألهم الله الأمم أن تحفظ التوراة التي هي مجموع حوادث وقصص وكلم فيها من خطأ، ولكن الله لا يبتغي شيئاً إلا لحكمة . فانظر كيف كانت التوراة سببا في حب هذا العالم لكشف آثار الجن .
 انظر كيف أحب القوم دينهم ولودخل قصصه التعريف . ومن حب الدين والمطالعة أحب كشف بلاد آياتنا . فاذا يقول المسلم بعد هذا . المسلم الذي يقرأ سورة سبأ والعنقبي للمسلم ربما كان من نسل سبأ . بل العرب في مصر والشام والعراق وشمال افريقيا والحجاز يمتون بالنسب والجوار واللغة الى سبأ إذ الجميع عرب فهذه الأمم كلها لم تفكر في آياتها ولا في بلادها ولا في آثار دينها . ثم يجيء (ميناخيلس) فيقول (لفرديريك الخامس) ملك الهندبارك : (شكل لجنة وبعثت عن آثار سبأ) فأجابه الملك وأرسل خمسة علماء رئيسهم عالم اسمه (كارستن نيبره) . لماذا ؟ لتحقيق مافي التوراة عن الجن . فاذانتم لهذه اللجنة ؟ سافرت في سنة ١٧٩١ الى الاسناة وصرت بمصر ووصلت الصين سنة ١٧٩٢ م . فاذا حصل ؟ ماتوا بالتدريج من المشاق والعطب إلا الرئيس فرجع وألف كتابا ونشر في أوروبا وقال انه عثر على (مدينة ظفار) و (حدائقه) وفيها نقوش يجمل اليهود والعرب حلها . ثم سافر (زنسن) الألماني الى الصين سنة ١٨١٠ فعثر على ظفار على ثلاثة قوش وفي (عنا) على خمسة وهو في كل ذلك معرض لموت من عرب الصين . ثم سافر ضابطا انجليزيا اسمه (ولستد) سنة ١٨٣٨ م فعثر على نقوش جبيرة في قلعة يقال لها (حسن غراب) ووجد هو ومن معه نقوشا من نفس مدينة مأرب التي كان فيها السد المشهور . ثم ذهب العالم (ارنو) الفرنسي سنة ١٨٤٣ وعاد معه (٥٦) نقشا كما تقدم من صنعاء والحريمه ومأرب وحرم بلقيس ، وكان (ارنو) هذا صيدليا لامام صنعاء فأشار عليه أحد أصحابه أن يمتاحل للوقوف على آثار مأرب التي يتحدث الناس عنها في أوروبا والمسلمون لا يعلمون عنها شيئا مع انهم في أرضها ، فاحتال بحيلة : وذلك انه أظهر الفقر والسكنة لليهود واصطحب مع قافلة فقاس في تلك الرحلة العذاب والشدائد من الخوف والتعب ، وذلك انه مع غنائه وثروته الطائلة قد تواضع لهؤلاء وهم يجهلون أمره فكانوا يكفونونه مالا يطيق من الأعمال والمشاق ، ولم يتركوا له فرصة يفسخ فيها النقوش أو يطمعها فكان يفعل ذلك سرا تحت خطر القتل حتى أصيب برمد فعاد الى صنعاء أمهي فأرسل ما كان نسخه الى صديقه (فرسل) فنصل فرنسا بحمد الذي أشار عليه بذلك ، وقد نشرت أخبار تلك الرحلة بالجملة الاسبوية ، وفي بعض الأجزاء خريطة سد مأرب ، وهو أول من تمكن من مشاهدة تلك الآثار وقد حل العلماء نقوش (ارنو) سنة ١٨٤٥

ثم شكلت (جمعية الآثار السامية) واهتم بذلك ناظر المعارف بباريس فأرسل المستشرق (هاليني) سنة ١٨٦٩ مهتديا بمن قبله فرجع معه (٦٨٠) نقشا وهو في ذلك خائف وجل من العرب ، وكان يتظاهر وهو ينقل النقش بأنه راقد أو بأنه يصلي صلاة الاسلام . كل ذلك خوفا أن يقتله العرب . واطلع (هاليني) على بلاد الجوف مع ان علماء الجغرافيا يجهلون أهل صنعاء لا يعرفونها مع قربها منهم . ثم اطلع على بلاد (معين) عاصمة دولة الحسينين ولم يأت ذكرها إلا في كتب اليونانيين

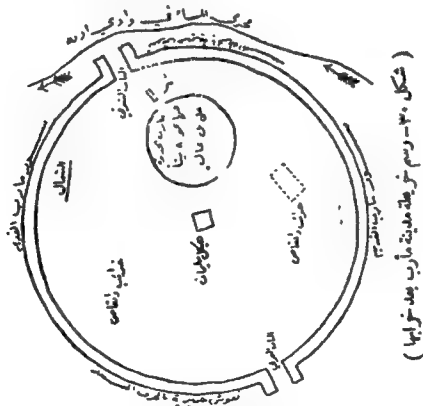
ثم سافر العالم الألماني (ادوارد غلنزر) وهل ألف نقش من مأرب وغيرها وفي بعضها تاريخ سد مأرب واصلاحه . ثم سافر الى الصين غير هؤلاء علماء غاتوا من فرنسا والنمسا . وبالجملة فان في متاحف أوروبا الآن عددا كبيرا من آثار الصين منها ما هو منقوش على البروز والألواح والأحجار يزيد على ألفين قد نشر منها كثير في المجلات الألمانية والفرنسية والانكليزية

هذه صورة ما كشفه الاورويون من آثار الصين ذكرتها ليظن المسلمون وليقوم فيهم النخوة والحمية وليكونوا أمة عالية الشأن وليغاروا على مجدهم ودينهم . انتهى المقصد الأول

(المقصد الثاني في الكلام على مدينة مأرب)

اعلم أن العقوبي في القرن الثالث الهجري ذكر تخاليف اليمن التي كانت في عصره . وجاء الحمداني في كتابه « وصف جزيرة العرب » ففصل تلك الخاليف وقرأها وأوديتها وجبالها وهذا الكتاب أوثق مصادر الكتب العربية وأوفاه . وملك تريد فهم الخاليف فأقول لك :
إن الخلاف وجمعه خاليف أشبه بما يقال له (مدبرية) بالنظر للمصري كالكورة عند قسنا أو الرستاق ويحكمه ملك صغير يسمى (قيل) جمعه أقيال . والخلاف يشتمل على محافد جمع محفد أشبه بالمركز في بلادنا المصرية فكل خلاف مقسم إلى تلك المحافد والمحفد الواحد عبارة عن قصور والقصر الواحد كالقلعة أو الحصن ويعرف صاحب المحفد بلفظها (ذو) فيقال ذو محمدان وذرمعين وهؤلاء الحكماء يسمون الأذواء أو القوين كاللوردات في أوروبا وقد يتغلب رجل منهم فيسمى نفسه ملكا عليهم جميعا ويتوارث الملك بنوه والذي عرف الآن ثلاثة الدولة المعينية والسبئية والحسبية وهي الدول الكبرى . أما الدولة المعينية فلا شأن لنا فيها . وأما دولة سبأ فهي الدولة التي نحن بسندها الآن . ولعلم أن التاريخ الذي وصل لنا عن تلك الدول غير موثوق به وهو مبتر وغير منظم . وأما يقال أن هاتلن أبو اليمن كلها وقضائى من جهة بابل وتعلم اللغة العربية من العرب البائدة . ولعل القسطنطين لما جاء من بلاد ما بين النهرين وهم لم تدنسهم المدنية والترف اخلطوا بالعرب البائدة وتعلموا منهم على طول القرون والسنين ثم عتقوا عربا . وقد ثبت الآن أن أهل سبأ أنشأوا دولة عظيمة وبلغ عدد ملوكها الذين قروهم على آثار مأرب ومرواح وغيرها بضعة ثلاثين ملكا . وقد حقق بعض العلماء أن دولة سبأ تبتدئ سنة ٨٥ ق م وتنتهى سنة ١١٥ ق م ثم ظهرت دولة جبر . أما دولة جبر فقد كانت من سنة ١١٥ ق م إلى سنة ٥٢٥ م . وآخرها دونواس وحكمها ٩٤ سنة ثم دخل الحبشة ودولة سبأ التي كلاً منها كانت عامتها لما انتزع ملكهم (مأرب) التي كشفت حديثا بعد نقلها من (مرواح) وقد وجد في نقشها رسم ملك اسمه (يشعمر) وهالك رسم خريطة مدينة مأرب (انظر شكل ٣٠)

✽ خريطة مدينة مأرب بعد خرابها ✽



هذه خريطة مدينة مأرب القديمة وتسمى (عاصمتها) وقد عرفت أن لها باين أحدهما شرقي والثاني غربي
 * قال الشاعر

ومأرب قد نطقت بالر خام وفي سقها الذهب الأحمر
 وهناك أنهار كثيرة قلت فيها أمرضا عن ذكرها . وهناك على مسافة نصف ساعة من مأرب نحو
 الشرق الشمالى أخاض بناء عظيم يقال له (حرم بلقيس) وهو غير قصر بلقيس
 هأنت ذا رأيت خريطة مدينة مأرب عاصمة سبأ التي ذكرها الله في القرآن ، ثم انظر في كتب التاريخ
 العربية هل تجد لمولة سبأ ذكرا ؟ هل هناك دولة اسمها سبأ . كلا . انظر كيف يقولون « إن عرب اليمن ينسبون
 الى عرب بن قحطان » ويعرفون بالعرب المتعربة لأنهم تعربوا أى اتبسرو اللغة العربية من العرب العاربة
 وهى البائدة ، ويقولون إن بنى قحطان لما نزلا اليمن كان فيها بقية من العرب العاربة والملك والقحطانيون
 كانوا لا يعرفون الملك والتعرف ثم كثروا وزاحوا العرب العاربة فأبادوهم وأنشأوا المولة القحطانية على أنقاض
 البائدة ويقولون إن أول ملوكهم يعرب بن قحطان غلب على قوم عاد في اليمن والعمالة في الحجاز وولى اخوته على
 جميع أعماله ، فولى جرهما على الحجاز وعاد بن قحطان على الشعر وحضرموت بن قحطان على جبال الشعر
 وعثمان بن قحطان على عمان (انظر ابن خلدون) وبعده ابنه يشجب بن يعرب ثم عبد شمس وهو سبأ
 لأنه كان كثير السبي ، وهو الذى بنى السدة المشهورة في أرض مأرب ، وخلف سبأ المذكور أولاداً منهم حجير
 وكهلان ، ولما مات سبأ خلفه ابنه جبر مؤسس دولة جبر ودولة جبر (طبققان) الملوك والباينة وملوك حير
 آخرهم (الحارث الرائي) وهو أول التباينة ، ويقول بعضهم إن بين حير والحارث الرائي (١٥٠) أباً وبنى
 اقصيد الجعيرة عددهم جيها (١٦) فقط وجعلها أبو الفداء (١١) وابن خلدون (٨) والمسدودى (٥)
 وأما التباينة عند مؤرخي العرب قديماً فأولهم الحارث الرائي وآخرهم (ذوجدن) وعددهم (٢٦)
 تبعاً حكوا (١٧٠٠) سنة

وهناك خلط وخط في هذه السنين والأعداد كما دل على المؤرخين . ولذلك نقول ما لنا ولهذا التحقيق
 والتدبر وما لتفسير القرآن وأمثال هذه الجملول . أقول على رسلك : فكر في أسماء الملوك ، هل رأيت هناك
 دولة تسمى (دولة سبأ) . كلا . وأما هي دولة جبر الذى أبوه سبأ ودولة جبر بعد قرون اقبلت الى التباينة
 فالدة كلما تقرب من أربعة آلاف سنة ما بين جبرين وتباينة ، والتبع هو الملك الذى تبعه ملوك كالأمبراطور
 الآن ، وليس هناك في تاريخ أسلافنا دولة سبأ التبعة ، انظر كيف ذكر القرآن (سبأ) ولم يذكر جبر ، خالف
 القرآن قول المؤرخين ، خالفهم كل المخالفة وجاءنا بدولة (سبأ) اظهاراً للحقيقة ، ولقد ظهرت الآن وتبين أن
 دولة سبأ هي التي أعارت على أمة يقال لها (معين) لم تذكر في التاريخ وهذه المولة عمرت طويلاً كما رأيت
 وإتته العاصمة من مأرب الى ريدان وهى ظفار بتقلب الجعيرين الى الملك . من هنا تبين لك أن القرآن
 يوافق الكشف الحديث ، وقد كان ذلك مجهولاً (١٣) قرأنا وطهر الآن فهو من المجهزات للقرآن . انتهى
 المقصد الثاني

(المقصد الثالث في الكلام على سد المرم)

قد عرفت مدينة مأرب وانها كانت عاصمة دولة عظيمة وهى دولة سبأ ، وترى في الجنوب الغربي من
 مأرب سلسلة جبال متشعبة من جبل السراة تمتد مئات الأميال نحو الشرق الشمالى ، وبين هذه الجبال متسع
 عظيم يتجه الى واد كبير يقال له (اليزاب انشرف) فإذا أمطرت السماء على تلك الأقطار انتهت أخيراً الى
 وادى (أذنه) وهو يعلو (١٦٠٠) متراً عن سطح البحر فتسقيه المياه الى مكان قبيل مأرب بثلاث ساعات

وهو مضيق بين جبلين يقال لكل منهما بلقي ، أحدهما الأيمن والآخر الأيسر كما عبر القرآن وأخذها عنه
للمرحوم (جورجي زيدان) والمسافة (٦٠٠) خطوة بينهما ، والسيل يجري بينهما من الغرب الجنوبي الى
الشرق الشمال في واد هو (وادي أذنه)

ولما كان هذا الماء يجري من الجنوب الى الشمال بلا فائدة ففكر البشيتون في ذلك فبنوا (سد العرم)
في المضيق بين جبل (بلقي) وبين المضيق وللدنية (٣٠٠) ميل مربع فأصبحت جنت بسبب هذا السد ،
وهذا السد طوله من الشرق الى الغرب ثمانية ذراع وعلاه بضعة عشر ذراعاً وعرضه (١٥٠) ذراعاً
وثمة الغرب وهو الأيمن لا يزال باقياً لأن مجرى القرقن (انظره في الخريطة) والثلاثان الباقيان فاض
الماء منهما وهجروا عن ترميمهما . وري القنق في الخريطة لجنبيهما . ومماثل العرم إلا كتل الخرافات التي
تصنع اليوم في مكولوطي النيل الأزرق وجبل الأولياء على النيل الأبيض وتزان (اصوان) فيعلو الماء فيسقي
الأرض . وإذا ترك ذهب الى البحر الأبيض للتوسط كما يجري الماء بين الجبلين هناك ويذهب في الشمال
والرمان بلا فائدة

هذا وقد عثر الباحثون على (تشتين * أحدهما) على الصدف الأيمن وهو (ان يشمر بين بن
سمعلى بنوف مكرب سبا خرق جبل بلقي وبنى مصرة رجب لتسهيل الري) والقنق الثاني على الصدف
وهو (ان سمعلى بنوف بن ذمر على مكرب سبا اخترق بلقي وبنى رجب لتسهيل الري) فأحدهما ابن
الآخر وكما في القرن الثامن قبل الميلاد وهكذا يتوالى ملوك سبا ثم بناؤه . ولما أعياهم حفظ السد تفرقوا
في البلاد كما ذكره القرآن

قال الأصمغاني « إن السد انتهت قبل الاسلام بأربعمائة سنة » وقال ياقوت « انه هدم في نحو القرن
السادس لبلاد » أي قبيل الاسلام . ويؤخذ من كلام ابن خلدون انه انتهت في القرن الخامس لبلاد ولا طائل
في هذا النقل إلا معرفة ما لله للمؤرخون

(الهداني وسد مأرب)

إن وهف الهداني لسد مأرب مطابق للكشف الحديث وربما كان يقرأ للسند . قد ذكر الآية - لقد
كان لسبأ - الى قوله - ورب غفور - . قال : (إن سبأ كثيرة الهجاء والجنات عن بين السد ويساره
وهما اليوم غصرتان أي لازرع فيهما . وإنما عتقنا اندسق السد فارتفع عن أيدي السيول . وذكر انه
وجد جلع نخل أسود فقال من معه انه بقي من مزارع الجنتين . فأما هو فقال لأن ذلك . قال ورأيت
مقاسم الماء من مداخل السد فيما بين الضياع قائمة كأن مانعها فرغ من هملها بالأمس . ورأيت بناء أحد
الصدفين وهو الذي يخرج منه الماء قائماً بحاله على أوتق ما يكون ولا يتغير إلا ان شاء الله . قال وقد بقي
من العرم شيء إلى الجبة اليسرى يكون عرض أسفله (١٥) ذراعاً)

وقال تبارك وتعالى - فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذوات أكل خطواتهن
وشيء من سد قليل - قبل الحلة الأراك والأثل الطرفاء والسدر المعروف وهو الطلج وبها من الأراك ما ليس
ببلد . ومن الحمام المطوق في الأراك ما يصل عن الصفة . وكان الدليل يصجم من أماكن كثيرة ومواقع
باليمن (من عروش وجواب رحمان وشرعة وضمروجران وكومان واسيل وكثير من مخاليف خولان) والوادي
اسمه (أذنه) وفي هذا السد يقول الأعشى :

كني ذاك للؤنسي أسوة : ومأرب قني عليها العرم
رخم بناء له حسيب * اذا جاء مأوهم لم يرم
فأروى الحروث وأعناهم * على ساعة مأوهم ينقسم

فأشوا بذلك في شعبة * بأرجهم جارف منزه
فطار القول وقيلها * يهماء فيها سراب يطم

وكان الحرم مسندا الى حائط ما بين عضاء للذبح بمحاذيب من الصخر عظام ملحمة لمس الأساس بالقطر
انتهى كلام الحمداني

وظل الناس مع ذلك في شك من أمر هذا السد حتى تمكن المستشرق الفرنسي أرنو من الوصول الى
مأرب سنة ١٨٤٣ وشاهد آثاره ورسم له خريطة نشرت في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٧٤ وزار
مأرب بعده هالتي وغلاز ورواقته في قوله وصافه على وصفه وهو يطابق ما له الحمداني من أكثر الوجوه . وعرفوا
في أثناء ذلك على قنوش كتابية في خرائب السد وغيره تحقروا بها خبره وأكثروا اشتغالا في هذا السبيل
غلازرو بين الأساطير التي وقف عليها اثنان جاء فيهما خبر ترميم السد في زمن الأحباش بالقرن السادس لبلاد
فبذل ذلك على أنه ظل قائما الى قرب ظهور الاسلام . ولعل السبب في نسبة بنائه وتهديمه الى عصور مختلفة
وأشخاص مختلفين كثرة تصدعه وترميمه فكانوا يعدون كل تصدع تهديما وكل ترميم بناء
وبعد ما قدمناه من أقوال المؤرخين والتقاين بشأنه يحسن بنا الاتيان على أصل موضعه وما هو عليه الآن
ويوضح ذلك (شكل ٣١ و (شكل ٣٢) الاتيان قريبا

(أصل وضع سد مأرب)

في الجنوب الغربي من مأرب سلسلة جبال هي شعب من جبل السراة الشهير تمتد مئات من الأميال نحو
الشرق الشمال . وبين هذه الجبال أودية تصب في واد كبير يمر عنه العرب بالمزاب الشرق وهو أعظم أودية
الشرق تميزه عن مزاب مور أعظم أودية الغرب للتشعبة من جبل السراة المذكور . وشعب الميزاب الشرق
كثيرة تنحدر من مهابها ومنحدراتها نحو الشرق الشمال . وأشهر جبالها ومواضعها في ناحية وادع العرش وردمان
وقرن والجبال المشرقة على سوي في ناحية دمار بلد عس جيعا وهو بخلاف واسع وبه يتون وهكر وفيها
الحفاد العنسية و بلد كومان و بلد الحدا وجبل أسيل ورجه وجبال بني وائش من مراد وغيرها وخلاف ذي
جرة وجهران وهران ومناطق بلد خولان من جنوبية وماتيان من الشمال (١)

فشعب هذه المواضع وأوديتها اذا أمطرت السماء تجتمع فيها السيول وانحدرت حتى تنتهي أخيرا الى
وادي أذنة وهو يعلو نحو ١٠٠ ، ١٠٠ متر من سطح البحر قدس في المياه نحو الشرق الشمال حتى تنتهي الى
مكان قبل مأرب بثلاث ساعات هو مضيق بين جبلين يقال لكل منهما بلق عبرنا عن أحدهما بالأيمن وعن
الآخر بالأيسر والمسافة بينهما ستائة خطوة (أو ذراع) ويسميهما الحمداني مأزهي مارب يجري السيل الأكبر
بينهما من الغرب الجنوبي الى الشرق الشمال في واد هو وادي أذنة

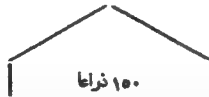
واليمين مثل سائر بلاد العرب ليس فيها أنهر وانما يستقي أهلها من السيول التي تجتمع من مياه المطر . فاذا
أمطرت السماء فاضت السيول وزادت مياهها عن حاجة الناس فيذهب معظمها ضياعا في الرمال . فاذا انقضى
فصل المطر ظمى القوم وجفت أغراسهم فكانوا إما في غري أو في حرقى قلما ينتفضون حتى في أيام السيل من
استئثار البقاع العالية على منحدرات الجبال . وقد يفيض السيل حتى يسطو على المدن والقرى فينالهم من أذاه
أكثر مما يبالون من نفعه . فساقهم الحاجة الى استنباط الحيلة في اختزان الماء ورفعها الى سفوح الجبال وتوزيعه
على قس الحاجة . فاختار السبائيون الضيق بين جبلين بلق وبنوا في عرضه سوراعظا عرف بسد مأرب أو سد

الحرم الذي نحن في صده لرى ما يجاور مدينتهم (مأرب) من السهول أو سفوح الجبال
والجبلان المذكوران بعد أن يتقاربا عند بلق بنجران ويقع الوادي بينهما . وعلى ثلاث ساعات من مأرب نحو

الشمال الشرقى مدينة (مأرب أو سبأ) في الجانب الشرقى أو الأيسر من وادى اذنة . فلذا جرى السيل حاذى بابها الشرقى (راجع الخريطة شكل ٣٠) وبين المضيئ والمدينة متسع من الأرض تبلغ مساحة ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل مربع (١) كانت جرداء فحلبة فاصبحت بعد تدبير المياه بالسد فياضا وبساتين على سفحى الجبلين وهى العبر عنها بالجنتين بالشمال واليمين أو بالجنة اليمنى والجنة اليسرى

(رسمه وكيف ينصرف للماء منه)

والسد المشار اليه عبارة عن حائط ضخمة أمامه في عرض الوادى طى نحو ١٥٠ ذراعا (أو خطوة) نحو الشمال الشرقى من المضيئ وسموه «العرم» وهوسد أصم طوله من الشرق الى الغرب نحو ثمانمائة ذراع وعلاه بضعة عشر ذراعا وعرضه ١٥٠ ذراعا . لا يزال نحو ثلثه الشرقى أو الأيمن باقيا الى الآن كما ترى في الخريطة شكل ٣٣ (ج د هـ) وأما الثلثان الباقيان فهما اللذان تغيرا وطش الماء منها وهجزت الهوة عن رءسهما وجرفت السيول اقناضهما . وقد قطعنا حديهما بالخارطة ليظهر امتداد السد على طوله كما كان في أصله برض الوادى ويظهر مما شاهدوه في جزئه الباقي انه مبنى بالتراب والجارة ينتهى أعلاه بسطحين مائلين على زوايا مفرجة تكسوهما طبقة من الحصى كالصيف يمنع انجراف التراب عند تدفق المياه ولو قطعت ذلك الحائط أو السور قطعنا مرضيا لكان شكل مقطوعه على هذه الصورة



والعرم يقف في طريق السيل كالجبل المستعرض ويصد عن الجرى فتجتمع مياهه وترتفع مثل ارتفاعها في خزان أسوان بأعلى النيل . وينتهى العرم في طرفيه بصارف للماء يختلف شكلها وأساليبها عن مصارف خزان أسوان . وذلك أن القنن هندسوه جعلوا طريقه عند الجبلين أبنية من حجارة ضخمة متينة فيها . اذ ينصرف منها الماء الى إحدى الجنتين اليمنى أو اليسرى

فأشأوا عند قاعدة الجبل الأيمن (الشرقى الجنوبى) وهو جبل بلق الأيمن بنائين بشكل المخروط المقطوع (١ و ٢) هلاكل منهما بضعة عشر ذراعا سموها الصدفين أحدهما (١) طم على الجبل نفسه والآخر (٢) الى يساره وبينهما فرجة عرضها خمس أقدام . وقاعدة الأيمن منهما تعلو قاعدة الأيسر ثلاث أقدام (انظر رسمهما في طرف الخريطة الى اليسار) والأيسر مبنى من حجارة منحوتة يمتد منه نحو الشمال والشرق جدار طوله ٤ ذراعا ينتهى فى العرم نفسه ويندمج فيه . وعلو الجبل للدكور مثل علو الصدف ومثل علو العرم وفى جانب كل من الصدفين للدكورين عند وجهيهما المتقابلين ميزاب يقابل ميزابا فى الصدف الآخر . والميزابان مدرجان أى فى قاع كل منهما درجتان من حجارة كالسلم المربعة فوق الأخرى . ونظرا لشكل الصدفين المخروطى ولما يقتضيه شكل الميزاب السلقى أصبحت المسافة بينهما عند القاعدة أقصر منها عند القمة . وقد مثلنا الميزاب فى الخارطة بشكل (ع غ) كأنك تنظر اليه بجانب الصدف

ويظهر من وضع المخروطين أو الصدفين على هذه الصورة ان أصحاب ذلك السد كانوا يستعملون المسافة بينهما مصرفا يسيل منه الى سفح جبل بلق الأيمن فىسقى الجنة اليمنى . وانهم كانوا يفتنون المصرف بموارض ضخمة من الخشب أو الحديد تنزل فى الميزابين عرضا كل عارضة فى حرجة فتكون العارضة السفلى أقصرها جميعا

(١) هنا من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ناقلا عما رمزله بحروف (أ م أ) صفحة ١٢٧

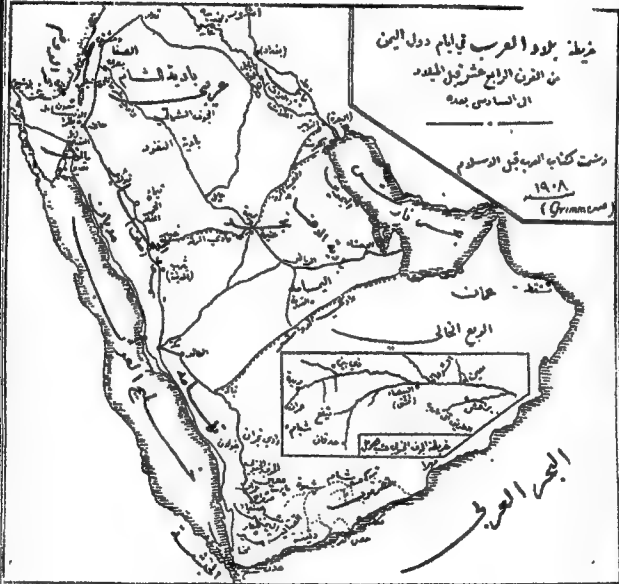
فوقها عارضة أطول منها أطول إلى العليا وهي أطولها جميعا . والظاهر أن تلك العوارض كانت مصنوعة على شكل تراكب فيه أو تتداخل حتى يتألف منها باب متين يصدّ المصرف سدّا يحكم يمنع الماء من الانصراف الا عند الحاجة . فإذا بلغ الماء في علوه إلى قمة الصدفين رفعوا العارضة العليا فيجري الماء على ذلك السطح إلى سفح الجبل في أقبية ممتدة لتلك وتقرأ أحواض تخزن الماء أو توزعها في سفح ذلك الجبل . فلا يزال الماء ينصرف حتى يهبط سطحه إلى مساواة العارضة الثانية فيقف في أردوازيّا آخر زرعوا عارضة أخرى . وهكذا بالتتابع وعلى قدر الحاجة

وفي الطرف الأيسر من العرم وهو القربى الثاني ينتهى بلجنة اليسرى بناء كالحائط (س ط م) دعواته السد الأيسر عرضه عند فاعده ١٥ ذراعا وطوله نحو ٢٠٠ ذراع . وبجانبه من اليمن عروطان أو صدقان إيمان (٣) و (٤) أحدهما (٣) متصل بالعرم نفسه والآخر (٤) بينه وبين السد الأيسر فيكون من ذلك مصرفان (٦ و ٧) مثل المصرف الأيمن لكل منهما ميزانان مدرجان متقابلان تنزل فيهما العوارض وتنزع حسب الحاجة لصرف الماء إلى اللجنة اليسرى . وينتهى العرم من حده القربى بحائط منجلى الشكل (د ف) مبني بحجارة منحوتة صلبة لهله التي يسميه الهندائي « الضاد »

فكان السيل إذا جرى في وادي اذنة حتى يجاوز المضيقي بين جبلي بلق صدده العرم عن الجرى فينتعلى ويتحول جانب منه نحو اليسار إلى السد الأيسر . فإذا أرادوا رؤية اللجنة اليمنى رفعوا من العوارض بين الصدفين الأيمنين على قدر الحاجة وإذا أرادوا رؤية اللجنة اليسرى صرفوا الماء من المصرفين (٧ و ٨) بنفس الطريقة فيجري الماء في أقبية وأحواض في سفح الجبل الأيسر حتى يأتي مأرب لأنها واقعة إلى اليسار كما تقدم وسترى في (صفحة ١٧٢) وهي الصفحة التالية رسم (خريطة بلاد العرب) في أيام دول اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى السادس بعده . وسترى أيضا في (صفحة ١٧٣) رسم خريطة سد مأرب أو سيل العرم (انظر شكل ٣١) و (شكل ٣٢)



(خريطة بلاد العرب)



(شكل ٣١)

(رسم خريطة بلاد العرب في أيام دول اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى السادس بعده)

هأنت ذا أيها النكبي اطلعت على سد مأرب وهو سد العرم وعرفت مدينة مأرب وعرفت أن دولة سبأ لم تكن معروفة في تاريخ أسلافنا ، فانظر كيف جاء الكشف الحديث كما في القرآن ، وانظر في كتب التفسير التي وصلت إلينا كـ (عشرى والرأزي والبيضاوي وأمثالها) التي ألقها القصور من العلماء ، كيف همروا عليها رحمة الله ولم يذكروا غير تفسير يرجع أكثره إلى نطق القرآن

أفلا ترى أننا جشاً في عصر نسبه بحق عصر القرآن ، هذا العصر الذي يظهر فيه بأجلى بيان هذا السد كما رأيت . فلهذا أتى هذان لما وما كنا ننتدى لولا أن هذان الله . وانظر كيف يقول علماء التاريخ (إن اليونان لم يعرفوا اسم جبر قبل السنة العشرين قبل الميلاد ولم يكونوا يعرفون إلا سبأ لشهرتهم) وانظر كيف كان أسلافنا لا يعرفون إلا الجبريين والتبابعة وجاء القرآن بما هو حق في التاريخ

(عجائب القرآن في العصر العشرين)

يقص الله علينا قصص طوفان نوح . ويقص علينا قصص سد العرم . ويقول إن سبأ أمرضوا وتارة يقول كفروا . فهاذا جازهم ؟ جازهم بخراب السيل . لماذا هذا الجزاء ؟ لتفريطهم في السد سبحانه اللهم أنت الرب الممجد فهاذا هذان في دين الاسلام ؟ هذا هو لاسي فرض كفاية وما هو فرض الكفاية ؟ هو أن يقوم في الأمة أناس لكل عمل من أعمال الحياة فيحسونه والاعواق بالبيع . ويقول امام الحرمين (فرض الكفاية أفضل من فرض العين) وأي منفعة للأثم أكثر من الماء والأنهار فانظر ماذا كتبت بعض مجلات مصر لما طغى النيل سنة طبع هذه السورة إذ ذكرت أن نهر المسيسيبي كاد يهلك الأمة فاجتمعوا لهدم خطره . أليس هذا هو الذي أفذه نوح قومه . وهذا هو الذي أهلك سبأ ؟ إذن القرآن يجعل أعمال أعمال القولة تارة كفرا وتارة اعراضا ويجازي بالهلاك . والمراد بالكفر كفر النعمة وجزاؤه في الدنيا الهلاك وفي الآخرة العذاب . إذن في القرآن أسرار تظهر اليوم بالعلم . فانظر المقال التالي وهاك نصه :

(عبرة لمصر والمصريين)

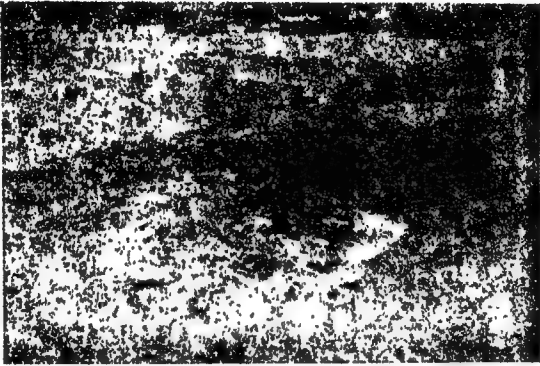
(كلثة فيضان نهر المسيسيبي - بمناسبة ارتفاع مياه النيل في نحو سنة ١٩٢٨)

مضت أسابيع والأنباء تترى بارتفاع مياه النيل ارتفاعاً لم تألفه مصر من قبل وقد باتت جهت المدن والقري والارواح والأماك . ولقد انخفضت الحكومة لهذا الأمر الخطير أعيت بقدر ما تستطيع حكومة أن تفعل وأنا لفسر إذ تراها تمسك إلى بحث قانون (الغوة) لحراسة الجسور وإلى إنشاء خط دفاع ثان يقي البلاد غوائل الفيضان ولكننا إلى جانب ذلك نحزن إذ نرى الأهالي يتبرمون بهذين الاحتيالين ويرون في الأول تسخيراً للناس فيما لا يليق بكرامتهم أن يسفروا فيه ويرون في الثاني تبديداً لأموال طائفة في سبيل اقتناء خطر مزمع . ولا شك أن أولئك المتبرمين لا يدركون ما قد يصيبهم من الرزايا في أموالهم وأرواحهم لو هض النيل وقطعت جسوره وندفقت مياهه قعر الأرض وتكتسح الزرع والضرع ولا تبق ولا تفر ويجهلون أن جسور النيل الرخوة قد تكون أوهي جسور الأنهر الكبيرة في العالم وإن أراضي مصر سهل إذا جرى فيه الفيض لا يجد جلا يسهه أو تلا يحمي ورامه قرية أو مدينة . والواقع أنه أصبح من أوجب الامور على الحكومة أن تنظم من الآن طرق ومائة البلاد بتدعيم الجسور وتدعيم ذلك الخطر كما أصبح من أوجب الامور على سكان وادي النيل أن يلجوا دعوة الحكومة حتى دعتهم ليعاونوها بكافة ما يستطيعون لتقوية الشاطئين . ولكي يدرك الناس أهمية ما تدعو الحكومة وتدعوهم إليه نصف لهم كيف حلت بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عامين تلك الكارثة الهائلة التي ترتبت على فيضان نهر المسيسيبي حتى إذا ما أدركوا مدى الأخطار التي تنجم من أعمال الجسور

هرعوا الى القليام بما تخليه عليهم تلك الأخطار من الاحتياطات

نهر المسيسيبي أكبر أنهار الدنيا طولاً وعرضاً . يبلغ طوله خمسة آلاف كيلومتر . ويبلغ عرضه من ألف الى ألف وخمسة مئتر ولكنه يتسع في بعض الأماكن حتى يبلغ خمسة وثلاثين كيلومتراً . وتسير مياهه سيراً وثيلاً من الشمال الى الجنوب فتشطر الولايات المتحدة شطرين متساويين وتقطع الموجة المسافة بين المنبع والمصب في ستة أسابيع وتجمع هذه الكميات الهائلة من المياه عند المصب الضيق الذي لا يتجاوز عرضه سبعة مئترات وخمسين متراً ثم تنصب في خليج المكسيك بمعدل ثمانين ألف متر مكعب في الثانية الواحدة . أما الخطر الذي يهدد الولايات المتحدة كل عام فناتش عن غزارة مياه النهر واتساع مساحة حوضه مع ضيق مصبه ضيقاً يجعل تلك الكميات العظيمة من الماء تتجمع بوفرة هائلة عند هذا المصب فتتصدأ ماوراءها فترقع المياه وتفيض على الجانبيين أحياناً وأحياناً لا تهوى الجسور على تحمل ضغطها فتقطع وعندئذ تتدفق المياه بقوة تجرف كل ماصادفه في طريقها ، ولقد حدث في عام ١٩١٣ أن قاض المسيسيبي فلبت انلسا في (مقاطعة الاوهيو) وحدها أربع وعشرين مليوناً من الجنهات وهلك من الأفس البشرية خسائره ، وهذه الكارثة مع فدايتها لا تعد شيئاً يذكر إذا قيست الى الكارثة التي حلت بأمريكا عام ١٩٢٧ م والتي نحن بصدها في هذا المقال

لاحظ السكان في ربيع سنة ١٩٢٧ م أن الأمطار تهطل بغزارة لم يروا مثلاً من قبل وأن التلوج تنهار من أعالي الجبال وتنبوب بسرعة غير مألوفة ثم تهوى الى نهر المسيسيبي فتزيد مياهه ارتفاعاً ، ولاحظوا أيضاً أن فروع النهر قد علت مياهها بنسبة لم يصبوا لها مثيلاً ولكنهم ظنوا رغم هذه العلامات الخطرة آمنتين مطمئنين معتمدين على مائة الجسور وقوتها . والحقيقة أن جسور المسيسيبي من أقوى وأضخم المشروعات التي حققتها يد الإنسان في الصور الحديثة ، فهي تمتد على طول النهر وترتفع الى عشرة أمتار فوق سطح الماء في الأوقات العادية وتتسع حتى يبلغ عرضها خمسين متراً . ويسهر على رعايتها ومراقبتها بضعة آلاف من العمال ، وقد نصب بين كل مسافة وأخرى آلات التلغراف والتليفون وأقيمت محطة رئيسية تتصل بجميع المحطات الأخرى في وقت واحد لتنبيهها الى الخطر في الوقت المناسب ، ولا يمر أسبوع إلا ويحيط للمهندسون برتادون الجسور لفحصها ، وقد خصصت الحكومة عدة ملايين من الجنهات تقطعها كل عام من ميزانيتها لحساب تلك الجسور ظل السكان آمنتين مدة أربع وعشرين عاماً حتى كانت سنة ١٩٢٧ غلب اعتقادهم على قوة مفاصلهم وأيقنوا أن قوة الطبيعة أكبر من أن تغالبها قوة الإنسان ، ففي السادس عشر من شهر إبريل تقل البرق الى واشنطن أن النهر قد خرج من مجراه فظن أولوا الأمر أن الخطب يسير وأمالوا أن يتداركوه ، ولكن الفيضان كان يزداد من ساعة الى أخرى حتى أغمت الوسائل المقامة لصيانة الجسور عديمة الجدوى لا تقيد ، وتحول الفيضان الى كارثة لم يسمع بمثلاً بنوا الإنسان ، لم يصب يرومان حتى غمرت المياه سبع ولايات وحتى بانت مساحات كبيرة من الميسوري والاركسس وكنتوكي وتينسي ولويزيانا وتكساس تحت الماء ، ثم انحدرت مياه الهر على الأراضي الزراعية فغطتها وكوّنت فوقها طبقة مائية ذات ارتفاع يبلغ ثمانية أمتار ، وقد انجلى السكان عن ثلاثين مدينة وتركوا مئات من القرى نهياً الى الذي ظل يرتفع ويغذى فروع النهر حتى انهارت جسورها هي الأخرى وعند ذلك جل الخطب وعظم للمصاب (انظر شكل ٣٣) و (شكل ٣٤ في الصفحة التالية)



(شكل ٣٣ - مياه نهر المسيسيبي ترتفع على الجانبين بالقرب من (نيو أورليانز) وقد ارتفعت على المنازل وأغرقت القرى)



(شكل ٣٤ - نسف أحد جوانب المسيسيبي حتى تتدفق المياه من الفتحة التي يحدثها النسف إلى سهل مجاور للنهر فيخف الضغط عن (نيو أورليانز) وتنجو من الغرق)

وكأنما أبت عناصر الطبيعة إلا أن تتعاون في التخريب والتدمير فقامت زواجر وهي: عواصف قطعت أسلاك التليفون والتلغراف وحطمت وسائل المواصلات بين الولايات المنكوبة وجاراتها وقضت على كل محاولة للإنتقاذ ، أفرغت الحكومة قصارى جهدها لحصر الكثرة وتخفيف آثارها فسيرت القطارات السريعة تحمل فيالق كاملة من الجيش تحفظ النظام بين المنكوبين وتعاون السكان والعمال فيها يحتاجون إلى للمعاونة فيه . وسيرت أسراب الطائرات تحمل الأطباء والعقاقير والمؤن لاسعاف الضحايا والمصابين ، ولكن الحالة تفاقت بإطراد لارتفاع الماء حتى أبلغ المهندسون حكومتهم « أنها إذا لم تبذل أكبر الجهود وأضخم النفقات لتحاصر الفيضان فستبلغ الخسائر في الأرواح والأموال مبلغا لا يحصى الأرقام »

بادرت فاختلعت لهذا الطارئ الجديد عتته فأرسلت اليهم الجفرال (البركر) على رأس جيش كبير . وأعلنت الأحكام العرفية وضعت قائد جيشها حاكماً بأمره يحكم بما يقتضيه الموقف من الحزم والعزيمة وصرحت انها ستحل النظام محل القوضى مهما كلفها الأمر وأعلنت التور نصف يوم ليقفوا السلاح . ولكن ذهبت كل هذه الاجراءآت سدى وهب المزارعون يدافعون عن أموالهم فتنبت بين القرين ممرات حامية استعمال فيها الفلاحون القنابل والمقاليوزات وانتهى الأمر بانصار جيش الحكومة ونسفت الجسور في ثمانية وأربعين مكاناً وعلى طول بضعة كيلومترات وقد استخدم في هذه العملية وحما عشرة آلاف من العمال ، وهكذا استطاع أولو الأمر أن ينقلوا مدينة (نيو أورليانس) بضعية مائة وخمسة وسبعين ألف كيلومتر مربع من الأرض ملائياً بالمخاضيل والغبرات وبحرمان خمسمائة ألف نسمة من الأقوات والأرزاق وبحسب عشرات من المدن ومئات من القرى من فوق سطح المعمورة وبتحويل هذه المساحات الشاسعة العامرة الآلة الى بحر ما كان نوح ليجراً أن يجري عليه يفتنه ، وها قد صرت على القابعة ستان وقد أقامت السماء وبلعت الأرض ما بها وعاد الناس يسترون على هذه الأرض التي كانت بالأمر عمراً فحدث قفراً يحاولون أن يصلحوا ما أفسد البحر ولكن كم يفي من السنين حتى تسترد هذه الخرائب عزها البائد وزهوها الزائل ولم تنفق أمريكا من المال لتحيي بيدل الانسان ما أودت به عناصر الطبيعة العمياء انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والله أعلم

فلما اطلع على ذلك صاحي القنى اعتاد أن يسألني في هذا التفسير . قال : لقد جعلت طوفان أمريكا كلوفان سدّ العرم ، وأبنت أن أهل أمريكا قوم ذوي وجد ونشاط وأن الحكومة قوية ومبتينة وأن حكومة سبأ كانت ضعيفة جاهلة فتهتم سبها ، وإلى والله لني حجب أن تكون الحكومات الاسلامية في بلاد اليمن وغير اليمن لم تفكر كما فكر أهل سبأ فضلاً عن أن تكون كأهل أمريكا . فهل لك أن تفيض القول في أمر سدّ العرم فتبين لي (أمريين * الأول) هل هناك أسناد غير سدّ العرم ببلاد اليمن (الثاني) من هذا القنى بني سدّ العرم ؟ بطريق أوضح مما تقدمت

إذا ذكرت لي ذلك فأنك تكون خدمت أم العرب المسلمين إذ يقولون أن الكافرين قبلهم كانوا أحرص لبلاد الله منهم فيفكرون إذن ويجهدون في ذلك . قلت : أما الأسناد فاسمع ما قلته مؤلف كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، وهما نصه

(الأسناد)

ومن أدلة الصارة في (بلاد اليمن) الأسناد وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الأدبية لمجر السيول ورفع المياه لرى الأراضي المرتفعة كما يفعل أهل التمدن الحديث في بناء الخروانات ، وإنما همد العرب الى بناء الأسناد لملء المياه في بلادهم مع رغبتهم في إحياء زراعتها فلم يدعوا وادياً يمكن استكثار جانبيه بالماء إلا سجنوا سبله بسد ، فتكاثرت الأسناد بشكائر الأدوية حتى تجاوزت المئات ، وذكر الحمداني في بحسب الحال من غزاليات اليمن وحده ثمانين سدا وإلى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وبالبقعة الخضر من أرض يحسب * ثمانون سدا تقذف الماء سائلا

وكانوا يسمون كل سد باسم خاص به أو بالاضافة الى بلده ، فن كبر هذه الأسناد قصعان وروبان وهو سد قناب وشعوان وطمسان وسدّ عبد وسدّ لحج (وهو سد عرابس) وسدّ سحر وسدّ ذي شحال وسدّ ذي رعين وسدّ قنطرة عند قرية ذي ربيع وسدّ فزار وهران وسدّ الشعباني وسدّ المليك وسدّ النواصي وسدّ الهباد وباقها لطف

وأشهر أسناد اليمن (العرم) وهو سد مأرب الشهير القنى تقدم الكلام عليه ، وسدّ الخافق بصعدة بناء

نوال بن حثيك مولى سيف بن ذي يزن في القرن السادس ليلاد ومظهره في الحنفر بن منرجبان . وقد أخربه ابراهيم بن موسى العلوي بعد خدم معدة . وسد ريمان لابن ذي مأذن وسد سيان . وأسدد بلاد عمن منها سدخيرة وسد بيت كلاب في ظاهر مدنان وآخر في ظاهر دعان وسد شبام قرب صنعة على ثمانية فراسخ منها ولم يقتصر بناء العرب للاسداد على ما بنوه في جزيرة العرب ففي مكران وبلوچستان في حدود خليج فارس الشرقية أكثر اسداد كثيرة لا يعرف عنها أهل تلك الناحية شيئا فقل بعض العرب نزحوا الى تلك البقاع قديما وابتنوا فيها تلك الاسداد

وأما الذي بني سد العرب بطريق أوضح مما تقدم فاسمع ما جاء في الكتاب المذكور هناك نصه : « وقد عثر النقبون في أقاض سد مأرب على نقوش كتائية بالحرف المسند استدلوا منها على ما يسمونها قنشان أحد هاهنا على الصدف الأيمن للملصق للجنة الجني تفسيره « ان يثمر بين بن سمهل بنوف مكرب سبا خوق جبل بلق وبنى مصرف رجب لتسهيل الري » والآخر على الصدف الآخر تفسيره « ان سمهل بنوف بن ذمر على مكرب سبا اختفى بلق وبنى رجب لتسهيل الري » وسمهل هذا هو والد يثمر للذكور وكل منهما بنى صدفا أو حائطاً وكلاهما من أهل القرن الثامن قبل الميلاد . فهما مؤسسه ولم يمتكنا من اتهمه فأثمه خلقا وهما وبنى كل منهم جزءا نقش اسمه عليه . ففي القروط أو الصدف في اليسار نقش قرأوا منه « كرب أيل بين بن يثمر مكرب سبا بنى » وعلى جزء آخر من السداسم « ذمر على ذريح ملك سبا » وفي محل آخر اسم « يدع ايل وتر » وعلى السد الأيسر ما يلي الجنة اليسرى عدة نقوش يمثل هذا اللقى مما يدل على أن هذا السد لم يستأثر ببنائه ملك واحد تلك هي العادة في تشييد الأبنية الكبيرة بكل زمان

اما تهمة فالعرب يقولون انهم لجاء ففرقت قبائل الأزد وغيرها في جزيرة العرب بسبب ذلك . ويؤخذ من سجل أقوالهم أن ذلك وقع حوالي تاريخ الميلاد أى نحو ظهور دولة حبر (ملوك سبا وريدان) وانتقل عاصمة السبائيين الى ظفار . فلما ظهر أن السد تصدع حيثئذ للمرة الأولى فروهوه وظلوا خائفين منه فتحولت عنايتهم الى تعمير ظفار ونقل تمسكهم بالبقاء في مأرب فصاروا يزحون بطونا وأنغذا لأسباب مختلفة ومنها التقطع وغيره وأخذت مأرب بالتفقر وكلما انشق الحرم من ناحية رعوه الى قبيل الاسلام تهدم وأهلوه

ورقق غلاتر في أثناء زيارته أقاض ذلك السد الى اكتشاف أثرين عليهما كتابة مطولة تتعلق بتهدم السد بعد دخول اليمن في حوزة الأحباش أحدهما مؤرخ سنة ٥٣٩ م والآخر سنة ٥٦٥ م وهما من أهم ما وقفوا عليه من آثار تلك الهولة لما فيها من الاشارات التاريخية والاجتماعية والعلائق السياسية أحدهما كتبه أبرهة الحبشي وهذه خلاصته : « بسملة الرحمن الرحيم ومسيحه والروح القدس ان أبرهة عزيز الأحباش الاكسوميين ملك أراجيس زبجان ملك سبا وذوربدان وحضرموت ويمت وأصراهم في نجد وتهامة قد نقش هذا الأثر تذكرا لتغلبه على يزيد بن كبشة عامله الذي كان قد ولاه كندة ودعى وعينه قائدا ومعه اقبال سبا السحاريين وهم مرة وعمامة وحشش ومحمد وصنف ذو خليل واليزنيون اقبال معدى كرب بن السميع وهفان واخوه ابنه الاسلام فاقضوا ملك اليه الجرحل داز نور قتله يزيد وهلم قصر كدار وحشد من اطاعه من كندة وحبوب وحضرموت وفرج هجان القمارى الى حبران . وبلغ الملك الاستصراخ فنهض بجندة الأحباش والحسيريين ألوفاً في شهر ذوالقيطاط ٦٥٧ (من تاريخ اليمن) فنزل أدوية سبا . فجاء يزيد وبايع وخضع لملك بين يدي القواد . وهم في ذلك جامعهم الثبا بتهدم السد والحائط والحوض والصرف في شهر ذوالحجرج سنة ٦٥٧ فامر بالعمو . وبعث الى القبائل بأخذ الحجارة للاسلاص والحجر الناعم والأخشاب ورمصاص الصب . فريم السد في مأرب فتوجه أولا الى مأرب صلى في كنيسه ثم عمدا الى التريم فنبشوا الاقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليه وعلم وهو في ذلك أن القبائل قضايت من العمل ورأى اعدائهم يعود بالضرر فضا عنهم أحباشهم وحسيرهم

وأذن بانصرافهم . ورجع الملك الى مأرب بعد أن عقد تحالفا مع الأقبال الآتي ذكرهم : اكسوم ذو معامر ابن الملك ومريزف ذو فزراع وعادل ذو قاتش وافواء شولمان وشعبان ورعين ومحمدان والسكلاع . الخ وجاء اليه وفد النجاشي ووفد ملك الروم ورسول من للنسر وأخو من الحارث بن جبيلة وآخرون جاؤا بحون الرحمن يخطبون موده . في أواخر شهر حادوان وبشوا اليه من غلة أراضيم تقيمها افسدع من البناء فرعوه ووسعوه حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعا وارتفاعه ٣٥ ذراعا (ثم ذكر ما اتفق فيمن الحجارة والأطعمة للعملة والحياوات للعمل) واستغرق العمل في ذلك ٥٨ يوما و ١١ شهرا وكن الفراغ منه في شهر ذومعان سنة ٦٥٨ هـ

وهذه السنة في حساب الجعريين تعدل سنة ٥٤٣ هـ ليلاد لانهم كانوا يبدأون بتأريخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد ولذا زود كلام في هذا الشأن سنأتي عليه في الكلام عن التوقيت عند العرب ونكتفي هنا بالاشارة الى تاريخ الفتح من قش حسن غراب فقد رأيت أنه سنة ٦٤ هـ جبرية أو حبشية والمولى عليه أنه كان سنة ٢٢٥ ميلادية والفرق بينهما ١١٥ سنة . انتهى من كتاب تلويح العرب قبل الاسلام

(تذكرة)

أما أن المسلمين أن يستيقظوا . ايه يا أمة الاسلام . ايه يا أمة الاسلام . أهكذا يكون المسلمون . هاتم أولاد رأيتم أعمال الأمم الفائرة والصور الفاتنة وشاهدتم سد العرم صنع الجاهلية الأولى ، صنع أهل سبأ قبل الميلاد بنحو ثمانية قرون ، هل بهذا أمر القرآن ؟ أيجمل في دين الرمة والتجدة والتشرف أوث يكون الجاهليون يسمرون أرض الله أكثر من المسلمين ، هل لهذا جاء نبينا ﷺ ؟ ألم يجرء نبينا راحة العالمين وكيف يحفظ الجاهلية الماء بين البقيين ويسقون به الأرض والجنات هناك عن بين وشمال قائمتان ثم يجرء الاسلام فلا يساوى أهل في العمران الجاهلية مع لهم كانوا الأولى يحفظ لهم الله ، هم الأولى بشكر النعمة ، وشكرها يحفظها والقيام بها لا لا ، إن أمة الاسلام ستأخذ دورها عن قريب ، أمة الاسلام النائمة قد افضى دورها . وستأتي أمة الاسلام اليقظة التي تحفظ نعمة الله فلا تنسج الماء يذهب في الرمال

أيها المسلمون : إن سيدنا محمدا ﷺ لم تنف رسالته عند هذا الحد . كلا . إن رسالته شأنا بعد أيامنا هذه ، ومن دلائلها ما نرويه في هذا التفسير من عجائب القرآن وأنه يعلم السلم شكرانهم وحفظها باليت شعري : لم ذكرت سورة سبأ ؟ أتممة تذكر . كلا . والله ذكرت لنا الآن ، ذكرت لمن يمشطون دفن الله للمال والعلم في السخور والألواح وعلى الجعران ، ثم أخرج ذلك الآن كأنه يقول للمسلمين : هاكم اقرأوا كتابه ، انظروا في علوم آياتكم ، هل تقومون بالأمر ؟ هل تحفظون النعمة ؟ هل تقومون بالشكر هل تبحثون عن نعمي فوق الأرض وفي باطنها ، إن لم تعملوا بعد هذا كله فهلهم أولاد الفرحة أحاطوا بهم من كل جانب فان لم تقوموا من غفلتكم وتصموا التعليم لأخلاق منكم أرضكم وأسلمها لهم كما فعلت مع بني اسرائيل إذ سلطت عليهم بختنصر فأدخلهم الى فارس ودولة الرومان فأسروهم في بلاد الروم أنظفون يا أهل اليمن اني سلط لكم الارض لتمتعوا نعمي فيها من عبادي ، انظروا حولكم في شمس وقرى وكواكب وهوائ وما في ، ألم أجعل العوالم كلها متجاذبة بحيث تجري الأرض حول الشمس وهكذا كواكب أخرى وهكذا العوالم تتجاذب ، فهكذا فليكن نوع الانسان ، لتكن كل أمة مستخرجة من أرضها كنوزها وزراعة أرضها ليعيشوا بذلك ويلبسوا ما فضل بالتجارة لغيرهم وهكذا غيرهم يفعلون ، فان غفلت أمة عما لديها أو عرت الى غيرهم فسلطهم عليهم لأني عدل ولأني رحيم ومن رحتي أن الناس يتعلم بعضهم بسنا ، وهذا الطر التزل في بلادكم اذا لم تحفظوه فقد ضيعتم نعمتي فأعاقبك على ذلك الضياع

هذا وان آية سذ العرم تدل على أن الأمة كلها معنية اذا فرطت فيها لديها من النعم . والآية الآتية وهي - ولوروى إذ الظالمون - الخ مثلها في أن الرؤساء لا ينفقون الرؤسوا اذا تركوا مواهبهم لأني الدنيا ولأني الآخرة

قصة سبأ وآيات التقليد متقاربان من حيث أن كلاهما منبر بالوهاب والملاك لمن تواركاوا
هكذا ما أنعمه من ذكر هذه السورة التي ظهر أثرها في هذا الزمان والحمد لله على نعمة العلم والحكمة
والدين والحمد لله رب العالمين

(جوهرة يقيمة)

(في آية - ولوترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم - الخ)

(بيان خطر التقليد والاغتراب به)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم إني أجدك على نعمة العلم والحكمة وأسألك جبرائيل واجتباب الزلل واجادة الليل وقهم التأويل
وصدق القول وحسن العمل

اللهم إني أرى اليوم في بلاد الاسلام حالا أحسن ، ورجالا أكمل ، وعقولا أبهى وأبهر ، نام للمسلمون
قروبا وقرونا بعد الصدر الأول والقرون الثلاثة الأولى خير القرون ، ثم جاء هذا الزمان الذي اشتدت فيه الاحن
وكثرت المحن وظهر الخطر والخطر وزالت الخلافة العظيمة من البلاد التركية وقد أنامت الأم العربية نحو أربعة
قرون فلم تبق لهم فيها قائمة ولا سمعت لهم فيها كلمة ، ولكن هاأنذا الآن في هذا اليوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٩
أسمع أن بلاد العراق رفضت الصوت جهرا نهرا الى الأم الفريسة قاتلة : « أيها الأمم : اسمي - إياكم أن
تمنحوا أخواني في فلسطين وهتموا عليهم اليهود الذين وعدتهم بالوطن القوي ، وهام سكان شرق الأردن
وبلاد سوريا وجيع المسلمين في الشرق والغرب يطلبون بلسان واحد لزاكية الكابوس والظلم عن أهل
فلسطين . سبحانه الله بهم وبمصدق . أنت الذي أخذت تغيير حال المسلمين من ضعف الى قوة ومن ذلة الى
عز ومن جهل الى علم . أليس هنا مصداق قولك في التنزيل - ويريد أن ننح على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم كواخرين - وقولك - ليظهره على الدين كله - إن هذا زمانه وهذه أيامه وكما
نجلت أنوارك في قلوب الأمم الاسلامية بربطة الحياش وقوة البأس وعزة النجدة وعلو النسم وروى المهتم
هكذا أخذت التأليف تغيير أساليبها وتتجدد أصولها وتختط خططا جديدة وأحوال جديدة وأقوال مفيدة
واشهرت الصحافة وقامت الخطابة وظهرت برادر جيل جديد وقد تقدمه أمثال هذا التفسير ليكون فيه
لنظة مجللة ويقتط وسنان ووجهة ندلول وحديث خلل وبجاسة علماء وأنس حكام وسرفضلاء
وهدى وبشرى المؤمنين . وقد بسطت لي فيه القول وشرحت لي الصدر ويسرت لي الأمر لأن الأمم الاسلامية
اليوم أجدر بالعلم وأقبل للعلم وأحق بالاقبال فأسألك اللهم أن أكون لك من الناكرين
أما بعد : فاني أريد اضافة القول في التقليد ، ذلك الذي خيم على عقول كثير من الأمم الاسلامية في
الأحقاب الفائرة والأيام الخالية وأضل سمعهم وأحبط كثير من أعمالهم

كانت الأمم الاسلامية في القرون الأولى طفلا ترعرع وتغذى بالبيان النبوة الحميدة إذ القرن في حياة الأمم
سنة واحدة في حياة الفرد . وعلى هذا الحساب صارت هذه الأمة الآن في سن الرابعة عشرة كما أشرت اليه
في السور السابقة فهي كائنات مرهق شارب البلوغ . ومتى بلغ بالنسب أو بالقامة أخذ يظهر على الأمم الأخرى
كان المسلمون في القرون الثلاثة الأولى يتفنون بلدين النبوة فرضعوا أطوار في أيام الصعابة والتأبين فنصروا
عباد الله من بلاد الصين الى جنوب بلاد فرنسا فدانت لهم أمم من آسيا وأوروبا وإفريقيا . ذلك انهم كانوا
مجددين . ثم لما كان القتل بعد الحولين (عمر قرنان) تحولت الحال شيئا فشيئا ونجست جنوة الحاسة واخذوا
يشكرون بانفسهم فعل الصبي بعد سني الرضاع يلتصم الطعام بنفسه . هنالك يحضر له المؤذنون والمعلمون

والربون وفي هذه الأجيال التي اعتبرناها سنين لم تكن هذه الأمم إلا عالة على الملوك والعلماء ورجال الدين وشيوخ الطرق . فهم كانوا كأيتام إن أحسن الوصي القيام عليهم استقاموا وإن أساء التصرف ولم يبق لهم الأمانة لهم ، فقامت دول فارسية وأخرى تركية وثلاثة لمارات عربية . ولازأوا يتحوررون المرة بعد المرة . ولقد مضى في هذا التفسير نبأ من بعض أماراتهم وممالكهم وكيف اختلت الحكومات وبلوت النظم وضلعت الأمم . لماذا هذا ؟ لأنهم كانوا بعد سنن النظام قبل سنن الراحة والبلوغ . ولاجزم أن الطفل في تلك الأيام يعلله الربون بالأمال ويوربون عنه الحقائق ويغيثون له مستقبلا سعيدا ومهما أميدا ويعطونه الخلاوى والمضرب والسكر . ويقولون له أقوالا لقيضة ويعفونه بكل ما لاقى وطالب فيستقيم لأقوال المرين وتستويه أكاذيب الواعيد وتخصه خرافات الأسانيد وهذه السنن خلية بذلك . لتلك كثرت الفرق وتباينت الطرق وظهرت الخواارج وادعى المهوية كل من أحسن من نفسه بقوة السنن وسعة العقل ورجاحة الفطن . ومن قرأ كتاب (الفرق بين الفرق) عرف تلك الأضاليل وأقرأ ما قدمي (سورة الشعراء) من أكاذيب السبائين في الاسلام واستواشهم على عرش الامارة عرف كيف تخدع كواذب الأقاويل واحتيال المحتالين . ذلك كله لأن الأمة كانت لاهي في سنن الرضاة من أفاريقى النبوة الحميدة . ولاهي بلغت السنن التي تؤهلها لتسلم زمام أمرها والقيام بشؤونها فلا يحمي لها من التقليد . ولا مقر لها من اتباع من تتوسم فيه غايل النجابة فتسلم زمامها أقوام منهم الصادقون ومنهم الخادعون وكل يمايلهم معاملة ذلك الطفل الصغير . لتلك كثرت فيها الخرافات وشاعت الضلالات وانكسروا على الشيوخ فسلطت العقول وسادت النقول لجأ جيلنا الذي نحن فيه فإذا أقول ؟ أقول : أحدثكم أيها المسلمون بحديث أحد المهديين في الاسلام أجعله مثلا من أمثال أسلافنا السابقين أريد بذلك استنارة الشبهة الاسلامية ومتى عرفت الشراطلعت عنه أو انظر اجتلبته فأقول :

لقد كان يوسف بن تاشفين أمير المرابطين قد استوفى له الأمر في الأندلس بعد القبض على أبي القاسم ابن عباد المتمد على لغة بعد أن تولى الملك ٢٠ سنة وذلك سنة (٤٨٤) هجرية . ولقد قام بالأمر خير قيام إذ أقر الجهاد والنزوح وقع ملوك الروم والحرم على الصلحة في جزيرة الأندلس إلى أن تولى سنة ٤٩٣ وقام بالأمر به . ابنه علي بن يوسف بن تاشفين وتلقب بلقب أبيه أمير المسلمين وسمى أصحابه المرابطين جري على سنان أبيه في إظهار الجهاد وإخافة العدو وحماية البلاد . وكان حسن السيرة . جيد الطوية . زهيه النفس . بعيدا عن الظلم حتى كان إلى الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك المتغلبين . وأخذ يكرم الفقهاء والعلماء ولا يفضل أمرا إلا بمشاورتهم ولكنه عمادي في النفقة واختلت حال أمير المسلمين بعد الحماسة اختللا شديدا فظهرت في بلاده مناكير كثيرة . وأخذ أكابر المرابطين يدعى كل منهم صريحا أنه أحق بالامارة منه . واستولى النساء على الأحوال وصارت كل امرأة من أكابر (لثونه) تحمي شريرا وقاطع طريق وماحب خرم وماخور وأمبر المؤمنين يزدد غفلة واكتفى بأمرة المسلمين ويسلم النهار وقيام الليل . فإذا فعل الله للمسلمين إذ ذاك ؟ قوم لأقوام لأمرهم إلا بالأمراء فان صلحوا صلحت الأمة وإن فسدوا فسدت . فهم على حسب من يديهم . ألم أقل لك أيها السكتي أنهم فطموا من الرضاة أولا فهم الآن في السنة الخامسة وهي سن الطنولة وهذه سن الغفلة واليتم ولم يصلوا سن الرشيد . لما طغى أمراء الأندلس وشربوا الخمر وأولعوا باللهو والزهو أرسل الله لهم (يوسف بن تاشفين) فادخل ملكهم تحت إمره ولما قام ابنه أصاغ الأمة من طريق الاشتغال بالعبادة كما أصاغها أولئك من طريق السوق والتجور والجهالة . هنالك فيض الله لهم رجلا آخر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فيينا عمال الأمير علي بن يوسف بن تاشفين يشون في الأرض سادا ويمتكون أعراض الرعية علما بلا احتشام جهارا بعد الحماسة إذ ألمهم الله رجلا يقال له (محمد بن تومرت) ينسب إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من أهل (موس) من قبيلة تسمى (هرغه) من أقوام شرهه هناك أحب العلم

فرحل الى المشرق سنة ٥٠١ هـ أى فى السنة التى ابتدأ فيها فساد الدولة وانتهى الى بغداد أى كما ينتهى المسلمون اليوم الى أوروبا ولقى أبا بكر الشاشى فارس عليه الفقه والاصول وسمع الحديث على أكبر الشيوخ ، ويقال انه لقي أبا حامد الغزالى بالشام أليم زعمه وذكر له ماضيه أمير المسلمين بكتبه التى وصلت الى المغرب من أحرافها وافسادها وابن تومرت حاضر ذلك المجلس فقال الغزالى (لينهين عن قريب ملكه) وأشار الى أن ذلك يتم على يد حاضر المجلس أى ابن تومرت ، وهذه الحكاية سواء صحت أم لم تصح لا حرج فى روايتها ، ويقال إن هذه الإشارة قوت طمعه فى ذلك فرجع الى الاسكندرية ثم الى بلاد المغرب . وبينما محمد بن تومرت كذلك اذا رجل آتوهناك يسمى عبد المؤمن يعلم الصبيان فى موضع اسمه (قناراه) من بلاد (متيجة) واتفق انه رأى فى النوم كأنه يأكل مع أمير المسلمين (على بن يوسف بن تاشفين) فى صحفة واحدة فمزاد أكله على أمير المؤمنين ثم زاد فيه الشر فاختطف الصحفة واقردها وحده وفسرها لها المفسر بأن هذه تكون لرجل غيرك يكون أهلا لأن يشارك فى الملك ثم ينفرد به . فهذه الأحاديث والرواى قد أخذت الرجلين لعمل عظيم فتلاقيا فيقال إن محمد بن تومرت عرف عبد المؤمن بعلامات رسمها فى نفسه وعرفها من كتب المتقين . وقد كان عبد المؤمن عند المقابلة متوجها الى المشرق فى طلب العلم فاستمع به محمد بن تومرت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداما بمدينة (ملاط) أشهرها ورحلا ورجل معها رجل آخر اسمه عبد الواحد . وقد كان محمد بن تومرت شديد السميت كثيرا لا قباض لا ينطق إلا فى مجلس العلم . وحل مع صاحبيه فى (تلمسان) وقضى بها مدة ثم توجه الى (طنس) فأظهر عقيدة الأشعرية فى التوحيد وأخذ يسط الناس فاجتمع اتقاه عليه فوجدوه رجلا قوى العزيمة فأشاروا على الوالى بأخواجه لتلايقه شقاق العوام فأخرجوه . وأما فعلوا ذلك لأنهم كانوا جميعا صائمين عن جميع العلوم ماعدا الفقه فتوجه الى مراکش وكتب الى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين . ولما دخل عليه أحضره الفقهاء فناظروه فغلبهم ومنهم رجل يقال له (مالك بن حبيب) له معرفة بعلوم كثيرة حتى الفلسفة فأشار على الملك بقتله لأنه أصبح حسن العبارة وهو مفسد لا يؤمن غائلته فلم يقتله الملك خوفا من الله فقال له اسجنه حتى يموت فقال الملك لا ذنب له . هناك ففاه عن مراکش وهناك كانت الطاقة الكبرى فتوجه الى (سوس) فشرع فى تدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأخذ يذكر المهدى ويشوق اليه (كما فصل المهدى السودانى محمد أحمد فى زماننا سواء بسواء) فكلامها ابتداء أمره بالتشويق للمهدى من غير أن يذكر نفسه وجعل له أنصارا يستميلون له رؤساء القبائل . هناك تهرق نفوسهم فضل المهدى ونسبه وقت . فلما تم ذلك قال أنا محمد ابن عبد الله ورفع نسبه الى رسول الله ﷺ وصرح بأنه معصوم واه المهدى المنتظر . فلما استمر لهم ذلك بايعوه على انه المهدى وألب لهم كتباً فى العلم وعلمهم فكان يبعث القشج . وأول درجة من أصحابه كانوا عشرة وهم المهاجرون الأولون سباهم الجاهة وهم أول من دثقوه والطبقة الثانية سباهم الحسن . ثم قال لهم : ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم وأتم العصابة المعنوية بقوله ﷺ (لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله) وأتم الذين يفتح الله بهم فارس والروم ويقتل السبال ومنكم الأمير الذى يصل بيسى ابن مرزم . ولا يزال الأمر فيكم الى قيام الساعة . ويقال انه كان يخبر ببعض الحوادث فتقع . وكان يقول (لو شئت لهددت خلفاءكم خليفة خليفة) ولقد جاء هذا القول فى نظر رجل من أهل الجزائر من مدينة من أعمال (بجاية) وقد وفد على أمير المؤمنين أبى يعقوب وهو (بني ملل) فقام على قبر محمد بن تومرت بحضور من أتباعه الموحدين وأشد فضيلة بليقة وهاك نصها :

سلام على قبر الامام المجدد * سلافة خير العالمين محمد

وشبيهه فى خلقه ثم فى اسمه * وفى اسم آية والقضاء المسدد

وحكي عالم الدين بعد مماتها * ومظهر أسرار الكتب المسند
 أنباء البشرى بأن يملا الدنيا * بقطر وصدل في الأنام مخلد
 ويفتح الامصار شرقا ومغربا * ويملك عربا من مغير ومنجد
 فن وصفه آتني وأجلى وأله * علاماته خمس تبين لهندي
 زمان واسم للملكان ونسبة * وفصل له في حصنة وتابد
 ويلبث سبعا أوقفا يعيشها * كذا جاء في نص من النقل مسند
 فقد عاش تسعا مثل قول نبينا * فقل لكم المهدي بأفقه يهدي
 وتقبه النصر طائفة المهدي * بظاكرهم اخوان ذي الصدق أحد
 هي التلة المذكورة في الذكر أمرها * وطائفة المهدي بالحق تهدي
 وقسمها المنصور والناصر القوي * له النصر حزب اذ يروح ويقتدي
 هو المنتقى من قيس حيلان مفسرا * ومن مرة أهل الجلال الموطن
 خليفة مهدي الله وسيفه * ومن قد غدا بالعلم والحلم مردي
 بهم يجمع الله الجبارة الاولى * يمدون عن حكم من الحق مرشد
 ويقطع أيام الجبارة التي * أبانت من الاسلام كل مشيد
 فيفزون أعراب الجزيرة عنوة * ويمرون منها فارسا وكأن قد
 ويفتخون الروم فتح غنيمة * ويقسمون المال بالقرى عن يد
 ويضربون للرجال يفرزونه نهي * يذيقونه حد الحسام للهند
 ويقتله في بابك وتنجلي * شكوك أمان قلب من لربو حد
 ويقل عيسى قيه وأمرهم * امام فيدعوهم لحراب مسجد
 يصل بهم ذاك الأمير صلاتهم * بتقديم عيسى المصطفى من بعد
 فيمسح بالكفين منه وجوههم * ويخبرهم حقا بجز محمد
 وما أن يزال الأمر فيه وفيهم * الى آخر الدهر الطويل المسرمد
 قابله أمير المؤمنين نحية * على التأني مني والوداد للؤكد
 عليه سلام الله مانر شارق * وما صدر الورد عن ورد مورد

فهذه حال (محمد بن تومرت) القوي هو المهدي المنتظر وأصبح القوم مقتولين به حتى لوقال لرجل اقتل
 أبك أو أكفك قتله . وكان اظهره المهوية سنة ٥١٥ هـ وفي سنة ٥١٧ هـ جهز جيشا عظيما من المصاعدة جلهم
 من أهل (تيمنطل) ومعهم قوم من أهل (سوس) وأمرهم بحرب الرابطين وأن يدعوههم الى الأمر المعروف
 والتهى عن الشكر واتباع المهدي المصوم ، فان أبأوا فهم اخوانكم والا فقاتلوهم وأمر عليهم عبدالمؤمن
 وقال أتم المؤمنون وهذا أميركم ، وقتلوا الرابطين قريبا من مراكش بموضع يسمى (البحيرة) وأمير
 الرابطين الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فدعا الموحدون للرابطيين لما اتى الجيشان الى ما أمروا به
 فردوا عليهم أسوأ رد ، وهكذا كتب عبد المؤمن الى علي بن يوسف بما عهد اليه محمد بن تومرت فردة عليه
 ردًا يحذره فيه من سفك الدماء ، ولما اتى الجحان قتل من المصاعدة خلق كثير وانهمز الجيش ولكن نجح
 عبد المؤمن . ولما رجعوا الى ابن تومرت هؤن عليهم أمر الخزيمة وبشرهم بالشهادة والجنة ، ومن ذلك
 الوقت أخذ المصاعدة يشنون الغارات على نواحي مراكش وهو يزاد تقي وصلحا وتشددا في دينه وإقامة
 للحدود كلها حتى مات سنة ٥٣٤ هـ وقام بالأمر بعده عبدالمؤمن فبايحه للمصاعدة ، ولم يضيعة من بلاد تلمسان

وقد ولد سنة ٤٨٧ وتوفي سنة ٥٥٨ وقد ملك بلاد المغرب وأكثر بلاد الأندلس ، وقد خلفه في الملك ابنه أبو يعقوب يوسف ومات سنة ٥٨٠ وخلفه ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وتوفي سنة ٥٩٥ الذي أهان الفيلسوف ابن رشد وجلسه ثم عفا عنه ، ولم تفلح الحكمة بعد ذلك قائمة في الاسلام وبعده ابنه محمد بن أبي يوسف أمير المؤمنين وتوفي سنة ٦١٠ وتولى بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد هذا ملخص مذكرات تاريخ الأندلس للمسي (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) تأليف الشيخ محي الدين عبد الواحد بن علي القيسي المراكشي

أقول : إن هذا العالم كان في زمان تلك السولة فلم تطل مدته الى اقتضاها حتى يعرف ما آل اليه أمر هذه السولة ، وأيضا انه كان تحت حكم ملوكها فلم تكن له الحرية التامة في إبانة الحقائق الناصحة عن المهدي (ابن تومرت) ووظيفة هذا التفسير امتحان الحوادث العلة وعرض نتائج الامتحان على أم الاسلام بعدنا أما مجرد سرد التاريخ فقيمت زهيدة ضئيلة ونحن الآن في تفسير آيات قرآنية نقبذ التقليد وهذا التاريخ الذي سردته هنا مسوق لتبيان أن الوقوف على التقليد بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير هو الشؤم الأكبر والمطلب الجليل واللوث الزؤام

فلأذكر إذن في هذا الصدد ما عثرت عليه في الكتب الأخرى وما ذكره أيضا العالم الفرنسي (سديو) ليحقق الحق ويبطل الباطل . واذن يفرح المؤمنون والصلحاء المخلصون والأمم الحمديون بنصر الله بالهداية العلمية والله هو الولي الحميد

جاء في كتاب (خلاصة تاريخ العرب) للعلامة سديو ملخصه : «إن العرب بإسبانيا انشقوا على المرابطين أيام علي بن يوسف الذي ظهر بهزء كما تقدم القول عنه . وأنه كان مشغولا بالصلاة والصيام وكلا أمر الرعية للنساء مع اكرامه للعطاء . وقد كان هؤلاء العرب لا يفكرون إلا في عارية أمهاتهم المرابطين ولم يعرفوا كيف يتسلحون ويتخذون لهم مركزا علميا سياسيا لصدة النصارى المحيطين بهم من سائر الجهات وغاية الأمر أن الفرص قد سنحت لأناس منهم استقلوا بالامارة من سنة ١١٤٤ في مرسية ووالنسة وغرناطة وأشبيلية وقرطبة وغيرها فذهب كل هذا للنصب بلاحق واقتل عن الآخر فذهب المرابطون من اسبانيا سنة ١١٤٦ وغاية الأمر أن عبد الله بن غانية بقي تحت يده جيش ضعيف وقد اضطر الى مساعدة النصارى له فساعدوه حتى أخذ قرطبة وأشبيلية حتى اذا ما جاء جيش عبد المؤمن قتل ابن غانية وذهب أمر المرابطين . ثم ان الأميرين يوسف ويعقوب المنتقم ذكرهما أبلاوا بلاد حسنا في منع غارات النصارى عن مدن الاسلام ثم بعد ذلك أغاروا على من جاورهم من النصارى . وهناك تجدد الروثى والعز في بلاد الأندلس . وقد زاد ذلك النصارى وعز المسلمين بما فعله الأمير يعقوب حتى مات وخلفه ابن محمد الناصر سنة ١١٩٩ م

هذا وقد هزمه النصارى في واقعة (طولوسه) سنة ١٢١٦ م وهناك ضعف أمر الموحدين فاقطعوا عن محاربة النصارى ، ولما مات الأمير محمد خلفه أبو يعقوب وقد عصت الأقاليم بالمغرب واسبانيا لأنه غير كفء ثم ان أرباب المشورتين الذين أنشأهم المهدي كما تقدم (وهم العشرة الذين ساءهم المهاجرين الأوائل والحسين الذين ساءهم الجماعة) كانوا منشوقين الى الاختصاص بالحكم لما رأوا فساد الأمر في البلاد فهدمهم المأمون ، وقد قام بشد أزرها حزب ذو قوة ويطش وجعلوه أميرا عليهم ، فنصب أرباب المشورة المذكورين يحيى بن ناصر فتعلب عليه وعليهم المأمون وعاقى رؤس هؤلاء الشيوخ على أسوار مراكش وألقى المشورتين ونسخ سياسة المهدي ومنع ذكره في الخطب وعامل أهل المغرب بقسوة لم يفتروا بعدها على العصيان سنة ١٢٢٨ ثم إن محمد بن هود من ذرية قسما ملوك سرقسطه أوقع البغضاء بين مقاربه اسبانيا ومقاربه افريقيا وأخذ منهم جيشا جوارا هزم به المأمون سنة ١٢٢٩ قرب (مدينة طريفه) وأزم المأمون الإقامة بمراكش

هناك اضمحلت دولة الموحدين شيئاً فشيئاً ، فانهم لما انتزعت منهم الأندلس أخذت بلاد المغرب تنسلخ منهم شيئاً فشيئاً فقد عصى الموحدين في أيام خلفاء المأمون وإلى تونس سنة ١٢٤٢ م وعائلته هم بنو حنص وفي سنة ١٢٤٨ أسس بنو زيان في تلمسان والجزائر سلطنتهم الممتدة إلى نواحي تونس ، وكذلك بنو مرين في جهات كثيرة - والله الأمر من قبل ومن بعد -

هذا ملخص ما جاء في كتاب سديو ، وأزيد عليه ما قرأته سابقاً في الطولات من أخبار ابن تومرت ثم أتبعه بالنتائج العلمية التي هي المقصودة بالفتا في تفسير هذه الآيات فأقول :

إن محمد بن تومرت كما قلت جله الله لهذه الأمم أشبه يمر في الأطفال ، ولقد جاء في كلام علماء الفقه أن السلب جائز في سياسة الأطفال ، وقد قلنا إن الأمم الإسلامية في القرون الأولى كانت في أيام الرضاة فشكل قرن سنة واحدة في عمر الأمة ولما كان الظلم أخذ الناس ينظرون شؤونهم بأنفسهم ولكنهم قللة العلم سخر الله لهم أناساً يعاونون معهم فعل الربى مع الطفل . فإذا فعل محمد بن تومرت ، ولم تخلو كما تقدم وإلى أقول أنا معتقد في الرجل حسن مقصده وأنه يريد المسلمين في تلك الأصقاع خيراً ، ولقد رأى أن يسوسهم بالمعصية المشهورة وهي المهدوية . فإذا فعل ؟ نصب له دعاة وأعلن العصمة كما أعلنها غيره من الفاطميين بمصر وأعلنها أيضاً (أغا ميمون) بالهند في زماننا وغيره ، ولقد كان من أمر (محمد بن تومرت) أن بث الأرصاء والعيون والجوايس ليستظلوا أسرار القلوب ومن المصنق للهدى ومن المكذب وأخذ يوازن بين الشهادات الواردة إليه من عظماء أتباعه ، فمن ذكائه وفطنته لم يحكم على أحد بالكفر بمهدويته إلا إذا توافرت الشهادات المختلفة بذلك من بطائفة الذين جعلهم هيونا عليهم . أما الذي اختلف فيه الشهود . ومعلوم أن أحدهم لا يعلم ما يقوله الآخر فانه لا يحكم بكفروه . فهناك اجتمع له من أسماة أتباعه جنود حفظه عنده لوقت الحاجة

ويشاهد هويث الأرصاء والعيون والجوايس لمعة أسرار أتباعه كان قد أسر رجل من أتباعه يدهي على ما أذكر (الونشري) فهذا الرجل كان علماً فأنظر الجذب وأخذ بهم على وجهه ويمر في المجالس فلا يابه له أحد لأنه مجذوب لا يهوى . وكان إذا مر على (محمد بن تومرت) يقول إن في هذا الرجل لسراً . وبقي الأمر هكذا إلى أن كان ذلك يوم محمد بن تومرت يمسى القمجر فظفر رأى رجلاً وراءه يمسى وعليه ثياب بيض بهيمة جبلة فأنظر المبهمة وإذا سأله من أنت ؟ فقال أنا الونشري . الذي هذه الليلة أتاني النبي ﷺ بمقطة وعلمني كذا وكذا وعرفني العواقب وأهل الجنة وأهل النار . ولا جرم أن هذه هي الحيلة التي تسكرت كما تقدم في هذا التفسير إذ ذكرت نظيرها في (سورة الشعراء) عند آية السحر فليتنظروا المسجون وليستبقطوا قتال ابن تومرت له بهيمة ولطفة : سبحانه الله . أخبرنا بأمرنا من أنا ؟ فقال أنت المهدي ومن كتب بك في النار (ولا جرم أن الجدول التي فيه الأسماء قد سلم إليه سرا حتى عرف جميع الكفار بأشخاصهم) فهناك قال له المهدي : أخبرنا بأهل النار وأهل الجنة . فأمر المهدي فاجتمع القوم ومعه الونشري صفيين صفا أمام صف فنظر إلى صف العين فقال هؤلاء أهل الجنة وصف جهة اليسار فقال هؤلاء أهل النار . ثم قال يقتل أهل الجنة أهل النار فصرع صف العين صف اليسار حالاً بالسيف واستولوا على ما يملكون ، ولكن هؤلاء المقتولون وإن كان أمر قتلهم مساوياً على حسب الاعتقاد بقي له أثر في النفوس فشغلهم المهدي بالحروب المتقدم ذكرها ضد المرابطين أيام (علي بن تاشفين) كما عرف وصار يعلمهم ومجنهم تلك فارس والروم وانهم هم الذين يبقون حتى أيام نزول المسيح إلى آخر ما تقدم . هذا هو الذي وعته القصة مما قرأته من الكتب والله أعلم

(امتحان هذه السير والأحوال)

سبحانك اللهم ومحمدك . أنت ناظم الأمم والجماعات ومعد كل ذي حق حقه . أنت الذي علمت أن هؤلاء قوم جهال مشتقون فهيأت لهم محمد بن تومرت ليفزع الظلم عنهم فقام وادعى المهدوية . اللام إن المهدوية

قد تقدم الكلام عليها في أول (سورة الحج) وقد ذكرنا هناك أسما المهدي وأن الأحاديث كلها معلنون فيها . سبحانه الله وبمملك . إن أحاديث المهدي قد سرت إلى قوس أكابر الأمة وأن محي الدين بن عربي قد وقع فيما وقع فيه غيره وسرت عقيدة المهدي في الأمم الإسلامية وقلت هناك أنها لا تزال باقية لم ينقص منها شيء حتى ظهور المهدي السوداني ، فما نتيجة ذلك كله ؟ نتيجة ضعف العقول والانتكاس إلى الشيوخ ونوم القوى العاقلة ، نام المسلمون آماداً وآماداً ، تركوا مواهبهم ، تركوا عقولهم ، كما تركت الحيوانات للزلية تدير أنفسها للإنسان بخلاف الحيوانات البرية الوحشية كالفرلان ، إذن المسلمون للتكون على المهديين أو على الشيوخ والذين استناموا لمن ملكوا قياهم من الظالمين مسلمين وغير مسلمين أمصبوا كالغزاة والبقرة اللتين ضعفتا عن تدير أنفسهما وقاقتهما الفزلة والبقرة الوحشية ، ضارت الأمة ذليلة والضعفائى لاجل له يضرر ويضعف ، وليس الأمر قاصراً على محمد بن تومرت فهو رجل نفع القوم بأسلوبه ومنهجه واستعان بالسكان والصبور بعلوم السيمياء وبايهاهم أنهم خير أمة أخرجت للناس وانهم هم الذين يبقون إلى نزول هيسى عليه السلام وقد فعل ذلك معهم ولكنه في الوقت نفسه علمهم الصديق والاخلاص والشجاعة والعلم على حسب زمانه ، الرجل مزيج الحقّ بالباطل وقد أفاد القوم . ولا يزال بعض شيوخ الطرق الآن في أمم الاسلام يرفعون نفوسهم إلى مقام العظمة ويحاولون أنفسهم وساطة بين الله وبين خلقه . وقد أنام كثير منهم المسلمين إذ أفهموهم أنهم بشائهم مع جهلهم القاضح يتنجون من العذاب يوم القيامة . تعليم ابن تومرت وغير ابن تومرت نافع وضار . النفع مؤقت على مقدار همته . انظر الفرق بين هؤلاء الصالحين وبين الأنبياء انظر إلى الأنبياء كيف دامت ديارهم آماداً وآماداً . كثير المهديون في الاسلام ولكل مهدي أيام تقضى ولكن الاسلام باق لم ينقص منه شيء وما يفعله هؤلاء الشيوخ تمحوه كرور الأيام لأنه لا ثبات له وهل تغير العالم ثبات ؟ الأمم الإسلامية يجب تعليمها وترقية عقولها ونشر التعليم والثقافة العامة فيها . ليكن التعليم إجبارياً في جميع الأديان ليتعلم الرجال والنساء

هذا هو المهدي . فأما إلى أين ؟ بلان انه المهدي ومتى ذهب ذهب ذلك الإيمان (كما فعل المؤمنون فأبطل اسم المهدي ونسخ تعاليمه وقتل الشيوخ) فان الثورة ضمهعل وتذهب كما رأيت في دولة الموحدين لا لا أيها المسلمون : - وقيل جاء الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً - قال موسى ما جئتم به السحرة إن الله سيظهره إن الله لا يصلح عمل المفسدين -

فذكر أيها الذي ملأه في (سورة طه) وأن بني إسرائيل لما رأوا العسا قلبت حية آمنوا وهم في مصر ثم لما خرجوا منها وصروا على قوم يكفون على أئمانهم - قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون - ولما رأوا جعل السامري المصنوع من الذهب - قالوا هذا إلهكم وإله موسى - فهذا الإيمان المشؤم الذي لا يرجع إلى تمام العلم يكون عرضة للتقلب فان من رأى عصا اقلب حية لخرى أن يكفر اذا رأى عجلاً له خوار مصنوعاً من ذهب فانه أجل وأبهى وأعظم هيئة من الحية وهل وردت تلك القصص في القرآن إلا لهذه النتائج . ألم يقل الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - وهو القائل - وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا نوحاً العاقلة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخوفاً - والآيات المذكورة هي خوارق العادات . إذن القرآن في ناحية وجهود المسلمين في ناحية . القرآن يدعو إلى العقل والعلم وتعليم الناس . وإذا كنت قد خلقت في الرم الميته دوداً وسلطت على الأحياء منها الأسود والفور الخ رجعة مني وعدلاً وسكماً أفلا خلقت في ريم الأحياء بالهند وبلاد الاسلام ما يشبه هذا الهود ويشبه الأسود واليهود والفور من رجال الدين ومن الأمم المستعمرين أولاترون أتى أخاقي العنكبوت تنصب الحليام لاصطياد العنكب . أفلا فعل كذلك في الإنسان الذي أشبه العنكب

فأسلم عليه عنكبوت الشيوخ والبراهمة واليهود . هذا فعل وأنا الحكم العدل . أتم أيها الناس جميعا اليوم في حال تنبؤ حال الأطفال من حيث مجموعكم والأطفال لا يستحقون غالبا لما يقفه الباقون . ملأت أرضكم بالأصنام وبالخرافات لأنكم لا تفقهون سواها . ثم أرسلت رسلا وأنزلهم خاتم الأنبياء ﷺ فسرت دعواه في الأرض ووصلت الهند وفيها نحو خمسين مليوناً من المسلمين وهم أرق الجميع . وهذا العدد لم يسلم إلا بعد حروب دامت قرونا وقرونا . ثم مضت فتنة ولم يقدر المسلمون على إزالة الأذى عن عباد البقر والأصنام هناك فأرسلت دول أوروبا فأغنوا يعمون بعض تلك العادات تبعا لما فعل المسلمون قبلهم . وكل ذلك اليوم تمهيد للزمان للقبول القريب إذ يظهر الجليل الجديد من المسلمين لآسيا قراء هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يرون أن الناس جميعا إخوانهم وأنهم خلفاء الله في أرضه . فهؤلاء هم الذين يرون الإنسانية كلها يعلمهم وحكمهم وامتزاجهم بالأمر وهناك يزولون الخرافات أولاً من بلاد الإسلام وثانياً من بلاد غير المسلمين من أهل الهند وغيرهم . هناك يفهم المسلمون معنى قولي في القرآن - كنتم خيرة أمة أخرجت للناس - وقولي - وكذلك جعلناكم أمة وسطا - وقولي - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

هناك يفهم الناس لماذا ذم الله التقليد في هذه الآيات التي نحن بسدد الكلام عليها وما فوائد الهدى والعلم والاستبصار

فلما سمع صاحب ذلك . قال : والله لقد شفيت ما في نفسي . قلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم الأربعاء ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٩

(جمال العلم وبهجة الحكمة)

(في ذم التقليد)

أيها المسلمون : اني بينا أنا أكتب هذا الموضوع يوم الاثنين (١١) نوفمبر سنة ١٩٢٩ وقد اخترت هذه الفكرة في نفسي طلع «الاهرام» وفي صدره هذه المقالة الآتية من بلاد الهند فأدهشني صدور هذا القول اليوم وفكرت في أمر الإسلام وأمة الإسلام وقلت إن هذه من المصادقات العجيبة . كيف يظهر اليوم هذا المقال وقد ظهرت فيه أحوال الهند لتقسيم إلى أربع طبقات وأن البراهمة أو هوهم أهم قلوب الله في الأرض وعاشوا طلة على الشعب وأن هذا هو أكبر - بب في خضوع الهند التي تعد بمئات الملايين إلى عشرة آلاف من الانجليز . اللهم إن هذه المقالة ستجعل بها هذا المقام حقا وصدقا ، كيف لا والبراهمة قد نبهوا في احتقار الشعب وادخال الفتنة عليه وبض النصارى والمسلمين قد قلدهم في ذلك الاحتقار ، فيالعلم ، وبالفتنار أليق خلفاء أبي بكر و عمر وعثمان وعلي وأتباع النبي العربي ﷺ (ذلك النبي مال ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، والذي أمر بلالا أن يؤذن على الكعبة بمحضر من قرش والذي نزل عليه - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ذلك النبي الذي منع الاستعمار ونذ كل خوارق العادات وحكم عليها بأنها كهانة ، وجاء بالانصاف والعدل ، وأتى بمدينة محترجا بجانيها مدينة بعض الأوروبيين ، أولئك الذين يحرقون أن يكونوا مع السودانيين في مكان واحد كطعم أولمب ، ذلك هو النبي سمعناه اليوم عن بلاد الانجليز) أن يكونوا كالبراهمة فيفسدوا عقول الشعوب الإسلامية بمهدويتهم أو بمشيختهم . كلا . والله لا يلق

فهذا هو المقال الذي به تعرف معنى قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ووصفه ﷺ بأنه سراج منير وأنه خاتم الأنبياء ، فقد ضرب المدينيات القديمة ضربة زلزلت الأرض ولكن لاتزال الأمم في حاجة

الى ارشاد المسلمين الذين سيظهرون بعد ظهور أمثال هذا التفسير ، فالاسلام لازال أمامه مشاق وأعمال مقادة على عاتق الأجيال المقبلة فراء أمثال هذا التفسير

إن أكثر المسلمين يهوش على عقولهم قوم بطواهر أحوال أو باخبار الغيب صدقا أو كذبا أو بالتشفي والزهدي ، كل ذلك أمره قد مضى في حال طفولية الأمم الاسلامية ، ولقد قلت لك أيها الذي أن الأمم الاسلامية اليوم في القرن الرابع عشر قد أترف زمان بلوغها بالسوء ، وقد صلت كمن بلغ بالحلم وإلها ترى الحقائق في زمانها هذا وتخرج من حضانة أولئك الذين لا يرون لها سياسة إلا الإلاهام وحجيم من الحقائق وإبادهم عن سواء السبيل

أيها المسلمون : لاحظوا بعد هروس . ولاغبأ بعد بوس . هذا كتب التفسير والجواهر ، هاهوذا بين أيديكم فتشكروا فيه وقلوا محامته وسيظهر جيل جديد سائر على منواله . فويل لمن تركوا مواهبهم وعقولهم واتكوا على شيخ من غير تعليم . وويل لمن نسوا نعم الله عليهم بالحق والحواس والنعم الجليلة ثم انتظروا مجيء المهدي ليهدي أبناء أبنائهم وهم لا يهتدون كأن الله عز وجل ليس هاديا للناس الآن مع أن من أسماه تعالى (المهدي) وكان النبي ﷺ ليس من أسماه المهدي . الله جعل المهدي في الأرض في كل زمان ومكان ولا يحجبه إلا التقليد الذي فقه الله في هذه الآيات إذ يقف المستضعفون أمام المستكبرين ويقولون لهم أتم سبب جهلنا يقول المستكبرون . كلا . بل أتم قوم مجرمون أي لأنكم لو كنتم لكم عقول ما أطمعتمونا وكيف تركتم مواهبكم وعقولكم

اللهم إنا نحمدك على ظهور حقائق القرآن في التاريخ الذي جعل نبراسا ونورا لمن يهدنا . فانظر أيها الذي إلى أهل الأندلس كيف قصرت أنظارهم أيام علي بن يوسف بن تاشفين إذ اتهم بعد أن عصور أعمال المرابطين لم يتطعنوا أن الترجمة من خلفهم بل استقل كل بمسكنه . لماذا هذا ؟ لأن العقول خنت بسبب الجهل . ثم انظر إليهم بعد أن طردوا الموحدين من بلادهم كاهتهم فاتهم قرتقوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض وذلك من نقص العلم والفقه إما بالنسوف والاكتفاء بالشعر كما تقدم في (سورة الشعراء) . وأما بجمود القرائح بتعليم شيوخ يحملونهم بالأمان قانعين وعلى الرؤساء متكئين والله ليهدي القوم الظالمين إن الله قد أذن في هذا الزمان بظهور الحقائق ونشر الحجج والصحف فسهلت على مؤلف هذا التفسير الأمر واستبانت حقائق كثيرة كانت مطوية بالتنصيص عن أنظار الجمهور . فهذا المقال الذي سأذكره هنا عن المندود يريك أيها المسلمون مضار التقليد بأوضح سبيل وهذا علر على أم الاسلام الذين بعدنا المرسين العارفين . أما أكثر الأمم الاسلامية للتأخرة فان شيوخهم ضلوا معهم بعض فصل البرامحة مع المندود وكان من حقهم أن يكونوا مرشدين جيع الأمم لأنهم هم يتبعون الشهوات كأولئك البرامحة القدماء والحاليين . فهاك نص المقال المذكور

(حديث الهند)

(من عرف اللغة في جسم غيره دفع شرها عن جسمه)
مصرع العالم تنظر الى الهند وتصفى بلسانها لشكولها . ومصدقون العالم تهتم بأمر الهند لان شأن تلك البلاد شامها ولأنها تشاركنا بالامنا كما تشاركنا بالامنا . وتتمنى خلاصها كما تهتمى خلاصنا وإذا قلنا الهند فقد أردنا الهند الفكرة العالمة الناهضة . ولكن ماهي الهند ؟ أمي كصراثة واحدة بلقة واحدة وعنصر واحد بجو واحد وتقاليد واحدة وآداب واحدة ؟ وهل هي نحيما حياة ديموقراطية كمر لا يفضل فيها المصري للمصري الابهمه وبما يحميه لوطنه ؟ لا . انها ليست مثنا ولا نحن مثلها فلهي الهند إذن ؟ وماهي أدواؤها لتدفع شر

تلك الأعداء عن أنفسنا إذا نحن أحسننا بها. إن أصدق الجواب على هذا السؤال هو بالرقام . فالهند التي أسلمها
 الأفرقي باسم أحد ألقبها لينترا كعادتهم في القسمة إذا كانت شطرا من القارة الآسيوية فهي تكاد تكون
 يسانفصلا عن العالم بالماء من جهات البحار والجبال الشاهقة جدا حتى لا تعجز من جهات البر . مساحتها
 ٩٩٤٥٥٩ كيلومترا مربعا يسكنها ٣١٩ مليوناً منهم ٢٤٧ مليوناً هم المستعمرة الانكليزية والآخرين ١٧
 إمارة خاصة للانكليز وهذا المجموع من الأهالي مؤلف من ٢٠ عنصرا وهم يتكلمون ٢٢٢ لغة وأوطجة وليس
 لهذا المجموع لغة واحدة ولقائهم ٥٠ نوعا من الكتابة ولكل كتاب من ٢٠٠ حرف إلى ٢٥٠ حرفا كذلك تعد
 أديانها . ويقرب بلادهم بخلاف باختلاف المناطق فعلى مقربة من السواحل يهبط مستوى الأرض إلى ٢٠٠ متر
 فوق سطح البحر فيكون الجرف عمقا بدرجة ٤٧ بينان مستفراد وفي أعلى القمم على ارتفاع ٨٨٩٠ مترا يحصد
 البرد لهم بالبروق . جيع الفاتحين الكبار غزوا تلك البلاد وملكوها من سينوستريس الفرعون المصري
 إلى الاسكندر المقدوني إلى غزاة التبت الاربعة الذين ملكوا ناصية تلك البلاد وأسوا أهلها بالبار بين
 التبتين ثم تفرقوا بعد ذلك قبائل وصلت إلى أوروبا وملكها وإلى العرب إلى الهولنديين والبرتغاليين
 الذين فتح فاندمج البحري فاسكودي غاما طريقها سنة ١٤٩٨ إلى فرنساويين إلى الانكليز الذين تملكوا
 ناصيتها من فرنساويين واتخذوها مزرعة لشركة من شركتهم إلى أن ابتاعها حكومتهم من تلك الشركة في سنة
 ١٨٣٣ وأعلنت بتوسيع حدودها . وظلت حتى الآن تلك الدول التي تقدمت انكسارا أملاك وجزر في جوانها
 والانكليز يستعمرونها للرزق والتجارة لأن بلادها التجارية من الصادر والوارد لاقتل في السنة عن
 ٥٠٠ مليون جنيه وكل استعمار للرزق ولرخاء العيش . وأقدر الدول على الاستعمار من قوت رزقها في وطنها
 ولا يتعب الانكليز كثيرا في حكمها وجيشهم بأحصاء ١٩٢٦ لا يزيد فيها على ستين ألفا . وكبار المؤلفين على
 ٣٤٢٣ مؤلفا ورجال البوليس منهم على أربعة آلاف كما أن عدد الأوروبيين وأكثرهم من الانكليز لا يزيد
 على ٢٠٠ ألف فهل من العقول أن يحكم هذا العدد القليل مثل ذلك العالم الضخم ؟ إن الجواب على ذلك يجده
 الباحث في حياتهم الاجتماعية والادبية . فالسجون وهم أرقى العناصر كانوا عند الدولة الحاكمة وهم خسون
 مليوناً لأن حكم التفرق كان سائما بينهم ثم الجبل الذي ترك فيه الأهالي ولا يزيد الآن عدد الذين يعرفون
 القراءة على ٨ بالمائة . ولانهم يقسمون الأمة إلى طبقات يحكم شرائعهم القديمة . فالطبقة العليا هي طبقة البراهمة
 نواب «الاله الأرضي» في خلقه . وهم فوق الجميع . ثم طبقة الكشاثرياس أي المجاهدين والمقاتلة ثم طبقة
 الفاشياس أي الفلاحين والزراعي . ثم الطبقة الأخيرة الحقة النجسة وهي السودا التي خلفها الله خلقة
 الآخرين . وعند البراهمة نص في شريعة «بها كفا» بأن من قتل برهما حوله الله إلى حشرة من حشرات
 الاقنار إلى أن يولد ثانية بعد موته فيأتي من عنصر باريا أي السودا ويظل أهمي عدد شرب البقرة من السنين
 ولا يفقره ذنب إلا إذا أحم ٥٠٠ ألف برهمي أما إذا قتل أحد البراهمة واحدا من السودا فيكفي للفقران أن
 يرتل التواليا وهي من أناشيدهم المقدسة ليظهر . فانظر إلى قيمة هذا وذاك في شريعتهم المقدسة ثم اسأل
 أين المساواة ؟ البرهمة من آفة الهنود منذ عهد بعيد لا يقل عن ستة آلاف سنة . كان العلم محصورا بهم دون
 سواهم قبل دخول الفزاة بلادهم فلكل زادوا على الكتب المقدسة ما يعجز نفوسهم ويوسفهم وكلاء «اله
 الأرض» وجد البناء المقدس في الهياكل لاجلهم . وحكم على الناس أن يقتسموا لهم جميع حاجاتهم دون أن
 يقوموا بعمل فاذا ولد الطفل الهندي أعطوا الجسل وإذا بلغ اليوم السادس عشر من عمره أعطوا الآثورة
 ليظهره من رجس الولادة وإذا بلغ الشهر الثالث أعطوا الاجر قص شعره . وإذا بلغ الطفل الشهر السادس
 أعطى البرهما الأجر عن فطامه . كذلك إذا أتم السنة . ومن السنة الواحدة إلى السنة السادسة عشر وهي
 سن الزواج يعقد البرهما الزواج مقابل الأجر وكذلك في حالة الموت واحتراق الجثة ووضع الرماد بالحق وفي كل

شهر من السنة الأولى بعد الوفاة يقدم للبرهانة كل ما هو عريض على الميت على اعتقاد أنه ينتج به في آخرته وفي كل حفلة من هذه الحفلات يسألون أقدام البرهانة ويشربون ماء الفصل . تلك طبقة ليست عليلة فقط بل كالملقى بمنح دم الأمة وقتل جميعها ونفوسها لما ابتدته من الأحكام والشرائع . كذلك قدس البقر حتى أنه لا يموت منهم ميت إلا إذا هو أسك بذيل بقرة من تلك الأبقار المقدسة . وهم في الصحة والمرض يلتصقون رؤسها وبولها ويترجوه بلبنها ويضعونه في أحقاب ليؤكل ويشرب فيشرب من كل داء ويدخل الأكل والشارب إلى الجنة وقد بلغ عدد البقر في سنة ١٩٢٠ مليوناً و١٤٦ ألف بقرة وبلغت النخعة عليها ١١٧٦٠٠٠٠ جنيه أي أربعة أضعاف غلة الأرض ومن هذه الأبقار ٧٠ ألف بقرة لا يجوز الانتفاع بطعامها وعظمها وجلدها . وفي كل سنة تقوم المعارك بين المسلمين والمندوسيين من أجل ذبح البقر والذين يزورون الهند قد يشاهدون تلك الأبقار المحترمة المقدسة والناس يراقصون لانتقاط بولها بأوعيتهم . على ذلك في عزعرة رقي تلك الامة ما يؤخذ أيضاً من احصاء ١٩٢٠ أن عدد الشعاذين والسجاليين خمسة ملايين و٨٠٠ ألف وعدد الهارويش والاولياء ٤٥٢١٧٤ شخصاً فأى جسم تحمل مثل هذا العبء ويظل قويا ؟ الهندو يقدسون الزواج والاطفال يصلحون له عندهم من سن الواحدة فصاعداً فإذا أتم العتقان فعل الزواج قبل البلوغ قدمت الهدايا لوكلاء والاه الأرضى أى البرهمانا . وإلهم سيفاً يصورونه في كل مكان بصورة أحد أعضاء التناسل وإلهم فيشرب بصورة فعل الزواج . فلما قرر مؤتمر جنيف في سنة ١٩٢٣ أن تحرم البول نشر الصور المخافرة للأدب وأن تنص قوانينها بالعقاب الشديد قابل مسلمو الهند هذا القرار بالارتياح بل بالفرح والسرور وقاله الهندو بالنسخت وال غضب فنص في القانون الذى يحرم نشر الصور لفترة على اشتراط مخالفة الدين وسن قانون الزواج بمد ذلك على أن يكون سن الشابين بين العاشرة والثانية عشرة ونادى غاندى بهذا الإصلاح ولم يكتب به وأعلن ناغور شاعرهم سربا على هذا القانون الذى عده فوزاً للادة على الروح وأصر على تزوج الابن قبل أن تصير بالغة بحجة أن الابن في هذه الحالة لا تعرف أنها أنى الا وهى متزوجة . أما حجة غاندى فكثرة الوفيات وضعف الذسل وشيخوخة الرجال وهم في الخامسة والعشرين ووهن النساء في سن الشباب وكانت حرب شعواء وانتهت بان اقترح مجلسهم في سنة ٢٥ رفع سن الزواج الى ١٤ سنة ودل الاحصاء على أن البنات اللاتي يعلن في سن الطفولة بسبب الزواج يبلغ متوسط عددهن في السنة ثلاثة ملايين و ٢٠٠ ألف وقد عرف الناس أنهم رفضوا السبق في تغيير هذا العام الى ١٦ سنة أما الارامل وعددهن في الهند ثلاثون مليوناً فلا يمكن أن يتصور الانسان على ما وصف داس وغاندى وليس مايو الأميركية حالاً أسوأ من حالهن مرضاً وسقماً وضعفاً . فلما رأوا إذا مات زوجها كانت تحرق نفسها على قبره أوهم بحرقونها الى أن أبطل الانجليز ذلك بعد جهد جهيد . أما اليوم قائما تحرق رؤسها ولا تنظم الا العيش اليابس مرة في اليوم ولا تخاطب الا بعبارات التحقير والازدراء ولا تقابل أحداً وقد نادى غاندى بالهنديات الرقيقات لينشرن الدعوة لزواج الأرمل ولا كرامهن وكانت فكرة هذه الجمعية موجودة منذ سنة ١٨٩١ ولكنهم لم يفلحوا حتى الآن كما أنهم لم يفلحوا بإبطال البغاء المقدس وهو أن يقدم الرجل بنته وهى طفلة للاله فيقوم وكيل الاله الأرضى مقامه وهكذا عبر القنات بقيا مقدسة لمن يدخلون الهيكل . وفي معبد كالى ألهة السم السمكة كالسكونا باسمها . ألوف منهن . ومن أسباب انحطاط الهند طبقة السودا اى الطبقة النجسة وعددها ٦٠ مليوناً فهم في نظر الطبقات الأخرى الثلاث دون الناس فلا يجوز لهم دخول المدارس ولا دخول الحياكل ولا المحاكم ولا الخزائن ولا المستشفيات حتى انه لا يجوز لهم امتياز المياه من الآبار العمومية وفي بعض الجهات لا يجوز لهم السير بالطرقات العمومية وإذا وقع ظل واحد منهم على شئ أو هلى انسان نجسه وإذا وقع على ما كل أو مشرب حرم أسكه وشربه . وإذا رأى أحدهم برهما مقبلاً وجب عليه الابتعاد عن طريقه نحو شئ متر على الأقل . كما انه يجب عليه الابتعاد عن الطبقات الأخرى نحو ٣٠ متراً ولم يتعرض الانكليز

لقد الحلة استقاماً لأمير ملكتهم في ٢ ديسمبر ١٨٥٨ بالاعتراض أي الانكليز لاحكام الدين والعقائد وهؤلاء التمساء يعتقدون أن ذلك حكم الله عليهم . ولكن غاندي هب للدفاع عنهم بحجة أن الدين لم يحرم رفع هذه الطبقة الى مصاف الطبقات الأخرى فمن الواجب أن ترفع اليها فقعوها في بجاي مؤثراً ضحفاً لمحاربة هذا المبدأ ولما صدر القرار في مارس بأن يكون تعليم الهنود جميعاً اجبارياً خصموا ٩٩ مكاتب لاولاد هؤلاء التجسبين وصينو ٨١٥٧ مكتباً للآخرين وفي سنة ١٩٢٦ أصدر مجلس الشورى ببومباي قراراً بقبول أطفالهم بالمدارس وبالسلاح لهم يتناول الماء من الآبار العمومية ولما أوفدت انكلترا للسفر موتاغوا الى الهند في سنة ٩١٧ يسأل الهنود مما يريدون لبلادهم جده أناس من هذه الطبقة وقد تنوّرت أذهانهم من الاحتكاك بالأجانب وقالوا انهم يرفضون الحكم الثاني لأنه لا يصحكون الأداة لتسليم الضفدع الثعبان ولما نزل ولي عهد انجلترا في بومباي سنة ١٩٢١ وأذاع غاندي رسالة قال فيها ان هذه الزيارة اهانته للهنود واستقر أن ضرب الناس من مقابلة الأمير وسادت الاضطرابات في شوارع تلك المدينة مدة أربعة أيام قتل ٥٠ وجرح ٤٠٠ . ولكن لما أراد الأمير السفر من بومباي الى دلهي ركب من القصر الى المحطة وهي تبعد ثلاثة كيلو مترات فاجتمع ألوف الألوف على طريقه بحبونه وسبقه ألوف الدلهي لغرض ذاته وكان هؤلاء جميعاً من طبقة السودا لانهم يحبون رجلاً قويا وكل قروي إله وهكذا جعلهم جماعة منهم على تحية ذلك الأمير فهل رأى القارئ ما هي الأمراض الاجتماعية التي تجعل ٣١٩ مليون انسان خاضعين خائفين لستين ألفاً وهم هم الذين كان من أبنائهم ٨٨٥ ألفاً ميادين القتال للدفاع عن الاسترطورية فظفروا في ذلك الدفاع أبطالاً أشداء تلك أمراءهم ومن عرف مرض سواه وفي نفسه وإذا أردنا وصفاً للهند جامعا وجدنا هذا الوصف الجامع بين شقي قلم غوستاف لبيون القائل : ان الهند حلقات أرطامع أول عهد الانسانية وأتروها مع آخر مرحة . لا وصلت اليها المدنية . فهي سجل صادق لتاريخ الانسانية وأديانها . وقوانينها وأطوارها وضعها وتوتها وتدينها ورقبها اه

هذه صورة أهل الهند قد رنحت الآن في هذه المقالة وظهرت حقائق يتوق لمعرفة الغلاء في الاسلام . وقد تقدم في هذا التفسير ماضيه (ابن الصباح) في قلعة الموت وكيف تعلم تلاميذه شرب الخشيش فصاروا حشاشين وشغل لهم أن الجنة تحت أقدام رؤسائهم . وهكذا ما فعله كثير من رؤساء الصوفية . وكيف كان التدليس في أم الاسلام . ألا انما مثل هذه الأمم كمثل نوع من الطير يعيش في بعض الفصول في بحيرات مصر بالوجه البحري وسياسة هكذا : ينم الطير ليلاً ويمرحه أربعة طيور من الجهات الأربع والمقدم هو الرئيس وهذه الطيور النائمة لا تطير إلا بأمر ذلك الرئيس اذا صرخ عليهم . وقد اعتاد الصيادون أن يقتلوا ذلك الرئيس بطريقة وهي أن يلبس الرجل على رأسه ما يشبه وجه هذا الطائر ومنقاره وهو مخفف وراء تلك الصورة وتقوم هذه الصورة على وجه الماء فيظن الطير أن هذا من جنسه حتى اذا وصل الى ذلك الرئيس جرحه من رجله تحت الماء فقتله . فلذا أحسن بذلك أحد القواد في البين واليسار والخلف من الحرّاس الأربعة أسرع وصار رئيساً بعده . وعليه يأتي الصيادون أربعة رجال فيقتلون هؤلاء الأربعة مرة واحدة وتبقى تلك الطيور بلا قائد . ثم يأتيون الى أرجل تلك الطيور النائمة فيكسرونها تحت الماء حتى لا تطير

هذا فعل الصيادين في بحيراتنا كبحيرة المنزلة مع ذلك الطائر . وهذا العمل عينه هو الذي حصل في تلك الأمم الاسلامية المحكومة رجالاً أكلوا عيونهم وأقفلوا قلوبهم ألم ترى ماضيه للرابطون إذ أحرقوا كتب الغزالي واقتصر له محمد بن تومرت . ألم ترى الموحدين في آخر دولتهم لما حرموا الفلسفة وأهانوا ابن رشد كما تقدم في غضون هذا التفسير . وبعد ذلك لم تقم لهم دولة حتى أوائل هذا الزمان

ولقد أذن الله عز وجل بالاقبال والعز والنصر للمؤمنين ، لقد نصر الله أمم الاسلام ، والليل على ذلك نشر

هذا التفسير، فالتا والحمد لله نكتب فيه آراء الأمم قديما وحديثا ولم نضع حكمة قلت أو جلت مما تقتضيه
الأم قديما وحديثا إلا أدرجناه فيه ومع ذلك قبله للمسلمون جميعا في أقطار الأرض لإطواق فضيلة لايتد
بهم، وإني أقول بأعلى صوتي: إن المسلمين في هذا القرن الرابع عشر قد صاروا أشبه بخلام بلغ بالحلم
ذلك لأن الحروب والحوادث المريعة في الشرق والغرب أيقظتهم وإن لم يفلتوا القرن الخامس عشر الذي
اعتبرناه السنة الخامسة عشرة لجدير بأن تسمى هذه الأمة قد بلغت الحلم والله أذن لها بالارتقاء والسعادة
والحمد لله رب العالمين. كتب مساء يوم الثلاثاء ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٩

﴿ نور على نور ﴾

﴿ الكلام على البراهمة ﴾

تفسيرا لقوله تعالى - ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ

التي تحض على التكبير ونبد التقليد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضر صاحب اليوم (الأربعاء) بعد الظهر (١٣) نوفمبر سنة ١٩٢٩ وإطلع على ماكتبته وأخذ يقرأ
طوائف البراهمة والظلم والحيف والخرافات. فقال: إن هذا التفسير قد عودنا أن يبحث في الشبه التي تعرض
لنا في أثناء المباحث العلمية، وماهي ذه الشبه ترى عند قراءة مقال البراهمة، ذلك للمقال المتبع فأقول:
إن قراءتي لأكثر هذا التفسير قد جعلتني لا أرى طائرا ولا حشرة ولا غزالة ولا كوكبا ولا شمسا ولا قرا
لا تمل أممي كأنه حكمة مجسمة وقصة نورية وبهجة لا يمار ينظر الإنسان فيرى الحشرات الطائرات مملوءة
حكمة مزينة بالانسان. أليس من أعجب العجب أن يمر في هذا التفسير قسلا عن علماء الأمم في الأرض بلانكبر
أن للنباية أربعة آلاف عين كل عين منها مستقلة. ألم يتقسم في ﴿سورة النمل﴾ أن للنملة خمسة أعين منها
عينان مركبتان كل عين منهما مركبة من نحو مائتي عين. فيألت شعري ما هي النملة؟ وماهي عينها؟ وما
هي الذبابة؟ وماهي عينها؟ وماهذه الحكم البديعة الجلية الكثيرة التي لاحصرها في غلافات منبذات فقلرات
محفوظات، وما هذه العناية بها حتى سمعنا الله في القرآن يقول - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما
بعوضة فما فوقها - ثم أعقب ذلك بما يفيد أن الناس ﴿قسيان﴾ قسم يعلم أن هذا حق، وقسم جاهل
مستهزئ. وأيضا سمعناه سبحانه وتعالى يسمي سورا بأسماء الحشرات من نمل وتعل وعنكبوت
هذه عناية الحكمة الإلهية بأفقر الخلاوقات وأحق الحشرات فكيف عمت رحمة هذه الخلاوقات كلها ثم
هو نفسه سبحانه يدع أمما من نوع الانسان في الضلال والويل والنسار والجهالة العمياء. وإذا منح النباية
أربعة آلاف عين باصرة قد ثبتت فلا روي بالانتظار المظلم بشهادة جميع العلماء في الأرض، أفليس من
رحمة أن يمنع أمثال هؤلاء المنود قوى عقلية ترفعهم عن هذه الجهالة والقتل والحربان وضلال العقول التي
أورثهم ذل الأبد وضيق البلد والخرى للملين

فقلت: حياك الله. لقد أجبت في إيراد هذا السؤال وحسن منك انك أوردته لأنك فتحت لي بابا واسعا
من الحكمة لولا سؤالك لم يخطر بفتي معناه، إن الله فعل مع هؤلاء المنود من الرحمة أكثر مما منح تلك
الحشرات وأعطى كل ذي فضل فضله. فقال أريد الايضاح. فقلت: إن الله بهذه الأحوال الهندية كأنه
يخاطب الناس قاطبة يقول: «أي عبدي، أنا حكم عدل في الدنيا والآخرة، فهل أخرت الشمس ثانية
واحدة عن موعدها؟ أم سيرت القمر في غير طريقه؟ أم أخلفت بأى جسم من الأجسام السماوية؟ هل
نسبت حقيرا لحقاره، أم حايت عظيما في نظركم لظمت، أما ماتظنون بما يشبه الجور مني في هذه الأمم

الإنسانية فذلك ليس جورا مني وإنما هي الحجب أسدلت على عقول أكثركم فلم تفهموها ، وعلامة القنوب
غشت على أفئدة أكثركم فلم تعقلوا ما نحن بأهل الهند وبغيرهم صانعون
وأيها الناس : أنا لا أعطي ولا أنزع إلا بحقي فليست أعطي الأطفال علم العلماء ولا أنزع مستحقى الحكمة
علم الحكماء ، والناس في الأرض ليسوا على شاكسة واحدة بل هم طوائف وشرق وأصناف لكل طائفة شأن
يفنيها وحال نواتها ، إن هذه للمادة قد قبلت الصلابة والسيولة والحال الفلزية كالخديد والذهب والهواء فمما
عليها بجميع هذه الأحوال هكذا الحيوان اختلفت أجناسه وأنواعه وأصنافه ، فنه بقة ومنه فيل ومنه حيوان
ذري لا تزونه بأعينكم ومنه جل كبير ، أنا واسع ، أنا حكيم ، وكل طائفة من هذه الحيوانات سعيدة بحالها
فرحة بحياتها شاكسة لحالها فتكون المخلوقات كلها خادمة لي ، فهل من الصلاد أن أوسع نطاق الحيوان
والمعادن والنبات والجمادات ثم أهدى إلى أرقى حيوان وهو الإنسان فأجده في دوائر ضيقة . كلا . أنا واسع .
أنا حكيم . تتجيبون أيها الناس من قوم عبدوا البقر وهذا البقر يطوف عليهم آباء الليل وأطراف النهار .
تتجيبون انهم تركوها في سبلهم وسقوهم ترع وتاكل ما يزيد . تتجيبون من ذلك كله وتقولون أيما إن
البراهمة استعوزوا على عقول القوم وغشوا على أبصارهم واستعبوا (٦٠) مليوناً وحرقوهم وصنعهم في
الأذنين وهم القريبي الرابع . كلا . لاظم اليوم ولاظم في المخلوقات كلها من حيث النظام العام ، هؤلاء أناس
استعدادهم ببيئتهم وأخلاقهم وتركيب عقولهم لا يوسع أكثر من هذا . نظرت إلى تركيب عقولهم وإلى نظام
أمرهم فوجدتهم لم يتجاوزوا المحسوسات وهذا لا عيب فيه ولاظم ، ألم أخلق في البراري والقفار ما لا يحصى
من الحيوان . ألم أخلق في الغابات في خط الاستواء طوائف من الحيوانات والطيور ولكل منها مكان خاص
إما في أسفل الشجرات وإما في أوسطها وإما في أعلاها ، وكل سعيد في مكانه ، مقيم في بيته ، راض عن
ربه ، فكمذا من نوع الإنسان طوائف ارتقوا عن الحيوان ولكنهم لم يصلحوا منتهى الكمال وأحسوا القرب
منى ، ولكني أنا لست كمنخلوعتي . وإذا كنتم أتم لاترون الهواء ولا الكهربية فكيف تروني ؟ من رجى إذن
أن أقيض لهم أناسا يضربون لهم الأمثال المحسوسة إما بالأصنام وإما بالحيوان ومنه هذا البقر . فإذا رأيتم البقر
يطوف عليهم ليلا ونهارا وهم يظنونه غا هذه إلا أصنام متحركة . بمنظرها يفتخرون لما يتوهمون فيها من
القوة القدسية فيعبدونها مع سلام وأمان لأنهم يتذكرون الحلال والحرام في نظرهم بالأصنام . في المدن وبالقر
في الحقول والسبل . أصنام متحركة اخترعوها ويحول سائبة عظموها . هؤلاء ليس في طاعتهم ولا في إمكانهم
أن يذكروا في جلال شمس وغري وكواكب ولا في تركيب قوسهم تفكيرا جليا ويرفروا بذلك مقدار عظمتي
فأعطاهم رؤساؤهم تلك الصور والأشكال لتكون تذكرة لهم كما قلت لكم في القرآن حاكبا عن الكفار
- ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - وإذا كنتم أنا قد سلطت الباب على قفري العيون ومنسختني الأجسام
وأرسلت طوائف المكمروبات (الحيوانات القرية) على ضحى الأجسام ليفارقوا الحياة في هذه الأرض رجة
بهم ، وخلقت البدن وسلطته على أجسام الناس في قبورهم فذلك لأنني حكيم أضع الأشياء مواضعها ولا أعزل
موجودا ، وكيف أعزل الأجسام الميتة وهي جديرة أن تكون قوتا لأمة من أمم الحيوان ، وتعطيل المرافق
اختلال بحكمة الوجود ، فهكذا إذا ضلت أمة من أمم الإنسان على مقتضى سائر الكون وأخذت تقترب من
أخلاق الحيوان فأنا أعطيها ما يشبه العلم رجة بها ويكون ذلك أشبه بأولاء الفاسد يعيش فيه الناس والحيوان ،
إذا لم يكن سواء وهواء فاسد خير من الاختلاق والموت السريع بعدم الهواء وبعض الشر أهون من بعض
وليس في طاعة أرضكم وعوائلها بحسب النظام أن تكون على غير هذا النظام ، ألم تروا يا معشر الملأين اسكب
في حال جهالتكم (كان ذلك مذهبين سنة وأنا مجاور بالجامع الأزهر وحصل في قريتنا كسر عوض الله
سجزي شرقية وشاهدته بنفسى) إذا قل العلم وكثر الجهل تفعلون فعل المنود مع انكم مسلمون وأتم بذلك

فروحون ، ألم تعينوا مجولا من البقر ومن الجاموس وتطلقوها في الحقول والنهطن باسم ولتي من أولياتي عندهم (ذلك كان ضلالي في بلادنا فيقولون هذا الجبل للسيد البدوي وهذا العزب) وهكذا لما كان الناس يقدروا على طرد تلك الدواب من حقولهم خوفا من السيد ومن العزب بل الموص كذلك لا يهسرون على سرقة تلك الجبول لا خوفا مني بل خوفا من عبادي الميتين (وقد تتوالت بلادنا اليوم بالعلم وألفت تلك الأحوال) « تقولون أيها المسلمون إن البراهمة غشوا على حقول الهند ، أولستم ترون شيوخ الطرق والمقشبين بهم يفتدون ويروحون في طول بلاد الاسلام وعرضها لشدة جهالة المسلمين وقتة العلم عندهم ، وهؤلاء الشيوخ أتم تفقدون النعم عليهم وتطلبون منهم السعاء كأنني أنا أطلب منكم وسطاء بيني وبينكم مع ان الفحل والنحل والقطاب أنصت عليها بلا واسطة بيني وبينهم ، ألم تروا بأعينكم في جبع أنظار الاسلام في جهالتها (ذلك رأيت به نفسي في قريننا أيضا منذ خمسين سنة) شيوخا معصين يطوفون على منازلكم وينصبون حلقات الذكر ويضئ مقبيهم وأتم تسلوهم (العادة) من أموالكم (وهذا اليوم قد أتني إذ توارأهل بلادي الآن) وإنما طاف عليكم هؤلاء لأنكم لما حرمت من العلم سخرت لكم قوما يحلونكم ما يشبه العلم من القصص الخرافية وجعلت هيئاتهم تمل على الصلاح لتبشوا في بلادكم بسلام على قدر الامكان ، فإذا كان جهالة الشيوخ عندهم أيها المسلمون يأكلون من أموالكم ولا لاهل لهم إلا هذا ، وإذا كان البراهمة يحرقون الشعب ويؤمنون عقوله وليس لهم عمل إلا هذا ويحبسون من أموال مريدتهم فذلك ان هؤلاء الشيوخ وهؤلاء البراهمة أشبه بالحكم الظالمين الذين أسلمهم على الأم الجرمية فيكون فقههم أكثر من ضررهم في الحياة الدنيا ثلثا يقتل بعضهم بعضا إذا لم يكن لهم حاكم ، قوم جهلاء لم يستعدوا للعلم فلتكن لهم صورة الصلاح يرونها بأعينهم وليأخذ أولئك الشيوخ من أموالهم ليرزؤهم عسى أن يشكر مفكر فيخرجهم من الجهالة الى مرتبة العلماء ، هذا هو نظامكم في الدنيا أيها الناس

« أما نظام الأرواح ومراتبها بعد الموت فأمره عنكم مستور ، ولكني أقول أيها الناس : إن الأهمي هنا أهمي هناك ، إني خلقت (حشرة الأرض) ذات الملكة الواسعة وهي عبياء ، أفلا أخلق إنسانا أرق منها بما لا حد له وأضعه في مرتبة بعد الموت لا يستحق سواها ، فإن كان أهمي البصيرة هنا أهميتها هناك ، وإن كان مفكرا هنا جعلت مفكرا هناك . إذن لا ظلم اليوم . أنا خلقت الفحل وخلقت الأرض وما فالت إحداهما لماذا لم تخلفني كالآخرى بل كل يعمل على شاكلته . هكذا أهل الهند الذين ضلوا بقرهم وأسمانهم وجهال المسلمين الذين اتكأوا على شيوخم وأنباع (أنا ممنون) في الهند من الاسماعيلية الذين قتلوا رؤسهم . وكذلك رجال البهائية اليوم انتشروا في الفرس وفي غيرها وأمريكا وأوروبا . وكذلك أنباع (غلام أحد) بالهند وغيرها . ف هؤلاء وأمثالهم يقولون ان رؤس منهم هو المسيح . وعزى وجلالى لأن لم يفته المسلمون عن التواني والكسل لأسلطن عليهم أقل الرؤساء الحاكين عدلا وأجهل الوعاظ علما وهذا في الحقيقة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأخرى وهم لا ينصرون . أهل الهند معذبون بشيوخهم . معذبون بقرهم وهم لا يعلمون انهم معذبون . والمسلمون معذبون بجهالة شيوخهم وبأساطيرهم وهم لا يعلمون انهم معذبون »

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد وفيت المقام حق وأزاح الله عز وجل بقوله خرافات أسدلت على العقول محجبا ولكن أرجو أن تبين هذا المقام (أولا) أن تبيض القول في أمر المندود الذين خضعوا للبراهمة فنضرب مثلا لما أضرتهم من التقليد (ثانيا) أن تبين لي موجبا من كتب أكابر المسلمين تدعو الى ما يشبه بعض الشبه ماضيه البراهمة حتى يظهر لنا بامتاحتها انها لا تصلح لهذا الزمان ، ومتى فلت ذلك انصرف المسلمون عن هذه الأحوال (وثالثا) أرجو أن تضرب مثلا قطة بعض الأمم التي لم يقتلها التقليد في زماننا حتى يوازن

المسلمون بين من قتلهم التقليد الجاهل وبين من أحياهم العلم . قلت : إذن ذلك (ثلاثة فصول * الفصل الأول) في بيان الضرر الفعلي في بلاد الهند من سوء التقليد (الفصل الثاني) في نموذج من كتب منسوبة لبعض عظماء الاسلام تدل على الطريقة التي كانت متواترة فيما بين الملوك ورجال الدين (الفصل الثالث) في ضرب مثل لمن صرخوا أحرار الآراء وماذا فعلوا . وهاك يأتها

(الفصل الأول)

(في بيان الضرر الحاصل في بلاد الهند في هذه الأيام بسبب سوء التقليد تفسيراً لهذه الآيات)
 جاء في جريدة « الاهرام » بعنوان « رسالة الهند بالبريد الجوي » من مدراس بتاريخ (١٧) أكتوبر سنة ١٩٢٩ م ما نصه :

كانت الجمعية الهندية التشريعية في خلال الأسبوع منهكة بمشروع اصلاح اجتماعي نال الشيء الكثير من اهتمام أعضاء الحكومة والزملاء الوطنيين وهذا للمشروع هو من اقتراح رأي (هريلاس سردا) أحد الأعضاء لمصومين وهو عبارة عن مشروع قانون عقوبت على زواج الكور قبل سن الثامنة عشرة والاثالث قبل الرابعة عشرة وقد اجتاز هذا المشروع المصاعب الأولية بفوز وتجلج . ونهبت جميع مساعي للمدافعين عن تقاليد المذهب الهندي وبعض المسلمين أدراج الرياح وتقرر النظر في المشروع مادة مادة . ولا ريب أن ملاحظه هذا الموضوع من التأكد العظيم سيقنع العالم الخارجي أن الرأي العام في الهند قد بدأ يثور على العادات القديمة وهذه علامة تبث على الرجاء . ان الزواج في الهند يكون علماً للنساء والرجال . فالهندوكيون يكرهون في الزواج أما عنصر البارسى فلا يتزوجون الا كباراً وهناك شعبة من الهندوكيين تحجز لعند الزوجات وطائفة السكولين من مذهب البراهمة يتزوجون أكثر من زوجة واحدة والمسلمون وان كانت ديانتهم تبيح زواج أربع نساء فانهم لا يتزوجون عادة أكثر من زوجة واحدة . ولا زال عادة الزواج بالأسير شائعة في طائفة الخول في أواسط الهند . والهندوكيون يعتبرون الزواج سرًا مقدساً والزوجة الهندوكية تعتبر شركة مسوية لزوجها . ولا زال سينا زوجة راما بطل لامايانا لدى الهندوكيين للثل الأعلى للزوجة وحسبنا أن نقبس هنا ما وصف به جنكا والسينا ذلك الملك الحكيم ابنته عند ملها إلى عروسها البطل (السرراما) فجاء وصفها بقا لما يبده الهندوكيون للثل الأعلى للزوجة في كل عصر وقد قال غنطيا (السرراما) شعراموذا : « هذه هي سينا ابنة جنكا التي هي أعز علي من الحياة . وستكون من الآن فصاعداً شريكة فضيلتك أيها الأمير وزوجك الأمين . وستشاركك في السراء والضراء في كل بلاد . فأكرم مشراها وتلقب بها في البهجة وفي الاضواء وضع يدك في يدها . ان الزوجة الامينة يجب أن تكون كالظل لزوجها لا تخارقه . وبقي سينا خير النساء ستنعك في الموت والحياة ان مراسم الزواج في الهند بدعته يعقبا الشيء من الأفراح والمسرات . والطلاق نادراً عند الهندوكيين ولكنه شرعي جائز عند المسلمين . أما البارسيون سواء من المسيحيين أو البوذيين فغلبة المتزوجين منهم إلى غير المتزوجين هي ٤٣٨ في الألف من الكور ٩٧ في الألف من الاثالث . وتكاد تكون هذه النسبة ذاتها في الطوائف الأخرى . والزواج المبكر شائع لدى بعض طوائف الهندوكيين والاقتران قبل سن العاشرة أكثر شيوعاً في باهار وأوريسا بمباي وأواسط الهند وحيدرآباد وهو نادر جداً في عسلم وبورما وولايات الحدود الشمالية الغربية والسند ولكنه على كل حال قاصر على الطبقات الدنيا غير المثقفة . فكثيراً ما يتفق أن يقتن شيخ فلان بنتاً في ربيع العمر وهذا بنوع خاص عند الهندوكيين . فالوالد الذي يهب بنته لفداء قبضة من الذهب لشئ خفية أيام حياته معلومة يكون بعبارة أخرى قد ابتاع لها التمرل الأبدى وهو نوع من قتل الاطفال ولسوء الحظ لا ينهى عنه القانون الا في ولاية ميسور الراقية حيث لا يجوز قانوناً أن يقتن رجل في التحسين من العمر بنتاً دون الرابعة عشرة من عمرها وفي بارودا قانون يمنع زواج البنت دون الثانية عشرة من العمر والغلام دون

السابعة عشرة . وهذه الأعمال ليست طبعاً آخر ما يقال ولكن بقية الولايات الهندية حتى الهند البريطانية لم تزد بهاتين الولايتين الرافيتين اللتين يحكمهما أمراء متورون اسرار المبادئ من الهندوكيين ولم يفسح على منوال هذه أسباب ، والتي زاد هذا النظام ضرراً هو ما يقبض الهندوكيون في مسألة الأرمال لان منعهم لاصبح زواج الأرملة وإن كانت في زهرة سبلها حتى ولو كان الزواج لم يعد عقد الخطبة . ويبلغ عدد النساء الأرمال في الهند ثلاثين مليوناً ومعنى ذلك أن بين كل مئة امرأة ١٩ أرملة مع أن نسبة الأرمال في أوروبا لا تزيد على ٩ في المئة ولكن بينما لا يوجد بين أرمال أوروبا سوى ٧ في المئة دون سن الأربعين من العمر يوجد بين أرمال الهند ٢٨ في المئة دون هذه السن وما يدعش قراءكم أن هناك ١٦٠٠٠ أرملة في الهند لا تتجاوز سنهن خمس سنوات وهناك نحو ألف أرملة لا يزيد سنهن على ستة واحدة . فالتضاء على هذه الفئات البرية أن تفضى العمر في التزل مع ما فيه من الحرمان عند الهندوكيين سخافة جنائية

وقد اهتمت الطبقة المتعلمة أخيراً وبذلك كل ما في وسعها لانقاذ هذا النظام المتعلق بالأرمال . وتبذل الآن مساع عظيمة من عدة مصادر لتشجيع مشروع زواج الأرمال الذي أيسح قبل الآن بفضل جهود المصلحين ومن مجموع أرمال الهند عشرون مليون أرملة من الهندوكيين فهذه المسألة وفيها من المسائل الاجتماعية كزواج الأطفال والأمومة المبكرة قد انتقلت أشد انتقاد ولا سيما من الكتاب الغربيين وأخص بالذكر منهم (المس مايو) الكاتبة الأمريكية الشهيرة التي صورت هذه المسائل تصويراً جلياً وأفضت في وصف هولاء وشاعها وقد ذكرت في رسائلها الماضية الجهود التي يبذلها زعماء الهند لتحسين حالة المرأة الهندية . والحقيقة نزعني على القول أنه حتى نهار أمس كانت حكومة الهند أكبر حليف للرأسماليين الذين يأبون اصلاح النظام الاجتماعي من جميع الطوائف . ولرغم من هذا كله فإن الحوادث سائرة سيرا سريعاً شطر الإصلاح وشرحت الحكومة بأنها مرهقة لان تعيين لجنة تمثل الهندوكيين والمسلمين للنظر في مشروع تحديد سن الزواج . وقد كان الضوان للمسلمان في هذه اللجنة كلاهما من معارضي المشروع ولكن أحدهما وهو منان شاو وأخان رأى نفسه أخيراً مرغماً بالأدلة الساطعة التي قدمت الى اللجنة على أن يغير اعتقاده فاعترف في الساعة الاخيرة إن زواج الأطفال المتبع حتى الآن يجب أن يحرم وتقرض على مرتكبيه العقوبات وإن معارضة المتسكين بحرية أصول للذاهب يجب أن لا ياباه بهاتان . وكانت سيدة هندية ضمن أعضاء هذه اللجنة . وقد أصدرت هذه اللجنة قرارها قبل انعقاد جلسة الجمعية التشريعية الحالية . وما استوقف الانظار في أثناء التحقيق الذي كانت تقوم به اللجنة هو لزيادة الرأي العام الذي يؤيد فكرة وجوب تغيير مشروع قانون عقوبات زواج الأطفال واعتبار البغاء الخارج عن دائرة الزواج جريمة خطيرة قبل سن الثامنة عشرة وهي السن التي يمكن اعتبار المرأة فيها راشدة وإن مارتكبه يصحكون برضاها . وفوق ذلك فإن البعض طلبوا إلخاف أن يعتبر البغاء جنائية بصرف النظر عن سن المرأة . وقد أوصت اللجنة بوضع قانون يحدد النهاية الصغرى لسن زواج البنات ١٤ سنة وأوصت بأن يكون سن الرضا بدخول الزوج على عروسه ١٥ سنة . وأن يكون سن الرضا لصيانة البنت من اغواء شخص غير زوجها الشرعي ١٨ سنة وأن يعتبر دخول الزوج على عروسه قبلها تبليغ سن الخامسة عشرة جريمة تدعى سوء استعمال حقوق الزواج . وأنه لما كان كل شيء يتوقف على سن البنت أوصت اللجنة بوجوب اتخاذ تدابير فعالة لتسجيل المواليد وتسجيل عقود الاقتران وإصدار شهادات بالولادة والزواج . في جو مثل هذا عقدت الجمعية التشريعية جلستها أمس للنظر في مشروع قانون زواج الأطفال المعروف بمشروع سرما . انتهى الفصل الاول

(الفصل الثاني)

(في ذكر مخرج من غمناج الكتب الاسلامية التي تدعو الى ما يشبه بعض الشبه ما فعله البراهمة في الهند)
 هاهوذا امامي كتاب (سر العالمين) لأستاذي وأستاذ المسلمين جميعا (الامام الغزالي) وهذا الكتاب
 يتألف في نسبة اليه شكوك بل وجود لأن فيه ما يخالف طريقته ، ولكن الكتاب فيه آراء هي التي
 ظهرت في كل زمان ومكان بأمثال المهسوديين كابن تومرت المنتدم ذكره وشيوخ الطرق ، الكتاب صفحة
 واضحة بها يتجلى للشبان بعدنا كيف كان رجال الصوفية ، وكيف كان الملوك يوهمون الشعب ويخضعونه
 ويضعون بعض ما يفعله البراهمة أيام أن كان أبونا في زمان طفولة الأمم الاسلامية غلبوا عن العلم ، الكتاب كله
 يرجع الى جملة واحدة ذكرها العلامة (ابن المقفع) في كتاب (كيفية ودمنة) الذي ترجمه من الفارسية
 الى العربية وهي يجب أن تكون أحد رجلين ملكا عظيما أو ناسكا عابدا ، وهذه الآراء بانتشارها في الاسلام
 أضلت الأمة ، فكل من تعلم يتعالى على الشعب إما بالعظمة العلمية وإما بالعظمة الروحية والزهد . وهذه العظمة
 يأبأها الاسلام . فالأمة كلها متعاونة وعلى كل أن يكون له عمل يوائى قدره فتكون الأمة بكسب واحد . هذا
 ولأسمعك شذرات من الكتاب تبين مقاصده . وهاك نصها

(قال السيد الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه ونور
 ضريحه لما رأيت أهل الزمان همهم قاصرة على نيل المقاصد الباطنة والظاهرة وسألتى جماعة من ملوك
 الأرض أن أصنع لهم كتابا معدوم المثل لئيل مقاصدهم واقتناص الماليك وما يهينهم على ذلك استغثت الله
 فوضعت لهم كتابا ، وسميته بكتاب (سر العالمين) وكشف ما في الدارين) وبؤبؤ به أبوابا . ومقالات
 وأحزابا . وذكرت فيه مراتب صوابا . وجعلته دالا على طلب الملكة رحاما عليها . وواضعا لتحصيلها
 أساسا جامعا لمعانها . وذكرت كيفية ترتيبها وتديرها فهو يصلح للعالم الزاهد . وللعالم المالك
 بتطبيب قلوب الجند وجذبهم اليه بالوعاظ . فأقول من استمعته وقرأه على بالدرس النظامية سرا من الناس
 في التوبة الثانية بعد رجوعي من السفر وجل من أرض المغرب ، يقال له محمد بن تومرت من أهل سلمية ،
 وتوسمت منه الملك ، وهو كتاب عزيز لا يجوز بذله لأن تحته أسرار لا تقتري الى كشف إذ طبع العالم نافرة
 عنها وتحته علوم عزيزة وإشارات كثيرة دالة على غوامض أسرار لا يعرفها إلا خول الحكماء ، فاته يورثك
 للعمل به فاته دال على كل ما تريد ان شاء الله تعالى)

وقال أيضا : فذكر بمرحلو الهمة وحصل الاتها ليم لك كباؤها وصبر عندك نديها كاتما مطلما
 على كتبها ، أعنى بها كتب سر العالمين ، ثم حصل أرباب صناعة التقلب الذين هم علماء قلب الكيان
 قادرين على صبغ الأجر والأبيض . فان كنت قليل الرجال ضعيف الضد وقليل المال فكنت كثير الفضل
 والعلم واتخذ لنفسك زاوية على طريق الزهد واجنب اليك تلاميذ وكثر عددهم واتخذ طريق الكرامات
 لينصبوا اليك واستهو الكبار واسلك طريق الصلاح وزنها لنفسك واختل . فاذا هب نسيم سعادتك
 فاكشف لتلاميذك ما الناس عليه من النقص والفجور وارثك بالايحوز من كل أمر منكرو وأمر أمهاتك
 تشهوى وتجلب كل طاقة منهم قوما آخرين ،

وقال أيضا : وقد شاهدت محمد بن الصباح إذ تزهد تحت حصن الموت . وكان أهل الحصون يشتهون
 أن يطلع اليهم فلم يفعل وهو يحصل للمريدين ويعلم طريق الرادة والتلمذة وشيا من الجدل . ثم جعل يهذر
 بكلام على قدر عقولهم . ثم جذب الناس وجعل يقول للمريدين ، أما ترون الناس قدر تكروا الشرية . فلما
 كبر الأمر خرج اليهم بطريقى - الأمر بالعروف والنهى عن المنكر - فصبا اليه خلق كثير . وخرج صاحب

القلعة الى الصيد والتلازمة أكثرهم أهل القلعة فتفتحوا الحصن ودخله وقتل الملك في الصيد وقضا أمره ومذهب حتى صفت في إرث عليهم كتابا وسميته (قوامم البلطية) ومنتظرهم فلا بد في آخر الزمان أن يهيجوا الشرائع ويبيعوا المهرمات

وقال أيضا « ولما مات هارون استخلف الأمين وفر المأمون الى مدينة أصفهان وبهجه الحسن بن سهل وكان المأمون ذا فنون وعالم وأدب فقدم المأمون في المسجد الجامع وقد فرشه بالبذرة وهذا الناس يهرعون اليه لتعلم العلوم وابن سهل يروي على الطوائف ويقول لهم أليس هذا هو الخليفة حقا فبايوه ويقول لهم سنة هذا سنة الأولين الطاهرين . فلم يزل يستخرج الناس حتى حوى عسكره ثمانين ألفا وكانت الأعظم تسمع بطريق الأمين الفاسد ففروا وطلبوا المأمون حتى عقد الجيوش لطاهر بن الحسين فدخل على الأمين قتله واستولى المأمون . فحكم من هذه السير المنقولة وإنما نسمعك بعضها بقوة وإعانة طمته »

هاهوذا بعض ما في الكتاب . وقد ذكر اظهار الكرامات وذكر حسن بن الصباح . وأنت اذا قرأت الجزء الأول من الكتاب أيقنت أن ما فيه هو ماضيه محمد بن نورث . وأذكر لك بما مر في (سورة الشعراء) من أن كثيرا من الأمراء كانوا مشعوذين والأمم تتبعهم بالتقليد . وانظر نبذة مما جاء في الجزء الثاني من كتاب (سر العالمين) المذكور هناك نصها :

(واعلم ان الزمان حبيب أهل وطائفة تختص لها منعبا في التاموس بطريق الزهد كالسبح والمرفقات وجواد الغنم والبرانس وأذان الليل والاقطاع في الكهفان وكبر الامور بحيث أن يقول لصاحبه اذهب في الموضع القلاني كذا وكذا . وطائفة تظهر النور وأخرى تقعد بين القبور واظهار الخزيات والسيرنجيات بعرض الكرامات ودهن الاقدام والمخوض في النار واظهار انحرق من سمندل الصين التي يذهب وسخها النار ومد الشعبة وضرب طلسم على النمل فيجرب الماء ووقوف السجادة في الهواء وشعلة القناديل واشعال السراج بالماء دون الدهن وكثير من ذلك لا عدد لها . والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة هو دوام النتي واظهاره للناس كاترك أن المعجزة فهو المعجز الأكبر والتاموس الأعظم) اه

إن هذا الكتاب أكثره أو كله مدخول على الامام التتالي . وقد قلت لك انه صفحة من تاريخ المهديين وكثير من الأمراء والرؤساء الروحانيين وغيرهم

فقال صاحبي : يسبحان الله . انك إذن تنسركرامات الأولياء (وبعبارة أخرى) إن كتابك هذا انكار لأعز شيء عند المسلمين وهي الولاية . قلت حاشا لله أن أنكر الولاية والله سبحانه وتعالى يقول - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة - . فقال نعم ولكنك واتهم بالبراهمة وقلت إن هؤلاء الأكابر يسيطرون على الشعوب بأحوالهم وبأعمالهم . قلت : أنا أقول لك إن هذه الحياة غير ثابتة ونحن على الأرض أياما معدودات ولا بد لنا من السفر منها وتوديع أهلها والحياة بدون حب حياة محاولة والمحبة للجمال وللإل والولد وللك والعبث ولذكري الحسن لا ندوم لأن الجبال وما بسدها في الأرض كلها زائلات سريمات الطب ، والعلماء لما فكروا لم يجدوا محبوبا أجمل من كل محبوب إلا من هو مشع للجمال وللإل واللك والعبث وليس يعطي الجبال ولا لللك إلا من يملكه ، فلولا أن صانع العالم أجمل من كل جبل ، وأحكم من كل حكم ، وأعظم من كل عظيم ما خلق الجبال ولا الحكمة الخ لأن فاقد الشيء لا يعطيه . هناك جعلوا حياتهم كلها وفقا على (أمرين) العلم بذلك الجبل المحبوب بدرس مصنوعاته والعمل لاسعاد أشرف من على الأرض وهو نوع الانسان ، فالولي هو الذي اتصف بهاتين الصفتين وهما العلم بهذه العوالم حتى يحب الصانع والسعي في اسعاد الأمم ، إن ذلك الولي يرى أن محبوبه الذي عرفه بمصنوعاته له غاية تامة بكل مخلوق على الأرض ، فهو إذن يحب ما أحبه ويسعى

في اسعاد عبادهم وأقرهم اليه بنو آدم ، فآله عليم وحكيم في منته ، فهذا أيضا يعلم وتكون له أعمال مألوفة متقنة اتقانا لما بنظام بديع . وكل صانع متقن صنعه سواء أسكنت الصنعة تأليفا أو آلة خافضة للناس كلن قربة على مقدار اتقان صنعه بمقتضى درجته

فقال صاحبي : هذا حسن . ولكن ما تقول في الكرامات . فقلت : هذا هو بيت التصيد . لقد تقدمت في هذا التفسير ما قلته عن الشيخ الخواص والشعراني والبالغ من كبار الأولياء في الاسلام إذ أجمعوا أن الكرامات ليست مقصودة لثباتها . وأن الصالح اذا ظهرت على يده خوارق العادات إن فرح بها والطمأن كانت سببا في حرماته وإذلاله وطرده لأنه لا فرق بين الملل وبين تلك الكرامات حتى قال الشيخ البالغ : **د** إن من كشف له عن العوالم العلوية يكون في خطر شديد ، وهذا الفتوح أكثره عذاب واسترجاع وبعد عن الله فالحجاب خير من هذا لأن هذا الفتوح يترى النفس فتقف عن الرقي فيكون استرجاعا قال الله تعالى - فسسترهم من حيث لا يعلمون - ، فهذا القول إجماع من القوم

فقال صاحبي : ولكن النفوس الانسانية يدهنها أن ترى اخبارا بالغيث أو أمورا خارقة للعادة فمن حقا أن تتبع أولئك الذين ظهرت على أيديهم تلك الخوارق . فقلت : هذا هو الذي جاء الرسل لبعثه وانكسره . إن خوارق العادات المنقولة عن الشيوخ أكثرها كذب والذي صدق منها ليس يدل على الفضيلة لأن الفضيلة كما قتت في العلم والعمل وأما هذه الخوارق فليست من خواص دين الاسلام بل هي أمر عام عن الجيوس واليهود والنصارى وصناد الأوثان . فكيف في البراهمة من عشرين بالغيث . وكفى في الأمم الوثنية من لهم أعمال خارقة للعادة . وهؤلاء وهؤلاء يمجرون ولافضل لهم إلا أن الناس يهتدونهم الهدايا ويقدمون لهم القرابين . فجزاؤهم قد أخلفوه في الدنيا . وقد قتت لك قول الشيخ الخواص للشعراني **د** ان الرلى يجب عليه أن لا يأخذ من الناس شيئا . وانه اذا أفبل الناس عليه كان هذا الاقبال جزاء مجبلا في الدنيا فيموت مغفلا لا له ولاعليه ، ويرى مات مدينة ولاثواب له بعد الموت ،

واغاد كرت لك كلامهم (وايضا أحبك على كتبهم) لأنى أعلم أن الأمم الاسلامية توفن اليوم ايقاما تلم بما يقوله نفس هؤلاء الأولياء رحمهم الله ولن يقدر أحد أن يقول . كلا . وأعظم الكرامات العلم واحساس النفس بحب صانع العالم ثم الشوق الى لقائه . ومن لم ينل هذه المرتبة وهي الشوق الى لقائه وجهه والغرام به وانتظار الموت لقائه فهذا ليس وليا . ومن قصدت به همت عند اعظام الناس له بسبب كراماته فهذا رجل جاهل مسكين أحبه الدنيا واتطلع لها قلبه والناس من غفلتهم يقبلون يده . فقال : وبذلك . فقلت قوله تعالى - قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا تمنونه أبدا بما قتت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل إن للموت لئلى تفرّون منه فانه ملائكم ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون -

فقال صاحبي : إن هذا القول منك حسن وأنا نظرت ما قلته أنت في هذا التفسير عن هؤلاء الأولياء ولكن لماذا لم يقل القرآن ولا النبي ﷺ هذا ؟ القرآن علوه بخوارق العادات حسبنا ذلك فيها وفيمن ظهرت على أيديهم . فقلت القرآن هو الذى نزل لاقتال هذا الباب ، ألم ترالى جعل السامرى إذ عبده بنو اسرائيل إذ رأوه أفضل من عصا قلبت حبة والى سحرة فرعون كيف آمنوا لأنهم شعاء ، إذن للدار على العلم لاهلى هذه الخوارق والله يقول - أولم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب بتلى عليهم الخ وأذكركم بحديث الهالجال ذلك الذى ظهر على يده خوارق العادات ، فانظر حديث الذى رواه البخارى بسنده عن المغيرة بن شعبه أن المغيرة **د** له يارسول الله انهم يقولون ان معى جبل خبز ونهر ماء فل هو أهون على الله من ذلك ، ويقول الشيخ محى الدين النورى عن القاضي عياض **د** انه شخص ابتلى الله به عباده فأقفره على أشياء من المقصورات

من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا وانحطاب معه وبقته وناره واتباع كنوز الأرض له ﴿﴾ إلى آخر ما نقله انظره فيما قلناه من تفسير آية - خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون - في تفسير ﴿سورة المؤمن﴾ وهي سورة غافر

وأما أقول انما جاءت مسألة جهل السامري في القرآن وجاء أمر الجبال في الحديث وحذر النبي ﷺ المسلمين منه وأظهروا أن الأنبياء حذروا قومهم منه . أقول انما جاء ذلك كله ليحرف قراء هذا التفسير وأمثله اننا نحن الآن قد خدمنا الجهالون في داخل الاسلام وفي خارجه . وقد يكون الرجل دجالا ولا علم له بحاله . وكل من صد الناس عن الحكمة والعلم وأرجعهم الى طريقته وحده فهو دجال علم أولم يعلم . فافذا يصنع الله للمسلمين بعد هذا . ذكر لهم في القرآن أن المنار على التحلل والقهر . ان جهل السامري عبسه الجهال ولما العلماء فلا . وأخبرهم ﷺ أن الجبال تكون على يديه خوارق العادات وأن جنته يجب الاحتراس منها وأن ناره صير بردا وعلما على داخلها

وأما أقول كما قلت في مواضع كثيرة من هذا التفسير ﴿ العلم والعمل صحيان على الناس والجهل والخلوة والذكر مع احمال أهمال الحياة سهلة على الناس ﴾ فليزج المسلم بنفسه في العلم والعمل وإن كانا شاقين عليه فهما سعادته في الدنيا والآخرة . أما الكسل فانه مغلل للرواح وهو جنة ظاهرا وجهنم حقيقة . وإذا وجدنا أن عيسى قتل الجبال فليقتل نحن الجهالين في أم الاسلام قتلأ ادبيا بأن نعمم التعليم في ديار الاسلام فاعلم وحده يقتضى على الغرافات ويحيى النفوس . فالمسيح رمز للعلم والجهل رمز لأوثك الذين أضلوا الأمم وهم جاهلون . لا دجل أكثر من الجهل . انظر الى الأمير عبد القادر الجزائري . ذلك الرجل الحكيم كيف حارب الفرنسيين سنين وسنين . ولكن لما عم الجهل بلاده جاء عالم فرنسي وصلر مطالعا على أسرارهم . ومن هنا غلب المسلمون على أمرهم لأنهم لم يقرأوا تاريخ الأمم قتل احتراسهم . ثم انظر الى محمد أجد المهدى السوداني ظهر للناس بالكرامات ولكن نقص العلم بأحوال هذه الدنيا لما أسلم رجل نمساوي كان في الجيش الانجليزى (أغنى) وبه وحده فتح السودان وقد كان ينام على باب المهدى ويبيت به يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله محمد أجد المهدى ولي الله . وهكذا

فقال صاحبي : أنا الآن اكتفيت أن تلك الخوارق لا تقيم أمة وأن للدواعى العقل . فهل لك أن تعدني بما رأيته أنت منها . فقلت انظر كتاب الأرواح تأليفى . فلقدمته في هذا التفسير منه كثير وهو مملوء بمصائب الخوارق العجيبة على يد الأرواح المحضرة من احضار الفاكهة في غير أولتها ومن الاخبار بالغيب الخ وإني أحدثك حديثا حصل في مصر . وذلك اني يوما كنت جالسا مع المرحوم صديقي حسن باشا جلال في منزله بالاسكندرية فحضر صدقة مستشار كبير في محكمة الاستئناف وهل أنا أريد أن أحدثك ما حديثا عجيبا . أنا كنت فانيا في قنا بصعيد مصر فحضرت عند عمدة البلدة وكان هناك رجل يسمى الشيخ سليم فقالوا له أظهر شئ (البك) أى الناضى فرفض وأنى فألحوا عليه ثم هالوا البك اطلب شئ فقال اطلب منك أن تحضر لى زباجة (فيها روائح عطرية) قال وهذه لا تكون إلا بالاسكندرية . فقال له : حالا أعطنى (٢٥) قرشا فأعطيتها له فرماها في الجوز وصار يضرب على حجب ذنبه في مؤخر ظهره ثلاث دقائق . ثم قل ضع يدك في جيبك قال فوضعت يدي في جيبى فوجدت الزباجة فدهشت وقرأتها وهي باللغة الفرنسية وهجت أشد العجب فقال المرحوم حسن باشا جلال دعي بمنع ذلك وكنت لم أطلع على علم الأرواح الحديث اطلاعا تاما ولم أوقف كتاب الأرواح . فقلت إن كتاب الاشارات لابن سينا فيه ان بعض النفوس الانسانية تقدر على أعمال عظيمة وعلى اخبار الغيب . وضرب مثلا لذلك بأن الترك يأتون برجل يعرفونه ويربطون حبلا في رقبتهم ويقعوبون به ويجيئون فيغشون عليه فيخبر بالغيب . وهكذا يقول : (إن قوما يضعون قطرة حبر في زباجة فيها ماء

وأمروا شخصا محسوسا فينظر الى تلك القطعة نظرا طويلا فيخبر بالغبى) وانتهى المجلس على ذلك . ثم إن الشيخ سليا للذكور سمعت بعد ذلك عنه من كثير من القضاة والمستشارين والمحامين والعلماء والمدرسين غرائب تفوق التصور ومع ذلك كان رجلا جلالا . ثم اتى الى أصحاب من شيوخ الطرق أخبرني غير واحد منهم انهم يتظاهرون بالاخبار بالغيب لهما لعلته واستحواداعل عقولهم

فقال صاحبى : أنت الآن أعلمتى علما اقناعيا أن هذه الخوارق ليست مقصودة ولا نافلة بل قد تكون ضارة فهل يرافقتك علماء الاسلام على ذلك ؟ قلت انهم يقولون : (إن خوارق العادات كما تكون على أيدى الأنبياء تكون على أيدى العتة وعلى أيدى الكاذبين والفاسقين وتسمى على يد الولي كرامة وعلى يد الزنى معجزة وعلى يد الجاهل معونة وعلى يد الفاسق استعراجا) قلت ولعل هذا يجب فأرجو الآن أن نختم هذا القول بمجاءته تكون معونة في الكتب مؤثرا بها عند الأمم التي تعيش معنا حتى تكون مقوية لما ذكرته أنت لأن ما ذكرته أنت يسمى خبرا لا تسليوا واحدا ولكن ما ذكره عن أهل العصر يكون قد اطلعت عليه الأمم وأقرته . قلت : أحذرك مما جاء في « مجلة الجديد » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

(أشعرة أم علم ؟)

اعلم أن (هوديني) رجل ساحر أمريكي كان يعيش في عصرنا هذا واشتهر بأفعاله الغريبة التي يزعم بها كل ساحر سبقه حتى إذا مات منذ سنوات دفن معه سر كثير من أهله التي لم يجد لها الناس قليلا ، فمن ذلك انه يأتى بكرة ضخمة يدخل فيها رجلا ثم يربط شرائط الكرة الى بعضها ويطلب من الرجل أن يخرج من الكرة دون أن يزعقها ودون أن يفك الشرائط ، وهذا العمل مستحيل كما هو ظاهر ، ولكن هوديني استطاع أن يفعله بكل بساطة وسهولة ، وبعبس (هوديني) نفسه في تابوت من الرصاص أحكم إغلاقه ثم يدفن على عمق ستة أقدام من سطح الأرض فإذا بك تراه أمامك بعد لحظة ، وقد يدخل أيضا الى الخزائن الحديدية المائكة التي تستعملها البنوك الكبيرة وتوصد الأبواب الضخمة عليه ولكنه لا يلبث أن يبدولك كأنما هبط من السماء ، وهذا (هوديني) بجميع سجون أمريكا وأوروبا كما ان الأغلال لا تستمر في يده إلا ريثما يمضى نوان معصودة فإذا بداه طليقتان وإذا هوجر مخرج ، وآلان بعد أن مات يتبادل الناس : كيف نسينا له أن يمارس كل هذه الحماة ؟ ويقول (السرار تركونان دويل) « انه يعلل هذه الظواهر الغريبة بأن هوديني القدرة على التحلل من الحالة للمادية » ولكن هوديني نفسه سخر من هذا الرأي التي يريد أن يقرره (السرار تركونان دويل) فقد كتب هوديني يقول :

« لست أكمل أو أتجسد ، وكل ما في الأمر اني أحكم في ارادتي وأسيطر على الأشياء المادية على طريقة أنهمها وحدي ولا يستطيع أن يفهمها سوى من قد أبوح لهم بأسراري ، على اني أرجو أن أدفن بأسراري معي لأنها لا تقيد الإنسانية ، وإذا عرفها بعض عديمي الثقة نسينا لهم بواسطتها أن يسيرا إخوانهم » ولقد بلغ من ركون (هوديني) الى كفايته وقصره الشاذة انه سجن نفسه في سجن (سبيريا) الشهير الذي يضر البوليس الروسى باستعالة الحرب منه على أى سجين ولكن (هوديني) استطاع أن يرى الضوء بلا مشقة ، ولقد قيد (هوديني) بالسلاسل الضخمة وربط الى فوكة مدفع تنطلق منه قنبلة بعد ربع ساعة ولكن هوديني تخلف من قيوده في ست دقائق

وجلة القول ان (هوديني) أتى بعجائب يحارقها العقل ومازلا حتى الساعة نجعل شأنها . انهى ما جاء في المجلة المذكورة والله أعلم

فلما سمع صاحبى ذلك قال : لقد وضع الأمر وعرفنا لماذا ذم الله التقليد ، والله لقد كنت في حيرة

وشكته في أسرة الاسلام ، فبينما أنا أقرأ تاريخ النبي ﷺ وأصحابه فأجدتهم قد تناهوا في خدمة النوع الانساني وهدايتهم غات هم مقتولا وعشان كذلك وعلى كل هؤلاء كانوا صادقين صليين لم يحبوا الدنيا ومع ذلك لم تنقل عنهم هذه الحوادث المبهتة . أقول فبينما هؤلاء كذلك إذ أنا أجد جميع مشايخ الطرق الا قليلا وكذلك المهديين كآبى نورمت وغيره ، كل هؤلاء تثقل عنهم أحوال لم ترد عن الصحابة والتابعين فيحمل الانسان . أيرجع الى الاسر الأول وإلى فعل رسول الله ﷺ فيكون بلاكرامة ولايقبل عليه الناس اقبالا روحيا ، أم يترك الدنيا ويذهبها عسى أن يبقه الناس ويقبلوا عليه ويكونوا له أعوانا وأصحابا فان لم يصل لهذا فقد أراح نفسه من الناس واستراح في منزله وتعبده لربه . وصار وليا وانهى الأمر . قال : فأقول الآن إن هذا كله أصبح في نظري جهالة وأنا أقول أنا الآن مطمئن لقولك وسأرفع صوتي بين المسلمين فأبلاهم بالبرهان لا بالتقليد

« أيها المسلمون جميعا : نحن اليوم مغرورون فكونوا جميعا طليين علماء مفكرين وإياكم أن يخذلكم قوم عن طريق النبي ﷺ وأصحابه وصالحا بالليل لتقربوا من ربكم ولا تشغلوا أنفسكم بما لا يفيد دنيا ولا أخرى . فقلت له : قد فتح الله عليك وأرشدك فبينما بأن هذه الطرق القديمة ضارة بالمسلمين فأنه لم ولنما طرق دجل وشذويع وإن كل من يعض أصحابها يخلص من مقتضى تعليم شيوخهم كحسن بن الصباح وأمثاله أذكرك بأمبراطور اليابان وهو جد الأمبراطور الحالي فانه كان من أسرار ديانتهم أن جسدته التي مضى عليها أربعة آلاف سنة كانت امرأة نازلة من السماء فكان يستبرأ اليابانيون نصف إله باعتباره أمه وهي إلهة وعلى ذلك كان لا يراه أحد لأن من رآه احترق بالنار . فإذا فصل ؟ نظر الرجل فوجد أن أوروبا أصبحت الشرق - أكلاما - . فإذا صنع ؟ زل إلى الشعب وسار في الشوارع وقال للناس أنا الأمبراطور انظروني لأخافوا فأزال هذه الظرافة . عمه أمر بالتعليم العلم وقرأ الشعب علوم أوروبا كلها وحاربوا الروس فانتصروا فعظموا هم وعظم الشرق في أعين أهل أوروبا . فهل يليق لعظمة الاسلام وشيوخ الطرق أن يقفوا على هذه التقاليد العتيقة التي أهلكت المسلمين والتي هي فعل المسيح الخيال . فليعلموا أن من الجهالة أن يقتدر المسلمون ذلك السبيل والمسيح الذي يقتله وإن كان هذا لمانع منه ولكن المهم لنا الآن أن نقتل السبيل والكذب بالعلم كما فعل الصحابة والتابعون أولئك الذين رأوا القروس والروم خولهم وهم أولوا حول وطول فاموا فاضاهوا المؤمنين ليرجعوا العالم إلى الصلاح

فليعلم المسلمون طلبة الآن أن الدجل والكذب الخالين في بلاد الاسلام يجب محوهما وذلك بالروح الطيبة العائمة وينير ذلك لاسيلا لاسعدهم . لهذا جاء ذكر السبيل ولهذا جاء ذكر عيسى قاتله بل لهذا جاء رسول الله ﷺ ولهذا أتت هذا التنصير في الزمان الملائم - والله الأمر من قبل ومن بعد -

(تذكرة)

(المهديون وبعض شيوخ الطرق . وماذا يفعل المسلمون بعدنا إذا لقوهم ؟)
لقد ذكرت فيما تقدم في هذا التنصير في (سورة مريم) مسطره صديقتنا (اللورد هيللي) الانجليزى الذي يقول في كتابه (ايقاظ القرب للإسلام) ما يأتي :
« إن جماعة من الألمان عثروا على كتاب في بلاد آشور تاريخها قبل المسيح بنحو (٩) قرون مسطورة في الأنواع ملخصها أن ابن الله البكر قد صلب ، وهذا الصلب يشبه صلب المسيح من كل وجه . فقال لأهل القرب : بأي أبناء الله أكتدي ؟ أيان الله الذي كتب تاريخ صلبه قبل المسيح بسبعة قرون متقولا عما كتب عنه قبل ذلك بأكثر من ألفي سنة ، أم بآبى الله الذي حدث بعد ذلك ؟ وهو المسيح ابن مريم ،

فأنا لا أتبع هذا ولاذاك بل أقول ان عيسى نبي الله وروحه وأتبع دين الاسلام لاغير . هذا هو أول الأمر وآخره . له

هذا طوى ماقتضى في ﴿سورة مريم﴾ وأقول الآن : يظهر لي أن العالم الانساني عالم كله مقلد جاهل لا قليلا . وقليل من عبادة الشكور . وإن تلعب أكثر من في الأرض يتلوه عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون . قالوا اتخذ الله ولما سبحانه هو الغني . له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون . . تبين لي من أسوال هذا الانسان انه يشبه

كرة طرحت بمولجة * فتلقفها رجل ورجل

فانه قبل الاسلام انحلت عليه الفلاة في جميع أنحاء الكرة الأرضية فقال له الأخبار والرهبان وأماطهم « إن الله أبنا قابله » وكلما تقدم العهد جتدوا له أبنا آخر . وفي الاسلام حوزوها وقالوا هذا هو المهدي فمن السخاح وهو أول خليفة عيسى أنزال البوالة الأموية وأخذ بأثر الحسين رضى الله عنه . واستمر ملكهم عدة قرون الى المهدي الفاطمي الذي ظهر في بلاد القرب وجاء مصر . وللمهدي بن نورمت . والمهدي السوداني . وللمهدي الفارسي وهو بهاء الله . وللمهدي الهندي وهو غلام أحد وغير هؤلاء كثير

ويقول الأستاذ (مفردى دى كلسترى) الفرنسي قريبا في هذا الكتاب : « انه مثل هذه الأفهام وجد في الاسلام (منحج الواصلين) والذين يذهبهم توزيع كثير من الميراث في اعتقاد العاقبة واليه صار يرسل الجع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل الخ » الظفر في ﴿سورة الأحزاب﴾ هند الكلام على انه خاتم النبيين واه سراج منير

أقول : فلما رأينا هؤلاء الدوريين يفرع علماءهم ويهرب حكامهم من دين اخترعته عقول لاثم إذ كانوا أطفالا . فهكذا سيقول المسلمون بعد قراءة هذا التفسير « بأى للهيدين تتدنى ؟ أم للمهدي السوداني أم للمهدي الفاطمي ؟ أم للمهدي (محمد بن نورمت) ؟ أم للمهدي العيسوي البهائي ؟ أم المهدي الذي انتهى أمره من والده العباس أم المهدي الهندي ؟ لا هؤلاء ولا هؤلاء بل أقرأ القرآن وأخلق بأخلاقه وأعتدى بهديه هذه هي الأمة الاسلامية المستقبلة . أما تلك الفرق للشاكسة والأقوال المتضاربة فاعلموا هي من اتباع أمة الاسلام الأم كما في الحديث ﴿لتجتمع سلان من قبلكم شبرا بشبر وفراعا بفراع حتى لو دخلوا جحر ضب لخشعوه﴾ وبما يحزني وأسف له انك اذا قرأت القصيدة المتقدمة التي قرئت على قبر (محمد بن نورمت) وانه هو المهدي المنتظر وأن أتباعه يبقون الى زمان عيسى ابن مريم وأن الحديث الولد في المهدي انه يبق سجا أوتسا واه هو بقی تسامحول عليه

أقول : اذا قرأت ذلك فانك تجد هذا ميمته هو الذي يكرره الانام (محيي الدين بن عربي) في الفتوحات بعد موت (محمد بن نورمت) بعشرات السنين . ولا يعتبر روحه الله بما عم له وأن ملكه زال وأتباعه انقضوا من حوله وبشر هو بهدي آخر وعين زمانه وظهر اليوم عدم محته . كذلك فال الذين من قبلهم مثل قومهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات قوم يقولون .

واعلم أيها السكتي اني أكتب هذا وأنا أعلم أن كثيرا تحتهم أنفسهم بأنهم المهدي المنتظر ومنهم واحد كان صديقي في مدرسة (دار العلوم) ولكنه عاقل فله بعد أن أراد اظهار انه المهدي ترك ذلك إن هذه الأمة الاسلامية بعد اليوم ستقرأ التاريخ والعلوم الرياضية والطبيعية وسياسة الأمم وأحوالها . وهناك سيظهر فيهم مصلحون مجتدون حقا . وهؤلاء هم الذين سيزيلون انحرافات والمعاوى من بلاد الاسلام وسيكون ظهورهم عقب تمام نشر هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يظهر الاسلام ظهورا أتم على أيديهم فيش لهم من لا يعرف دين الاسلام ويخش لهم من يتبعه ولكنه متعبر في أمره فيجد البلاد قد ملأها الشيوخ

* وكل له فرض يسمى ليدركه *

هنا آخر ما خطر لي في تفسير آية - ولوترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم - الخ حوالى لجريوم
الأربعاء (٢٣) أبريل سنة ١٩٣٠ م والحمد لله رب العالمين
فلما سمع صاحب ذلك . قال : لقد انتحيت آية - ولوترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم يرجع بعضهم
إلى بعض القول يقول الذين استغفروا الذين استكبروا - الخ . هذا هو أهم سرها ومقصودها في زماننا
وكل من قرأ هذا من المسلمين يصيح وقد صار موقفا بهذه الفكرة طاشقا للعلم مكبا على العمل والله هو الولي
الحديد . قتلت الحمد لله رب العالمين

فقال هذا قد أفهمنى أمر خوارق العادات وأن التقليد ليس مفيدا ، فهل تذكر لي شيئا من التقليد في
أمور أخرى كالغلب ولوحدة واحدة . قتلت له : أذكرك بما مضى في (سورة الشعراء) عند قوله تعالى
- وإذا مرضت فهو يشفين - . انظره هناك فانك تجدني قتلت من كتاب فيه تراجم الأطباء لابن أبي أصيبعة
أن المرأة كانت تقاتل أفعى وكلها فخشا ربحت إلى نبات فتبرعت فيه فيقول لها فترجى كرة أخرى وتقاتل .
قال في الكتاب المذكور (وهو الذى قتلت هناك) إن ذلك الذى رأى هذا قطع هذه الشجرة ، فلما رجت
المرأة لم تجد تلك الشجرة غابت . أقول لك : لما ظهر ذلك (في الجزء الثالث عشر من هذا التفسير) كتب
كاتب في « جريدة الاهرام » بقص هذا القصص بنفسه ويدعى انه رأى ذلك رأى العين وهو كاذب لأنه
قرأه في هذا الكتاب وطلب من الأطباء بحث هذا الموضوع فبحثوا وردوا عليه وقالوا إن هذا النبات هو
المسمى في مصر « رعرع أوروب » وليس فيه هذه الخلية مع انه هو قصص قصص ما كتبت في هذا الكتاب
بطريق العقل ، فهذا القول عن الأفعين غير صحيح وليس هناك حسب ما عرف الناس نباتا على هذه الناقة
فهنا كذبان بحسب ما ظهر ، كذب القصة في ذكر هذه الحكاية ، وكذب هذا الشاب الذى ادعى انه رأى
وهو ما رأى إلا ما كتبناه هنا . وبعد أن كتبت هذا عثرت على نفس القالة المكتوبة في الاهرام فهكها نصها :

(حول تزيين اسم الأفعى)

(ولعب القمل)

سيدي الفاضل رئيس تحرير جريدة الاهرام القراء

تبعث بامعان وشغف ما كتبتموه تحت هذا العنوان سواء ما كان منه بقلم محرركم أو بما وصل اليكم
من حضرات قرائكم الأفاضل وأنا لا يسعني إزاء سعة صدركم في متابعة هذه الحركة العلمية ومناهجتها على صفحة
جريدة كبيرة كجريدة الاهرام الواسعة الانتشار أقول لا يسعني الا ابداء شكرى لكم بالاصالة عن نفسى وبالنسبة
عن كثيرين غيرى ممن يهيمهم أمر هذا البحث المفيد . ويهمنى بصفة خاصة ككباوى خيرى في هذا النوع
من الابحاث أن ألفت النظر إلى قنات التجربة التى نوهتم بها في هذا الصدد للثبوت من لعب القمل وهل فى الخلايا
الإنسانية أو اللعب الذى يفرضه عند المقاومة ما يصح أن يكون تزيينا لسم الأفعى يتقى به غائلته . الواقع ينكر
ذلك بتام والتجربة تنفيه إذ المفروض فى اللدغة أن يتسرب السم إلى الدم ويسير معه فى دوره المعتادة فلا
مقاومة والحلقة هذه الا من دفاع الكريات البيضاء وعلى قدر هذه الكريات البيضاء ونشاطها يكون التأخر
أو التقدم فى التسم فذا كان للعب القمل والحلقة هذه من قائمة (وهو ما لم يؤيده البحث بعد) فغمت فى هذه
الحلقة أن يكون وسيطا ليس الا ليثير فى الكريات البيضاء حركة النشاط المطلوبة للمقاومة . هذا تحليل . وثم
تحليل آخر أن لعق القمل لمكان اللدغ ما هى الاحوة فيولوجية بحيث يقصد بها امتصاص السم الذى عساه أن
يكون قد تلوث بالسم قبل سريانه وهذه هى قصص الاسعافات الأولى التى يقيها العامة عادة من عمل تشريط

لاستنزاف السم للثوث أو المص في مكان اللدغ على شرط خلواقيم من أي جرح يتسرب اليه السم وهذا التحليل الأخير هو الذي أراه أقرب إلى الصواب في مسألة لعل القط . ثم مسألة التفرغ في نبات القنبرة أو الرعراص (رعراص أيوب كما يسميه العامة) للتمسح به كواق من تسرب السم فهذا مدفوع من جهة وجوه فليس ثبات القنبرة أي ذكر في المادة الطبية ولا في النباتات الأفر بزرية ولم نسمع باستعماله في عقاقير ما كعلاج لأي داء وبما هو النبات طفيل كالحشائش التي تنبت في وسط البقول عادة دون التماس ولأنه تدور حوله أساطير خرافية غريبة والمادة الضعالة فيه لزجة حريفة فلوحة ذات رائحة خصومية وقد أجربنا على هذا الرعراص المذكور الصفة التحليلية فوجدناه خاليا من الجواهر السامة والمخدرة وبالمبحث في تأثيره كعلاج لما ذكره كان يفيد حالات التسمم وذلك بأحداث اللدغ في خنثى رغينا (كروباي) ومعالجتها بالمادة المستخلصة منه فكانت النتيجة سلبية بحتة . فاقول بان نبات القنبرة أو الرعراص له أي فائدة كترقي في سم الأفي والطرب قول مردود لا أسس له من الصحة وإذا كان حقا ملرواه شاهد عيان على مصفحت «الاهرام» من أنه رأى القط يلحق مكان اللدغ ويتفرغ في نبات القنبرة فهو كاذب كرت آتفا حركه فيولوجية بحت يقصد بها امتصاص السم الفاسد وما تعرضه في نبات القنبرة . على فرض صحة وجوده مصادقة وقت اللدغ الأمن قيل تخفيف الألم كالوكنا فترك محل الألم عند ما يشكتا بدوس أو ترتطم بشئ صلب . هذا ما عرفت أن أسطره بخصوص تزيان الأفي والطرب ولعل تمت ببعض الواجب المقروض على محرقاه «الاهرام» القراء ممن يهمهم أمر هذا البحث انتهى ما جاء في المجردة المذكورة

هذا ما جاء في «الاهرام» أفلا نجد الله إذ جعل في أمة الاسلام في مصر من رآه يبحث هذا البحث ولا يتشكل على آراء القسلاء ، وإذا رأينا علماء يقولون لكل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من تردد فكذلك تقول فيمن قلد في الطب أو في السياسة أو غيره بل يجب البحث حتى تستبين الحقيقة . فبحث القتي السماوي المصري (أمين براده) في هذه المسألة قد أظهر لنا الحقيقة فيما قرأناه في كتاب (ابن أبي أصيبعة) فهكنا نعمل في كل علم . انتهى والحمد لله رب العالمين

فقال صاحب : وهل تذكر لي مسألة واحدة أيضا في نظام الأمم قلد الناس فيها وهم غفلون كالمسألة الطبية قلت : قلد أمان الله خان مصطفى كمال باشا منذ ستة واحدة في أنه قتل علماء الدين الذين عارضوا في الإصلاح فقام الشعب عليه فقتل عن الملك إذ اغتصب رجل كان ابن سقا بحجة المحافظة على الدين ثم قام عليه الشعب فأنزلوه منه وقتلوه ، وتولى الأمارة (نادرخان) القتي كان قائد الجيش أيام أمان الله خان ، فأمان الله قلد مصطفى كمال في إدخال الإصلاح بدون تمريج ولكن التقليد خطأ لأنه هناك فرق بين الأتئين ونقض مصطفى كمال انتقده للثمنون في تسرعه وتغييره نظام تركيا سرعيا ، فانه يفتا هو يترك الحروف العربية ويكتب بالشعب كله باللاتينية يرى أوروبا بتبهم من الحروف اللاتينية وهذا يجب أن يقلد الناس بلا رهران . وهاك ما جاء في إحدى المجلات العلمية وهي «مجلة الجديد» فقد جاء فيها ما نصه :

﴿ الحياة الاجتماعية ﴾

(ترم أوروبا من حروفها الكتابية)

ظهرت في الشرق من هذا العهد نزعة الى مجارة الغربيين في حروفهم الكتابية ويعرف القراء أن تركيا بأجمعها قد دخلت المدرسة من جديد لتعلم الحروف الأوروبية كما أمر الغازي مصطفى كمال ولا فرق بين الجهوز والثناء والهرم والقلام . فان العقوبة الزاجرة تقرب من يتواني في تنفيذ هذا الأمر المشدد ويذكرون أيضا ما عثره فارس من تركها للحروف العربية واعتناق الحروف الأوروبية وما كان ينويه جلالة الملك المخلوع أمان الله خان

في بلاد الأفغان ولو نظر مقبسو الاصلاحات الأوروبية الى الجوهر دون المظهر لرأوا أن قتل المظاهر الشكلية لا يفيد شيئاً في تقدم الأمم وفي وسعهم أن يحتضروا مثال اليابان التي أجت تراثها القديم وأدخلت في بلادها الاصلاحات الجهورية كاللتعليم والصناعات والفنون والزراعة والتجارة وأعداد الجيوش البرية والبحرية . ولقد كان من رأينا من زمن أن الحروف العربية تفضل الحروف الأوروبية من عدة وجوه لأنها في الحقيقة نوع من الخط المتزل الذي يدل على الكلمات بأقل رسم وأوجز حروف . وقد كان الأوروبيون يفضلون مثل هذا الخط لكتابة كلماتهم فأوجعوا الخط المتزل ولكن طريقة إنشكاره لم تكن ناضجة ولم يقيس استعماله للدلالة على الكلمات بالضبط ولذلك قل من يكتب به على كثرة ما يعانيه متعلمه من الآلام حراسها ومشاقها . ولذلك لا يزال الأوروبيون يشهدون نوعاً مختصراً من الخط لأنهم يرون أن استعمالهم على الكتابة يحرفهم القديمة منيع للوقت الخفيف وهب ثقيل ينأى دونه كاهل المتعلمين . ونسوق لقراءة مقرة مما كتبه رئيس تحرير مجلة «التبش» الانكليزية في هذا الصدد :

دواني أناسم لماذا يستمر أبناء هذا العصر في جعل هذا السبب الثقيل وهو الكتابة بالحروف المتعقبة ؟ يقال ان الكتابة من أعظم الاختراعات التي توفيقي اليها الانسان . ولكن هل يلزم من هذا أن نلبث الى الأبد عاكفين على ما اخترعه الانسان الأول في عصور التأخر ثم نزع أننا شعوب الثقافة في المدينة ؟ ألا يعد ذلك من أكبر وأشنع سقطات مدينتنا الحاضرة التي لا يقوم مظهر حضارتها وجوهرها الا بالكلمات المكتوبة فهناك جيوش لا يمكن أن تحصي من الرجال أو النساء لا تكتسب أقوقتها الا بالأعمال الكتابية ولا يمكن أن نجد أحداً في دوائر الأعمال تخلو يده من قلم الحبر أو الرصاص ليدون ما هو منوط به من الأشغال . وربما كانت مدة الكتابة تستغرق على الأقل نصف الوقت . ويرى المستر اسندر أن ما يكتبه الصحفي في اليوم لا يقل عن ٢٠٠٠ كلمة هذا ما يقوله الناس اليوم في التقليد في أمور النظام العام . ولو شئنا لشرحنا التقليد في العلوم كدوران الشمس حول الأرض الذي كان يقوله الناس قديماً وكيف دحضه العلماء بعد ذلك وكسألة الكواكب السيارة ولها سبعة فظهر بعد ذلك أورانوس ونبتون ولم يكن يعرف الناس إلا الشمس واحدة حتى عبدوها فعرف الناس اليوم آلاف آلاف الشمس وشمسنا بالنسبة لها كأنها برهقاة أو أصفر فلان كوكب الجوزاء أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة . إذن التقليد جروعة . ولهذا زلت هذه الآيات - ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ انتهى الكلام على الفصل الثاني

(الفصل الثالث)

(في ضرب مثل لمن صاروا أسوار الآراء وماذا فعلوا)

أذكر في هذا الفصل « حادثتين » الحادثة الأولى « الحرية السياسية . فانظر ملجأ في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الاثنين (١٨) فبراير سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

(رجل انجليزى يفعل في السياسة ما فعله مؤمن آل فرعون في سورة غافر)

(مظاهرة ضد الكولونل لورنس في انجلترا)

« نظم المستر (سكلافالا) النضو الشيوعي في مجلس العموم البريطاني مظاهرة كبيرة في لندن ضد (الكولونل لورنس) المعروف على أثر الاشاعات التي راجت بأنه أضرم نار الثورة في قبائل الأفغان ضد الملك (أمان الله) فسارت المظاهرة مسافة طويلة تحمل صورة (لورنس) وأخباراً أضرموا النار فيها على صوت الخطباء الذين وصفوه بأفقيح الأوصاف » انتهت الحادثة الأولى

(الخدمة الثانية بذ التقليد في الزراعة)

(البحث عن السعادة الزراعية بطريق خارج عن التقليد الذى تته الله في القرآن)
اعلم أيها القارئ ان هذا قد أشرنا اليه سابقا في هذا التفسير ، ونزيد عليه الآن ملجأ في جريدة الاحرام
يوم الخميس (١٣) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا منه :

(الزراعات في الماء)

(طريقة جديدة لانماها)

ظهر في الولايات المتحدة اقتراح عظيم للشأن ينتظر أن يخلص الفلاحين ووزرائهم الفاكهة والازهار من
متاعب الزراعة وخدمة الارض ومن قيود المواسم والاحوال الجوية وأسيور الألبان ، ويحدث انقلابا عظيما
في فن الزراعة . فقد أعلن قسم فيسولوجية النبات في جامعة كاليفورنيا انهم توصلوا الى انتاج غلال وخضروات
من مزروعات زرعوها في مياه رقيقة للماء ، وتعمدها بأقراص كيميائية أسسوها «أقراص النبات» في جو
جاف خال من الرطوبة أشبه بجو الصحراء وتسمى لم انتاج الفاكهة والخضروات الشبيهة بالفاكهة قبل أوانها
للعتاد . كذلك زرع أنواع مختلفة من الازهار التي لا تبني الا في أواسط الصيف فازدهرت وقطفت أزهارها
في فترة فصل الشتاء . وتبين أن القمح والشعير والأرز اذا زرعت على هذا النمط يزيد محصولها من ٢٥ في المئة
الى ٥٠ في المئة . أما البنجر والجزر والكرنب وغيرها من الخضروات التي من فصائلها فقد نمت نوا أسرع
من نموها المعتاد بمدة تتراوح بين عشرين وثلاثين يوما . وقد زادت متوسط حجمها العادى ٦٠ في المئة بغير أن
تتقد شيئا من رسما ونضرتها . وزرعت « الطماطم » بهذه الطريقة الجديدة فزاد محصولها ٤٠ في المئة
وتسمى زرع الورد في جوف التلزل في فصل الشتاء القارس فها وازدهر في مدة لا تزيد على الستين يوما . وزرعت
« البازلة » في فصل الشتاء داخل المنزل ودرجة الحرارة في الخارج دون الصفر نمت وبلغ طول أصولها خمسة
أقدام وازدهرت وأنت ثمارها في مدة تتراوح بين الستين والسبعين يوما . وقد بلغ عدد التجارب التي أجريت
نحو خمسة آلاف تجربة في خلال خمسة أعوام أسفرت عن هذا الاكتشاف العجيب الذى وصفه الدكتور
جاريك رئيس قسم تشريح النبات في جامعة كاليفورنيا بأنه أعظم منحة وأفضل هبة لقن الزراعة منذ بدء تطبيق
علم تسميد المزروعات حتى الآن ، وتؤيده في هذا الرأي كلية الزراعة في تلك الجامعة وعدد كبير من الخبراء
في الزراعة وحزبى كلية الزراعة وتجار الازهار الذين ساعدوه في تجاربهم . وخلاصة السر في هذا الاكتشاف
المؤدى الى سرعة الانماء وزيادة المحصول هي اعطاء النبات مقادير مركبة تحوى العناصر السبعة التي يتأقمنها
غذاء النبات واعطاء كل نوع ما يلزمه من الغذاء بالدقة وال ضبط ، وهذه العناصر مركبة في أقراص اسطوانية
الشكل تذاب في الماء أو في التربة التي يغوص فيها النبات ، وهي تتجمع معا في أنبوبة قصيرة أو اسطوانة عمادة كلسية
تنبه الخوصين وتحوى هذه الأقراص على أجزاء مطبوعة من التروبيج والفسفور والغزيا والحديد والبوتاس
والكبريت والكلس (الجير) . وقد وجدنى أثناء اجراء هذه التجارب والاختبارات أن كل نوع من الشجر
والحبوب والخضروات والازهار يتطلب تركيبا مختلفا من حيث الكمية من العناصر السبعة كلها أو بعضها
فالتركيب الذى يلقى «البازلة» ويجهل نموها ويزيد انتاجها مثلا لا يفيد الورد وفصيلة البنسج .
وقد دلت التجارب على أن عدد التركيب اللازمة يمكن حصره في عشرين نوعا . ومع أن أقراص النبات
استعملت بنجاح للزروعات في التربة ، فقد أسفرت التجارب أن خير وسيلة للانماء هي الماء بمقدار لتر لكل
نباتة . قضى بشدة ورد زرع حديثا في الأرض ولم تكسب جنورها تمتد ، ووضعت في الكمية اللازمة
من الماء بعد أن أذيب فيه مقدار اللازم من أقراص النبات المختمة بفضيلة الورد ، نمت وترعرعت وفتحت

أكلها من ورد فضر كبير الحجم في خلال ثمانين يوما . وأجريت مثلت من التجارب من هذا القبيل في الحبوب والخضراوات وشجيرات الفاكهة وأشجارها فكان النجاح في زراعة الحبوب والخضراوات عظيمًا جدا ، فتيين أن حجم المليون (أسبرجوس) قد تضاعف تقريبا من غير أن يطرأ أي تغيير في غضايته وأبعاد فروشه ، وكذلك البطاطس زاد حجم محصولها خسين في المدة بغير أن يزيد نمو شجيراتنا . وتبين أيضا أنه إذا زرعت النباتات الغذائية في الماء بدلا من زرعها في التراب يزداد معدل نموها نحو مئة في المئة ويزداد حجمها ويتسنى زرع عدد كبير منها في مساحة واحدة . وأسفرت التجارب في زرع القمح وافية . ونظم الدكتور جاريك حديثه قائلا ان أهم ما في اكتشافه هذا أنه يمكن ملايين من الناس أن يعيشوا على محاصيل تنتجها المياه في أراض كانت لا تنتج سوى الشوك ، والقطن والتبغ ولما نتاج باهرة . فقد نما القطن من البنوخ حتى طرح اللوز في مدة تسعين يوما . وتظهر أن القمح إذا زرع في الماء المذابة فيه أقرص النبات يزداد نموه خسين في المئة أكثر منه إذا زرع في التراب الملقى بأقرص النبات . وحلت نتائج هذه التجارب الدكتور جاريك ومساعديه على الشروع في اجراء تجارب زراعة النباتات الغذائية في الماء لمعرفة تفقاتها إذا زرعت على قياص تجاري فوجد أن الحياض التي عمقها من ست الى ثمان بوصات هي أصلح ما يكون لزراعة الحبوب والخضراوات وقد استعملت حياض طول كل منها عشرون قدما وعرضها خمسة أقدام مصنوعة من الخشب ومبطنة بورق مدحون بالقطر وترك الورق زائدا من كل جهة ليصلح غطاء للبحوض ويحصل في هذا الغطاء تقرب صغيرة قريبة بعضها من بعض وأدخل في كل قبة منها شتلة من النباتات بحيث تصل جنوبورها الى الماء الذي وضع فيه عدد من أقرص النبات وقد تبين أنه يتسنى بهذه الطريقة زرع ضغى أو ثلاثة أصناف مايزرع في المساحة ذاتها من الأرض مع سرعة النمو وزيادة المحصول كما ذكرنا آنفا . وقد أدت مواصلة هذه التجارب الاقتصادية الى أن هذه الحياض الخشبية المسقوفة بالورق المدحون بالقطر أو بالاسلاك الوثيقة هي خير الوسائل وأقلها نفقة لزراعة الحبوب والخضراوات في الماء وقد رأى الدكتور جاريك ومساعدوه أن نفقة حياض من هذا النوع تقضى مساحة فدان مع ترك طرق بينها تبلغ على الأكثر ٢٥٠ رايلا في أية ناحية من أنحاء الولايات المتحدة حيث للمواد غالية الثمن وأجرة العمل باهظة . أما في الأنحاء الأخرى من العالم فلتعتقد أن النفقة لا تزيد على ١٥٠ رايلا وإذا زادت المساحة الى خمسة أفدنة أو أكثر فلن نفقة الحياض اللازمة لتغطيتها لا يمكن أن تزيد على مئتي رايلا في الولايات المتحدة ، وهكذا تبلغ نفقة حياض خمسة أفدنة ألف رايلا أو ثلاثة أضعاف ما يلزم لتسليح الأرض للزراعة كل عام . ولكن متى أنشئت هذه الحياض فانها تعمر على الأقل خسين عاما ولا تحتاج الى سقاة أو ري ولا عرق أو تنظيف من الحش وبكل ما هناك أن الحياض تملأ ماء وتوضع الأقرص السيكائية فيها مع سرعة النمو وزيادة المحصول ، والتخلص من آفات الزراعة التي تنشأ من الأرض

وعلى هذا المنوال يتسنى للزارع أن يربح نفقة صنع الحياض في عامين . ثم ان مسألة للتخ ورطوبة الهواء أوجفافه وخشب الأرض أو عدم خصبها كل هذه العوامل الهامة في زراعة الأرض يظهر ان لآثارها في التجارب التي قام بها الدكتور (جاريك) ومع ان طريقة الزراعة في الماء لا يمكن بها زرع نباتات في غير اقليمها فانها تجعل نمو النباتات وتزيد محصولها في منطقتها الخاصة بها . فقد قام الدكتور (جاريك) ومساعدوه بتجارب اكتشافه في جو درجة حرارته ورطوبته مضارعة لدرجة حرارة ورطوبة جو صحراء الاريزونا والمكسيك الجديدة والجنوب الشرقي من كاليفورنيا فزرعوا القمح والقمح والبنجر والخس والسبانخ والطماطم والباذنجان وغيرها من النباتات الغذائية فتيين أنه في الامكان زرع ٢٠٠٠٠ شجرة من شجيرات الطماطم في حياض مساحتها تعادل فدانًا بمحصول يزيد على محصول عدد مثلها في الأرض من خمسة وعشرين في المئة الى ستين في المئة . ويرى الدكتور (جاريك) ان أهمية اكتشافه الحقيقية هي استخدام طريقة

زراعة الحياض في المناطق القاحلة القفرة في جميع أنحاء العالم إذ يمكن أن يزرع فيها الشيء الكثير من النباتات الغذائية . ويقول الدكتور (جاريك) أنه يعلم أن زرع الصعراء يمكن جعلها مألوفة للزراعة لذاتني وربما للماء الصعب وريافيا ، ولكن يوجد ملايين وألاف الملايين من الأفندية التي لا يمكن أن تصل إليها المياه لطبيعة ريعها و زرعها . على أن كمية ضئيلة من الماء تكفي لاستعمال طريقته و زرع النباتات الغذائية في صميم أجندب الصحارى وأقربها . فأى نوع صغير أو برار توازيه أو مخرج يجمع فيه ماء المطر ويكني لتغطية قاع حوض طوله عشرون قدما وعرضه عشرة أقدام يكتفى مدة قدم مكعبة من الماء وهذا الحوض يمكن أن يزرع ١٧٠ شجيرة من الطماطم وإذا فرضنا أن نصف هذه الكمية نلزم تعويض ما تنقصه الشجيرات في أثناء النمو وما يقبض منه ويسحب من منافذ الحوض كان مجموع كمية الماء اللازم لهذا الحوض طول موسم الزراعة ٢٠٠ جالون أو ثلثاة ضئيلة من حجم صفايح البقول مع أن هذه الكمية من الماء لا تكاد تكفي لرعى نصف هذه المساحة من الأرض موسما واحدا مع العلم أن مساحة من الأرض مملوءة هذه المساحة إذا عهنت بلأى الوافق لاتنفع لزراع أكثر من خمس ما يزرع في الحوض وكل نبات يزرع في الأرض لاتنتج من المحصول الاستين في المدة مما تنتجه النباتات التي تزرع في الحوض وينظر الدكتور (جاريك) إلى مستقبل اكتشافه هذا فيرى أن كل نوع ضئيل أو برار أو صريح في الصحراء والأراضى القفرة القاحلة سيكون محوطا بحياض فيها ماء عرقا يعطى قيمتها المار ترفع ثلاث بوصات أو أربع وكل منها مزروع نباتا ذا محصول غذائى وما تنتجه زراعة هذه الحياض كاف لمعيشة عدد كبير من السكان . ويرى سطوح المنازل المرتفعة بدلا من أن تترك بلا تعلق ولا فائدة حدائق غناء بالرياحين والأزهار أو بساين يزرع فيها الفاكهة والخضراوات ، ويرى كل صاحب منزل في المدينة يستعمل جزءا من فناء داره أو حديقته لاتاج ما يبلزمه من الخضراوات والأزهار بريح دافى وأنه يصبح في وسع أى إنسان مقيم في أقصى بقعة من بقاع الأرض القاحلة أن يزرع كل ما يبلزمه ومن معه من الخضراوات والنباتات والاشجار المثمرة التي يلائمها الاقليم . والعمل الذى يتطلبه الزرع على هذه الطريقة الجديدة لا يبلغ عشر معشار ما يتطلبه خدمة الأرض اه

(تذكيران)

(الأولى) تذكرة في سورة الأحزاب في قوله تعالى - والصائمين والصائمات - (والثانية) تذكرة في سورة سبأ في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض - الخ وسر من أسرار النعم المستخرج من الأرض (التذكرة الأولى) في قوله تعالى - والصائمين والصائمات - وهي سر من أسرار الطب في الصيام المذكور في الآية فوق ما تقدم في (سورة البقرة) من المسائل الطبية والصحية في آية - استنبذون لى هو أدنى بالذى هو خير - وفي سورة الأعراف عند آية - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي سورة الحجر عند التلخيص الى قصة آدم ، وفي سورة طه عند قصة آدم أيضا ، وفي سورة الشعراء عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - . ففهم هذه المواضع من التفسير أهم ما لى علم حفظ الصحة من التجاوى عن الأدوية المشهورة والاكتفاء بالدواء الطبيعية ، وكذلك سر في سورة القصص عند قوله تعالى - ومن رجه جعل لكم الليل والنهار - الخ بيان كيف يكون الهواء الطلق وضوء الشمس حيويا وسعادة وراحة ، وهكذا في أول (سورة المنكسوت) عند ذكر الجهاد كيف كان الصوم أصبح ناعما في العلاج بإضلاع ظم ، أما هنا فلى أقول : جاء في سورة الأحزاب في هذا المجلد انه ﷺ سراج منير بنص الآية وأن ضوء الشمس هو الذى يمتك بالحيوانات القرية المهلكة الحادثة من العفونات للسيطرت على أهل الأرض ، فهكذا أى القرآن الذى هو أشعة من نور الله أشرقت على أهل الأرض يجب أن يرجع إلى المسهلون اليوم مع أمثال هذا التفسير لنزول من بلاد الاسلام

تلك الغفلة التي استحكمت بالآراء المنعقدة عن إدراك جمال هذا الوجود الذي حرمه المسلمون أجيالا وأجيالا ولا جرم أن ما ذكرته هناك في القرآن على هذا التصویر مثل له في الحياة للمادية الدينية بما يضل أهل أمريكا اليوم من التعرض للشمس والصوم أي ترك الطعام مع شرب الماء أمد أر بعين يوما فيقول من أبدانهم قرر لهم ، فإذا كان الصيام الطبي (الذي له شبهة ما بالصيام الشرعي وليس من كل الوجوه) قد اتحد مع ضوء الشمس والهواء النقي على إعادة الصحة وإزالة قتر الدم والمرض الناشئ عن اللدواة بأكل اللحم في ذلك المرض هكذا أم الاسلام بأعراضها عن الخرافات والبدع وتمسكها بنفس كتاب الله الذي بعثهم على معرفة مافي هذه الدنيا من الجلال والابداع يرجع لها مجدها وشرفها القديم العظيم ، فهناك ملجأ في إحدى الجملات العلمية وهي «المعوق» بتاريخ (٢٨) مارس سنة ١٩٣٠ م تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ قتر الدم ومعالجته بالصوم ﴾

جاء في بعض الصحف الأمريكية انه طرأ تحول في الطب عند كثيرين من الأطباء فانهم بعد ما كانوا يصومون اللحم انتهى لما بين فقر الدم أصبحوا يصومون لحم الصوم الآن ، وفي الولايات المتحدة مستوصفات ومستشفيات يصلح فيها من يصف لحم الأطباء الصوم ، ومن أوصافها وقوعها في مكان طلق الهواء قبيح ، تعرض غرفها وسطوحها للشمس واحتلتها بمحالي تطهر الهواء بأريجها الطيب ، ولا يتعدى المستشفى للإبلاء ومع ذلك لا يكون ما يطلب منه في مقابل انماته في المستشفى مبلغا يستهان به وتتقوت مدة المعالجة بين (٤٠) يوما و٥٠ يوما يكون المستشفى في خلاصا تحت مراقبة الطبيب ، أما نتيجة هذا الصوم فتكون جلاء بصر من يشكو ضعف البصر وزوال ما يسببه من قتر الدم ، وشفاؤه من مرض البول السكري والعمال قروح معدة وعودة القوة الى الذين هجرتهم من جراء الافراط في العمل ، ويكتفي الانسان مدة ثلاثة ايام ليتعود الصوم ويتخلص الجسم من السموم العالقة به بعد ستة أسابيع أو سبعة ، ويقول العارفون « انه اذا لاحظ الانسان الحيوانات وجد انها حين تكون مريضة تمتنع عن تناول الطعام ، وعند الانسان نفسه يكون فقدان الشهية للطعام دليلا على اضطراب صحته ، وعلى كل حال ينبغي للره ألا يصعد الى الصوم بدون أن يستشير الطبيب له هذا ملجأ في مجلة «المعوق» وبه تم الكلام على التذكرة الأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ التذكرة الثانية ﴾

(خواطر في صلاة المعوق في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها -)

(كتب يوم ٩ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ)

لقد علمت فيما ذكرناه مشروحا ومرسوما موضحا أن أكثر الألوان التي تصبغ ثياب الناس في الشرق والغرب اليوم انما تكون من القطن ، وذلك القطن من الفصح والنصح مما يخرج من الأرض ، ومن هجب أن هذا اللحم مكث مئات الآلاف من السنين وهو يتلفي ويتقلب ويحترق في النار الحامية في جوف الأرض ، فهناك حرارة عظيمة جعلت اللحم خفيا ، فلما أن أخرجه الناس اليوم كشفوا أمره فوجدوا فيه مئات الألوان فصبغوا بها الثياب فأكب عليها الناس في الشرق والغرب وكان هذا الهلاك سببا في هلاكهم في الدنيا وعذابهم - ولعلنا الآخرة أشد وأبقى -

ولذلك نجد جميع الأمم التي استعمرها الفرنجة مكيين على الزخارف والزينة التي تبهرهم ويريقها ولعاتها فتزول ثروتهم وتضيع بلادهم - مثال ذلك بلادنا المصرية أيام المغزولة اسماعيل باشا فانه استدان واستدان البلاد فكثرت دين الأمة وكثرت دين الحكومة ، فقد ضلت الأمة ودخل الانجليز البلاد بحجة المحافظة على الدين وهمل هنا كله إلا بتلك الثياب التي صبغت بالقطن المستخرج في تلك الدول العظيمة من اللحم الجري

أوليس هذا هو ما نبهه قصة المسيح البسال إذ يأتي بجثة وتار وقد أمرنا أن نترك جثته وندخل ناره فتكون جثته نارا وتاره جثة ، فهذه الأمم للتأخرة الاسلامية لما بهرها بهرج الفرنجة استحلته فوقعت في القتل وسادت الحال ، ومنى ذلت الأمة ذهبت منها الأمانة والشرف والشجاعة والحقه فصاروا عبيد الفاسقين ومبيدا جزوا تذروه الرياح فإذا ماتوا كانت أرواحهم ناقصة ، وهل للناقص إلا جهنم لأن جهنم للناقصين ، وللمسلم الناقص يكون في جهنم يتم مدة عذابه ، أليس هذا هو سر قوله تعالى - سريالهم من قطران وتفتش وجوههم النار - . أوليس هذا هو سر القرآن ظهر الآن ، وإن كنت في شك مما قررت به لك الآن وقلت هذا القول غامض بعيد عن الصدق . أقول : أفلا أذكرك بما قتله لك في آخر ﴿ سورة آل عمران ﴾ عن الزعيم الهندي (غاندى) من جملة الجلطة المحتبة إذ يقول فيها في الفقرة الخمسة مائنه : « إن الولوع بالنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية ويقتل للدفع ويملأ قلوب من هذا الآ وهو المار على كثير من العائلات » اه فهاهنا (الزعيم غاندى) من المعاصرين لنا يقول : إن للنسوجات الأجنبية تجلب العبودية وماتبعها ، (وبشارة أخرى) أنها تكون مثارا لأنواع القتل والشقاء ويقع ذلك الحنة وهذه تجمع أنواع المعاصي أفليس هذا من أسرار القرآن إذ ذكر أن سريال أهل النار من قطران ، وهامى ذه السريال ملوثات بألوان من القطران الصمعي خفاف الناس عليها كما يتهاقون على جنة للمسيح البسال وهذا التهاث أورت ضياع البلاد والاسراف والله لا يحب للسرفين فهلك الأمم ونقص البلاد ، فهذه النفوس الناقصة تعذب ﴿ عناين ﴾ عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة لأن ذلك هو استعدادها ، وذلك كله سر آية - سريالهم من قطران - وهو مستخرج من النعم المحبرى وهذا النعم مما يخرج من الأرض في قوله تعالى هنا - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - الخ . ثم الكلام على التذكرة الثانية والحمد لله رب العالمين

﴿ خاتمة السورة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أبها للمسلمون : انظروا معى فطرة ملة الى هذه السورة ، هي مبتدأة بنم الله الجزية وبأه مستحق للحمد عليها وبأنها من السماء ومن الأرض والجنة خارجة نازلة صاعدة وهى مع ذلك لا تنزب عن علمه ، وأن هذه الحياة لا تقف عند حد الموت فهى ممتدة لتكون أو آخرها نتائج أوائلها ونهايتها مبنية على بدايتها وأن علم العلماء في جميع القرون وكشف الكاشفين للعالمات في الأرض بين لهم أن هذا القرآن حق وهاد الى صراط العزيز الحميد

هذا مبدأ السورة ، ثم انه أخذ يبين لنا حال أمتين شرقتين أمة اليهود وأمة العرب ، فهما أمتان متجاررتان ، فأما أمة اليهود فهاهم ازدهرت بالعلوم والعرفان والعمران أيام داود وسليمان عليهما السلام وكان ذلك الازدهار والعز موجبين لشكر الله على من أعطوا هذه النعم ، فأما أمة العرب وسبأ فانهم بطرو النعمة وكفروها فلم يشكروها فحق بهم العذاب وساعدوا ابليس على تليسه عليهم واضلله فكفروا حتى عليهم الوعيد ، فلهذا أرسل الله النبي ﷺ ليجب الناس من عرب ويهود ويهم فانتشردينه في أقطار المعمورة وازدهر العمران

ثم أخذ يقص علينا نبأ النوع الانساني من حيث التقليد واستقلال الرأى وأن المقلدين للحامدين لا ينفعهم عند الله الاحتجاج بأنهم غرهم الرؤساء ، فكل عن عمله مسؤول وأن الرؤساء الضالين أشبه بالباب يطوف على الوجوه والعيون فيفيض في الفترة منها فيخرج فيها ييضه دودا فيحصل الرمد للعين . فالجيب على من أسابه الرمد لأنه مستعد لوقوع القباب على عينه وهذا هو قوله تعالى - ولن ينفعكم اليوم إذ ظنتم أنكم في

العذاب مشتركون - وقوله هنا - وقال الذين استكبروا الذين استضعفوا أنحن صعدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين - رداً على قولهم - لولا أنتم لكننا مؤمنين - كما قول الصين الرمضاء للذباية لولا أنت لكنت سليمة من المرض ، فتقول الذباية : إن استعدادك لوقوعي عليك أغرائي بذلك فأصبت بالرمد بسبب يفضي القى وضعت فيه ، فأنا وقعت عليك لأضع البيض فيك وهذا طبعى الموافق لطبعك ، فنحن معا نشترك في خلق واحد ، يتنا جامعة نجتمعنا ، فأنت مرهني الحصب ، وأنا الراضة فيه ، فأى فرق أيتها الصين يتنا وبين الأنعام ، ترحى في الرياض النضرة والحقول النضرة ذات الأزهار البهجة ، ألت أنت روضتى وجتتى ونعيجى لأن القفارة محبوبة لى وأنا بها قريبة العين سعيدة

فهذه الغاورات بين النجاة وعين الأرمد أشبه بالمحاور بين الرؤساء والرؤسبين إذ يقلد الآخرون الأولين كما اتفق في أم الاسلام المتأخرة إذ استسلم المجموع الاسلامي لبعض من قلّ علمهم وضمف يقينهم فاستنزلهم بعد عز من مراتبهم حتى هموا عن آيات القرآن كلفى جاء في هذه السورة وغاية أحسنهم انه ربما قرأ في أمثال هذا التفسير فيخرج بمجازه بقرآن التي ظهرت في هذا الزمان كالترسة الحرم المرسومة فيها تقتم وأن ذلك يوجب تصديق أهل العلم ، فان من قرأ هذا وعلم أن المؤرخين كانوا يشكون فيه فظهر لهم الحق بكشف أولى العلم فانه لا محالة يصدق بالقرآن ومن أنزل عليه ولكن أيها المسلمون ليس التصديق بأن القرآن حق هوكل ما يطلب منا ، فهذه مرتبة الرجل المبخوس المثلة الضليل المعرفة ، فبلاغة القرآن ومجربات العلم كل منهما يرشد قوما الى صدق القرآن ، ولكن التصديق بالقرآن بعد هذا الحد يشاركنا فيه العالمى والسبب فهما مؤمنان والايمان شئ والتشهير يقتضى الايمان شئ آخر * يقول الامام الغزالي رحمه الله تعالى : وإن من لم يكن له حظ من القرآن إلا لفظه وتفسيره واعتقاده بالقلب فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة فان ادراك اللفظ سلامة حاسة السمع وفهم المعنى يكون بمرقة اللغة العربية التي يشارك العارف بها الأديب القنوى بل القنى البصرى ، وأما التصديق بأن كلام الله حق فهذه مرتبة يشاركنا فيها العالمى الجاهل بل السبى . قال :

وهذه درجات كثير من العلماء فضلا عن غيرهم ، اهـ

إذن فلتعزى أذنك أيها الذكى وتجلس معى دقائق أحدثك فيها حديثى عن أم الاسلام التى أعيش معها مدة ما تم أترك الأرض ومن عليها وأوجه الى لقاء ربي . فأقول :

« يارب أنت أرسلت نبيك محمداً ﷺ للناس كافة وقت لنا - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وأسكننا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لنا في أكثرهم كيف فعلت بهم وضربت لنا الأمثال ، ومن للألم المذكورة أهل سباً وقد ملكتنا أرضهم . فإذا ضل المسلمون لما ملكوا ؟ هاهم أولاد تركوا مواهبهم العقلية والجسمية وتركوا نعمك التى أنعمت بها عليهم ولم يبالوا بنم المطر التارلة عليهم من السماء . فهاؤه يجرى بلاستة يستد ولاعزم يحفظه فسطاطا نصك . ثم ان جمهورهم اليوم لا يسلون إلا ماورثوه عن آبائهم من العلم وهذا تقليد والتقليد مذموم . وهاهم أولاد يا أمة يقرؤن في سورة سباً التى أنزلها باسم بلادهم التى أهمها (مدينة مأرب) التى تقتم رسمها واتى تسمى باسم سباً أيضا . وقد قلت فيها لا فى صنعاء كما يقول الجاهل ومن للمفسرين - بلدة طيبة ورب غفور - وقرؤا أن هؤلاء الوثنيين لما أهرضوا عنه حفظ السد وترميمه أنزلت عليهم عقابك فى الدنيا فزقتهم فهم لم يشكروا النعمة ولم يحفظوها كما حفظها داود وسليمان عليهما السلام . فهم قوم غير شاكرين . والذى لا يشكر النعمة يحفظها تزول عنه . ثم أقول يا أمة : قرأ المسلمون هذا فى القرآن ولكنهم وقفوا على القشور وجهوا على الألفاظ ولم يظنوا أكثرهم لما نزل من هذه الحكم وهى أن يعمرؤا أرضك ليكونوا - خير أمة أخرجت للناس - كما كان سلفهم الصالح أيام الصحابة والتابعين لا أن يعمقوا على جمع المال وادخاره وعلى الملك والاكتفاء بل يجدى الكاتب الذى هو كسراب قبضعة

بحسب الظمان ما حتى اذا جاءه لم يجد شيئا ووجد الامم المحيطة بانتظاب على أطراف البلدان الاسلامية لجهل أهلها وقلة تبصرهم وعدم تقاطع أمثال هذه الحكمة في القصص القرآنية حتى انك ألهمت محمد بن توصرت في بلاد المغرب فظهر لهم بوجه المهدي القوي يتبعون قوله أمدا تامم دالت دولتهم بعد مائة سنة وكانت هذه سنة تلك الامم اذ اقتصدوا غلب التقليد الأعمى بمن سيطروا عليهم من الرؤساء الذين سخرهم الله لهم لمعيت البصائر من القرآن الملهدي الى طرق الحقائق وأخذوا يتخبطون في ديجور الظلام الحالك حتى جاء زماننا فوجدنا بلادك التي سلمتها لنا خالية عن هروشها ، وهلمى هذه بلاد شمال افريقيا في القرون للتأخرة فنبع معين الحضارة منها فأرسلت لها أم أوروبا أمة بعد أمة ، وهلمى هذه بلاد العرب التي كانت منبع حضارة الامم شرقا وغربا قد حلت بها البوار وحلقتها التكال وهلمى هذه بلاد الصين وحضرموت وما والاها من البلدان لم نجد فيها ملكا اليوم يعادل ولا يقارب ملك السبثيين والوثنيين الذين هيرتهم بأنهم أعرضوا عن نكسك وضربت لهم مثلا بأعمال سدة الهرم القوي هو واحد من مئات الأعداد في تلك البلاد فلم يظن عالم من علمائهم ان هذه البوار قد أحاطت بهم التزمن كل جانب ، وهلمى هذه أوروبا واقعة لهم بالمرصاد ، أنت يا الله خاطبت للمسلمين بكلامك القديم اليوم منذرا وعفرا ، فكلامك القديم لا يشي لنا أن نعرفه إلا بأحد طريقين إما بالفاظ ترد على لسان نبي ككثي جاء في هذه السورة ، وأما بفعلك أنت لأن المعاني تظهر بالقول تارة وبالفعل أخرى فأما القول ففي القرآن وأما الفعل فهو ما ظهر اليوم في العالم قاطبة . فكما يا الله من نعم ببلاد العراق ومجد والحجاز والصين وحضرموت عجبوة فيها . وكما من معائب ما طرات مطرا يحيى الأرض بعد موتها ثم ترك ذلك كله وشأنه فلم يحفظ في زمن الاسلام بالاستخراج والأسناد كما حفظ أيام الجاهلية فانتفع الناس به ،

« هذه حال المسلمين اليوم يا الله . وهما هذا للتفسير قد كتبتهم وهم يقرؤنه وهو آخر انذار للمسلمين فان فكروا ففهموا واتبعوا وان أغمضوا أصميتهم عن الحق أهلكتهم الامم »

أيها المسلمون : هاأنذا أنفرتكم وحزرتكم . وبأبناء العرب اخواني وأصدقائي فكروا في قصص هذه السورة . فكروا في قول ربكم - فأعرضوا - ولما أعرضوا أرسل عليهم سدة الهرم . أليس هذا أصلا دنيويا . ألم يكن خراب سبأ أو (مدينة مأرب) من نتائج الجهل القوي وقصا فيه الآن . أتم يا أبناء العرب اخواني قد أنزل الخطاب عن أميتكم فأخفتم فكفروا وهذا كتابي بين يديكم وأنا أعلم انكم تقرأونه وتستعملون أن يمر هذا القول بلا نتائج بل أقول فوق ذلك انكم سترجعون المجد القديم القوي بصلحتكم - خيرامة أخرجت للناس - كما كان أبائكم الأولون . وانما خصصت الخطاب لكم الآن لأن مدينة مأرب وهي سبأ لا تزال في حوزتكم . فالفرصة سانحة لكم جميعا في العراق والحجاز ومجد وغيرها من البلدان . أنا اذكركم بقول الله تعالى في (سورة الأعراف) - لتنتزبه وذكرى للمؤمنين - فالقرآن انذار لقوم وقد كبر الآخرون . وجاء في نفس السورة - أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أولئك أهل القرى أن يأتيهم بأسنا نحييهم وهم يلبسون - الى قوله - أولئك أهل القرى يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أمكنهم بذنوبهم ونظبح على قلوبهم فهم لا يسمعون -

فما من أمة من أم الاسلام إلا حلت محل أم بائمة . وأهل الصين حلوا محل أهل سبأ وأولئك أمهات الماء فلم يحفظوا السدود وكفروا . وهؤلاء المسلمون أذنوا وأعرضوا عن حفظ هذه التم . أفلا يحق لي وأنا أكتب هذا أن أخاف عليهم . فانا أنذرهم وأقول لهم ان الذنوب على (قسامين) ذنوب ترجع الى أعمال النظام في الدولة وهذه جزاؤها الملاك في الدنيا أو الأقل . وذنوب جزاؤها في الآخرة غالبا وهي الامور الاعتقادية (وبياتها) أن أكثر الامم التي حلت قراهم في القرآن كانوا غير منتظمين في أمور الحياة . ونسمع الله يقول - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فإذا أصلحوا نظام بلادهم وهم كافرون فلا هلاك يلحقهم فالكافرون

المصورون لبلاد الله العادلون يكون عذابهم في الآخرة غالباً ، انظر الى أمة الصين وأمة اليابان ، فهؤلاء ذاقوا عذاب انظرى في الحياة الدنيا لما كانوا غير مفكرين في أمر نظام مدتهم العام ، فلما أن عرفوا ذلك ونظموا البلاد خرجت أوروبا من بلادهم حاربة

في أبناء العرب ، وبأهل اليمن ، وهذا كتاب الله وهذا ضله . يجب للأمم في الدنيا بجهلها وإصلاحها كما جهلت وأهملت سبباً وأتم ورتب الأرض من بينهم . فرعيد الله لكم ظلم واضح . ولا سبيل لكم من التهمة إلا بصرف آخر درهم من أموالكم في تعليم الشبان تعليماً عالياً وهم هم الذين يقومون بنظم البلاد . والله لقد أنفرت وحذرت وأنت يا أمة تشهد - وكفى بالله شهيداً - . فهل لكم أن تسمعوا ما جاء في كتاب التجارة الاقتصادية والجغرافيا البشرية ، قد جاء فيه ما يأتي :

(الانسان ونهضة الاستعمار)

(هذه قط الموضع)

(١) معنى الاستعمار (٧) أقسام العالم الطبيعية طبقاً لنظرية هررلسن مئة بحريمة (٣) الهجرة (٤) موقف المستعمرين . الأمم المستعمرة وميزانها (٥) أنواع المستعمرات (٦) ما يجب على المستعمر موقته (٧) أوروبا بعد الحرب الكبرى

يدل معنى لفظ الاستعمار على هجران الأقطار وسكنى البوادي بعد اصلاحها واستيطان القفار بعد استنباتها واستثمارها فيقبل وحشها أنسا ويستعمل جديها خصباً فيتم أهلها يسعة في الرزق ووافر من الخيرات والنفقات ثم يرقى المجموع الانساني تبعاً باستكمال أسباب الراحة المعيشية وهي كل مراميه في حياته الدنيوية قام الانسان في عصور الكشف الجغرافي بنهضة جلى كان غرضه منها تعرف جهات العالم جميعاً فوج نفسه في المحيطات واخترق ظلمات القارات واستهدف للخطر وركب الفرر فهلك من هلك ولكن نال بفيه وأصبحت الأرض جميعاً قبضته فاقسمت الى أقسام سياسية ترجع الى غنث الجهودات وما احتسم من قتال وما شجر من خلاف ، ثم تريت وأمن فالكشف العالم أمامه أقساماً طبيعية لانهول ولا نهول

عمد الى كل جهة جديدة وأقبل عليها بحيله ورجله بحث فيها من الحرف والأعمال بمادته عليه تجاربه في الجهات القديمة المأهولة والتي أقام هجرانها من قبل ، فأثبت التصح في أمريكا في الجهات الصالحة لزراعة وفي الأرجنتين واستراليا وزيلنده وأوجد القطن بالنيجر والسكر بالبرازيل وناتال واستراليا والبن والكافور والتبغ والفكاكة أشكالا وألوانا . غرس كلا في المنبت اللائم له . ثم استمر القابات والأحراج الجديدة على نخط القديمة وسرغفور الأراضي وانزع من معادنها وغاص أحماق البحار واتنع من لآلئها فعمت هذه الخيرات العالم وأثرى المستعمر وأثرت الفروس الى العوالم الجديدة الفاقنة لبنا وصلا وخفت اليها الرحال والاهت اليها الآمال فأقيم بالاستعمار هاجر الناس من موطنهم على حبها وشدة قتلهم بها فانتجسوا هذه الأذى طمعا في المال أو فرارا من شدة التزامهم ووطيس النضال وأقبلوا يزفون على منازل عذراء ومنابع لم تطمث وأرض لم توطأ فصالوا وجالوا وطبق صيتهم الخافقين وأصبحوا قدوة لبني جلدتهم فأهتروا جميعا بحب الهجرة وأشربوها في قوسهم وجرت منهم مجرى الدم حتى ليندى بها الصغير في غضاضة الاحاب ويصبوا اليها الفضل القوى في زمن الشباب ويحن اليها شيخهم اذا هرم وشاب

الى أن قال : فلما لم يكن في الاستعمار غير تدمير أجزاء الأرض قاصيا ودانها والأخذ بيد الشعوب المتأخرة للنهوض بها الى مستوى الحضارة لكنني لأن كثيرا من المستعمرات قد بلغ من القوة الطبيعية أقصاها ولكن أهل الوطنيين للأسف غير قادرين عليه وعلى الانتفاع به لتأخر حالهم العلمية والكثير منهم همج وحشيون

يعيشون على القطرة . غرق المستعمرون في ذلك حرج . فلامهم بمنصفين اذا تركوا هذه الكنوز الثمينة طلام في يد من لا يعرف أن يرعاها ولا هم بمنصفين اذا تدخلوا فلا يسلمون من الكلب والقبح ودمهم بالطمع والجشع والتصدى لغير شأهم والتدخل فيما لا ينهم . واذن فليستدخل المستعمرون لا الامتلاك بل لفرض الإصلاح وإرشاد الوطنين حتى يبلغوا بهم من المستوى العلمى والأدبى ما يؤهلهم الى الاتفايح بما لهم وبلاهم فلذا تم ذلك كان الاستعمار فتهمة . وللمستعمرون ملائكة الرحمة ، ولكن الانسان وما فطر عليه من حب الفاتح والسعى لما كثيرا ما يحيد عن المبادئ القومية العالية وينفوخ عن واجبات الانسانية السامية فتشوهت صيغة الاستعمار وخرج من معناه الى معنى الاستعباد والاذلال

امتازت الأمم للمستعمرة : (أولاً) بشدة البأس والسطوة والجبروت . فهي تعد الجيوش وتبنى الأساطيل لتحمل نخلها وتحفظ حقوقها وتضرب بها العصاة الوطنيين اذا جنحوا الى العداة وراضوا بهج الاستعمار التى وضعت . وامتازت (ثانياً) بكثرة المال تنفقه فيما تشاء وعلى من تشاء فتفتح به المتاجم والمصانع ويزهر به الزرع ، وتشقى القنوات . وتذلل الطرق . بل تذلل كل صعب . وامتازت (ثالثاً) بأنها الأمم المعلقة المترعة المتفتنة في أساليب الرقى والحضارة . فها الهندوسون والزراع والصناع والكيميائيون والأطباء وليف العالم الرافى جيمس . فأى قطري عتله هذا النوع من الانسان وما وهب من المزايا ثم لا يرقى الى معارج الفلاح والنجاح أو لا يفيض على المستعم والمستعمرة أرضه بالخيرات والبركات

والمستعمرات (رابعاً) تزيه واستغلالية . فأما الأولى فينزل فيها الأجنبي لفرض الاستيطان اذا سكن جوارها عما يلام مزاجه وطبيعته لوجه الشبه بينه وبين بلاده الأصلية فيستنى له اذا استوطنها أن يقوم بالعمل الجسائى فيها ويرتزق من هذا الطريق ان شاء . ويقع عادة مثل هذه المستعمرات في الأعماق المعتدلة . فنها كندا واستراليا ونيوزيلانده وأمالها . وأما الثانية فهي التى يمد عليها الأوروبيون لا للاستيطان بل لفرض الاستغلال والاستفادة من طيب أرضها ومصب خيرها حتى اذا جع ما يكفيه قبل الى وطنه الأول وعاش فيه بقية حياته منصفا بما كسبت يدها فهو لا يستطيع القيام بالعمل الجسائى في ذلك الوطن الثانى لعدم صلاح جوارها له ولذا ينظر الى استغلال أهل الوطنيين في ضروب الاستغلال والاستثمار على أجور معلوم بينما تكون له الزعامة العليا بفضل ما امتاز به من القوة والمال والعلم . انتهى ما أردته من كتب « الجغرافيا التجارية الاقتصادية » والحمد لله رب العالمين

أيها المسلمون : أليس هذا فصل ربك سبحانه وتعالى . جاء نبينا ﷺ فقام معه العرب ونشروا العلم والامن في الأرض ثم خد المسلمون إلا قليلا وناموا فلم يتركهم بلامنرين . فها هوذا القرآن مدرسونه . ولما غفلوا وقلدوا آثار الله أهل أوروبا وحركهم لاستخراج ثمرات أرضه التى جعلها للمسلمون فأحلطوا بهم من كل جانب . انهم من مخاوفات الله تعالى وهو الذى أوعز اليهم أن يجعلوا المستعمرات (قسين) تزيه واستغلالية ولا جرم أن بلادكم أيها المسلمون بلاد استغلالية . فهم يتولونها للاستغلال لا الاستيطان . فدونكم كلام الله ودونكم فصله . فان لم تفهموا القول أفلا تفقهون الفصل ؟ فأيكم أيها المسلمون أن نفروا التمر في بلادكم لئلا يستعمرها قوم غيركم . وإياكم يا أهل اليمن أن تحركوا الغلات والأشجار كأشجار الخرج السكير في بلادكم فلا تلتصقوا بها . وكذلك الكنوز والآثار للعدوة فقد حفرتم وأخزتم وينت - والله عاقبة الامور -

كتب في صلح يوم الاثنين الموافق (٢١) ابريل سنة ١٩٣٠ م وبهذا تم الكلام على (سورة سبا) والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السادس عشر من كتب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم)
وبليه الجزء السابع عشر وأوله تفسير سورة فطر)

(انخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح فقامنا سقط وأهياه أخرى بدرناها القارىء بلاتبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وما هو ذا :

صواب	خطأ	صحيحة	سطر	صواب	خطأ	صحيحة	سطر
بالقيس	بالقيية	١٨	١١٣	في الأرض في	في الأرض في	٤	٤
وبدلوا بالجنيتين	وبدلوا بالجناتان بما	٢٥	١١٥	السورة	السور	٧	٤
ملا ينفع	لا ينفع			ان	إذ	١	٦
من القفر	من القفر	٢٥	١١٥	وجال	جال	٧	٨
وتيامن	وتيامن	٢٨	١١٥	فتكررت	تكررت	٨	٨
الاشعيرون	الاشيريون	٢٨	١١٥	الغزالي	الامام	١٧	٩
هي	هل	٢٣	١١٩	فانتا	فاته	٢٧	٩
المصريين	المصريات	٣	١٢٠	في شجرة	في ورقة	٤	١٢
هاهنا	هاها	٢٢	١٢٠	منابر	منابرا	١٧	١٤
نحن بنى آدم	نحن بنى	١٠	١٢٣	التقية	السلفية	٣٤	٣١
زمانه	زمان	٢٦	١٢٤	شكرا	شكر	٢٣	٣٥
المجرة	المجرات	١١	١٢٥	القولية	القوية	١٤	٣٧
جعلهما	جعلهما	٢٢	١٢٦	الصاميم	الصاميم	٨	٥٢
غلبوته	عباده	٢٦	١٢٧	لم يمتد	لم يمتوا	٣٤	٥٥
اتى	اتنى	١٤	١٢٩	والنصب	والعصب	٨	٦١
إلا المسلمين	لا للمسلمين	١٠	١٣٦	ليفهما	ليفهما	٢٩	٦١
هناك	هناك	٢٨	١٤٢	لفت	ألفت	٣٤	٧٠
إذ هي	أوهي	٢١	١٤٦	لكلمتهم	لكلموهم	٣٥	٧٠
مشفران	شفران	٣٣	١٤٧	وضعت	وضعيه	١٤	٧٢
تصوره	تصوره	٧	١٤٨	فبعد	بعد	٣٢	٧٥
الشقوق	لشقوق	٣٠	١٥١	الكرات	الكرات	١٣	٧٧
التخريب	التخريب	٧	١٥٣	متجاورات	متجاورتين	٣٤	٧٧
د	د	٨	١٥٣	ملا	ميل	٦	٨٢
د	د	٢٢	١٥٣	المشب	المشب به	٢٥	٨٢
أوبالأخرى	أوبالأخرى	٢٢	١٥٤	توجهوا	توجه	٥	٨٨
في شفته	في شفته	٢٤	١٥٨	أيقن	وأيقن	٩	٨٩
الأسفة	ان الأسفة	١٨	١٦٠	يأتون	يأتوك	١	٩١
وأليما	وأليم	١٧	١٦٢	أعزبا	أعزاب	٢١	٩٥
(ستة ٨٥٠)	(ستة ٨٥)	١٦	١٦٦	على ذاك	إذ ذاك	١٩	٩٧

صواب	خطأ	سطر	محيقة	صواب	خطأ	سطر	محيقة
بد	بد	١٦	١٨٤	يشعر	يشعر	١٢	١٦٨
مادر	مادر	٢٤	١٨٤	كأراضي الملتا	كأراضي الملتا	٦	١٧٣
أبليا	أبلاوا	٢٤	١٨٥	سنة ١٩٢٩	نحو سنة ١٩٢٨	٢١	١٧٤
ابنه	ابن	٣٦	١٨٥	بخارية	تجارية	١٩	١٧٧
المحش إذ	المحش واذ	٢٢	١٨٦	غمر	عمرا	١١	١٧٨
الآرين	الارين	١٠	١٩٠	في القرنين الأولين	في القرون الثلاثة	٣١	١٨١
بالبارسين	بالبارين	١٠	١٩٠		الأولى		
فيها	فيها	٣٥	٢٠١	والمكان	للكان	٥	١٨٤
آي	آي	٣٢	٢٠٢	ويغزون	ويغرون	١٥	١٨٤

(تم)



(تذكرة)

(الأولى) جاء في محيقة (١٩١) أن ما صرف على بقرالهند (١١) مليوناً و (٧٩٠) ألف جنيه وأن هذا أربعة أضعاف غلة الأرض ، وهذه العبارة قلتها من الأصل وهذا الأصل خطأ لأن غلة الأرض أضعاف هذا بعكس ما جاء في هذه العبارة له

(التذكرة الثانية) إن سنة وفاة (محمد بن تومرت) وهي سنة (٥٣٤) لاتوافق ما جاء في التقييده التي أنشئت على قبره انه عاش (٩) سنين مع انه أظهر المهدوية (سنة ٥١٥) ومن ههنا أن المؤلف أهدي اليه كتاب فيه تاريخ (ابن تومرت) وأن وفاته كانت سنة (٥٢٢) وهذه أقرب الى الصواب فلهذه مات سنة (٥٢٣) انتهى والله أعلم

فهرست

(الجزء السادس عشر)

(من كتب الجواهر في تفسير القرآن الكريم)

هجرة

٢ تقسيم سورة الأحزاب الى ثلاثة أقسام وتفسير البسملة وأن ما حتم في معنى البسملة في أول السجدة يرجع الى الفرق بين صفة الرب وصفة العبد مع ضرب مثل بالقرول والشمس وبيان الرحمة في الطيور والأشجار الخ وأن الشر لا يكون بالتصد الأول وأن العلوات والمواد الفاسدة وجدت ليترقى الناس فيسعدوا بالنافع ، فلتبين هنا كيف كانت الرحمة مثيرة لما في السجدة من الرحات (بعد يات معناها في سورة الروم وقمان من حيث ان آلام الكسر والضرب الخ وآلام العقول بالهجرة ، كل ذلك لا بد منه للدواة والتعليم) مثل الكلام على تقدير الملك واه لاشفع عنده إلا بأذنه ، وأن الانسان العاقل مخلوق من طين وأن العوالم السفلية مشاكلات للعوالم العلوية وهكذا وإن أهم ما يدور البحث عليه في سورة لقمان (ثلاث مسائل * الأولى) خلق الانسان (الثانية) موته (الثالثة) بعثه . فأما التسوية فان جسي أهم ما ركب هو منه أربعة عناصر الاكسوجين والادروجين الخ وهذه هي الأعمدة التي يقام عليها جسي ، فالاكسوجين مع بعضها يكون به الحياة ومع البعض الآخر به الموت وهو مع آخره السم ، فهذه المركبات أكثرها مهلك ولكنها في جسي صارت حياة ، وهنا يكون البحث كيف حلت الحياة فيها أكثر طباعه الموت ، وهنا خطاب الروح واعلمها بأن الله والألمة فيصيحان . وخطاب الله تعالى مبسح هذا الجسم وشكره على تعليمنا انه سوى أبدأتنا فمرتنا مسام الجلود فطلقت لنا وشهدت على المذنبين لدى حكوماتنا الخ

٧ أما الكلام على البسملة في (سورة الأحزاب) فقد بدى بذكر السبب في تكرارها في أول كل سورة وكيف نام السلون في تلك القرون وجهلوا الحكمة في تكرارها فجمعوا على اللفظ ونسوا رحمة الله عليهم سواء منهم الخطيب والواعظ والعالم ، فهم جميعا لا يعرفون من الله إلا عذاب جهنم ونعيم الجنة . أما رحمت الدنيا فهي منسية عندهم ، وبيان أن رحمة الله تعالى العبد على مقدار ما يترك منها ويطلبه ولا يطلب إلا بعد العلم . ولأن عاقلا عظيما من غير هذا العالم نظر الى المسلمين اليوم فقال لهم ان تكرار الرحمة لعظم قدرها كتكرار الآله في سورة الرحمن التي تعتبر كتفسير لبسم الله الرحمن الرحيم . فإذا كرر الله الويل في سورة المراتل للتحويل وكرر الآله في سورة الرحمن لعظم مقام الرحمة فهذه تكرار البسملة لعظم أمر الرحمة الشروحة شرحا تاما في سورة الرحمن المفسرة لمعنى هذا الاسم التي هوفى البسملة وفي سورة الرحمن قد قمت آيات التم المنيوية على الأخوية لتحل أبناءنا على هذه الطريقة . فتلهم عوالم الأرض والسما أولاكيا رب الله الآيات كذلك وكأرب الامام الشافعي أعضاء الوضوء اتباعا لنظام آية الوضوء . ولقد صرفت عقول علماء الاسلام عن تعليم تلك الرحمة لأن الأمة اتفقت فتح البلاد مرتزة لهم وشهوة ولذة فظنهم جعلهم غر عليهم السقف من فوقهم . فانظلم حرمهم من العلم فنبذوا كتب ابن رشد وضوء فتعلمها أهل أوربا فظهرت آثار نور الاسلام في أوربا من كتب ابن رشد ثم كتب اليونان وهكذا . ومن العجب أن سورة الفاتحة في أولها علم وفي آخرها عبادة . وهنا بيان أن العلماء سيقرون هذا التفسير ويسارعون الى هذا الظلم في تعليم الأطفال وأن أوربا رجعت الى كتب اليونان وان

هناك تحريفا في نقلها مثل مسألة حدوث العالم فهي عقيدة المعتقدين منهم ، ولكن المتقول عنهم قديما أن العلم قديم ونموذج كتب الطائفة تكون ذات نماذج جيدة كما ترى في (سورة يس) من جملة الأوراق لا تراها اليوم كثيرة العدد فيها مائة سنة يوم فيها ما يلقونها بالحضرة الخ وفيه بيان كتاب القراءة للملوكية وموضوعه (٤٩) موضوعا وهذا كله مناسب لكونه عليه السلام خاتم النبيين

١٣ (كتاب الرحمة) فيه ثلاثة فصول وهو من كتاب (تيسر الوصول لجامع الأصول) في الأحاديث النبوية وفيها وعيد من لم يرحم وأن الرحمة غلبت الغضب وأن رجاء الله مائة واحدة منها في الدنيا الخ

١٤ وجوب رحمة الحيوان وأن رجلا سقى كلبا فغفر له وهكذا النبي عليه السلام فغفر لها لما سقت الكلب ، وذكر الجبل الذي شكيا بلسان حله من التنب لنبى عليه السلام وسمعت عنه ، وأنهى عن اتخاذ ظهور الدواب مجالس . والكلام على رحمة النمل

١٥ (القسم الثاني) من السورة وأولها - يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين - إلى قوله - قديرا - ثم تفسير هذا القسم اللفظي

١٨ تفسير قوله تعالى - وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم - وبيان أن غزوة الخندق ذات (ثلاثة فصول * الفصل الأول) في ملخص الكلام عليها (الثاني) في تفسير اللفظ (الثالث) في ربطها بما قبلها وملخص الفصل الأول أن اليهود حاقوا قرشا على حوب رسول الله عليه السلام غنمهم المسلمون حول المدينة فكان ما كان من الأخبار عند ظهور التور إذ ضرب عليه السلام الصخرة بالمعول وقوله : وسأملك فارس والروم وغيرها ، ثم يبين تحاذل اليهود والعرب وانتهزامهم (الفصل الثاني) تفسير قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - إلى قوله - وكان الله على كل شيء قديرا -

٢١ (الفصل الثالث) في اتصال هذه القصة بما تقدمها في أول السورة الخ ، وهما أيضا من الكلام على أن موسى عليه السلام ذكر قومه بأيام الله . وجاء في سورة السجدة - ولقد آتينا موسى الكتاب - الخ فكما ذكر موسى قومه بأيام الله كالنجاة من آل فرعون ذكر عليه السلام المسلمين بنجاتهم يوم الأحزاب ٢٢ أمة الاسلام اليوم وأنه واجب على المسلمين أن يتدبروا هذه الغزوة الخ

٢٣ (القسم الثالث) من السورة من قوله - يا أيها النبي قل لأزواجك - إلى آخر السورة ٢٤ يان أن هذا القسم فيه فصول وأن الفصل الأول في خطاب النبي عليه السلام لأزواجه بالزهد في الدنيا وتفسير قوله تعالى - إن كنتن تردن - إلى قوله - إن الله كان لطيفا خبيرا -

٢٧ ذكر سبب نزول آية التحخير وحكم الآية . وأن المرأة إذا خيرت فاختارت زوجها لا يقع شيء عند بعضهم وتقع طلاق واحدة عند الآخر . وإن اختارت نفسها طع طلاق رجعية أو بائة أو ثلاث طلاقات على الخلاف (الفصل الثاني) في أحسن الأخلاق التي يكون عليها الرجال والنساء في الاسلام وهي عشر : الاسلام والایمان الخ . ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

٢٨ تفسير - وما كان لمؤمن ولا مؤمنة - إلى قوله - وكان أمر الله قدرا مقدورا -

٢٩ يان أن عتاب الله على نبيه في مسألة زيد وزوجه وأن المسلمين أثنى بالعتاب في عدم اظهار الحقائق التي يعرفونها

٣٠ (الفصل الثالث) في فضل النبي عليه السلام وعمره رساله وتفسير ذلك من قوله تعالى - ما كان محمد - إلى قوله - وكفى بالله وكبلا -

٣١ يان أن السراج تنبئ منه السرج . فهذه كالأبوة النبوية فهي ولادة وريه

٣٢ (الفصل الرابع) في المطلقة قبل السخول الخ وتفسير الآيات من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات - الى قوله - إن الله كان على كل شيء شهيدا - ، وذ كرحم من نهب نفسها

٣٥ (الفصل الخامس) في وجوب تعليمه ﷺ ومن تعليمه أن يصل عليه - الخ

٣٧ بيان معنى آية - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض - الخ وهما سبع لطائف

٣٨ سر تعدد الأزواج وتعدد أزواج النبي ﷺ وهما أسئلة موجهة من (المدره) الى المؤلف ، وكيف تزوج النبي ﷺ تسامع أن غيره يتزوج أربعا ، والاجابة الأولى بأن ذلك ربما كان قبل تحريم الزيادة على الأربع

٣٩ ولم يطلق ما زاد على الأربع لأنه حرم عليه أن يستبدل بهن من أزواج وأن يتزوج غيرهن ، فهذا الحظر عليه في مقابلة إباحة الطلاق والاستبدال ، فهذه الخصوصية إذن ظاهرة ، وأيضا لو أنه طلق عائشة لكان ذلك خلافا في سياسة الأمة الإسلامية وهكذا حفصة فأمر أبويعها معروف وأمر سلمة كانت أرملة أخيه في الرضاع ومعهما ذرية ضعاف ، وزينب ابنة جحش أمرها معروف في القرآن

٤١ (المجلس الثاني) وهما تنظر في طلاق (هند بنت أبي سفيان) إذ أصيبت بتضرع زوجها في غربتها وبعد أبويعها فلا عيب من زواجه ﷺ بها ، وجورية من بنى المصطلق أصهار رسول الله ﷺ وهي بنت سيد قومها ، ثم بيان أن رؤساء القبائل ليس لهم ماله من هذه السياسة الزوجية وأن النساء يقتدرن نعمة الزوجة الشريفة حتى قدرها جبا في الشرف ، والدليل على ذلك أن أخت دحية الكلبي لما علمت أنه ﷺ تزوجها ماتت من الفرح ، وأنهن رضين بالقوت مع ترك القسمة على أن يكن أمهات المؤمنين

٤٣ بيان أن تحريم أزواجه على المؤمنين بعدهم لبد باب الفتنة وحسم الامور السياسية لئلا يتطاول زوج أم المؤمنين بذلك الى التدخل في السياسة ، و بيان انه اختص ﷺ بأربع وترك باقيهن لهذا كرامة المحكمة والقرآن وأن هذه أول مدرسة نسائية في بلاد الاسلام ومدرسة الرجال كان تلاميذها أهل الصفة (المجلس الثالث) في بيان رجال الصفة وانهم أربصاء يحفظون القرآن ويعلمون - و بيان انه ﷺ لوفاجأ نساء الباقيات بعد الأربع بالطلاق فقامت فتنة كالفتنة التي قامت في زمن عمر إذ تنصر (جيلة) ومعه ستون ألفا لأجل مفاجأته بالتصاص لأجل الاعرابي

٤٤ أما الجواب الثاني : وهو أن غيلان ومن معه إنما اعتنقوا الاسلام بعد التحريم فوجب عليهم ألا يزيدوا عن الأربع فهو غير مفيد لأن الأمة أجمعت أن ذلك خاصة له ﷺ فإذا قلنا ان من اعتدوا قبل زول الآية يباح لهم ما زاد على الأربع كان ذلك قولاً باطلاً وخاطئاً لحاقته الاجماع . فأما الجواب الثالث : فهو أن هذا النوع الانساني يمسك الحقائق عكسا والافا بالنظر داود وعلبان عليهما السلام كان عندهما زوجات كثيرات ويطلبهما جميع المسلمين والصاري واليهود . فكيف إذن يعترض المكابرون على نبينا ﷺ إذ تزوج نساً ! إن هذه من جهالة هذا الانسان وتعبه

٤٦ (المجلس الرابع) في ذكر مائة (كلرلي) الانجليزى . وتبين أن البناء الجاهل لا يدوم بناؤه وهذا الدين دام (١٢) قرناً فكيف يدوم بناء بانيه دعى في البناء . إذن محمد ﷺ نبي حقا . وأتمام الكلام في أن الأحاديث التي ألصقت به الترام بالنساء كلها أحاديث كاذبة كحديث ابن سعد انه ﷺ سمى له بقدر فأكل منها فأعطى قوة أربعين رجلا في الجبل وتبين كذبه بالهيل

٤٧ (المجلس الخامس) وفيه استطراد في كيفية الكذب على رسول الله ﷺ فالكاذب إما مبتدع ينشر

بدعته وامراض يضع الحديث لمشاء ولما يستحل وضع الاحاديث للترقيب والترهب . ومن الرضايع غلام خليل ترك الشهوات واستحل الكلب على رسول الله ﷺ وقد أغلقت أسواق بغداد يوم موته الخ

٤٩ وقوم من الرضايع كانوا يتقربون للوك بوضع الاحاديث . أقسام الرضايع ثمانية : الزنادقة والذين ينصرون منهم حقا أو باطلا والذين يضعون الحديث للترقيب والترهب والذين يبيرون وضع الاسناد لكل كلام حسن . والذين يضعون الاحاديث لجرد الغرابة . وآخرون يشعرون بالاحاديث ومنهم موهب ومحمد بن السائب ومحمد بن سعيد وأبو داود والنخعي الخ . ومنهم من اعترف بذنبه . كل هؤلاء ذكروا للاستيراد على ذكر حديث طبقات ابن سعد المكتسوب عليه ﷺ من حيث نسبة حبه للشهوات اللسانية

٥١ الكلام على تعدد الزوجات في الاسلام . وبيان أن أهل أوروبا وان يرموا في العالم الصناعية لم يزالوا مقلدين في أمور كثيرة ومنها هذه المسئلة وهو تعدد الزوجات عند المسلمين . وبيان أن كتاب « ابن الانسان » الذي ألقته لنظام الأمم العالم قدأ ينتفيه أن تعداد الذكور والاناث في الامم كلها متقارب واننا لم نسمع أن أمة قل نسائها غلغت تطلب نسا من غير ما بالعكس . اذ هناك نظام لا يتغير ولا يتحول وأن في الرجل من هم ضائع أو قراء فلزواج لهم كما أن منهم من هم أقوى وأقدر جسما ومالا وشهوة فهو لا يتحول في مقابلة الضعاف وهو لا في الاسلام بحسب أقوال الخبيرين اما ثلاث في المائة واما خمس في المائة وهذا العدد الضئيل لو أنه كان مفسدا لما أضر هذا المجموع شيئا اذ في كل ألف (٣٠) انسانا فسد في الأخلاق . فكل هؤلاء يفسدون الألف . كلا . ثم كلا . هذا اذا كانوا مفسدين فكيف اذا ثبت أنهم مصلحون لأنهم حفظوا العدد الزائد من النساء فأولهن من البنين والنات وأطعموهن وحفظوهن من الزنا والخنا . اذن هذا الانسان لا يزال طفلا يقبل القضية وذيلة والحق بالطلا والاحتجاج بان الاخوة من الأب يتحدون مردود بأن الاخوة الاشقاء ايضا يتحدون . وبأن الناس جميعا يتعاسون ويتحدون ولم يوجب ذلك ازالته من الارض . ولعمر الله ارباب الاورويون ذلك الا أنهم حسدوا الشرقيين على نسبة تكاثر النسل وهم حرموا منعير يبدون اغلاله كما فعل بعضهم في جنوب افريقيا اذ يتزوج الرجل نساء كثيرة كأنه (ديك) معجب بانه ففرضوا ضريبة على امثال هذا الزوج حسدا وبغيا لاؤلك الوثنيين على كثرة ذريتهم

٥٤ بيان ما جاء في (عجلة المرشد) من أن عدد النساء في ايطاليا يزيد على عدد الرجال مليونين . وفي جريدة الماتان الفرنسية أن عضو مجلس البرلمان الفرنسي قال « ان في فرنسا مليون ونصف مليون فتاة غير متزوجات . وقال ان الفتاة لامعة لما بغير الزواج . وأجبت أن هذا مغاير لقانون الطبيعة » ويقول (شوبهور) الفيلسوف الألماني « ان قوانين أوروبا في الاقتصاد على امرأة واحدة أوقعت التقديرات منبوذة في الشقاء والفنيت في التحسر أمد الحياة حزنا على عدم الاقتران برجل . وطلب أن يكون تعدد الزوجات أمرا واجبا »

٥٥ وقد ألف عالم فرنسي كتابا في العشيقه الشرعية قطع منه نصف مليون نسخة

٥٦ (الطيف الثانية) في معنى قوله تعالى وخاتم البنين وذكر جواب عبد الله كويابام الانكليزي المسلم وابنتاه جوابه بنظرة عامة في السموات والأرض وما بينهما من السحب والنبات والحیوان ثم زوال ذلك وحياة غيره وهكذا

٥٧ بيان أن هذه الهباب توجد في القلب اذعانا لخالق هذا العالم وإعما به وامتنالا لأمره . وبعد معرفة

الله نجد أنفسنا منشوقين لمعرفة الكرة الأرضية فترى العلم يقول لنا انها كانت كرة حارة بردت بالتدريج وخلق عليها المواليد الثلاثة بالتدريج ومنها ما اقترض ومنها ما حدث وأخترها هذا الانسان وهو عالم كبير في أول أمره كان كطيوان لم يكن من الكواكب ولا غيرها إلا ما تتركه البهائم واهتم أولاً لما كمله ومسكنه في الاشجار والغارات هائماً في القنوط يقتل غيره لشهوة نفسه فكان لابد له من قانون . فبها الله أناسا مصطفين كل واحد أتى بصرع أرقى مما قبله بحسب القابلية . فمهم من علم الناس للملابس وسرا العورة ولوبالورق . ومنهم من علم بعض الاخلاق الجيدة وهكذا حتى جاء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام . وإذا لم يحرم عيسى النحر وحرمه محمد ﷺ فليس معناه نقص عيسى . كلا . وإنما النقص في استعداد المرسل اليهم لا غير

٩٥ والقصد من الرق انما هو في الصوم والافقي كل عصر أناس متوحشون حتى في عصرنا هذا . ولما جاء محمد ﷺ أصبح الانسان أرقى من الانسان الذي كان قبل بعثته برأجل . وهو في تعليمه يدعو للترغيب والترهيب . وهنا ذكر جميع محاسن الاسلام كالعدل والتواضع الخ . تقرب من الثمانين عدداً في عشرة أسطر ثم ذكر التنبؤات وعدة ما يقرب من الأربعين . ثم بين هنا أحكام الشريعة الاسلامية المتعلقة بسياسة الملك والميراث والصحة والاهواز في البلاغة . قال : وكل هذه المباحث لم توجد في الكتب السابقة . وهناك أمور ستعلم في المستقبل وهذا الدين لم يكن هكذا طرفة فهو آخر الأديان وهو ناسخ لما قبله من الشرائع لأنه أكملها ولا يفسخه غيره

٩٦ نبذة من ترجمة المؤلف عبد الله كويليام المذكور وأنه كان واعظاً عالماً بالعلوم الرياضية وأصيب بحرض استوجب تبديل الهواء في جبل طارق ونبذة فأنجبه دين الاسلام وصلاة المسلمين قرأ القرآن بالانكليزية ووزنه بالبيانات الأخرى فأسلم وأسلم معه أصدقاء له

٩٧ ثم بعد ذلك اتخضوا لهم مسجداً يقيمون فيه الصلاة وقابل السلطان عبد الحميد ثم رجع الى مدينة ليغبول ببلده وله كتاب يسمى (دين الاسلام) . وهذا ومن آثار نيونه ﷺ أن أتباعه لا يمتنون باختلاف اللون . أما أمريكا وانجلترا فأنهم يطردون ذا اللون الاسود من مطالعهم وهذه صفة أقل من صفة الانعام التي لا تبالى باختلاف اللون . ومن تلك الآثار الاسلامية أن اليهود دخل في دينهم بعض الاصلاح في التوحيد على يد موسى بن ميمون الذي ولد سنة ١١٣٥ م وأدخل في كتب اليهود خلاصات من علوم كتاب الملل والنحل واخوان الصفاء وتحقيقات الفزالي وغيره من علماء الاسلام ومن الدلائل الساطعة على أنه ﷺ سراج منير ما شهد به الجاسوس الفرنسي الذي أرسلته فرنسا لعبد القادر الجزائري وقد صار من خواصه وقرأ الاسلام فأفاد أن دين الاسلام حق ولكن العلماء لا يصلحون لبث بين الناس . ومنهم من اشترى الفتوى منه يافقن انشهدوا أن فرنسا خير أمة اخرجت للناس وهكذا ولو كان علماء الاسلام أرقى من هؤلاء لكان المسلمون مثل تلك الأمم . من تلك الشهادات الفرنسية ما جاء في كتاب (خواطر وسواخ) للعلامة هنري . وهناك ملخصها

٩٧ انتشار الاسلام أيام الفتوح العربية . ابتدأ بإطال ما يقوله الأوربيون في أسباب انتشار الاسلام وأخذ يبين الحقائق قائلاً : لو كان الاسلام ينتشر بالسيف لوقف انتشاره باقتضاء الفتوحات الاسلامية أو بزوال التقدير العربي فإذا كان هذا صحيحاً فلماذا يتقدم الاسلام الآن في بلاد الصين التي ينتظر أن يسيطر الاسلام فيها على دين (ساكياموني) وهو دين بوذا . وقال موليط : الاسلام ظافر لا سمكة في بلاد الصين وهو وان قل في أوروبا كثيراً في أفريقيا

٦٨ يمتد من سبار اليون إلى موزنبيق ويمر في مراكش ويصل إلى السويس ويمتد من البحر الأحمر إلى المحيط الانطاظلي ومن البحر الأبيض المتوسط إلى الدرجة السادسة من العرض الشمالي ويصل إلى الدرجة العاشرة من العرض الجنوبي . وهو كثير الانتشار في وسط افريقيا وفي قبكتروسة طلو وكانو وكوكا ووداي وشاد واشري ولوغوي ولوغرائي

٦٩ وهل الاسلام دين محمدي : اجاب بنم من حيث أصله ولما طوارى عليه فقد كثرت الاتباع ولكنها جعلت أتباعه مخالفين لاسلامهم إذ جعلوا متوسطا بينهم وبينه والقرآن ينهى عن ذلك . ومن عجائب الاسلام انه دين رحيم فهو يمد بلجنة أصحاب الاعمال الصالحة المختلفي الاشكال والألوان لافرق بين عابد وعالم وتال للقرآن الخ . وقد حرم السكرات لحفظ المسلمين من غوائلها التي منها طوائف الفوضوية وأعلى شأن النفس الانسانية بالصلوات الخمس . وهودين ذو بساطة يلائم كل نفس حتى أبسطها وهم الزوج بل الشهادة يتناض عنها المسلم برفع السبابة الى السماء عند الاحتشار . لذلك يفضل الناس عن الدين المسيحي كما قال (القس ماراشي) « لقد جرد الاسلام تعاليمه من الأحادي التي في الدين المسيحي . لذلك ينشر الاسلام . وليس لذلك الاسلام مبشرون كالدين المسيحي فاني عرض على السود فينبغونه ويتلون الاسلام بلا عرض . وعند خط الاستواء هناك اسلامية زنجية مثل : شاري ولوغونه وغيرهما . ولهم نظام سياسي يعمون به من جاورهم ويتدخلون بين القبائل ويدخل الناس في دينهم أقوليا بالحنى لا بالحرب . ومن الراساقت لذلك أن يتزوج المسلم من القبائل الوثنية فيكون ذلك السبب في جذب الجيران الى اعتناق الاسلام . ولقد كان النبي ﷺ غير معروم بالشهوات وكثرة نسائه كانت لتحييب تلك القبائل في الاسلام . هكذا جعل أولئك الزوج بارواج من نساء جيرانهم . وهناك مزية ساجوية وهي ما في التوراة : من أن الله يبارك في ابن الخادمة وهو اسامعيل فتخرج من صابه أمة كبرى

(العليقة الثالثة) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله - الخ . وفيها أربعة فصول في الفصل الأول في الذكر وبيان أن فضائل الذكر عرفها الهنود قبل آلاف السنين وهذامن المجهزات . واة قرآن آيات يينات في صدور الذين أتوا العلم

٧٧ فهو الهنود يقولون ان في البدن فقرات ظهرية داخلها حيل شوكي موصل كل مانعاً الى الصماغ فاعلم الاشياء . ولكن هناك عجب الذنب وهو مركز علوم الدنيا والدين وكان هذا اثاث المصنف الذي في آخر الفقرات قد كتب فيه « ان الانسان يحيط بالكائنات كلها بقدر طاقته ويظل هذا العلم محجوباً عن العقل حتى يفتح بكترة الذكر والفكر والعمل ، ويصل للذماغ بواسطة الفراغ الذي يمتد في الفقرات لايواسطة الأعصاب للملغات العلوم القليلة الدنيوية وتكرار ذكر الله مما يستعين على ذلك . واذا كان ضبط التنفس في نظرم (جرس الهواء داخل في الرئة أو خارجاً مدة ما يزيد بالترجيع يعلم لانس قوة عظيمة تجعله سيطراً على قواه العقلية فهناك يصل لله تعالى وصولاً - قيقياً لاه إذ ذاك يزعمه في الدنيا . هذه آراؤهم على علالتها . والمقصود منها أن تكرار الذكر كزكره قبلما قوم وهكذا عجب انب الذي ورد في شريعتنا الفراء . وهو عجب وألف عجب . اذن هنا مجهز تلن الذكر وعجب الذنب . هؤلاء هم الفناكرون أما للمبحون فهم يكررون كالت التسييح كالتها بلسم يطوى جوارح القلوب والعلى من الشكوك التي تعترض النفس كأن يقال : اذا كان الله رحيماً فلم هذه الأمراض والموت والحروب وهكذا . فتكرار هذه التسييح كالتها بالموثبات تويماً مضطرباً عن الشكوك . ولكن البارفرن

يقرؤون جميع العلوم فيها فيعرفون كون الله تعالى منزها عن المادة بالجمال والجلال والحكمة وكلات التسبيح كانت أجسام والعلوم كانت أرواح لها وأجسام الانسان والحيوان يعيش بها الحي وان كان لا يمتثلها هكذا التسبيح فهو نافع للسبح بدون معنى كأنفع جسم الحيوان له بدون فهم الجواب

ومن عجائب الجسم الانساني الحالات عند الحكماء على تزيه الله تعالى ما سقاه في سورة فاطر ﴿ عند آية - والله خلقكم من تراب - من السورة المحوية والصوره اليمفاوية وأن الثانية تعطي الاولى قوة كانتها قلاع بنود مخلوقة من المواد المهيئة حيوانية وأنبائية وبها يتم خلق الكرات البيضاء الفاتكات بالكرات الملهكات . وهي المكروبات فاقنن يصرون السمسم مثلا يحضرون جنودا لأجسام الحيوان وأجسامنا وان كانوا لا يعلمون . هذا هو التسبيح العلمي

﴿ الفصل الثالث ﴾ في قوله تعالى - هو الذي يصلي عليكم - الخ . ولانهم أن الصلاة من الله الرحمة فاولا الرحمة ما كان نظام تلك السوريات بأنواعها وهكذا

﴿ الفصل الرابع ﴾ في التحية والسلام . وهذا هو نهاية السعادة الانسانية فان نهاية العلوم لهذا التظم الحبيب الامان من القطيعة والجهالة إذ يرى السورة القذائية مثلا قدامه لها نحو (٤٧) آية لسير الطعام مثل : الأسنان وأنواع اللعب الست في الفم والبنسكركليس والندبة الصفراوية والاجاض في المعدة والامعاء وكلها مرتبات متغلطات . هنالك ينهش الماقل ويمل علما ليس بالثبات أن الرحمة لاحد لها وأن هذا الرحيم يهتد بالسلامة من القطيعة بناء على ما علمنا من رحمة الهيبة . ثم يان أن هذا التفسير كاف لذلك المقام ويستخرج به طائفة كبيرة من عقلاء النوع الانساني ويحشرون إلى ربهم وهم عارفون به أجل معرفة وهم آمنون

﴿ الطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا وبشيرا ونذيرا - الى قوله - وسراجا منيرا - ويان أن تشبيه النبي ﷺ بالشمس ليس كتشبيه الناقة النعمان بالشمس . لا آثار للنعمان . أما النبي ﷺ فاننا اذا رأينا الشمس حارة استخرجت بخارا طار في الجو فصار سحابا يرتفع عن الارض عند خط الاستواء ثم يقع عليها عند المدارين ثم يرتفع كرة أخرى عند المدارين ثم يرجع منه قسم الى خط الاستواء وقسم آخر منه يذهب الى المدارين القطبيين ثم يرتفع ويحل محله هواء آت من القطبين وهكذا . فهكذا النبي ﷺ أشرق عليه في القلوب لما أرسله الله تعالى فامتد شرقا وغربا . فليجوش كالرياح والقرآن كالسحاب . وهذا السحاب يزل في الاندلس مطرا علميا ومن هناك انتشر العلم في أوروبا ورجع قوم منه الى الشرق بحار يوم أيام الحروب الصليبية وقسم توجه الى أمريكا فانتشر العلم بينهم في مقابلة الرياح التي اقتصت عند المدارين شطرين شطرين ورجع واطر استمر صاعدا

وهناك صحيفة (٨٠) ضرب مثل للرياح وتطلبها باللاعب انتهى قسم الملعب (١٨٠) قسما الخ وهذا المثل موضح بالرسم شكل (١) في صحيفة (٨١) وكل هذا مقدمة لقياس انتشار الاسلام على انتشار الرياح حدوا القذبة بالقذبة . فاذا كانت الشمس حركت الرياح والمطر في الكرة الأرضية كلها فهكذا شمس الاسلام حركت الأم كلها للعلم شرقا وغربا ووصلت الحركة لليابان والصين . كل هذا بإشراق شمس الاسلام في بلاد العرب ، النبي ﷺ مشبه بالشمس والشمس بها حياة كل شيء ولكن في المخالقات ما حجت عنه الشمس خلقت فيه حيوانات ضارة ولا يقتلها إلا التعرض للشمس كالموت الطيب الحديث . هكذا المسلمون اليوم دخات عقولهم كثير من الآراء الضارة . فليرجعوا الى نفس القرآن ثم نفس علوم الكائنات . هنالك تظهر عقولهم من الجهالات كما تظهر الارض من الحيوانات القريات بتعرضها للشمس . وهذا ولقد جلست في

الغلاء نحو ساعتين معرّضاً الجسم للشمس فألقيت العوالم كلها في عرس . طيور . مغردات وأصواء
ساطعات . رعوده كالدافع وإطلاق البنادق في أهراسها والسحاب كجماعات مدعّرين في ولائها وهما فلنا
فهذا عرس دائم سلى . أما ولائنا ومظاهر أفراسها وقتية وهي تنير لنا أن السعادة إنما تكون
بملاحظة الوجود الدائمة لمظاهر أفراسه ومسرات أعماله . ثم إن كل فرد لو فكر لوجد أن هذه الشمس
وما تحتها مستخرات لموحده كما إن غيره يرى هذا الرأي بالنسبة لنفسه لأن كل امرئ يخدمه أمته كلها
والأم الأخرى تبع لها . وهكذا السموات والأرضون ولاجوم أن الإبداع في هذا النظام جعل كل واحد
يشئ له أن يقول هذا النظام لي

٨٩ آكل النبوة واشتارها في أوروبا ورسالة السيد نصر الدين « دينيه » السلم الفرنسي والمصور الشهير
القي مات وهو يبلغ من العمر ٧٠ سنة وقد أحب الاسلام حباً جاً وحج وأوصى أن يدفن في بلاد
الجزائر . قد أعظم أمره المسلمون والحكومة الفرنسية جميعاً . وقد اقتاتار بها حياة نبينا ﷺ ولام
أوروبا على اضمارها الشر للشرقيين . ويقول وإن المسيحية لم يرقها إلا أناس ليسوا منها كاليهود والذين
خرجوا على الكنيسة والفضل للعرب في نهضة أوروبا . وقد تباعد الأوروبيون اليوم عن المسيحية
تبعاً لها

٩٢ الاسلام لا يبالي إلا بالعقل وينفذ خوارق العادات فهو بهذا خالف جميع الأديان . المسلمون أشد الناس
تسامحاً والمسيحيون اليوم يتعلمون التسامح من المسلمين إن السلم يحترم عيسى والمسيحي يطمحاً . إن
أصل حريتنا العلمية فضلها لثني العربي . ومن فضائل الاسلام منع الخمر وأنه لا واسطة بين الله وعباده
ولا يسأل الإنسان الا من نفسه . وإفاته له عند المسيحيين شكل رجل مرم لحية يضاء وعند المسلمين
هو مقدس . وليس لله عند المسيحيين إلا أقل الصلاة أما أكثرها فانتهاى للإن والام والروح القدس
وزوج الأم وقلب يسوع للقدس : وفي الاسلام علو الهمة . أما المسيحية فمن ضرب فيها على خده الإيمان وجب
عليه أن يدير خده الأيسر وفي الاسلام المساواة ومساواة الطبيعة . وتعدد الأزواج تدعو اليه طبيعة
الوجود وقصر الزواج على واحدة أحدث في المسيحية البطارة وكثرة العوانس والابناء غير الشرعيين
ومن عاث مع المسيحيين من المسلمين تعلم منهم القسوق والفسجور . والصلاة في الاسلام ذات بساطة
لا تكلف فيها وعند المسيحيين فيها تكلف كثير . والاذان أمره عجيب فهو أدعى الى الاصحاء له من
الناقوس

٩٧ للمؤمن الذي هوولى لخدمة السلام العام . رجال الأديان في أمريكا عقدوا اجتماعاً للسلم العالمي وكل ممثل لدين
يدين لتعاليم دينه في السلام العام . وقد حضر الاجتماع (٦٠) عضواً الخ

٩٨ الكلام على حالة العميان في مصر وسؤال تلك الجمعية للحكومة المصرية في أمر العميان وهل لهم اعانة
وكم عددهم ؟ وكيف ساعدتهم الحكومة ؟ وما أنواع مصنوعاتهم ، وما الرائج في السوق منها ؟ وهكذا .
وهذا كله من السلام العام الذي كان المسلمون أحق به لأنهم أوّل من نشروا التعليم العام وبسيهم
انتشر في الأرض

١٠٠ تفسير قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً - الخ . معنى - وحلها الإنسان -
من القاموس . لطيفة عملة للسورة كلها

١٠١ تفسير سورة سبأ . تفسير البسملة ويان أن رحمة الله في هذه السورة موجهة الى المسلمين من حيث
انه يذكرهم بأمر غلت في بلادهم كانوا ذوي علم وجد وتشمير ، فمن العار أن يكون المسلمون أدنى

منهم منزلة وأنصف رأيا وأقل عملا . ومن رجته التي في البسمة أيضا انه أبان بقصة داود وسليمان عليهما السلام كيف يكون شكر النعم كما أفاد بقصة سبأ كيف يكون كفرتها ، ومنها أيضا انه حذر المسلمين من تصديق ما تلقوه الأرواح في زماننا على يد المستحضرين

١٠٢ ﴿ القسم الثاني ﴾ في تفسير السورة كلها . ويان حكم فواتح السور كالجدة والحروف الهجائية (الم) وهكذا وأن الجدة في الفاتحة والأنعام والكهف وهذه السورة كل حكممة خاصة ، والكلام على أرجل الحيوان وعددها بمناسبة السور

١٠٤ ههنا ﴿ ثلاثة فصول * الأول ﴾ في تفسير الألفاظ مع الإيجاز ﴿ الثاني ﴾ جعل السورة ستة مقاصد ﴿ الثالث ﴾ في مجربات القرآن في هذا الزمان بالمع الحديث ﴿ الفصل الأول ﴾ في تفسير الألفاظ وذكر السورة كلها مشكلة قبل ذلك

١٠٧ ابتداء تفسير الألفاظ

١١١ الكلام على محاجة الكافرين والمعاندين الخ من قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء - الى آخر السورة

١١٣ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في أن هذه السورة ستة مقاصد

١١٤ للمقصد الأول والثاني والثالث من أول السورة الى قوله - وجزألم - ويان أن السورة ابتدئت بالجد توطئة لما سيذكر في السورة من ملك داود وسليمان عليهما السلام الذي استوجب شكر النعمة عليهما ﴿ المقصد الرابع ﴾ في التهديد والوعيد للمستعززين ﴿ المقصد الخامس ﴾ وفيه غرضان : يان أدوار ملك بني اسرائيل الثلاثة بمصر وفي حكم الشيوخ ودور عظمة الملك أيام داود وسليمان موازنة لملك سليمان بملك سبأ

١١٦ ﴿ المقصد السادس ﴾ الاستقلال والحرية في الآراء . الاغترار بالرؤساء . الضلال بالتضي

١١٧ ﴿ جوهرتان ﴾ في آية - الحمد لله - وآية - يعلم ما يطلع في الأرض - الخ ويان أن الناس في أول أمرهم يشقون الصور الجلية ثم الصناعات الانسانية ثم الصناعات الصكونية هذه ثلاث درجات . ومن الدرجة الثانية ما نواه من تراحم وتوارد الزائرين الأجانب من سائر أنحاء العالم ليشاهدوا بهجة الجبال الصناعي في مقبرة (توت عنخ آمون) مثل السرير الذهبي وآنية من مرمر وأخرى مثلها ، ونوع من حل العسلر وصنوعق لللابس وهكذا . هذه نماذج جبال الصنعة الانسانية للناسبة لقول الناس في الأرض . المثال الرابع أعلى مما تقدمه وهي الصنعة الإلهية . فهذه ليس يفرم بها إلا قليل لعظمتها وان كانت مبذولة لكل أحد . انظر لخشنة الجراد والنحل في الضر والنفع كأنه يقال ان لم تقاولوا النحل لنفحة فاقاولوا الجراد لضره ، هنا خير وشر فلا لم تقاولوا النافع أفلا يذكركم الضر بأن النوعين يسيران بقانون واحد من حيث نظم الجسم ونظم الملكية وتوزيع الأعمال ، وأى فرق بين النحلة مع ملكتها وبين الأرضة وأتباعها والشمس وسيارتها والمجموع المعني في الانسان وأعضائه فالأعضاء والسيارات والحشرات كلهن مطيعات للأوامر الصادرة من مركز الرئاسة ، هذا معنى قوله - له مافى السموات - الخ

١٢١ صورة المجموعة الشمسية

١٢٢ صورة ملكة النحل والأرضة وجسم الانسان من حيث أن هذه للمالك قد انحلت في أن لكل مركز رأسه وأتباع يطيعونها من النحلات والأرضات والسيارات وأعضائه الانسان

١٢٤ كل من خلق في صناعة وشاهد شيئاً منها أدرك سرّها وعرف فاعلمها لأن صنعة مشابهة كما اتفق للعالم الإنجليزي المستشرق الذي أدرك طبقات للكتاب السودانين للقولين بسبب معرفته بطبقات الكتابة والشعر والتاريخ أدوار اللغة العربية ، هكذا فعل العارف بعجائب هذه الدنيا إذا ألهم على يدائع الجسم والكواكب والحيوان فانه يقول فاعلمها واحد لسريان للنظام المتحد في الجميع . هذا هو سرّ قوله - له مافي السموات - الخ على سبيل الحصر ، فلخصرنا كحصر الخلق في الصناعة إذ يرى صنعة رجل فينسيها له لعله بأسلوبه في العمل ، ومثل المجموعة الشمسية المجرة والمجرات الأخرى والسدم فكلها من هذا القليل لنظام حكم مشابه . هذا معنى - مافى في خلق الرحمن من تفاوت - الشمس كاللهاجة والأدرة ترجع لها مضارها ولم يصحب الله من نظام نحل ينظم سرشمه إذ يحسه بالثانية ونصف الثانية ولا يشغله حساب الحسوف والكسوف بالثيقة والثانية (وللواحد المحددة لكل ٧٠ خسوفاً وكسوفاً (١٨) سنة و (١١) يوماً) من عيون النحلة التي تكون (٤٠٠) و عيون النحلة (٤٠٠) كل عين منها مستقلة

١٢٨ (الجوهرة الثانية) - يعلم ما يلج في الأرض - الخ وتبدأ بالبحث في الأرض ويبين الصور التي رسمها بعض العلماء في أدوار فهمها المختلفة مثل أنها كسيط (شكل ٦) أو كشجرة (شكل ٧) أو بحولة على اثني عشر عموداً (شكل ٨) أو كالأسطوانة (شكل ٩) أو كمكة (شكل ١٠) أو كروية تحيط بها جبال (شكل ١١) أو أن الجبال ترتفع في القطب الشمالي فتصل للماء (شكل ١٢) أو هي عبارة كبيرة مستديرة على أربعة أفيال (شكل ١٣) أو يضاهية (شكل ١٤) أو ككرة مفرطحة (شكل ١٥) كجبة لقوطة (الطماطم) أو شبه القلب (شكل ١٦) أو كتل للكمثرى (شكل ١٧) أو هي من عدة كرات متحدة بينها فواصل وهي خس حلابة بالهواء والسكان وكل سطحين للكرة مسكونان ولها فتحتان عند القطبين وقطر الفتحة في القطب الشمالي أربعة آلاف ميل وفي القطب الجنوبي ستة آلاف ميل (شكل ١٨) و (١٩) وللمارshall (جاردنر) سنة ١٩١٣ يقول : إن الأرض مجوّدة وسطح طبقتها التي تعيش عليها (٨٠٠) ميل وهي مفتوحة عند القطبين وفي داخلها شمس (شكل ٢٠) والفتحة (١٤٠٠) ميل أو هي على شكل هرم (شكل ٢١)

(للقام الثاني) فيما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والنفط

١٣٣ التربة إما سوداء جلها الفرين (الطيني) وإما نباتية وإما بركانية ، فالسوداء كأرض بلاد النيل جلها الطيني لا يحتاج إلى سقي كثير بخلاف الرملية وضدها البركانية في الولايات المتحدة الهزات الحقيقية والزلازل التي تبلغ (٣٠) ألف في السنة لا يشعر الناس بها تحدث ارتفاعاً وانخفاضاً نشأة البركان الذي هو جبل مخروطي يخرج منه مواد مصهورة وحم بركانية . وقد يتور البركان فتكون سحب من بخار ومن تراب بركاني يظلم الجو ، مثل بركان كركتوا سنة ١٨٨٣ غسف بذلك ثلثا الجزيرة خلّ بحر عظيم على الجبال العالية بعنى ألف قدم وهلك (٣٦) ألف نسمة و (٣٠٠) قرية وارتفع التراب (٢٠) ميلاً

١٣٥ أما الفحم فهو مخزون قديم في الأرض ومنه يكون انشراست والنفط البخاري وحم الكوك وهكذا وهاك صورة في الأرض (انظر شكل ٢٢) و (شكل ٢٣) زيت البترول في بلاد القوقاز والولايات المتحدة وغيرها (شكل ٢٤) فيه صورة الأعشاب في مدة الفحم الحجري

١٣٨ (شكل ٢٥) فيه ما فترج من الفحم من الكوك والتطران والتفريت وزيت القار والنفط وغار التشادر والأصباغ وهكذا ، وهذه في الرسم نحو (٦٠) نوعا تقريبا

١٣٩ تفصيل بعض ما في هذا الشكل مثل الزيت الطبيعي والكبريت والبريتان والتفريت

١٤٠ والبزير والريشوليت

١٤١ جبال العلم في قوله تعالى - وما يخرج منها - مثل الينابيع الحجرية بسبب ما فيها من الجير للذباب في

الماء كثافة هليوبوليس المكونة من ينابيع حارة فيها أذيب الرمل ومثل الصخور الروسية الكيائية

من ذوبان صخور جيرية أو من صخور الملح التي ترى في (تشكوسلافيا) وهناك مدينة منحوتة

من الملح ، ومثل الصخور الطينية والرملية والجيرية وهكذا ، والصخور المنحوتة بسبب الضغط والصخور

النارية . أنواع الصخور المنحوتة المائية كالارمولز عولا عن الطين ، والتارية كلتيه من الجرانيت

والصخور المائية تكون عضوية كالجير والفحم وصكباية كالصخر الرسوبي كالطين والحجر الرملي ثم

النارية بركانية كالبارزات وبلطية كالجرانيت

١٤٢ (حركات القشرة الأرضية) . الزلازل والبراكين والتفورات . السواحل الطالعة كساحل المحيط

الأطلسي الغربي وهو الجبال لأمرريكا المكون من صخور رسوبية حديثة العهد وفيه كهوف ومغارات

أصلها من تحت أمواج البحار وكذلك التواقع والأصداف وسواحل أوروبا الغربية آخذة في الطبوط

التدريج تحت سطح الماء ، فباني الرومان في إيرلند غرت الآن تحت مستوى ماء المحيط

١٤٣ الجبال تكون غالبا على حافة المحيطات الكبرى وعند جمع القارات وتخرج بسبب التواء الأرض من

أضيق الجهات وقد برزت جبال الألب من قارالبحر في أزمنة حديثة . الأنهار تجلب للبحار مواد

تكون بها جبلا جديدة في باطن الأرض بدل الجبال التي تبرز بالزلازل أو بحركة القشرة الأرضية

وحركة القشرة بسبب الدوران التي يغير شكل الأرض وهذا التغير البطيء اليوم يكسر الصخور وتلك

(سببان) . جذب الأرض . وضغط الطبقات العليا . وكما كان الصخر أسفل كان أثقل وبالعكس .

والجبل في خروجه من البحر بالعوامل اللطيفة يكون أسفل أعلى وأعلاه أسفل . ففي البحر تكون

الطبقات النارية أسفل ويعلوها ثلاث طبقات أعلاها أخفها وأقلها أسفلها طبعا . ومنى ارتفع الجبل

كان الأعلى هي الطبقة للنارية التي هي أهل الجميع وتليها الطبقات الأخرى . فالأصل يكون أخف

والأعلى يكون أهل عكس وضعها في البحر

الأعاديد الفائرة . المضطرب الرفوعة . الجبال المختلفة . الزلازل كوزل مصر (سنة ١٩٢٦ م) وزلازل

(سن ترنسكو) و (شبتونه) و (سبتا) و (اليابان) التي هلك فيه (٢٠٠) ألف نفس

١٤٥ باطن الأرض عند القطبين ملؤه غما به يكون القطب الشمالي ملتي الخطوط الموائية . ومن الجباب

أن باطن الأرض كما أن فيه غما من أشجار طمرت الزمان قديما هكذا فيه كهرومان وهو التي فيه قوة

كهربية كان قديما ينزل كالطين من أشجار عظيمة قد اقرضت ويقعد وهو في شمال ألمانيا يستخرج

من الأرض التي طمره فيها من الزمان

١٤٦ (الفصل الثالث) في مبث الجبل وسيل العرم . ومبث الجن مذكور في الكلام على حشرة الأرض

وهي التي أكلت منسأة سليمان عليه السلام . وهذه الحشرة حكومتها منظمة نظما مدعشا

تعريف الأرض وانها عمياء غبشاء الخ

١٤٨ سياستها فوق متناول العقول وآراءها (١٥٠٠) والمشهور نحو (٤٠) نوعا فقط ومساكنه إما أسراب

تحت الأرض أويوت ظاهرة متوطنها (٤) أمتر وتكون كلقاب السكر فاعده (٣٠) قنسا
١٤٩ (شكل ٢٦) قرية الأرض وتكون تلك المساكن في افريقية الوسطى وفي كونفو والبليجيك فيما
القل الى (٨) أمتر ولا يقطنها الناس إلا بالليلية وهي تجعل الخشب قوتا لها مهضوما وفضلاتها
تصلح لها طعاما

١٥٠ والأرض تكثر الانسان وتبنى مساكن في أرضه كما بنت في اسفاليا (١٦) قرية في مساحة (١٣٥)
مرا ولها مهندسون وجنود يصنعون لها كل ما يريد (انظر شكل ٢٧) وهو رسم الأرض العامة
(شكل ٢٨) الجنود وعدو الأرض هي الخلة ، والجنود الأرضية تكونت تعود اليها بعد هزم عدوها
ولكل قرية عدد من الجنود لا يزيد وملاذ يقتل يلقى سياسى خاص ، وهذه الحشرات طرق بها
يفهم بعضها بضا ، الأثرى انها للملكة تكون في أشجار كثيرة وهي تايمة لعرض ملكة واحد ولها
أصوات موسيقية خاصة تشترك فيها الملكة كلها وهن جميعا يتأيلن الى الامام والخلف ويدوم عدة
ساعات مع فترات قليلة . وللك الملكة في حجرة خاصة وهي أعظم جنة منه

١٥٣ متى آن فصل الشتاء فتفتح المنافذ المحرمة فتفتحها طول السنة في ساعة خاصة . وتخرج حشرات من هذه
الملكة ذات أجنحة تعد بالملايين وتنشئ في الجوف ما يشبه السحاب بمنظر جيل قصير المدى وكل ذكر
يسبح عن أناته فهو مشهد جميل ولكنه سريع العطب إذ يهبط هذا الجيش كله الى الأرض حالا وما
أسرع ما تنقض عليه الصافير والحيات والحرر والكلاب والفحل وتأخذ في أكل تلك الفئام التي خرجت
لأعراسها فصار هي نفس المآذب لغيرها

(شكل ٢٩) وهو رسم أرضة بالغة بسط جناحها

١٥٤ تحريب حشرة الأرض للأرض إذ هي تتنازل بسرعة مذهلة ولولا البرودة لنظت الأرض كلها وهي
تنتك بما عند الانسان من ملابس ومسكن وغيرها . فمدينة جاستون دخلها نوع من هذه الحشرة
فصل فيها مائة الف الزلازل وجزائر الانجيل الفرنسية منحتها هذه الحشرة عن مغالبة الانجليز لأنها خربت
للتنازل . التحل في جنة والأرض في جهنم لأنها محبوسة ههنا تحت الأرض . ان لها شريعة هسية
لا غفران فيها فالعامل الذي لا يعمل يقتل وهكذا

١٥٥ حشرة الأرض تقدمتنا بملايين السنين وقد كان في أوروبا قديما فاختفى في الأرض فعمى على ما يظهر
ولمنا نحن ننظر مستقبلا مثل هذا حتى يرد هذه الدنيا . إن هذه الحشرة تعرف كيف تنظم الذكور
والجند من حيث إيجادها قوة إلهية . أما نحن فلا . ولونسى للانسان ذلك لكان ذلك سببا في انه
يكون فيه الأذكى له للتادرون الذين يملوننا من العلوم ما يجعله الآن

خطاب المسلمين وكيف درس القوم حشرة الأرض وأتم لم تدرسوها وهي في القرآن

(المقام الثاني) - فلما خرّ تيننت الجن - الخ وبيان أن العزائم والبهوات الكفرية وغيرها تذكر
فيها أسماء الشياطين فيها نوع من العبادة . وبيان أن الأرواح الصغيرة تكتب وأن الروحانية لا يصح
أن تكون بابا للرزق ولا علم للأرواح بالمستقبل في الكشف الحديث

١٥٨ (تذكرة) الكلام على آية - فلما خرّ تيننت الجن - الخ وتبين ما هله الرجل الهندي بمصر وأن
البرلمان بمصرسة . وأن المعاهدة مع الانجليز تم وأن هذا القول بمقتضى علم الأرواح لا وثوق به

١٥٩ وأن الخبر بهنا أرواح صغيرة . وأنه هو كان أحب فتاة فلما بدت عنه تفكر فيها فظهرت أمامه بقوة
الروحانية فلما ماتت وهي في غيرة جلس مع الناسك يقرؤن آيات من القرآن في المحاولات (٤٠) يوما بلا كل

ففسخروا لهم الأرواح التي كانت تظهر لهم بيوت وحوش . ويان أن هذه الأرواح ناقصة وأن هذا العمل لم يخلق الإنسان لأجله في الدنيا وأنه لا يرى هنا الهندى ولا كل من فعل مثله الخ وأن هذه الأحكام قلما للشيخ البالغ والشعراني والمقرآن إذ أجروا أن من قمت له أبواب الاخبار بالنبي ونحوها فهو مبسوس الخط شوائب شهوة دنيوية وربما دخل جهنم

١٦٦ قوة الارادة فتتج أعمالا غارقة للعادة مثل الخنود الذين اشتهر عنهم انهم ينامون على السامير ولا ينامون ، ولقد ظهر (طهرا بك) في لندن أمام (٤٠) طيبيا انجليزيا وفرزسكتا حادة في جسمه ونام على السامير ووقف رجل ضخم على صدره ثم نزل ووضع حجر كبير مكانه ووقف رجلان يتناولان ضرب هذا الحجر حتى تكسر ذلك الحجر على صدره ولم يعاقب ، كل هذا أظهر أن الخنود ليسوا خادعين وأن هذه قوة ارادة تالدة

١٦٤ (المبحث الثاني) في سبأ وسيل العرم الخ ويان أن المسلمين اليوم أشبه باليمنيين الذين حفظ الله لهم كنزهم باقاة الماطة عليه إذ أهم الحضرة ذلك حتى بلغا أقدما فاستوليا عليه ، هكذا المسلمون دفن الله لهم كنوزا وعلميا في بلاد سبأ وأزل عليهم مطرا تركوه سدى ، فهاهوذا اليوم قد أرسل لهم الترجمة سرا فكشفوا ماخبأه الله في بلادهم بشارة علماء ألمانيا وغيرها ، فإذا لم يشكروا بعد الآن فإن الله لهم بالمرصاد والأرض وأرضه وللك ملكه

١٦٦ مخالفين الذين يحكمهم الأقبال أى الملوك الصغار ، والمخلاف يشتمل على عباد أى قصور حولها مساكن يحكمها أذواء (جمع ذو) وإذا قلب رجل على مخالف سعى ملكا فهو ملك على هؤلاء الأقبال الحاكمين هؤلاء الأذواء ، وملك الملوك هو التابع أى ملك يحكم ملوكا . إذن هنا أربع درجات : أذواء أقبال ، ملوك ، تبابعة

١٦٧ (خريطة مدينة مأرب بعد خرابها) وهي عاصمة سبأ وهي نفسها تسمى (سبأ) وهي المعينة بالبلدة الطينة في الآفة

١٦٨ الخلط والخطب في تاريخ تلك البلاد ، ويان أن المؤرخين ليس عندهم دولة اسمها سبأ ولكن الكشف الحديث كشف ذلك موافقا لقرآن مخالفنا لتاريخ المشهور ، وهكذا سد العرم كان الناس يشكون في أمره وفيما كتبه عنه الهمداني حتى ظهر اليوم بالكشف ووسمت خريطة كترسنت هنا في هذا التفسير وهنا من أجل المعجزات النبوية

١٦٩ كان الناس يشكون في وجود سد العرم حتى تمكن المستشرق (لرنو) من معرفته ونشر في المجلة الاسيوية سنة ١٨٧٤ وزاره هالتي وغلازر ، ووجدوا صدق وصف الهمداني له في كتابه « وصف جزيرة العرب » و « الاكيل » . وهما يان الميزاب الشرقى والأودية التي قصب فيه وجبل اللراء وغيرها وهكذا ميزاب مور وواى أذنه الذى تديره المياه الى ماين الجلبان وهما البقي الأيمن والأيسر ١٧٠ رسم سد العرم وكيف ينصرف الماء منه ، والسد عرضه (١٥٠) ذراعا وطوله ثمانمائة ذراع ، وتلك الغربى وهو الأيمن باقى والثلاثان الباقيان نهما ، والأيسر عرضه عند القاعدة (١٥) ذراعا وطوله (٢٠٠) ذراعا

١٧٢ خريطة بلاد العرب

١٧٣ خريطة سد مأرب أو سد العرم

١٧٤ عجائب القرن العشرين ، ويان أن ذكر سد العرم يذكرنا بطوفان نوح عليه السلام وبما حصل

في مصر سنة ١٩٢٩ م وحاصل في الحرب سنة ١٩٢٧ م وبها منه فرض كفاية وأن ذلك الفرض عند بعض العلماء أفضل من فرض الدين لاسماع فوائده ، وبيان أن غير المسيحي أغار على الجسور قطعها وأن هذا التهر سنة ١٩١٣ م قاض على مقاطعة (الاهيو) غسرت البلاد (٧٤) مليوناً من الجنيئات ، فأما في سنة ١٩٢٧ م فقد خرج البحر عن مجراه وأغرق سبع ولايات وارتفع على الأرض (٨) أمتر

١٧٦ (شكل ٢٣) مياه المسيحي ترفع على الجانبين وشكل (٢٤) نصف أحد جوانب المسيحي
١٧٧ يبين اشتراك الشعب كله في دره الخطر ، وأن مثل ألوف من الناس باتوا بلا مأوى ، وأن الحكومة أغاثتهم بفيلقين من الجيش وبلغت الخسائر مائتي مليون ، ثم جاء الخوف على مدينة (نيو أورليانس) العظيمة فنسفت الجسور في ثمانية وأربعين مكاناً ونهت الحكومة في سبيلها حياة أفسانسان بلا قوت لهم و (٧٥) ألف كيلو متر وكان هذا الملم بعد عمارية الأهالي للحكومة بأنواع السلاح ومنها القنابلوز والقنابل ، ثم تمهت الكلام على أسداس الدين وإصلاح من يتوأسد العرم

١٧٩ الأسناد وانها تبلغ في العدد مئات والتي بنى سد العرم أولاً سمع على ثم ابنه يشعر ثم ابنه كروب ايل ثم ذمر على ذريح ملك سبأ ثم يدع ايل دنار ، وقد نهتم صرارا وأصلح ، ولما ملك الأحباش الدين ظهرت لهم كتابة عليه سنة ١٩٣٩ م وسنة ١٩٦٥ م ونس إحدى الكتاتين التي كتبها أمير الحبش « نعمة الرحمن الرحيم ومسيحه الخ » وفي تاريخ قلب ذلك الملك على الخارجين عليه

١٨٠ (تذكرة) فيها ايقاظ المسلمين الى هذه التهم المخبوءة في أرضهم ، وكيف عرف قيمتها الوثنيون ولم يبا بها المسلمون ، وهذا في الحقيقة اتكاس ، فأين شكر انتم إذن وقد أهملناها !

١٨١ (جوهرة) في آية - ولتري إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - وأن أم الاسلام اليوم استيقظوا وأحسن العرب والجهنم بما يصيبهم من الخطر ، وأن المسلمين كانوا في القرنين الأولين يرضعون من أفلاقي النبوة ثم في القرون التي بعدها صاروا أيتاما وأوصياؤهم أمراء وشيوخ إن صلحوا صلت الأمة والعكس بالعكس ، مثال ذلك محمد بن تومرت وهو الذي اعتبره مهدياً وكان رجلاً حسن النية قضى على دولة المرابطين وأسس دولة الموحدين في القرن السادس الهجري ، وكسر عدد المؤمنين بأنه جيوش (علي بن ناشفين) الذي اشتغل بالعبادة قياماً وصياماً وترك الرعية تحت راحة اليأس الا ان كثر يمدن الصوص وقطاع الطرق ، وعبد المؤمن هذا رأى رؤيا تدل على انه يتعل على ذلك ، مع انه كان معلم صبية ، ومحمد بن تومرت قابل الامام الفزالي أولاً ولما توجه الى (السوس) أخذ يعظ الناس ويذكرهم وجعل له شيعاً أولهم عشرة هم المهلجون الأولون وبعدهم جماعة اسمهم الخسوس هؤلاء أشبه بحال السورى والوثاب ، وأخذ يظهر الكرامات التي اعتقدهم كما هل ابن الصالح وأوجههم بأن ملكهم بقي الى آخر الزمان وانهم يفتحون فارس والروم ويقتلون السبال - وأكثر هذا في مصيدة رجل من أهل الجزائر أولاً

١٨٤ سلام على خيرالامام المجدد * سلافة خير العالمين محمد

وهي مذكورة هنا (٢٤) بيتا

١٨٥ الكلام على أبي يعقوب يوسف وعلى ابنه يعقوب الذي أهان ابن رشد وعلى ابنه محمد وابنه يوسف والمأمون من هؤلاء وهو الذي نسخ سياسة المهدي وقتل أرباب المشورة وأذل رجال الدولة واسعان عليهم بالصاري فلم يبق لهم بعدها همة وأذل المأمون المذكور محمد بن هود

١٨٦ هناك فخرت الهولة شرملمر . و بيان أن ابن نورث استعمل رجلا من أصحابه في طريقة الجلب وإظهار الكرامات وإدعاء أن الذي ^{عليه السلام} علمه العلوم وأطلق لسانه ، قسم الأمة إلى قسمين : أصحاب الجنة وأصحاب النار بمقتضى قاعة سرية يعرف بها المستقون بالهذى العصور والمكذبون ثم أصر أصحاب الجنة بقتل أصحاب النار وأخذ ناسهم وأموالهم وبعد ذلك شغلهم للهندى بالحروب حتى لا يفتقدوا عليه بقتل رجالهم

١٨٧ ذكر استعانة هذه السيرة والأحوال ، وأن الكلام على المهدوية تقدم في أول سورة الحج وأن أكثر أم الاسلام ركوا مواهبهم وانكسروا على شيوخ جهلاء كما انكست العزلى لاطعنا أياها فكان قصصا عظيما بالنسبة لنظيرتها الفزاة في البداية ، فمحمد بن نورث وكثير من مشايخ الصوفية تفهم مؤقت وضررهم أكثر ، إذن لتعلم الأمة كلها رجالا ونساء ، والقرآن أبان هذا بهل السامري القى غلب ذعبه وخواره على انقلاب العصا حية ، فالقرآن في ناحية وجهور المسلمين في ناحية ، ومماثل الشيوخ الجاهلين والبقر للصود عند البراهمة وشيوخ البراهمة إلا اكتمل الحمد القى يأكل لحم الميتة إذ لا مصل في الوجود ، والمسلمون الذين في الهند لم يقدروا على إزالة خرافات أهل البلاد لجاء احتلال البلاد ليزيل بعض آخر ، وعلى المسلمين في المستقبل أن يزيلوا ما بقى

١٨٨ جال العلم وبهجة الحكمة في ذم التقايد ، وفيه ذكر انه لا يلبقى بالمسلمين (الذين لا يفرقون بين الأمم كما تفعل أوروبا وأمريكا اليوم) أن يفعلوا فعل البراهمة ، والمسلمون السابقون حوش على عقولهم أناس اذعوا الاخبار الغيب ولكن الأمة اليوم قد فتحت لها باب العلم

١٨٩ (حديث الهند) وبيان انها أمة بلغ الرقي فيها أعلاه في بعض الأفراد وفي مؤخرتها أناس لا يزالون في آخريات الأمم كمهد الفطرة الأولى والانجليز يحكمون (٢٤٧) مليوناً وجميع السكان (٣١٩) مليوناً والباقيون (١٢) ولاية ، والأهالي عشرون عنصرا لغتهم (٢٢٢) وكنائسهم (٥٠) نوعا ولكل كتابة من (٢٠٠) حرف الى (٢٥٠) حرفا والبلاد إما حارة جدا ولما باردة جدا ولما شديدة وقد تواتت عليها الفتوحات ، فن (سبوتسريس) المصري الى الفرنسيين فالانكليز الذين لهم هناك (٦٠) ألف جندي وثلاثة آلاف موظف ، رجال الشرطة أربعة آلاف والاورديون (٢٠٠) ألف وهم براهمه ومجاهدون وفلاحون والسودا المحرقون والطبقة الأولى عالة على الجميع بالأتاوات للولود واليت وغيرهما والبقر المقدس مليون ونصف والشعاذون والأولياء وغيرهم نحو ستة ملايين ، كل هؤلاء عالة على الأمة ، وهالك البقاء المقدس وعدد الأرامل في الهند ثلاثون مليوناً والبنات يموت منهن في سن الطفولة بسبب زواجهن ثلاثة ملايين ونصف . وقد سن تسريع جديد للزواج يخفف ما تقدم وبيان أن طبقة السودا لا مقام لها في الهند ولكن التسريع الجديد رفضها نوعا ما . وأعمال البراهمة يشبهها أعمال ابن الصباح وكثير من رجال الصوفية الجهلاء . ونظير ذلك ما يكون في بعض طيور مصر لها (٤) رؤساء متى أهلكن أصبح الطير كله في قبضة القانصين

١٩٣ (نور على نور) الكلام على البراهمة في آية - ولوروى إذ الظالمون موقوفون - الخ وأن الله القى نظم عيون الخلق والفتاب لم يقل عن أهل الهند إذ جعل لهم بقرا وبراهمة يطوفون عليهم كأنهم أمثال متحركة ولم يعطهم إلا على مقدار عقولهم حتى يستعقوا للإسلام فيما بعد متى حان الوقت وهذا البقر المقدس له نظير عند جهلة المسلمين إذ يطلقون محولا باسم الأولياء بمصر قبل تنوير المسلمين . ويضل مثل ذلك أيضا (أنا ممنون) بأناعه

١٩٦ ﴿ الفصل الأول ﴾ في بيان المضار الحاصلة في بلاد الآفنة بسبب سوء التقليد وشرح أسرار الزواج وتخفيف ضرره . وبيان نسبة الأرمال الى غيرهن وبذ العادات القديمة من قتل من مات زوجها وإذا طاشت

قلاب من زواجها اليوم بالقانون الجديد وأن هناك آفة أرملة لا يزيد سنهن عن ستة واحدة و (١٩٦) آفة أرملة لا يزيد سنهن عن خمس سنوات وهن محرومات من الزواج بالقانون القديم

١٩٨ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في تمادج من الكتب الاسلامية التي فترى للملك بالظلم وحياكل النصب ليهينوا

على النصب وهو كتاب ﴿ سرّ الطالين ﴾ المنسوب للزلي كذا وأن هذا الكتاب يأمر بالظلم للزهد

والكرامات . ثم يظهر الدعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضرب مثلا بين الصالح والمأمون

أخي الأمين بن هارون الرشيد . وبيان أن الولي هو الذي لاتهم الحياة الدنيا ويجب لقاء الله . أما

الكرامات وخوارق العادات فما هي إلا امتحانات للناس . وتبيان حديث المسيح الدجال . وأت

خوارق العادات على يده امتحان للناس

٢٠١ إن العلم والعمل صعبان على الناس وما أسهل الراحة والنوم والكسل والجهل والاكتفاء بالكرامات

وتقيل الأيدي وما أشبه ذلك . أولاد كرامات أن للمسيح هجلا رمز لهذه الطائفة التي اغترت بهذه

الاحور . وخوارق العادات قد تصدر على أيدي الجهلاء وهم غافلون كالشيخ سليم بالسعيد وله حادثة

جوت مع أحد مستشاري محكمة الاستئناف وقد سألتني وسأل صديقي حسن باشا جلال فأخبرت بأن

مارآه من احتضار زوجة الائمة من الاسكندرية أمر جائر عقلا وذكره ابن سينا اجالا وذلك قبل

الاطلاع على علم الأرواح الحديث

٢٠٢ ﴿ أشعذة أم علم ؟ ﴾ (هوديني) رجل أوروبي في زماننا يظن نفسه في الأرض على حق بعيد ثم

يخرج فضل ذلك في كل دولة وأخذ يهوا بالسجون جميعها وخزان الحديد التي قتل عليه فيخرج حالا

بمحضور وزراء الأمم وعظماؤها وهو القاتل : « هذا سرّ لو عرفه فبيري لأضرّ بالناس إذا لم يكن أمينا »

وهذا يؤيد قول علماء الاسلام « إن خوارق العادات لا تختص بالأولياء بل هي عامة »

٢٠٣ فضلى المسلمين أن ينزروا تلك الطريقة العتيقة وليفكروا في أمبراطور اليابان الذي ورث صناعة الاختفاء

عن الشعب وإبهامه . فلما علم أن ذلك يضّر بالأمة رجع عنه وعلم الأمة كلها

﴿ للهدبون وبعض شيوخ الطرق والمسلمون ﴾ ليفعل المسلمون بعد ظهور هذا التفسير ما فعله صديقنا

(اللورد هيدلي) الانجليزى (الذي لما اطلع على أن الألمان كشفوا في بلاد الآشوريين أن ابن الله

البكر صلب كما صاب المسيح . وذلك الكتاب وجدت قبل المسيح بالآلاف السنين) إذ دل « أى »

الابنين أنيع : الابن القديم . أم الابن الجديد ؟ لأنكهما معا وأنيع الاسلام . هكذا ليلت المسلم بأى

المهديين أقمتى . أبالمهدى السودانى . أم ابن توحرت الخ . كلا . بل أتبع نفس القرآن وأنا أبشر

المسلمين بأن هذه الطبقة ستظهر بعد ظهور هذا الكتاب

٢٠٥ ذكر حادثة داله على ذم التقليد في الطب وهي المذكورة في سورة الشعراء وأن رجلا رأى مرة لمثنتها

أففى قمرغت في نبات « وعراع أيوب » وانها كلما لمثت قمرغت فيه . ولكن لما أظفعا ماتت .

وأيقنا يقول : « ان لعاب القطط مع من السم » فكذب هذا كياوى في مصرنا في عصرنا وأثبت

أن هذا النبات وهذا الرقي لا يذفضان السم ولا يشفيان منه . فكتاب ابن أبي أمية والمصري الذي

ادعى هذا كلامه اعطى

٢٠٦ ﴿ الحياة الاجتماعية وقبر أوربا من حروفها الكتابية ﴾ وقول القوم إن حروفهم كثيرة فضع نصف

الوقت في الكتابة والكتابة المختلة بالخطية . أما الحروف العربية فهي أقرب الى المختلة ولا تشيع الوقت . إذن أوروبا تحب ترك حروفها ومصطفى كمال يقترب منها وأيضا لقد آمن الله خان مصطفى كمال في قتل علماء الدين المعارضين فزال ملكه فهو تقليد عهون ، ومن الأسرار الذين تركوا التقليد المستر (سكلاقالا) الضو الشيوعي أقام مظاهرة في لندن ضد (الكولونيل لورنس) الذي أشعل الفتنة في أفغانستان ضد (أمان الله) فهذا الانحياز سر ولكن أمثاله قليل في حب العدل

٢٠٨ ومن بهذا التقليد في الزراعة أن الأشجار والزرع تقوى في نفس الماء في حياض وتوضع في الماء اقراص محتوية على العناصر السبعة التي يتغذى منها النبات ، وبهذه الوسيلة يمكن أن يظهر القمح والورد وأمثاله في أزمان قليلة وبتقودقية ، وبهذه الوسيلة أيضا يمكن الزرع في الصحارى والقفار وسطوح المنازل ويزيد المحصول نصف قيمته ويخلص من الآفات المارضة للزرع في نفس الأرض . أزهر الورد بهذه الطريقة في (٨٠) يوما . وزاد محصول البطاطس (٥٠) في المائة والنباتات الغذائية زاد محصولها مائة في المائة ، وبهذا يمكن أن يعيش ملايين من الناس على محاصيل في أرض لا تبت الآن سوى الشوك الح

٢١٠ وأتى نوح أو يرف في أرض قفراء يكفي ماؤه لغذاء أناس في أرض قفراء اليوم ، وسطوح المنازل تغطي بالزرع في الحياض ، وبالجملة فهذا انقلاب عظيم في حياة أهل الأرض

٢١١ ﴿تذكرة﴾ في أن الصيام المريض مع الجلاوس في الشمس بطرق خاصة يمنع قفرالهم ، وهذا لمناسبة الله ﷺ سراج منير والقرآن يجب أن يكون نبراسا للمسلمين يزيل خرافاتهم ويجعلهم مغرمين بالعلوم العقلية كما أن ضوء الشمس يشفي الأبدان مع الصوم ﴿والتذكرة الثانية﴾ أن قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض - الخ يدخل فيه القطران الذي يستخرج منه مئات الألوان الزاهية التي بها اغتر بعض الأمم الإسلامية فحق عليهم آثار قوله تعالى - سرايلهم من قفاران - وهذه أشبه بجنة المسيح العجبال التي تكون لها جهنم وهذا عجيب في القرآن ، والاستدلال على ذلك بقول بعض العقلاء ان التفات على الملابس الأجنبية يورث العبودية في هذه الدنيا

٢١٢ ﴿خاتمة السورة﴾ وانها مبتدأة بالنم الجزيلة وأن هنا أمتين شريقتين أمة اليهود وأمة العرب . أما أمة اليهود أيام سليمان ودأود عليها السلام فقد شكرت النعمة ، وأما أمة سبأ فاتها أعرضت فهلك وأعقب ذلك بتعبير المقلدين وانهم لا ينصفهم الاحتجاج بالتقليد . وقد أرسل الله سيدنا محمدا ﷺ وسكن أتباعه أرض الله ومنها سبأ ، وألجته اليوم فآفة على أهل هذا الزمان وانهم لم يقوموا بالمحافظة على النم في ديارهم فلم يجعلوا لواء سدودا ويستخرجوا ما في أرضهم من العجايب فان أعرضوا فان الله لا يرضى بذلك والأرض له هو سبحانه فهو يعطيها لمن يستخرجون كنوزها أيا كانوا والله لا يهلك الأمم في الدنيا اذا كانوا مصلحين لأرضه ، ألم تر أن البليان والصين لما كاتتا جاهلتيں أدلهما أهل أوروبا ، فلما أخذما في اصلاح بلادهما فوت أوروبا من ديارهم - وما كان ربك ليهلك القري يظلم وأهلها مصلحون -

٢١٥ الانسان ونهضة الاستعمار وأن الأمة العالة تبث عن الأرض التي تلم أهلها عن ائتان العمل فيها فتسخر أهلها لمصلحتها وتلوة يستوطنونها . فلي أهل اليمن وسائر بلاد العرب أن يأخذوا حذرهم ويستخرجوا كنوز أرضهم التي كتزها الله لهم . وهذا التفسير آخر انذار للمسلمين

بشرى

ترفعها الى السادة الشافعية

بمؤن الله تعالى تم إعادة طبع كتاب طلالا اشفاق
الطلاب لرؤياه بعد احتجابه عدة سنين . وكلا لا يوجد إلا في
خزائن الخاصة مثل الكنز الثمين مع تعطش القلوب لرياه والأبصار
لمرآه ألا وهو

بشرى الكريم

شرح

مسائل التعليم

تأليف

العلامة الكامل والهامام الفاضل الشيخ سعيد بن محمد

باعشن على مقدمة الامام الولي الزاهد الشيخ عبد الله

ابن عبد الرحمن بافضل الحضري في فقه مذهب الامام

الشافعي رضي الله عنهم وتقعنا بهم أجمعين

ولتمام النفع وضعنا بهامشه المقتمة الحضرمية المذكورة . وهو

واقع في جزأين مطبوعا طبعا متقنا ومصححا بغايه الاعتناء

4498

